نزعات مجهرية

القوى الصغيرة وراءها تغييرات الغد الكبيرة

مارك ج. بن

إي. كيني زيلسن

نقله إلى العربية

مروان سعد الدين

العبيكان
Obeikan

Original Title:
Microtrends: The Small Forces Behind Tomorrow's Big Changes
Author: Mark J. Penn and Kinney Zalesne
ISBN: 978-0-446-58096-0

Publisher: Hachette Book Group, New York, USA

ISBN: 0-012-503-603-978

الطبعة العربية الأولى 1429هـ - 2008م

الناشر العبيكان Obeikan للنشر

المملكة العربية السعودية - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة - عمارة الموسى للمكاتب
هاتف: 2937574/ 2937581، فاكس: 2937588 ص.ب: 67622 الرياض 11517

مكتبة العبيكان، 1429هـ

ح فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن، مارك ج
نزعات مجهرية./ مارك ج بن؛ إي. كيني زيلسن؛ مروان سعد الدين.- الرياض 1429هـ
519ص؛ 16.5× 24سم
ردمك: 978-603-503-012-0
1 - علم الاجتماع أ. زيلس، (مؤلف مشارك)
ب. سعد الدين، مروان (مترجم) ج. العنوان
رقم الإيداع: 2377 / 1431 ديوي: 301

ردمك: 978-603-503-012-0 رقم الإيداع: 2377 / 1431

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة
هاتف: 4160018 /4654424 - فاكس: 4650129 ص. ب: 62807 الرياض 11595

شكر وتقدير

بقيت فكرة هذا الكتاب تراودني سنوات عدة، وكنت أقول دائماً: إنني سأقوم بذلك «السنة القادمة». لكن نتيجة إلحاح بوب بارنيت، أضحت هذه هي السنة التي أقوم بتأليفه فيها.

أودّ أولاً شكر كيني زيلسن، معاونتي التي ساعدني عملها الرائع على تحويل الأفكار إلى حقيقة. أعرف كيني من العمل معها في حملة الانتخابات الرئاسية سنة 1996، وقد تعلمت تنظيم استطلاعات الرأي حينها، وهي مؤلفة رائعة أيضاً. كنت قد استمتعت كثيراً بتعاوننا معاً.

أودّ أيضاً أن أشكر بوب بارنيت، الذي تخيل الكتاب، وكان إلحاحه سبباً في انطلاقته، وقاد إيمانه به إلى إصداره. إنه جدير بالتقدير حقاً.

تتضمن قائمة الأصدقاء والزملاء الذين اقترحوا، وراجعوا، ونقّحوا، وفي بعض الأحيان، قدموا أمثلة عن نزعات مجهرية سكوت سيف، ودون باير، وسيرجيو بندكسين، وميش ماثيوز، وجوناثان كيسلر، وبيلي مان، ونيرا تاندن، وديفيد غينسبرغ، وج. ب. شرمان. وأودّ أن أشكر بيل غيتس وبيل كلينتون؛ لدعمهما.

أنا ممتن كثيراً أيضاً لمحرري وناشري جوناثان كراب الذي ساند هذا المشروع منذ اللحظة الأولى وأخرجه إلى النور بمهارة وحماسة كبيرتين وأفراد فريقه، بمن فيهم نيت غراي، وكاري غولدستن، وفريد تشيز، وبوب كاستيلو، وآن تومي، فهم شركاء من الطراز الأول.

وأودّ أيضاً أن أشكر ميلسا فايزنر، محلل أبحاث الكتاب الرئيسة. طوال سنة كاملة، انشغلت ميلسا بهذا المشروع بطاقة وحماسة كبيرتين، وكانت على الخط الأمامي في جمع كل الأرقام التي تحولت إلى قصص، فقد قامت بعمل رائع.

سخرت لورا سو، الطبيبة المقيمة، عدّة شهور من وقتها لتتبع بعض من أكثر البيانات سرية في هذا الكتاب. ليست هناك إحصائيات عمرها عقوداً، أو بيانات غامضة لا تستطيع لورا فك رموزها.

خصّص عدد من الأشخاص: في بين، وشون وبيرلاند جزءاً من وقتهم وطاقتهم لدعم هذا الكتاب. أخص منهم بالذكر جوش فيرمان، ونيك دانوف، وأندرو كلاستر، ومات ليبي، وإيميلي كوليغان الذين قدّموا إسهامات نفيسة مراراً وتكراراً. كما أغنى آخرون هذا الجهد بإسهامات كبيرة وصغيرة، ومنهم ألكس براون، وآمي كوهن، وبراد داوغيرت، وجوناثان غاردنر، وآماندا كيتر، وبيث لستر، وآمي ليفتون، وجوناثان بن، وجي راغسديل، وميريل رامان، وإيان ريتشي، ولادون رودر، وبيتر روريغ، وريتشل شوارتز، وبايال شاه، وكريغ سميث، وجيسيكا ترينور، وغرانت زاليس.

وأخيراً، أودّ أن أشكر كل مراقبي النزعات الذين يكتشفون نزعات جديدة كل يوم. ذكرت أسماء العديد منهم في «مصادر» التي حاولت توثيقها كما ينبغي. بعض النزعات في هذا الكتاب جديدة؛ بعضها كان معروفاً من قبل وقمت بإضافة بعض التأثيرات في سياق نزعات مجهرية، وبعضها نتاج دمج عمل سابق بعمل جديد. آمل أن يقدم هذا الكتاب مهاراتكم والقيمة الكبيرة لمراقبة النزعات إحصائياً.



المحتويات

مقدمة

في سنة 1960، صدمت فولكسفاغن عالم السيارات بالإعلان على صفحة كاملة بكلمتين فقط: فكر على نطاق صغير. كانت فكرة ثورية – نداء لتقليص المفهوم، والطموح، والنطاق الكبير في حقبة كان النجاح فيها مرتبطاً بالحجم وكبر المساحة، حتى عندما تقود سيارتك على الطريق.

في الوقت نفسه الذي كانت فيه أمريكة تتحول إلى قوة عظمى، ويهيمن اقتصادها على العالم، وتضع القواعد لأسواق عالمية، انطلقت البيتل (الخنفساء) بوصفها ظاهرة ثقافة معاكسة – تمثّل الفردية بوصفها رد فعل على ما كان سائداً في خمسينيات القرن العشرين.

لم يعتد الأمريكيون البتة الصغيرة عندما يتعلق الأمر بالسيارات. لكن اسأل ثلثي الأمريكيين، وسيقولون لك: إنهم يعملون لشركات صغيرة. الأمريكيون مستعدون لإجراء تغييرات كبيرة فقط عندما يرون أولاً الخطوات الصغيرة الثابتة التي ستقود إلى تلك التغييرات، وهم يشتاقون إلى نمط عيش البلدات الصغيرة في أمريكة العديد من أكبر الحركات في أمريكة اليوم صغيرة – تكون مخفية عادة عن الجميع إلا المراقب الشديد الحرص.

تستند نزعات مجهرية إلى فكرة أن أقوى العوامل في مجتمعنا هي النزعات المنبثقة، غير البدهية التي تشكّل الغد أمامنا تماماً. مع تسليط الكثير من الأضواء على جرائم المراهقين، فمن الصعب رؤية شباب ينجحون مثلما كان يحدث سابقاً. مع التركيز على الفقر بوصفه سبباً للإرهاب، من الصعب رؤية أن إرهابيين أثرياء ومثقفين كانوا وراء العديد من الهجمات. مع الكثير من الاهتمام بالأديان المنظّمة الكبيرة، من الصعب رؤية أن الفرق الدينية الصغيرة الجديدة هي الأسرع نمواً.

لم تكن قوة الاختيار الفردي أكبر مما هي عليه الآن، وليس صعباً البتة فهم وتحليل أسباب وأشكال تلك الخيارات. لم تكن مهارة الاستهداف المجهري -تحديد مجموعات فرعية صغيرة والتواصل معها بشأن احتياجاتها ورغباتها الشخصية- أكثر أهمية في التسويق أو الحملات السياسية من قبل. إذ مقاربة الحجم الذي يناسب الجميع انتهت في العالم.

فيما كنت جالساً قبل ثلاثين سنة في مكتبة لامونت في هارفرد، قرأت كتاباً يبدأ القول: «الرأي الضال والخارج عن العرف لهذا الكتاب هو أن الناخبين ليسوا حمقى». قدّم مؤلفه ف. و. كي الابن نقاشاً، كان منذ ذلك اليوم قد وجّه تفكيري ليس بشأن الناخبين فقط وإنما عن المستهلكين، والشركات، والحكومات والعالم كله أيضاً. إذا استعملت الأدوات الصحيحة ونظرت إلى الحقائق، يتبين لك أن الشخص العادي ذكي جداً في الواقع، ويتبنى بعض الخيارات المنطقية للغاية.

على الرغم من ذلك، أسمع كل يوم تقريباً خبراء يقولون: إن الناخبين والمستهلكين أشخاص مبعثرون ضالون، ويتخذون قرارات بناءً على لون ربطة العنق. لهذا يدفع السياسيون للمستشارين ليقولوا لهم أن يرتدوا بِذّلات معينة، أو يزيلوا التجاعيد من وجوههم. لهذا السبب تقدم الكثير من الإعلانات قصصاً ركيكة لا علاقة لها بالمنتجات. غالباً، لا يعتقد المرشحون والمسوّقون أن الحقائق والقضايا مهمة جداً. في كثير من الأحيان، يكونون هم الحمقى. أراهن بأن ثلثي كل الاتصالات على الأقل تضيع على رسائل وصور لا يفهمها سوى من أرسلها.

فكرة هذا الكتاب هي أنه بعد ثلاثين سنة، لا يبدو أن ملاحظة ف. و. كي الابن صحيحة فحسب؛ وإنما ينبغي أن تكون المبدأ المرشد لفهم النزعات التي نراها في أمريكة وأرجاء العالم. لم يكن الناس أكثر تطوراً، أو فردية، أو معرفة بشأن الخيارات التي يتبنونها في حياتهم اليومية مما هم عليه الآن. بالرغم من ذلك، كما لاحظ كي، يتطلب الأمر دراسة علمية معمّقة لإيجاد الأشكال المنطقية التي تعمل على إبراز تلك الخيارات. عندما يواجه المرء خيارات الناس التي تبدو متناقضة، يصبح التفكير في البِذّلات البنية وربطات العنق الفاخرة أسهل عليه.

وبالفعل، فإن التناقضات اليوم صارخة. على الرغم من أن الناس يتناولون أطعمة صحية أكثر من ذي قبل، إلا أن مبيعات الوجبات السريعة لم تكن أعلى سابقاً. على الرغم من أن محطة Fox للأنباء الأولى في التصنيف، إلا أن الحركة المناهضة للحرب تهيمن على معظم التغطية الإخبارية. على الرغم من أن أمريكة تصبح أكبر عمراً، إلا أن معظم ما نراه في الإعلان والترفيه موجه للشباب. على الرغم من أن الناس يتواعدون على نحو لم يسبق له مثيل، إلا أنهم لم يكونوا أكثر اهتماماً من قبل بعلاقات دائمة أكثر عمقاً. على الرغم من أن عدداً أكبر من الناس يشربون ماءً نظيفاً طبيعياً، إلا أن المزيد من الناس يتناولون أيضاً مشروبات الطاقة «الغريبة» المليئة بالمواد الكيميائية والكافيين.

في الواقع، الفكرة أن هناك عدّة نزعات كبيرة تحدد شكل أمريكة والعالم تتداعى. لم يعد هناك الآن قوتان عظميان تجذبان الناس إليهما. بدلاً من ذلك، تتنازع أمريكة والعالم مجموعة من الخيارات المعقّدة، التي تتراكم في «نزعات مجهرية» - قوى صغيرة غير ظاهرة للعيان يمكنها أن تضم ما لا يزيد عن 1% من السكان، لكنها تتمتع بقوة تمكّنها من تشكيل مجتمعنا. ليست القوى الصغيرة هي التي تشكل فقط التغييرات الكبيرة. لمعرفة ما يجري حقاً، نحتاج إلى أدوات أفضل من العين المجردة واللسان البليغ. نحتاج إلى ما يماثلها من العدسات المكبّرة والمجاهر، وهي بالمعايير الاجتماعية استطلاعات الرأي، والدراسات، والإحصائيات. إنها تتناول شريحة من المسألة موضع النقاش وتعرضها -أكبر وأوضح- للفحص. وبالداخل، ستجد نفسك، وأصدقاءك، وعملاءك، وزبائنك، ومنافسيك، أوضح مما كنت قد فكرت من قبل.

عندما عملت للرئيس كلينتون سنة 1996، حدّدت مجموعة غير ظاهرة للعيان أصبحت تعرف فيما بعد باسم «أمهات كرة القدم». (أود الاعتقاد أنني فعلت شيئاً لحركة كرة القدم الشبابية، بالرغم من أنني لم أقصد ذلك بالتأكيد. كانت العبارة تعني فقط الوصول إلى النساء المشغولات في الضواحي اللواتي نَذَرنَ أنفسهن لعملهن وأولادهن، اللواتي كان لديهن مخاوف بشأن السياسات الرئاسية الحقيقية). حتى تلك الحملة، كان يُعتقد أن الرجال يهيمنون على السياسة، ويقررون كيف ستصوّت أسرهم. لكن الحقيقة كانت أن معظم الناخبين الذكور في سنة 1996 كانوا قد اتخذوا قرارهم مع بدء الحملة

الانتخابية. لم يكن هناك أشخاص مؤثرون سوى مجموعة جديدة من الأمهات، اللواتي سخرن أنفسهن لكل من عملهن وأولادهن، ولم يقررن على نحو نهائي بعد أي الحزبين سيكون مفيداً لعائلاتهن. كنَّ، وليس عائلاتهن، هيئة الناخبين المتأرجحة الحاسمة. للفوز بأصواتهن، أطلق الرئيس كلينتون حملة لمساعدتهن في تربية أولادهن - اختبار ممنوعات في المدارس، وإجراءات ضد تدخين المراهقين، قيود على العنف في وسائل الإعلام، وأزياء مدرسية موحدة. لم تكن هؤلاء الأمهات يرغبن في المزيد من التدخل الحكومي في حياتهن، لكنهن كن سعيدات تماماً بالمزيد من التدخل الحكومي في حياة أبنائهن لإبقائهم على الطريق القويم.

لدى إمعان النظر فيما حدث، تم نثر بذور تغيير سياسي جوهري بملاحظة تلك النزعة الصغيرة. سابقاً، كان كل الديمقراطيين تقريباً قد استهدفوا العمال غير المثقفين من الطبقات الأدنى، وخاصة في القطاع الصناعي. لكن عضوية الاتحاد والوظائف الصناعية كانت تتراجع، والمزيد من الناس يذهبون إلى الكليات، وكل جمهور الناخبين تقريباً في الولايات المتحدة يدعو نفسه طبقة وسطى. في حال كانت غابت عن الديمقراطيين تلك النزعات الرئيسة، كان القارب سيفوتهم.

يضع المرشحون «أمهات كرة القدم» نصب أعينهم بحماس الآن - على الرغم من أن شخصاً ربما يرغب في أن يقول لهم: إن تلك النزعات تتغير بسرعة، وإن أمهات كرة القدم قد تغيرن أيضاً. الآن، بعد عقد من الزمن، يصبح أولادهن مستعدين لدخول الكليات، وقد خاضت الكثيرات منهن تجربة الطلاق، وأصبحت ضمانتهن المالية قضية كبيرة لهن مثل تربية أولادهن قبل عشر سنوات.

ومع كل الاهتمام الذي حظيت به تلك الأمهات، فإن الآباء -آباء يسكنون الضواحي، يهتمون بعائلاتهم ويعملون ساعاتٍ طويلةً- لم ينالوا سوى الإهمال في السياسة، والإعلان، ووسائل الإعلام. في القرن الحادي والعشرين، يقضي الآباء وقتاً مع أبنائهم أكثر من أي حقبة في التاريخ. هل تم تعديل جادة ماديسون؟ هل كان الآباء مرة هدفاً لحملات العودة إلى المدارس؟

ربما يكون هناك تغيير كبير في التسويق، كما شهدت سنة 1996 في سياسات الديمقراطيين.

فن تحديد النزعة، عبر استطلاعات الرأي، هو العثور على مجموعات لديها أنشطة ورغبات مشتركة، وتكون إما قد بدأت تتشكل أو يمكن تشكيلها بالوسيلة المناسبة التي تبلور احتياجاتها. كانت «أمهات كرة القدم» موجودة منذ عقد أو أكثر - لكنها أصبحت فئة سياسية فقط عندما تم عدّها كتلة اقتراع قوية في أمريكة.

اليوم، أنماط العيش المتغيرة، الإنترنت، بلقنة الاتصالات، الاقتصاد العالمي، تجتمع كلها معاً لإنشاء حس جديد بالفردية يغير بقوة مجتمعنا. ربما يصبح العالم أكثر إشباعاً، بمعايير العولمة، لكن يسكنه 6 مليارات شخص ليس عليهم أن يسبحوا مع التيار لإسماع أصواتهم. بغض النظر عن غرابة خياراتهم، يمكن الآن العثور على 100.000 شخص أو أكثر يحبون تذوق لحم الثور المقلي.

في الواقع، في الوقت الذي تصل فيه نسبة النزعة إلى 1 %، تكون جاهزة للتحول إلى فيلم ناجح، أو كتاب يلقى رواجاً كبيراً، أو حركة سياسية جديدة. تؤثر قوة خيار الفرد على نحو متزايد على السياسات، والدين، والترفيه، وحتى الحرب. في مجتمعات اليوم الكبيرة، لا يتطلب الأمر سوى أن يتبنى 1% من الناس خياراً معيناً -مخالفاً لخيار الأغلبية العظمى- لإنشاء حركة يمكنها تغيير العالم.

انظر فقط إلى ما حدث في الولايات المتحدة للمهاجرين غير الشرعيين. قبل بضع سنوات، كانوا أمريكيين منسيين، مختبئين عن ضوء النهار والسلطات. اليوم، يقيمون تجمّعات سياسية، ووفقاً لمكان سكنهم وعيش أقربائهم الذين يتمتعون بحق التصويت، ربما يتبين أنهم «أمهات كرة القدم» الجدد. ربما يكون المهاجرون القادمون عبر نظام هجرة فاسد الناخبين الأكثر أهمية في الانتخابات الرئاسية المقبلة، والموزعين في الولايات الجنوبية الغربية التي ستصبح ساحات للمعارك الجديدة.

الأمر نفسه في عالم الأعمال، أيضاً؛ لأن الإنترنت سهّلت كثيراً من اتصال الناس ببعضهم. في الماضي، كان مستحيلاً تقريباً التسويق إلى مجموعات صغيرة كانت تنتشر

عبر البلاد. الآن، ستحصل على قطعة افتراضية من الكعكة إذا عثرت على مليون شخص يرغبون في تجريب وصفتك للحمية، أو لا يستطيعون دفع أبنائهم للنوم في الليل.

الرقم قد لا يكون إستراتيجياً فحسب، وإنما كارثياً أيضاً. إذا استطاع الإرهابيون المتطرفون إقناع، حتى عُشر سكان أمريكة أنهم على حق، فسيكون لديهم 300.000 جندي للإرهاب، وهذا أكثر من كافٍ لتقويض استقرار مجتمعنا. إذا استطاع ابن لادن إقناع 1% من مسلمي العالم البالغ عددهم مليار شخص دعم العنف، فسينجم عن ذلك 10 ملايين إرهابي، وهي مجموعة قد تتفوق عددياً حتى على أضخم الجيوش وقوات الشرطة على الأرض. هذه هي قوة المجموعات الصغيرة التي تجتمع معاً اليوم.

قوة الاختيار واضحة تماماً؛ لأن المزيد والمزيد من الأمريكيين يتخذون قرارات بشأن حياتهم الخاصة. مثلاً، كان النمو السكاني في أمريكة قد تباطأ إلى 0.9 %، لكن عدد الأسر قد ازداد. بين الأزواج الذين يحصلون على الطلاق، يبقى هؤلاء عُزاباً مدة أطول، أو يعيشون مدة أطول، أو لا يتزوجون على الإطلاق، وهناك ازدياد كبير في عدد أرباب الأسر - تقريباً 115 مليون سنة 2006 مقارنة بنحو 80 مليوناً سنة 1980. ازدادت نسبة الأسر التي تتألف من شخص واحد يعيش بمفرده من 17% سنة 1970 إلى 26 % سنة 2003. تراجعت نسبة أسر المتزوجين الذين لديهم أولاد إلى أقل من 25 %.

يقسم كل هؤلاء الناس الذين يعيشون حياة مستقلة وحدهم أمريكة إلى مئات المجموعات الصغيرة. لدى الأعزاب، والناس دون أطفال في المنزل، المزيد من الوقت للاهتمام بمصالحهم، أو متابعة هواياتهم، أو الاتصال بالإنترنت، أو الاشتراك في نقاش سياسي، أو الذهاب إلى دور العرض. في كل الأحوال، لا ينبغي بأحد أن يذهب إلى دور العرض بعد الآن -يمكنك الحصول على الأفلام بسرعة تحميلها من الإنترنت أو الاشتراك بمحطات تعرضها- لكن بالنسبة للأشخاص الذين لديهم وقت فراغ عشية ليلة السبت، تصبح دار العرض المكان المفضل الذي يقصدونه بعد أن زادت المسارح أسعار تذاكر الدخول إليها، بدلاً من خفضها. يمتلك المزيد من الناس موارد في متناول أيديهم (بما في ذلك المال، والوقت، والطاقة) أكثر من ذي قبل. إنهم يستعملونها لإشباع حاجات شخصية، كما لم يحدث من قبل. ونتيجة لذلك، لدينا صورة أوضح عن الأفراد

وما يريدونه. وفي العمل، والسياسة، وحل المشكلات الاجتماعية، يمكن لامتلاك تلك المعلومات أن يكون له الفرق كله.

يتحدث هذا الكتاب عن المجموعات في أمريكة. كيف لم تعد هناك أمريكة واحدة بعد الآن، أو اثنتان، أو ثلاث أو ثمانٍ. في الواقع، هناك مئات من أمريكة، مئات المجموعات الجديدة التي تتألف من أشخاص تجمعهم معاً اهتمامات مشتركة.

المجموعات ليست حكراً على أمريكة فقط. إنها ظاهرة عالمية مما يجعل توحيد الناس في القرن الحادي والعشرين أمراً في غاية الصعوبة. عندما اعتقدنا أن العالم، بفضل الإنترنت، لن يكون مترابطاً وحسب، وإنما موحد في النهاية حول قيم مشتركة تفضل الديمقراطية، والسلام والأمن، حدث العكس تماماً. نحن نبتعد عن بعضنا بسرعة كبيرة.

ذهبت أخيراً للعب البولينغ، وخلافاً لفكرة شائعة أخرى لكنها خطأ، لم يكن هناك أحد بمفرده. لكن في الواقع، لم يكن الأشخاص الذين يدفعون الكرات على طول المسارات لاعبي بولينغ تقليديين بدينين، يتناولون الجعة. في الواقع، لم يكن هناك أي تشابه على الإطلاق بين مجموعة وأخرى. كانت عند إحدى المسارات عائلة من المهاجرين الهنود، بما في ذلك الجدّان. عند مسار آخر، كانت هناك أم سوداء مع اثنين من المراهقين. كان عند خط ثالث أربعة مراهقين بيض، يرتدي بعضهم قمصاناً لها ياقة عالية. وعلى بعد مسارين، كان هناك رجل يتكلم الإسبانية مع امرأة فيما يبدو واضحاً أنه موعد بولينغ، ويتعانقان بين الفينة والأخرى.

كان قد نجم عن ازدياد حرية الاختيار ازدياد الشعور بالفردية. وكان قد رافق زيادة الشعور بالفردية زيادة قوة الاختيار. كلما كانت خيارات الناس أكثر، عزلوا أنفسهم ضمن مجموعات أصغر فأصغر في المجتمع.

تنوع الخيارات

في حفلة شاي في بوسطن سنة 1773، ربما لم يكن هناك سوى نوع واحد من الشاي فقط - الفطور الإنكليزي. اليوم، إذا أراد الأمريكيون شرب الشاي، فسيكون هناك مئات

الأنواع المختلفة منه في الميناء، من شاي زهرة الياسمين الخالي من الكافيين إلى الشاي بالنعناع المغربي إلى الشاي التايلندي.

لم يعد بمقدورك حتى شراء رقائق بطاطا دون الاضطرار للاختيار من بين المحمّصة والمقلية والرقيقة والخالية من الدسم والمملحة، أو تلك التي لها نكهات مختلفة - تتضمن الشواء والبطاطا الحلوة والبصل والكرّاث، والفلفل.

نعيش في عالم تغمره الخيارات. في كل مظاهر الحياة تقريباً، يمتلك الأمريكيون اليوم حرية اختيار أوسع من أي وقت سابق في التاريخ، بما في ذلك أنواع جديدة من الوظائف وأطعمة جديدة وأديان جديدة وتقانات جديدة وأشكال جديدة من التواصل والتفاعل.

إلى حدٍ ما، يعزى السبب في ذلك إلى شيوع اقتصاد ستاربكس Starbucks وتراجع اقتصاد فورد Ford. في بداية القرن العشرين، ابتكر هنري فورد خط التجميع، بحيث أضحى الاستهلاك الواسع النطاق ممكناً - على نحو موحد. صنع آلاف العمال سيارة سوداء واحدة، ملايين وملايين المرات.

اليوم، قلة من المنتجات فقط هي التي يتم تصنيعها بتلك الطريقة. (إحداها، للمفارقة، هي الحاسب الشخصي الذي وصل إلى كل منضدة في كل منزل بالشكل نفسه تقريباً. هناك بعض الاختلافات في الشكل الخارجي، لكن إذا قصدت أحد متاجر كومب-يو-إس-إيه Comp U.S.A لشراء حاسب، فستجد أن الخيارات أقل مما يتوافر لديك لانتقاء خس في أحد الأسواق).

على النقيض من ذلك، تسيطر على ستاربكس فكرة أن الناس يقررون خياراتهم -في قهوتهم، وحليبهم، والمواد التي يستعملونها للتحلية- وأنه كلما زادت خيارات الناس، كلما شعروا برضا أكبر. (وفي تلك الخيارات البسيطة فقط، يمكنك أن ترى أشياء لا يمكن توقعها لدى المستهلكين: بعضهم يتفادون الكافيين، أو الدسم، أو السكر؛ وآخرون يطلبونها كلها بسعادة). ستاربكس ناجحة؛ لأنها تستطيع تقديم كل شيء لكل الناس - لا تراهن على مجموعة واحدة من الخيارات وتفضلها على الأخرى.

في اقتصاد فورد، يخدم العامة كثيراً من الأشخاص عندما يعملون لتصنيع منتج واحد، بينما في اقتصاد ستاربكس، يخدم العامة بعض الأشخاص الذين يعملون لصنع آلاف المنتجات التي يمكن تعديلها وجعلها تتخذ طابعاً شخصياً.

يبدو أن نموذج ستاربكس هو الفائز: آي-بود iPod شهيرة ليس لأننا نستطيع حمل الموسيقا معنا أينما ذهبنا- استطعنا فعل ذلك مع أجهزة وكمان Walkman في الثمانينيات. إنها شهيرة؛ لأنها تسمح لنا بانتقاء واختيار الأغاني المفضلة لدينا. كانت التقانة الفردية قد أصبحت تقانة مشخصنة (تكتسب طابعاً شخصياً)، ويمكننا الآن الحصول على ما نريده بالضبط في كل مظاهر الاستهلاك تقريباً. يمكنك حتى الحصول على سيارة مصنوعة حسب الطلب في أقل من شهر - أطول من الوقت الذي تحصل فيه على البيتزا، لكنه بالرغم من ذلك عمل مذهل أضحى ممكناً بفضل التقانة.

طغيان الطابع الشخصي وحرية الاختيار نعمة لمحبي القهوة ومشتري السيارات، لكنه كابوس لمراقبي النزعات. نظراً لأن الخيارات تتسع أكثر فأكثر، ينبغي أن ننظر بإمعان لنرى كيف تتغير الخيارات.

لكن تذكر الإرهابيين، أو لاحظ أن أكثر سيارة مبيعاً في أمريكة يقتنيها نحو 300.000 شخصٍ. بخلاف أي وقت آخر في التاريخ، يمكن لنزعات صغيرة إحداث تغييرات كبيرة. لهذا، على الرغم من أن ملاحظة النزعات أصعب من ذي قبل، إلا أنها أكثر أهمية أيضاً.

مجموعات صغيرة، تجمعها معاً اهتمامات، وعادات، وأولويات مشتركة تنبثق الآن. إنها قوية، لكن من الصعب العثور عليها. يهدف هذا الكتاب إلى تسليط الضوء على بعضها.

قوة الأرقام

كانت هناك بعض الكتب الجيدة في السنوات الأخيرة ادّعت أن أمريكة تتحرك في اتجاهين أساسيين. أما هذا الكتاب فإنه يناقش العكس. فأمريكة تتحرك في مئات الاتجاهات الصغيرة. مرة واحدة، وبسرعة. إن ذلك جزء من طاقتنا الكبيرة وجزء من التحدي الذي يلوح أمامنا.

لا تعير النزعات الصغيرة كبير احترام لبعضها. مقابل كل مجموعة بارزة من الشباب الحضريين الأنيقين في أمريكة، هناك مجموعة أخرى من الأشخاص الأكبر سناً المتمسكين بالطرق القديمة والذين يواظبون على الذهاب إلى الكنيسة. مقابل كل مجموعة من المهتمين بالحداثة، هناك أشخاص يطالبون بإلغاء التقانة. يتبع الأمريكيون نظام حمية أكثر من ذي قبل، لكن مطاعم شرائح اللحم المشوية لم تكن أكثر ازدحاماً مما هي عليه الآن. السياسة مقسومة إلى متطرفين مع «ولايات حمراء» و«ولايات زرقاء»، لكن لم يكن هناك ناخبون يدعون أنفسهم «مستقلين» أكثر مما هي عليه الحال الآن.

بعد ثلاثين سنة من قراءة ف. و. كي، كنت قد استفدت من أفضل أداة أعرفها لتحديد النزعات، أو التغييرات والتطورات في تلك المجموعات: الأرقام. يدّعي الأمريكيون أنهم أمة «شجاعة» – نوع من الكناية لما ندعوه مجازاً «قيمنا». كم مرة سمعت أن الصواب هو أن تتحلى بالشجاعة؟

معظم الوقت، تكون تلك النصيحة سيئة تماماً. إذا أردت أكثر أشكال النقل أماناً، اصعد إلى طائرة؛ ولا تقترب من سيارة. إذا أردت أن تخسر وزناً، فقم بعدّ السعرات الحرارية؛ وانس عصير التوت وبذور الكتان. تأخذك الأرقام دائماً إلى حيث تريد أن تذهب إذا عرفت كيف تقرؤها.

نحب الأرقام بوجه عام – هناك مسلسل تلفازي ناجح هذه الأيام يدعى «أرقام». لكننا نخاف منها أيضاً. يعزى ذلك في جزء منه إلى أن تدريبنا في الرياضيات والعلوم أقل منه في اللغة والأدب. بوصفنا بلداً، نشك في أننا لسنا بارعين في الأرقام. إنها تخيفنا، تماماً مثل الحديث إلى العامة، لكنها في الوقت نفسه تذهلنا.

لا يثق الكثيرون منا في الأرقام، لأن بعض الناس، في سعيهم لتحقيق هدف معين، يسيئون استعمالها. هل تذكر مشكلة الألفية Y2K المفزعة؟ انتاب كل مستخدم للحاسب على الأرض القلق من تعرض ملفاته للخطر عند تحول الألفية. في الواقع، ثلث حواسيب العالم فقط كان يُعتقد أنها عرضة لأخطاء الألفية – وحتى في تلك الحواسيب، لم تظهر أي مشكلات حقيقية. أو أنفلونزا الطيور. في أواخر سنة 2005، انتشر في أنحاء العالم

أنه من أصل 140 شخصاً أُصيبوا بأنفلونزا الطيور في جنوب شرق آسية، لقي أكثر من نصفهم حتفهم. توصل المراسلون إلى نتيجة مفادها أن نسبة الوفيات بأنفلونزا الطيور أكثر من 50 %. مرعبة! لكن في الحقيقة أن العينات التي جاءت منها هذه الأرقام كانت لأشخاص أعياهم المرض. لم يظهر الأشخاص الذين أُصيبوا بالأنفلونزا ولم يذهبوا البتة إلى المستشفى في تقدير عدد الإصابات. أدعو تلك الأرقام المنقولة «إحصائيات رعب».

كانت مهمتي، عبر ثلاثين سنة من تنظيم استطلاعات الرأي، فرز القمح عن القش عندما يتعلق الأمر بالأرقام. عبر عملي لأنواع مختلفة من العملاء، من بيل كلينتون إلى بيل غيتس إلى طوني بلير، كنت قد تعلمت التغاضي عن الحكمة التقليدية الجديرة بالملاحظة، والعثور على نزعات ليست بدهية في المجتمع الذي يمكنه المساعدة في حل تحديات مستدامة. تخيل لحظة أنك قائد قوي. يهاجمك المدافعون عن قضايا مختلفة كل يوم، وتدلي وسائل الإعلام بدلوها في كل شيء. يدق مستشاروك ناقوس الخطر. يصبح من الصعب تبني الخيار الصحيح إن لم يكن لديك أيضاً المادة المفقودة: الأرقام. كانت مهمتي الخوض في كل الآراء لتقديم وجهة نظر كمّية ومتينة عن حقيقة تستند إلى أرقام، حتى يكون لدى القادة صورة صحيحة عندما يتخذون قراراتهم. من وجهة نظري، الكلمات دون أرقام لا معنى لها مثل الأرقام دون كلمات -تحتاج إلى التوازن الصحيح، وهكذا تكون النقاشات مدعومة بالحقيقة كما تصورها الأرقام. لاحقاً في الكتاب، نتكلم بشأن ارتفاع معدل الجريمة في أمريكا- موضوع صعب جداً كان محط اهتمام عدد لا يُحصى من الأفكار والنظريات عن كل شيء من البطالة إلى الأبوين المتساهلين. لكن عندما تفهم أن عدد المجرمين الذين يتم إطلاق سراحهم من السجن قد تصاعد أخيراً إلى 650.000 شخص سنوياً، يكون لديك مباشرة نموذج لتهديد جديد في الشوارع والذي يحتاج إلى مجموعة جديدة من الحلول.

في عملي بوصفي مختصاً في استطلاعات الرأي والعمل الإستراتيجي، كنت قد ساعدت في وضع إستراتيجيات جديدة تستفيد من الأرقام. دراسة حالة أمهات كرة القدم سنة 1996. مساعدة هيلاري كلينتون التي أصبحت عضو مجلس الشيوخ سنة 2000 في استقطاب أصوات الناخبين في شمال نيويورك، وهي منطقة لم يكن الديمقراطيون

يحظون فيها تقليدياً بكثير من الأصوات. تغيير أنماط إعلان الشركات بجعلها تستهدف الأشخاص الأكبر سناً، وليس الشباب. تقديم النصيحة للفائزين في خمس عشرة حملة انتخابية رئاسية بلغات لا يمكنني حتى لفظها، فضلاً عن فهمها لأنني عالجت أرقاماً وليس قضايا محلية. غالباً، يكون الناس قريبين جداً من الموقع ولا يمكنهم رؤية الحقائق كما هي – ويتطلب الأمر نظرة موضوعية لإخبارهم بما يجري حقاً. يمكن أن يكون القادة أكثر عزلة، وأسرى غالباً لكادرهم، ولا يسمعون سوى ما يقول الصحفيون المحليون: إنه يجري. يمكن للأرقام أن توقف الضغط بأي لغة كانت.

أتذكر أنني كنت يوماً ما أقول لرئيس كولومبيا الجديد: إن شعبه مستعد لحرب شاملة على الممنوعات بنسبة كبيرة. لم يكونوا يريدون، كما قد يظن معظم الناس، غض الطرف عما يجري وإنما تحديث البلد. كان الرئيس صامتاً بشأن القضية – لكن رئيس أركانه قال أخيراً: «مارك، أنت محق، لكننا سنلقى حتفنا جميعاً». علّمني حدود الأرقام ذلك اليوم، لكن قرر كل من الرئيس والبلد شن حرب على أمراء الممنوعات، وخاطر كثيرون بحياتهم في تلك العملية.

هذا الكتاب عن قوة الأرقام وكيف تقود أمريكة والعالم. نادرة هي الأشياء التي تبدو على السطح، والحكمة التقليدية السائدة قد لا تكون حكمة على الإطلاق. هناك نزعات قوية غير بدهية مختبئة أمامنا تماماً، ويمكن الاستفادة منها لإطلاق عمل جديد، إدارة حملة انتخابية، البدء بحركة جديدة، أو توجيه إستراتيجية استثمارنا. على الرغم من أن تلك النزعات تحدّق في وجوهنا، إلا أننا في الواقع لا نراها في كثير من الأحيان.

مستكشفو النزعات في السياق

أنا جزء من مجموعة من مستكشفي النزعات. كان ألفين توفلر، الذي كتب سلسلة الصدمة المستقبلية، وجون نيزبت، الذي كتب نزعات كبيرة، اثنين من أوائل المفكرين في الحقبة المعاصرة الذين نظروا إلى عالم السلوك البشري الكبير المتغير، وحاولوا استنتاج بعض الأمور المنطقية منه بالاستفادة من الحقائق والبيانات. كانوا محقين في أن عصر المعلومات سيغير كل شيء.

لكن شيئاً واحداً تغير بوجه خاص كان طبيعة النظر إلى النزعات نفسها. كما سنرى عبر هذا الكتاب، لا يمكنك فهم العالم الآن بمعايير «النزعات الكبيرة»، أو التجارب العالمية. في مجتمع اليوم الممزق، إذا أردت العمل بنجاح، ينبغي أن تفهم المجموعات متمايزة الهوية التي تنمو وتتحرك، بسرعة وإثارة في اتجاهات متقاطعة. تلك هي النزعات المجهرية.

يختلف الأمر كثيراً، على أي حال، عما يفعله معظم الناس عندما «يلاحظون نزعات» - تكون بحد ذاتها نزعة نامية. أخيراً، كان هناك بعض المسوّقين وعلماء الاجتماع الذين سيخبرونك عن «عشرة أو خمسة عشر شيئاً ينبغي أن تعرفها» للعيش في أثناء السنتين أو الخمس أو العشر القادمة. إنهم يحدّدون ويشذّبون العالم حولهم بإطلاق أسماء أحلى على المستهلك، والثقافة، والتغييرات الشخصية التي تجري في المجتمع. نعم، أهدف إلى وضع بعض اللصاقات اللزجة في هذا الكتاب، أيضاً. لكن في هذا الكتاب، النزعة ليست مجرد «تطور»، مثل تراجع استعمال الأوراق النقدية. إنها ببساطة ليست «تحولاً» في كيف يفعل الناس الأشياء، مثل تزايد اكتساب النساء لألقاب أزواجهن. إنها ليست مجرد «أولوية» متنامية لمنتج أو خدمة، مثل الاستعمال المتزايد لأنظمة تحديد المواقع. النزعة المجهرية هي مجموعة متمايزة متماسكة، تنمو، ولديها احتياجات ورغبات لا تلبيها المؤسسات الحالية من شركات، ومسوّقين، وصانعي سياسة، وآخرين يمكن أن يؤثروا في سلوك مجتمع.

الغوص عميقاً

في نزعات مجهرية، سننظر إلى خمس وسبعين مجموعة تشكّل، عبر اتخاذها قرارات يومية، أمريكة والعالم اليوم وغداً. على الرغم من أن بعض المجموعات أكبر من الأخرى، إلا أن ما تشترك فيه أنها غير مرئية نسبياً - إمَّا لأن أعدادها الفعلية صغيرة أو لأن الحكمة التقليدية تخفي إمكانياتها في الظلال، وتشدّد أحياناً على العكس تماماً.

في بعض تلك المجموعات، سترى نفسك أو أصدقاءك، عملاءك أو ناخبيك. ستبدو بعض المجموعات بعيدة تماماً. بعضها غريب. وأخرى مأساوية. أحياناً، كنت أوثّق نزعات

متعارضة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. لدى وضعها معاً، تصبح مثل لوحة انطباعية لأمريكة والعالم.

في النهاية، سنخطو خطوة إلى الوراء، وننظر إلى اللوحة. لم يعد مهماً عدد ضربات الفنان؛ لأن أمريكة والعالم الآن مجموعة من النقاط الدقيقة التي ينبغي فحصها واحدة إثر أخرى. سنرى ما هي الصورة التي ستنبثق في النهاية، وما الذي تعنيه لمستقبلنا؟

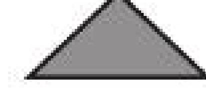


فصل 1

الحب، والجنس، والعلاقات



عُزاب ونسب مرتبطة بالجنس



ربما يكون شعور الوحدة أكثر قسوة على المرء. يتذكر الجميع كيف يشعر إذا لم يتم اختياره لفريق رياضي، لم يُدع إلى حفلة أصدقاء، أو الوحيد الذي لا يُدعى إلى حفل زفاف. ما يزيد القلق، بالطبع، هو الشعور بالظلم -لماذا أنا؟ أنا لاعب جيد، وصديق وفي، وضيف اجتماعي- وبالرغم من ذلك أبقى وحيداً.

في عالم اليوم، تكتشف المزيد من النساء أنهن يبقين خارج مؤسسة الزواج. تختار بعضهن ذلك عمداً، لكن أخريات يملأن مواقع المواعدة الإلكترونية، فقط ليشعرن بخيبة الأمل. تلقي الكثيرات باللوم على أنفسهن، ويتساءلن عن الخطأ الذي يقعن فيه.

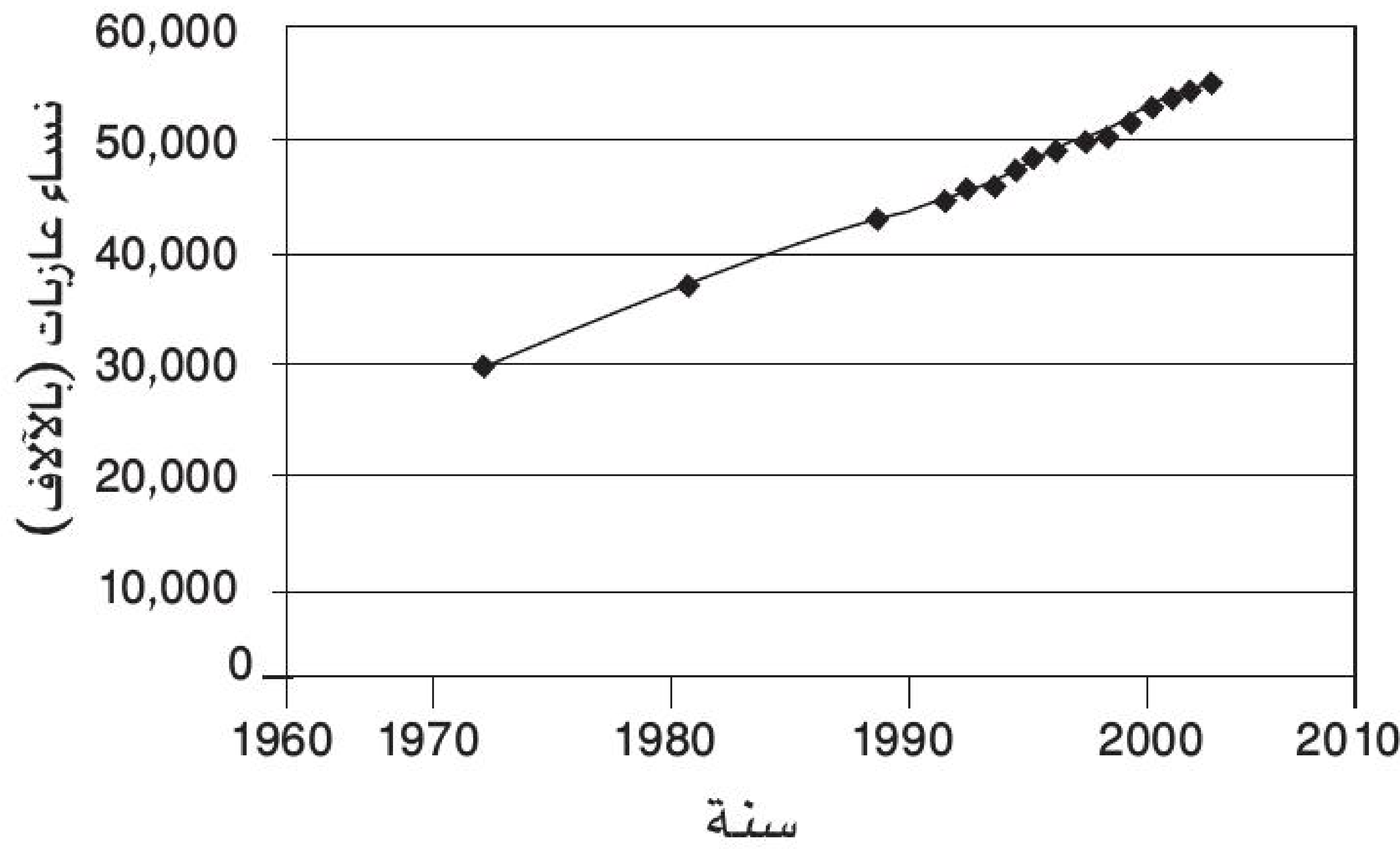
الحقيقة هي أن عدم وجود عدد كافٍ من الرجال الأسوياء (غير الشاذين) ليس خطأ المرأة العازبة. في الغرب المتوحش قبل 150 سنة مضت، كان عدد النساء قليلاً، لهذا كان عليهم استيراد عرائس. اليوم، لدينا مشكلة معاكسة. لا يوجد عدد كافٍ من الرجال الأسوياء لكل النساء السويات، ولهذا تجد النساء أنفسهن عالقات في لعبة الكراسي الموسيقية - ستجد 3 % منهن على الأقل أنفسهن يبقين واقفات.

في سنة 1994، وجدت دراسة «مركز أبحاث الرأي القومي» عن «النظام الاجتماعي للنشاط الجنسي» أن 9 % من الرجال و4 % من النساء يقولون: إنهم قد شاركوا في سلوك شاذ واحد على الأقل منذ البلوغ. وجدت دراسة أخرى قام بها فريق من «كلية هارفرد للصحة العامة» أن 6.2 % من الرجال و3.6 % من النساء قالوا: إنه كان لديهم شريك من الجنس نفسه في السنوات الثلاث الأخيرة. اكتشفت دراسة ثالثة أن 9 % من الرجال و5% من النساء، الذين خاضوا تجربة نشاط جنسي شاذ واحدة على الأقل، قالوا: إنه يمكن وصف تلك التجارب بأنها «متكررة» أو «مستمرة».

ما تثبته هذه الدراسات هو أنه مهما يكن عدد الشواذ، فإن عدد اللوطيين يفوق عدد السحاقيات بمعدل يصل 2 إلى 1. بالحديث عن الأرقام، عندما تتوقف الموسيقا في أمريكة السوية، هناك كثير من النساء اللواتي سيبقين واقفات.

هذا يعني أنه للمرة الأولى في أمريكة، هناك عدد كبير من العازبات اللواتي من المحتمل أن يبقين كذلك.

نساء عازبات في أمريكة، 1970–2005



مصدر: الإحصاء العام في الولايات المتحدة، 2006 .

إليكم كيف تتحدث الأرقام.

عند الولادة، تبلي الفتيات بلاءً حسناً. يولد كل سنة 90.000 صبي أكثر من البنات، مما يشكل نسبة مواعدة في مصلحتهن. في الوقت الذي يبلغ فيه هؤلاء الفتية 18 عاماً، تتحول النسبة في الاتجاه المعاكس لتصبح 51 إلى 49؛ لأن نسبة الفتيان الذين يلقون حتفهم في مرحلة البلوغ أكبر من نسبة البنات. (يدعو البحّاثة ذلك «عاصفة هرمون الذكورة» التي تسبب المزيد من الوفيات بين الفتيان من حوادث السيارات، وجرائم القتل، والانتحار، والغرق).

كما لو أن ذلك ليس سيِّئاً بما يكفي -من الناحية الاجتماعية، بالنسبة للنساء السويات- يبرز عامل الشذوذ حينها. على افتراض أن 5 % من الراشدين في الولايات

المتحدة شواذ (كما يدّعي الخبراء، وتظهر استطلاعات الرأي)، يوجد نحو 7.5 ملايين لوطي و3.5 ملايين سحاقية في أمريكة. إذا طرحتها من الأرقام غير المتوازنة أصلاً لعدد النساء والرجال الكلي، تحصل على شيء مثل 109 ملايين امرأة سوية مقابل 98 رجلاً سوياً – تبلغ النسبة وفقاً للجنس 53 إلى 47.

الأمر أسوأ، حتى بالنسبة للنساء السوداوات. بتنحية عامل الشذوذ جانباً (الذي لا يحرك فعلاً النسبة المرتبطة بالجنس لدى الراشدين السود؛ لأن عدد هؤلاء صغير نسبياً)، تصبح النسبة وفقاً للجنس في مجتمع الراشدين الأسود 56 إلى 44. بسبب معدل الوفاة العالي بين الفتيان المراهقين السود. ثم تأتي النسبة العالية نسبياً من الشذوذ بين الرجال السود – 4700 لكل 100.000 رجل أسود، مقارنة بـ 347 فقط لكل 100.000 امرأة سوداء – التي تدفع تلك النسبة نقطة أخرى، وتصبح 57 إلى 43. يمثل العامل المرتبط بالجنس فجوة لدى الحاصلات على مؤهل جامعي، وليس مدهشاً أن الكثير من النساء السوداوات، وخاصة الأكثر نجاحاً، عازبات.

من المحتمل دائماً أن تكون هناك سحاقيات أكثر مما يظهر في الدراسات التي نجريها. من ناحية أخرى، يبدو أن الدراسات تشير إلى أنه حتى في حال اختبرت النساء السحاق، إلا أنهن لا يخترنه غالباً نمطاً دائماً لأسلوب حياتهن.

نعرف جميعاً أن الرجال يموتون قبل أربع سنوات تقريباً من النساء، ولذلك هناك نساء أرامل أكثر من الرجال. لكن من الواضح أن عدم التوازن المرتبط بالجنس يحدث في وقت مبكر أيضاً –في سنوات المواعدة– إلا أن تلك الحقيقة لا تحظى باهتمام كافٍ، ولهذا غالباً ما تلوم النساء أنفسهن أيضاً على أشياء خارج نطاق قدرتهن من الناحية الإحصائية.

بعض تأثيرات «نسب الأعزاب المرتبطة بالجنس» واضحة تماماً. في سنة 2005، كانت النساء العازبات ثاني أكبر مجموعة من مشتري المنازل، خلف المتزوجين تماماً اشترين ما يقارب 1.5 مليون منزل تلك السنة، وهذا أكثر من ضعف ما اشتراه الرجال العُزاب. على الرغم من أن ذلك لم يكن معروفاً قبل خمسين سنة مضت، إلا أن النساء الأمريكيات يشترين بانتظام الآن منازل وأسهماً قبل أن يشترين هدايا وصيفات العروس ويبنين عائلات.

هناك نزعة تتعلق بارتفاع عدد النساء العازبات، تتمثل في عدد النساء اللواتي يحملن أو يتبنين أطفالاً دون شريك - يُعرفن باسم «أمهات عازبات باختيارهن». عندما قررت الشخصية التلفازية موري براون إنجاب طفل دون زوج في بداية التسعينيات، كان ذلك لا يزال أمراً مستغرباً تماماً، لدرجة أن نائب الرئيس دان كويل وبّخها في حين أصبح أشهر خطاباته على الإطلاق (وربما كان الخطاب الوحيد الذي يدخل فيه نائب للرئيس في جدال علني مع شخصية تلفازية). لكن في ذلك الوقت، لم يكن هناك سوى 50.000 من تلك الأمهات في أمريكة. هناك الآن تقديرات تشير إلى أن العدد قد تضاعف ثلاث مرات.

يمكن أن تكون نسبة الأشخاص الأسوياء التي في غير صالحهن، التي تثبط عزيمتهن في بعض الأمور، قد شجعت النساء على التفوق في أمور أخرى. كما سنرى في نزعة «نساء متكلمات»، يفوق عدد النساء الناجحات الرجال في ميادين مثل القانون، والعلاقات العامة، والصحافة. فاقت أصوات النساء أصوات الرجال بنسبة 54 إلى 46 % في الانتخابات الرئاسية سنة 2004. تزيد أعداد النساء على أعداد الرجال في الكليات بنحو 57 إلى 43 %.

بالطبع، أكبر المستفيدين من النساء العازبات هم الرجال الأسوياء الذين - بصراحة- لم يكن وضعهم جيداً إلى هذا الحد من قبل. تبدأ النساء اللواتي لم يكن يعرن أي اهتمام لهؤلاء الرجال في الكلية بالانتباه إليهم، بعد ثماني سنوات أو عشر، ويلاحظن أن عدد الرجال المتوفرين أقل من ذي قبل. فجأة، يبدو الرجل الأصلع الذي يعمل في وظيفة ثابتة، والمرشح لأن يكون أباً جيداً، لطيفاً لهن.

وهناك المزيد من المعاني التجارية والسياسية أيضاً. لدى شركات صيانة، ترميم، وأمن المنازل سوق جديدة كبيرة تتمثل في النساء العازبات. كم سينقضي من الوقت قبل أن تنتبه ميريل لينش Merrill Lynch إلى قوة النساء العازبات اللواتي يستثمرن ويتقاعدن وحدهن وتغير شعار علامتها التجارية -الثور الهائج- إلى شيء أكثر رقة؟

إذا أرادت النساء أزواجاً فعلاً كما يردن منازلَ، فهل سيكون لدينا يوماً ما خدمة إرسال أزواج بالبريد، نستوردهم من ترينتون وتوسكا- لوسا بالطريقة التي أرسلنا بها مرة عرائس للغرب المتوحش؟

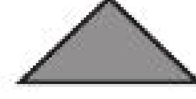
إذا لم تكن النساء يرغبن في الأزواج كثيراً -لكنهن يرغبن في الحصول على أولاد - فهناك سوق غير محدودة تقريباً للتبرع بالسائل المنوي، وستنبثق كل الأنظمة المالية والأخلاقية التي سترافقها.

كان المؤرخون قد وثّقوا جيداً بأن مجتمعاً يوجد فيه رجال كثيرون غير مرتبطين يتجه إلى الحرب، فهل سيتجه مجتمع يوجد فيه نساء كثيرات غير متزوجات إلى السلام؟



لَبَوات

نساء يواعدن رجالاً أصغر سناً



تقدم كل حقبة من الثقافة الشعبية العلاقة بين المرأة الأكبر سناً والشاب اليافع بطريقة مختلفة. الخرّيج سنة 1967، الذي أغوت فيه آن بانركوفت (السيدة روبنسون) الساذج دستن هوفمان. كيف استرجعت ستيلا حبيبها سنة 1996، رواية تيري مكميلان الأكثر مبيعاً عن أم تعمل سمسارة أسهم ناجحة وتقيم علاقة رومانسية غير متوقعة مع شاب جامايكي. ينبغي منح شيء سنة 2003، الذي تواعد فيه ديان كيتون البالغة من العمر 50 سنة كينو ريف الذي لا يتجاوز عمره 30 ربيعاً (قبل أن تستقر على جاك نيكلسون).

لكن ما بدأ عملاً غير أخلاقي، وتحول إلى علاقة سرية، قد أضحى الآن أمراً عادياً.

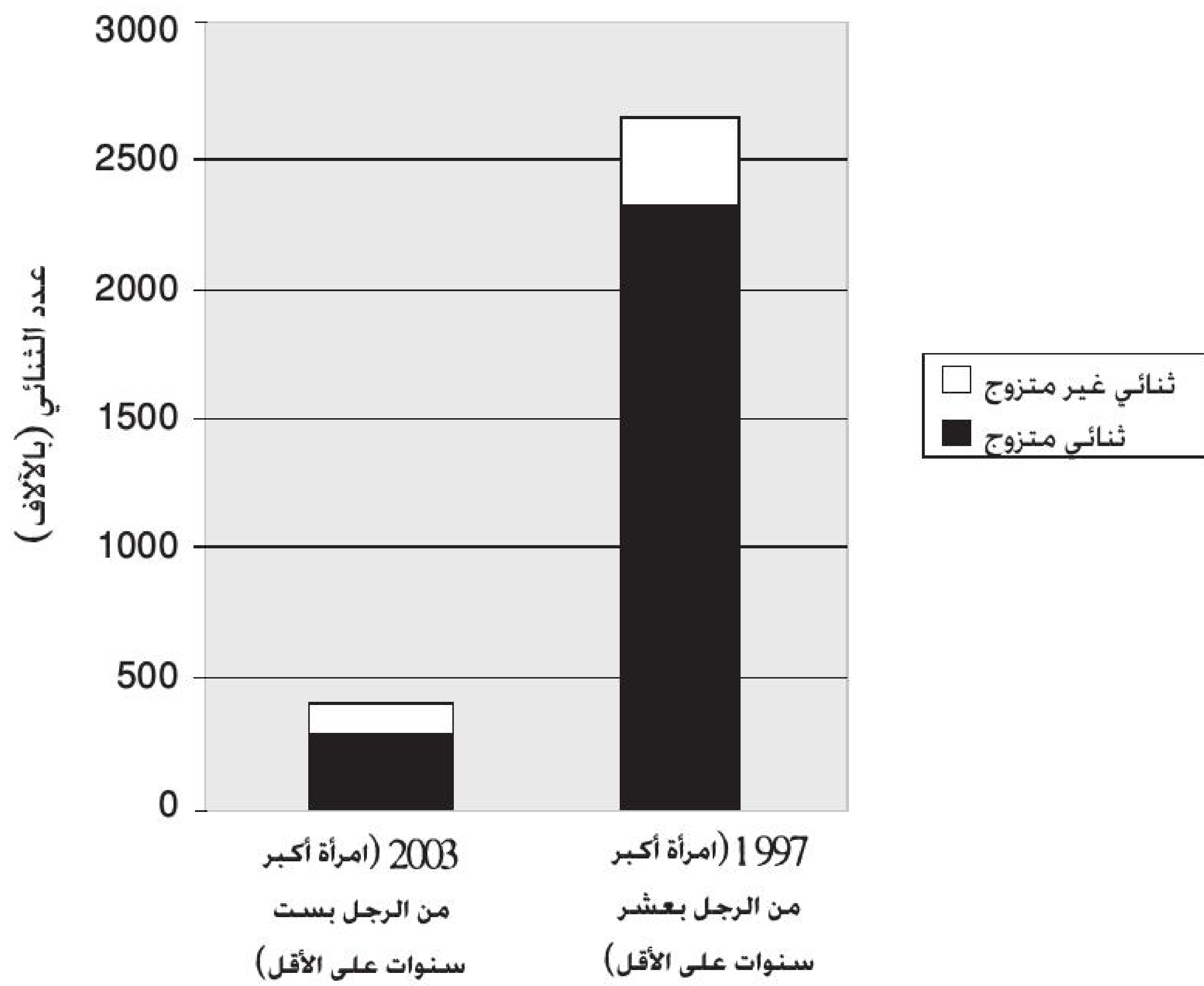
يسعى رجال كبار السن للزواج بفتيات يافعات في ظاهرة قديمة جداً. «رجل عجوز دنيء» تعبير عالمي. لكن الآن في أمريكة، تصبح النساء أكثر استقلالية من الناحيتين المادية والجنسية، ما زاد اهتمامهن، أيضاً، بمواعدة شباب أصغر عمراً. وفقاً لدراسة مختصة أعدّتها المنظمة الأمريكية للمتقاعدين سنة 2003، واحدة من كل ثلاث نساء تتراوح أعمارهن بين 40 و69 سنة يواعدن رجلاً أصغر سناً، ونحو ربع هؤلاء الرجال أصغر منهن بعشر سنوات أو أكثر.

على الرغم من أن مكتب الإحصاء الأمريكي تعقّب هؤلاء على نحو مختلف بين سنتي 1997 و2003، إلا أن الزيادة واضحة: في سنة 1997، كان أقل من نصف مليون ثنائي في أمريكة مؤلفاً من امرأة ورجل يصغرها بعشر سنوات على الأقل. في سنة 2003، نحو 3 ملايين ثنائي مؤلف من امرأة ورجل يصغرها بست سنوات على الأقل.

وبين سنتي 2002 و2005، يقول موقع خدمة المواعدة ماتش.كوم Match.com: إن نسبة النساء في قواعد بياناته المستعدات لمواعدة رجال أصغر منهن بعشر سنوات أو أكثر كانت قد تضاعفت تقريباً.

ربما يعزى السبب إلى أن وجود نساء مع رجال أقل عمراً كان أمراً شائعاً في الحياة الحقيقية في هوليوود، أيضاً. المرأة التي أدت دور أول رئيس للبلاد أنثى في مسلسل القائد الأعلى، جينا ديفز البالغة من العمر 51 سنة، متزوجة من رضا جاراهي الذي يبلغ من العمر 35 ربيعاً. أنجبت سوزان ساراندون البالغة من العمر ستين سنة أطفالاً من تيم روبنز بعمر 48 سنة. زوج مادونا التي تبلغ من العمر 50 سنة تقريباً، غاي ريتشي، بعمر 39 سنة.

ثنائي المرأة فيه أكبر عمراً من الرجل، 1997–2003



المصدر: صحيفة بتسبرغ Pittsburgh، 2005. نقلاً عن بيانات الإحصاء الأمريكي

يثبت الدليل تلك النزعة، ويوجد الآن اسم للنساء اللواتي يواعدن رجالاً أصغر منهن بكثير: لَبَوات. وفقاً لفاليري غيبسون، محرر الجنس في تورنتو سن Toronto Sun ومؤلف «لَبَوات: دليل النساء الكبيرات لمواعدة رجال أصغر عمراً»، بدأ التعبير في فانكوفر، بريتش-كولومبيا، دلالةً على النساء الكبيرات في السن اللواتي يذهبن إلى الحانات ويصطحبن إلى منازلهن من يتبقى من الرجال آخر الليل. لكن في السنوات الأخيرة،

أصبح الوضع إيجابياً- يشير إلى امرأة عازبة وحيدة تعرف ما تريد، لديها المال وتتمتع بالثقة للحصول عليه، وليست مقيدة برغبات الأطفال وسياج أبيض.

هناك الآن نصف دزينة على الأقل من المواقع الإلكترونية المخصصة لمواعدة اللَبَوات، التي تكتمل مع أكواب وقمصان. استكشفت أوبرا «وقوع نساء كبيرات في السن في حب شباب أصغر عمراً» سنة 2003. في المسلسل التلفازي الشهير الجنس والمدينة، واعدت سمانثا جونز البالغة من العمر 40 سنة «الفتى اللعوب» سميث جيرود مدة أطول من أي شخص آخر في مواسم العرض الستة. في سنة 2005، أطلقت فران دريشر نجمة المسلسل التلفازي الشهير في التسعينيات المربية عرضاً كوميدياً جديداً يدعى العيش مع فران، وهو مسلسل عن أم لولدين تقع في حب رجل في نصف عمرها - الواضح أنه يستند إلى تجربة حقيقية. قدّمت القناة الأولى كيبت Kept، وهو عرض حقيقي تتنافس فيه مجموعة من نحو 20 شخصاً لمرافقة زوجة مايك جاغر السابقة، جيري هول التي تبلغ من العمر 50 عاماً، في السنة المقبلة. تعكس كل تلك الأفكار في عالم الترفيه نزعة في الحياة الحقيقية.

كان عاملان قد أسهما في نمو ظاهرة اللَبَوات. معدلات الطلاق المرتفعة التي ترافقت مع زيادة معدل العمر مما يعني احتمالاً أكبر لعودة النساء إلى سوق المواعدة، ففي الواقع، وفقاً لدراسة سنة 2004، 66 % من حالات «الطلاق المتأخر» -تلك التي تقع لثنائي في الأربعينيات، الخمسينيات أو الستينيات من العمر- تكون بطلب من النساء، وليس الرجال. نجاح النساء في ميدان العمل يعني أن بعضهن يرغبن في رجل أقل نجاحاً في عمله- يمكنه الانتقال إذا رغبت في ذلك، وربما يعتني بالأولاد. (بالطبع، كان الرجال قد فعلوا الشيء نفسه سنواتٍ طويلة).

لكن وفقاً لفاليري غيبسون، الأمر كله منوط بالجنس. ذروة المرأة الجنسية أكثر تحققاً مع شاب يافع. وسواء كانت قد رفضت الزواج أو اختبرت زواجاً غير ناجح، تبحث المرأة الكبيرة في السن عن شيء أكثر طيشاً. في الأربعينيات أو الخمسينيات من عمرها، كما يقول غيبسون: الجنس للمرأة تسلية وليس حاجة.

إلا، بالطبع، إن كانت تريد أطفالاً، إذ أنجبت ما يزيد عن 100.000 امرأة تتراوح أعمارهن بين 40□ 44 أولاداً سنة 2004. بزيادة قدرها 63 % عن عشر سنوات سابقة. أنجبت ما يزيد عن 5000 امرأة أعمارهن 45□ 49 أطفالاً أيضاً - زيادة في عشر سنوات مقدارها 129 %. إذاً، تبرز اللَبَوات في كل شيء.

ما الذي يعنيه ذلك للرجال؟

إنهم، كما هو واضح، يحبون الثقة والخبرة الجنسية للنساء الأكبر سناً، كما أنهن لا يبحثن عادة عن ارتباط. وبخلاف عقود ماضية، تبدو النساء الأكبر سناً أصغر كل يوم - بفضل الجراحة التجميلية والرياضة 24/7.

نتيجة لذلك، الرجال أيضاً على موقع ماتش.كوم مهتمون بالنساء الأكبر سناً. بين سنتي 2002 و2005، ازداد عدد الرجال المهتمين بمواعدة نساء أكبر منهم بخمس سنوات أو أكثر بنسبة 44%. تضاعف عدد أولئك المهتمين بفرق عمر يبلغ عشر سنوات أو أكثر.

إلى أين تقودنا لَبَوات أمريكة؟ من ناحية، اللَبَوات تعني أن الشباب يتعادلون أخيراً مع الأكبر سناً، الذين كانوا يواعدون النساء الأصغر سناً منذ فجر التاريخ. ربما في ذلك الصدد، فإن خوارزميات المواعدة تتوازن أخيراً.

من ناحية أخرى، لدى النساء العازبات –اللواتي يواجهن أوقاتاً صعبة بسبب العدد المتزايد للرجال الشواذ– قطاع جديد من المنافسة الآن من أخواتهن الأكبر سناً، ومن أمهاتهن أيضاً! (إن التوتر بين الأم وابنتها بشأن الرجل نفسه كان النص الأساسي لكتاب الخرّيج وشيئاً ينبغي منحه).

لكن لبوات اليوم نتيجة للغريزة الطبيعية لدى نساء ناجحات يرغبن في الاستفادة من ذلك النجاح بجعلهن جذّابات جنسياً. وما كان الرجال الأكبر سناً فقط يفعلونه بالمال ذات مرة أضحى الآن في متناول يد النساء لتمتعهن بالقوة والنجاح (أو ميراث جيد). تماماً كما ينبغي للرجال الأثرياء أن يحذروا من النساء اللواتي يهتممن فقط بما يملكونه، وينتهزن فرصة لاستغلالهم - كذلك تحتاج اللَبَوات الآن للحذر من الشباب

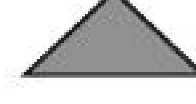
الذين يسعون للحصول على ملجأ من العاصفة. يمكنهن، أيضاً، الاستفادة من خدمات المحققين للتأكد مما يسعى إليه أصدقاؤهن وأزواجهن الشباب، وينبغي عليهن أن يقلقن أيضاً ما إذا كان الشريك الشاب سيبقى معهن إذا مرضن، أو أن الأمر لا يكون ممتعاً جداً في سنوات لاحقة.

وتستحق اللَبَوات اتحاداً، فهن يسعين للحصول على دليل بشأن الرجال، بحيث يسعين خلفه أو ينبغي لهن تفاديه ويحتجن إلى قواعد مواعدة جديدة فيما يتعلق بالأمور المالية، والجنس، والارتباط. ويسعين للحصول على نصائح من أخواتهن النساء في كيفية التعامل مع ردود أفعال الآباء، والأقرباء، والأزواج السابقين، وخاصة الأولاد. يحتجن إلى مواقع مناسبة لقضاء العطلات. ويحتجن أيضاً إلى بطاقات الأعياد المناسبة. ربما لا يكون هناك لبوة في عائلتك، لكن اسأل في الجوار أو راقب الناس عند زاوية شارع مزدحم عدة دقائق، فستلاحظهن بسرعة كبيرة، إذ يلتزمن بنمط حياتهن، ويعتبرن مكانتهن وطريقة تفكيرهن عنصراً أساسياً منها. إنهن يقتربن من نسبة 1% التي ستجعلهن موضعاً لاهتمام السياسيين، وصانعي الأفلام، والقساوسة، والمسوّقين.

ستكون السيدة روبنسون فخورة للغاية.



عشّاق في المكاتب



إن كان هناك شيء ربما تكون أمك قد حذرتك منه -أو مستشارك، أو أفضل أصدقائك الذي نسف حياته العاطفية ومسيرته المهنية في الوقت نفسه- فهو «لا تواعد أحداً في العمل». ستفطر قلبك، ستعرض وظيفتك للخطر، ستعرض نفسك لتحرشات جنسية. سيصرف ذلك انتباهك عن عملك ويؤثر في مشاعرك. كانت العبارة المأثورة شيئاً مثل: «لا تخلط المتعة بالعمل».

لكن وفقاً لدراسة عن الموظفين سنة 2006 قامت بها فولت Vault (الاسم الأكثر موثوقية في معلومات العمل)، كان 60% تقريباً من الموظفين في أمريكة طرفاً في علاقة عاطفية مع زميل لهم، صعوداً من 47% فقط سنة 2003. ومن بين الـ 42% من الذين لم يكونوا طرفاً في مثل تلك العلاقة، قال 9% منهم: إنهم سيودون ذلك.

على الرغم من أن الكثير من العشّاق في العمل يحاولون إخفاء علاقاتهم، إلا أن الجميع تقريباً يعرف بأمرها، يقول 43% من الموظفين: إن هناك علاقات عاطفية قائمة حالياً في أماكن العمل، ويقول 38% آخرون: إنها ربما تكون قائمة. (بالنسبة للكثيرين، الاكتشاف ليس دقيقاً جداً: في دراسة أخرى، قامت بها هتجوبز Hotjobs، قال 44% من المشاركين: إنهم ضبطوا فعلاً زملاء لهم «يعشقون بعضهم» في العمل). لكن القصد هو: لا أحد يعترض فعلاً. يعتقد 75% من العاملين أن العلاقات العاطفية والجنسية بين الزملاء -إذا كانوا أنداداً على الأقل- مقبولة تماماً.

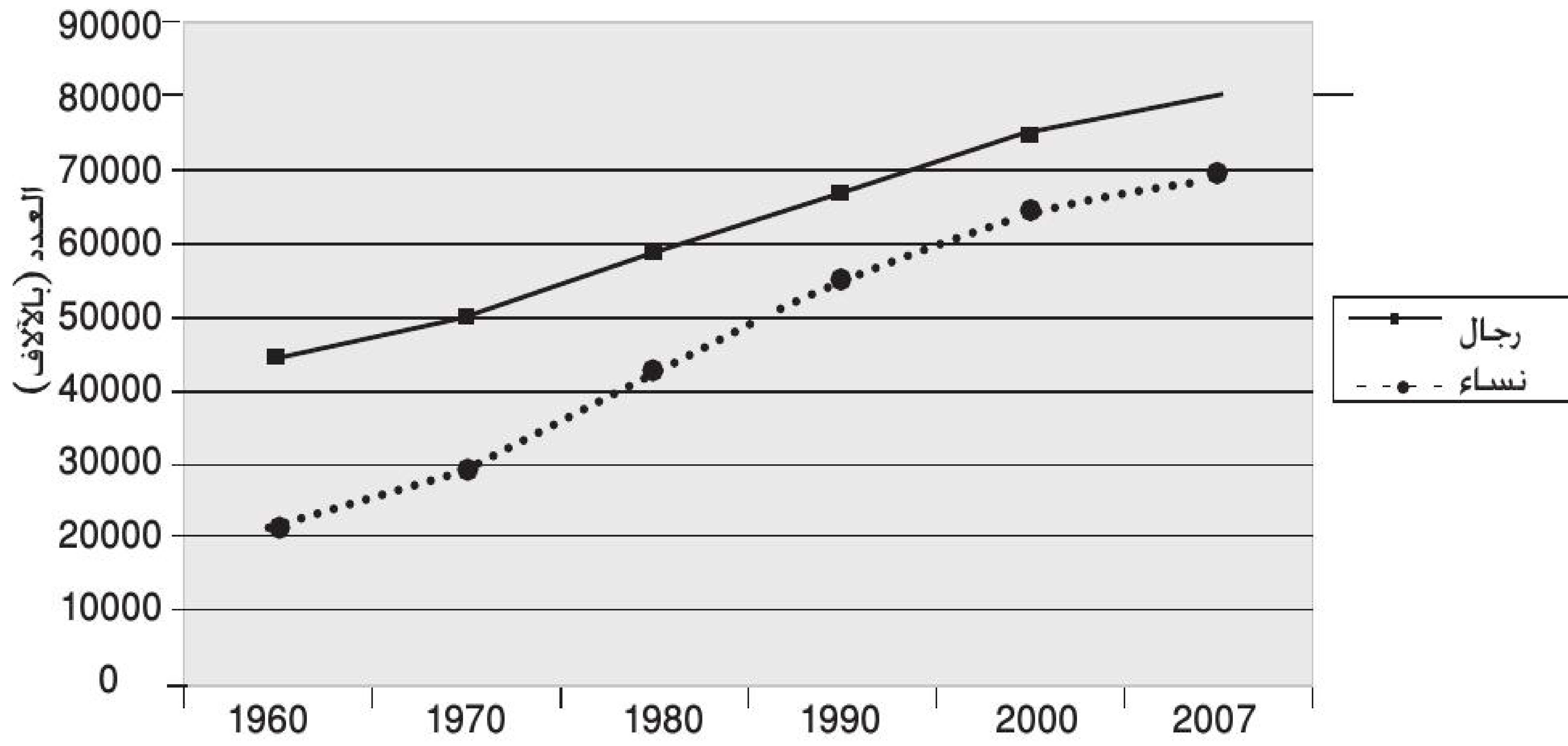
لماذا هذه الموجة العارمة؟ على المدى البعيد، ينجم ذلك بالطبع عن المساواة المتنامية بين الرجال والنساء في القوى العاملة. كانت الفجوة تضيق باستمرار في العقود الماضية.

على المدى القصير، تتعلق تلك الظاهرة بازدياد الأعزاب العاملين. أضحت أعدادهم الآن أكبر من ذي قبل (ما يصل إلى 22% منذ سنة 1995)، ويعمل العُزاب الذين تتراوح

أعمارهم بين 25 34 سنة ساعات أكثر على مدار الأسبوع – بازدياد قدره نحو 8% منذ سنة 1970. (لهذا حقاً، أين يمكنهم إقامة علاقة رومانسية؟).

لكن بالطبع، يكون بعض المتزوجين طرفاً في مثل تلك العلاقات، أيضاً. وجدت دراسة فولت أن 50% من العاملين كانوا قد عرفوا أن زملاء متزوجين يقيمون علاقات مع شخص آخر في العمل.

فجوة متضائلة: عدد الرجال والنساء الموظفين في الولايات المتحدة، 1960 2007



المصدر: إحصائيات مكتب العمل الأمريكي. 2007.

ليس مفاجئاً، الرجال أكثر مغازلة في العمل من النساء (66 % مقابل 52 %، وفقاً لإحدى الدراسات)؛ وقال الرجال (45 %): إنهم أقاموا علاقة عاطفية أكثر مما قالته النساء (35 %). هذا التفاوت الأخير إما يعني أن النساء يقمن علاقات عاطفية متسلسلة في العمل، وأن الرجال أكثر تفاخراً بذلك الشأن، وأن النساء يغادرن العمل بعد إقامة علاقة أكثر من الرجال، أو أن بعض علاقات الرجال تلك شاذة. أعتقد أن القصد هو: لقد أصبح مكان العمل مشرب الأعزاب في القرن الحادي والعشرين. الماء هو المشروب والمقوّي الجديد، والموسيقا الهادئة هي البديل عن صخب النادي.

الواضح أن بعض مواقع العمل تساعد على إقامة علاقات بين زملاء المكتب أكثر من غيرها. وجدت دراسة فولت أن الصناعات الأولى في العلاقات بين زملاء المكتب هي

الإعلام والترفيه، يتبعها الإعلان/التسويق والاستشارات. (المالية والتقانة التي يهيمن عليها الرجال، هي الميادين الأقل احتمالاً لإقامة مثل تلك العلاقات). أنا الرئيس التنفيذي لشركة علاقات عامة ورئيس شركة استشارات. أنا فخور بالقول: إن لدينا العديد من حالات الزواج بين زملاء العمل التي بدأت علاقاتٍ عاطفيةً في المكاتب، لهذا يمكن أن تكون النتائج جيدة جداً - أصبحت المساواة بين الرجال والنساء في القوة العاملة الآن أكبر، ويمكن العثور على أشخاص في العمل يتمتعون بمهارات واهتمامات متشابهة.

لسنا وحيدين في تحول علاقات عاطفية تنشأ في العمل إلى حب دائم. في دراسة سنة 2006 قامت بها جمعية «إدارة الموارد البشرية»، قال ما يزيد عن 60 % من موظفي الموارد البشرية الذين تمت مقابلتهم: إن علاقات عاطفية في مكاتبهم قد تحولت إلى زواج. يمكنني أن أؤكد من تجربة شخصية أن وجود أزواج في كادر عمل يشكل مكسباً كبيراً - يشتركان في الشغف بالعمل، ويدعمان بعضهما في حالات الأزمة، ويبقيان منتجين للشركة، حتى في أثناء التوقف عن العمل؛ لأنهما (كما قيل لي) يكافحان تحديات العمل حتى عندما يرافقان أطفالهما إلى الحمام.

دمج العمل والحب ليس شيئاً جديداً. كانت الأمهات والآباء قد عملوا جنباً إلى جنب منذ فجر الزراعة، ومجدداً منذ فجر التجارة. في الواقع، يشكل الأزواج أغلبية مالكي الأعمال في أمريكا، مع أكثر من 1.2 مليون فريق مكوّن من زوج-و-زوجة يدير شركات. كان لدى الأمريكيين دائماً مكان خاص في قلوبهم لأزواج يعملون معاً (من جورج بورنز وغريس آلين إلى سوني وتشير) وموظفين يقترنون معاً (من سبنسر تريسي وكاثرين هيبورن إلى براد بيت وأنجلينا جولي). أين ستكون الموسيقا دون أزواج الغناء الشهيرين -من جوني كاش وجون كارتر، إلى بيونس نويلز وجي- زد؟ (أين ستكون الجريمة دون بوني وكلايد؟).

وبالطبع، العلاقات في العمل ليست جديدة. «المدير وأمينة سره» عبارة سمجة قديمة بقدر ما هي جديدة في القرن العشرين.

لكن الفرق الآن أن «الموظفين الذين يقترنون»، و«الأزواج الذين يعملون معاً»، لم تعد ظاهرة استثنائية محصورة بهوليوود فقط، أو يمكن إيجادها في متاجر الأم -و- الأب

–على الرغم من أن تلك الشركات، أيضاً، تنمو بمعدلات قياسية– لكنها موجودة في شركات كبيرة ومتوسطة الحجم، التي تحتاج نتيجة لذلك إلى بعض القواعد الجديدة. وفقاً لدراسة فولت، واحدة فقط من كل 5 شركات لديها سياسات تتعلق بالعلاقات بين زملاء العمل. نظراً للمخاوف المتعلقة بالتطفل على خصوصية الموظفين، كانت معظم الشركات قد أحجمت عن فرض أنظمة قاسية للغاية بهذا الشأن، وجازفت ربما بمنع علاقات المشرفين مع أولئك الذين يشرفون عليهم، أو تنبيه عمالها بشأن التحرشات الجنسية. (سياسات ول-مارت شديدة للغاية، كما قد تكون قرأت سنة 2007. بعد أن اكتشف محققون داخليون دليلاً على أن موظفي تسويق بارزين، أحدهما يشرف على الآخر، يقيمان علاقة، طردت الشركة كليهما – أثارت بذلك عاصفة علاقات عامة انتهت بعرض رسائل الثنائي الإلكترونية الحميمة على صدر الصفحات الأولى).

لكن هل تلك السياسات كافية؟ هل ينبغي السماح لزميلين متماثلين في الوظيفة مرتبطين بعلاقة عاطفية العمل بإشراف المدير نفسه؟ على المشروع نفسه؟ في المكتب نفسه؟ إذا سار كل شيء على ما يرام، فربما تكون البهجة عامة – لكن إذا اختلف الاثنان، فربما يسعى أحدهما للانتقام.

ماذا عن العلاقة العاطفية مع زبائن، أو باعة؟ ماذا عنها مع موظفي شركات منافسة، خاصة إذا كان موظفك مبتدئاً، وموظف المنافس خبيراً؟ هل ذلك نوع من الأفضلية التنافسية الشائنة؟

إضافة إلى ذلك، هناك المزيد والمزيد من العلاقات العاطفية بين زملاء العمل، والمزيد منها يصل إلى مرحلة الخاتم، ومن ثم فقد حان الوقت بالتأكيد لإعادة النظر في قواعد القوى العاملة، عاداتها، وأنظمة الدعم فيما يتعلق بتوظيف أفراد العائلة. في أمريكاالآن، ليست هناك قوانين أمريكية موحدة تمنع توظيف أقرباء، لكن هناك تقديرات بأن ما يصل إلى 40 % من الشركات لا يزال لديها قوانين تحظر «محاباة الأقارب» – مجموعة من القوانين التي تعود إلى الخمسينيات لمنع الموظفين الذكور البيض من توظيف أقربائهم غير المؤهلين. (جاءت عبارة «محاباة الأقارب» في الواقع من كلمة «قريب»). بالتأكيد، لا تزال فكرة جيدة أن تمنع الأقارب غير المؤهلين من امتصاص موارد الشركة. لكن هل

تنوي أيضاً تعريض وظائف الزملاء الذين يتزوجون للخطر - وربما نخرق فجأة سياسة الشركة التي تتعلق بتوظيف الأزواج؟ هل نقصد وضع عقبات أمام زواج زملاء مناسبين لبعضهم؟ عندما حاول مجلس النواب إقرار حظر على أزواج المشرّعين الذين يضغطون على تلة الكابيتول بوصفه جزءاً من حملته الأخلاقية سنة 2006. اشتكى بعض الناس بشأن تلك المشكلة تحديداً، وساد الارتباك - هل كان اهتمامنا بالأخلاق آنذاك يتعارض مع اهتمامنا بالعائلة؟ ربما كان هناك معنى جديد للتعبير القديم القائل: إن السياسة تنتج شركاء فراش غريبين.

الواضح أن هناك حشداً كبيراً من حاجات موظفي الموارد البشرية التي لا يتم الانتباه لها. يريد الأزواج الزملاء أن يتم تقويم كل منهم ومكافأته بغض النظر عن الآخر - لكن، من ناحية أخرى، سيقدّرون أيضاً أنه إذا قامت الشركة بتسريح أحدهما، فإنها ستفعل كل ما بوسعها للاحتفاظ بالآخر. من جانب الموظفين، يحتاج المديرون إلى نوع من الضمانة أنه إذا انفصل الأزواج الذين يعملون معاً، فسيعملون على إبقاء الشركة خارج تلك المشكلة، وأنهما لن يشغلا وقت الزملاء بطلب الدعم منهم في تلك القضية. وبمناسبة الحديث عن الزملاء، فإنهم يحتاجون أيضاً إلى نوع من الضمانة أنه عندما يتعلق الأمر بالترقيات، أو المكافآت، أو تعويضات أخرى، ومن ثم لن يلقى الزملاء الذين يكونون متزوجين من صانعي القرار معاملة تفضيلية. ربما ينبغي أن ندعو سياسات العمل الجديدة، التي تركز أقل على الأقارب وأكثر على الأزواج، «محاباة الأزواج».

خارج سياسات العمل الرسمية، يحتاج العشّاق في المكاتب والزملاء المتزوجون إلى جمعية، فبعض الرفاق يشاركونهم تجاربهم في هذا السياق. ما هي أفضل طريقة للتعامل مع كشف العلاقة، والانفصال؟ وما الاختلافات أو المنافسة في العمل التي تنتقل إلى المنزل؟ وماذا عن خيارات الضمان الصحي، وإجازات الأمومة؟ وما الخزي المضاعف للزوج (الزوجة) في العلاقة بين زملاء العمل؟

على كل الجبهات، يمكننا التطلع نحو الجامعات. نظراً لارتفاع حملة درجة الدكتوراه من النساء على نحو كبير - من نحو 8000 سنة 1996 إلى ما يزيد عن 20.000 سنة 2002

- كان هناك ازدياد كبير في عدد الأزواج الأكاديميين. نتيجة لذلك، كانت الجامعات تعمل طوال عقود على طرق ليس للسماح، وإنما لتشجيع ترشيح أزواج لمواقع معينة. قد تكون هذه موجة المستقبل في أماكن العمل، ولهذا ربما يرغب موظفون آخرون ملاحظة ذلك.

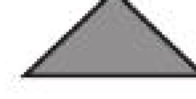
أخيراً، يحتاج الأزواج أنفسهم إلى تقويم ما يمكن أن نصفه بأنه وضع كل البيض في سلة واحدة. مع عمل الناس حتى عمر متأخر جداً من حياتهم، زواج زميلين قد يعني حرفياً اجتماعهما معاً 7/24 خمسين أو ستين سنة. أعرف أن هذا يعني السعادة لبعضهم. بالنسبة لآخرين، ربما يكون الخناق ضيقاً.

إنه مكان عمل جديد، وفيما كان سابقاً بيئة مكتب يهيمن عليها الذكور، حيث كان التحرش الجنسي المشكلة الأولى، تتغير بنية السلطة وكذلك البنية الاجتماعية. يبقى التحرش الجنسي قضية خطيرة. لكننا نستطيع الآن التطلّع قدماً إلى وقت تكون فيه الوحدة الاجتماعية، بين رجال ونساء متساوين حقاً في مواقع المسؤولية، وقوة محركة في حياتنا العملية الاجتماعية.

في هذه الأثناء، في حين تتعرض القوة العاملة لهذه التحولات، يبدو أنك ستتعرف على الأرجح إلى زملاء يتبادلون القبل (أو أكثر) في استراحة الغداء. قد تكون تلك إشاعة عند مبردة الماء، أو ربما يكونان «أباً وأماً» يختلسان بعض الوقت معاً قبل عمل بعد الظهيرة.



زواج المسيار

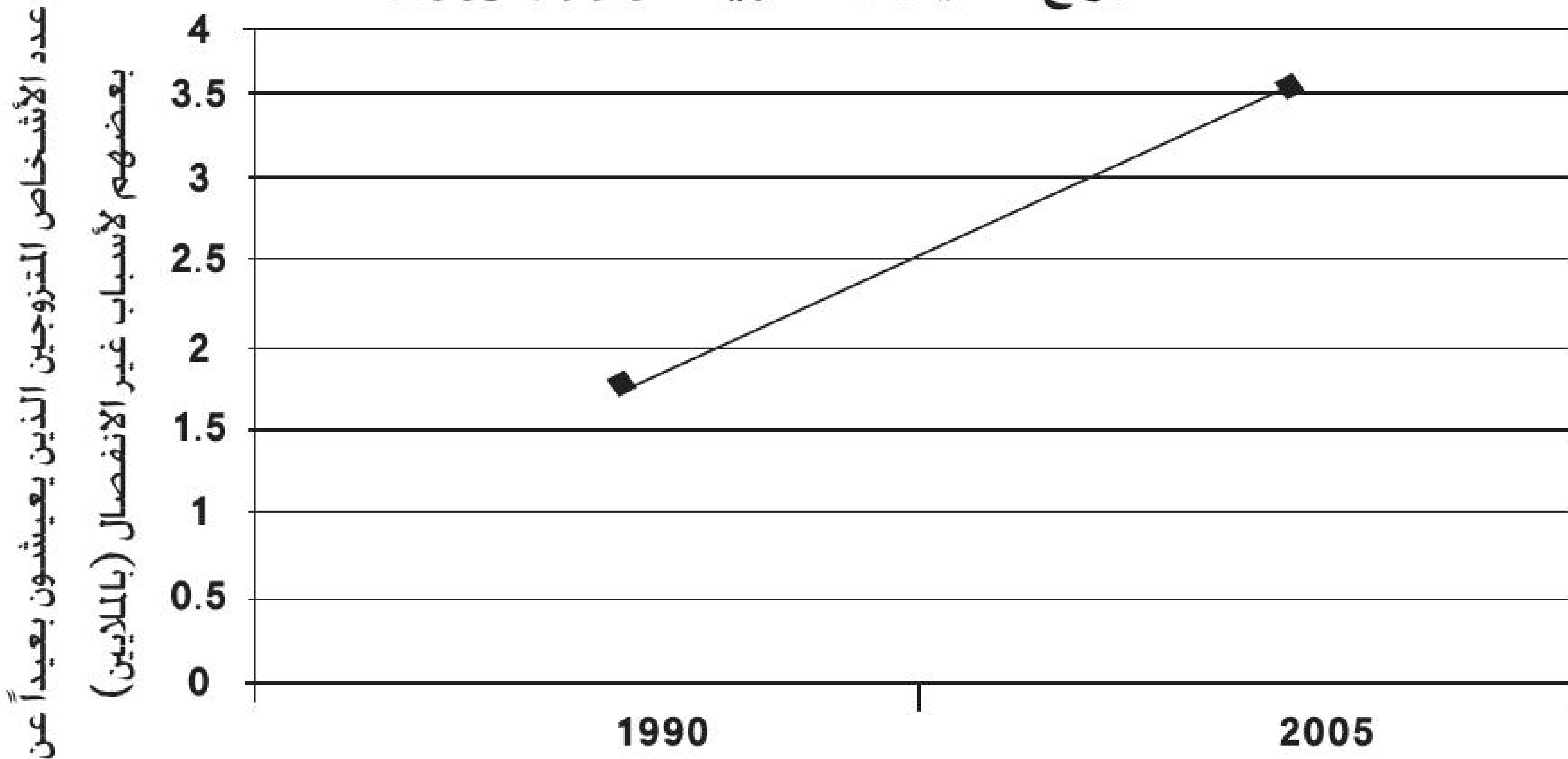


في أيار 2006، نشرت نيويورك تايمز صورة ملونة على صفحتها الأولى لبيل وهيلاري كلينتون تحت عنوان: «بالنسبة لآل كلينتون، حياة زوجية وحياة عامة هشّة». لقد ظهرت أخيراً، كما اعتقد القرّاء، تفاصيل جديدة ومثيرة عن الزواج الأكثر عرضة للتمحيص في أمريكة.

كانت القصة كريهة - بالرغم من أنها لم تكن كذلك من وجهة نظر الإشاعات أو السياسة. كانت كريهة لأن الطريقة التي يعيش بها الرئيس السابق بيل كلينتون وعضو مجلس الشيوخ هيلاري رودهام كلينتون تقتضي أن يكونا في مهنتين ومنزلين، بحيث لا يريان بعضهما إلا أربعة عشر يوماً في الشهر، يسافران معاً كل عطلتي نهاية أسبوع من ثلاثة - كانت تمثّل على نحو متزايد الطريقة التي يعيش بها الأمريكيون المتزوجون. إنه يدعى زواج المسيار، وآل كلينتون ليسا وحدهما في هذا- أكثر من 3.5 ملايين شخص يقومون بذلك.

في سنة 1990، كانت هناك تقديرات بأن 1.7 مليون شخص متزوج في الولايات المتحدة يعيشون بعيداً عن بعضهم لأسباب غير الانفصال. بعد خمس عشرة سنة، كان ذلك الرقم قد وصل إلى أكثر من الضعف.

حالات زواج المسيار في أمريكة، 1990–2005



المصدر: بيانات الإحصاء الأمريكية

هل بدأ الجميع يأخذون قضية «غرفة لي فقط» على نحو أكثر جدّية؟

الحقيقة أنه لطالما كانت حالات زواج المسيار كثيرة في ثقافتنا. كان بن فرانكلين أول سفير لنا إلى فرنسة مرتبط بمثل ذلك الزواج - بالرغم من أنه نادراً ما كان يعود إلى الوطن. تتطلب بعض أهم الوظائف في أمريكة أساساً هذا النوع من الزواج. يترك الجنود في الخدمة العسكرية زوجاتهم وأولادهم أوقاتاً طويلة في أثناء عملهم. يستقر أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي، مثل هيلاري كلينتون -والمشرّعون في ولايات كبيرة بما يكفي لتكون العاصمة بعيدة تماماً عن منازلهم- في شقق قرب عملهم ثم يسافرون إلى بيوتهم في عطلات نهاية الأسبوع. (يعيش الكثير من أعضاء مجلس النواب مثل صيادين متجاورين في أجنحة مشتركة في تلة الكابيتول).

لكن على نحوٍ متزايد، يعيش الناس العاديون -ليس فقط الجنود والموظفون الحكوميون- بعيداً عن أزواجهم، أيضاً. معظمهم أزواج لكل منهما مهنة مختلفة عن الآخر، وهما لا يستطيعان، أو لا يريدان، إفساد حياتهما المهنية فقط لأن على أحدهما قبول وظيفة أو التحضير لنيل درجة علمية في مكان آخر. قبل أربعين سنة، لم يكن ممكناً التفكير في مثل ذلك القرار. كانت النساء تجني القليل، وهناك وصمة مرتبطة بأولئك اللواتي يعشن وحدهن، وكان السفر مكلفاً جداً؛ وإذا اضطر الزوج للانتقال إلى مكان جديد، كانت الزوجة تسافر معه. لكن النساء تجني الآن الكثير، ونحو 30 % من الأسر الأمريكية تتألف من شخص يعيش وحده، والسفر بالطائرة رخيص نسبياً - زواج المسيار إحدى طرق عديدة يحيا بها زوجان عاملان حياتهما. وبالمناسبة، ليس هذا الزواج مرتبطاً بالشباب وأولئك الذين يبدؤون حياتهم فقط. وفقاً لخبراء في المنظمة الأمريكية للمتقاعدين، تضاعف عدد المتزوجين الذين تزيد أعمارهم عن 50 سنة، ويعيشون بعيدين عن بعضهم ثلاث مرات بين سنتي 2001 و2005.

على الرغم من أن العديد من الناس يعملون على الحاسب من منازلهم؛ حتى يستطيعوا قضاء وقت أطول مع عائلاتهم، إلا أن أزواج المسيار يفعلون العكس. يقطنون بالقرب من أماكن عملهم، لكنهم يستعملون التقانة؛ ليتصلوا بعائلاتهم. وعلى الرغم من أن كثيراً من

المؤلفات والإعلانات ظهرت بشأن «عمال الخليوي» الجدد، إلا أن القليل قيل عن «أزواج الخليوي» - بعيدين، وبالرغم من ذلك فإنهم يبقون على اتصال مستمر ببعضهم بالاستفادة من التقانة. وسيستطيع الأزواج قريباً تعقب بعضهم عبر رقائق «تحديد المواقع الجغرافية» في هواتفهم الخليوية، بحيث يستطيعون دائماً تحديد مكان الشخص الذي يحبونه.

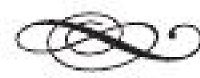
هل يشكل المسيار خطورة على الزواج؟ وفقاً لـ«مركز دراسات علاقات المسافات الطويلة»، لا يكون أزواج المسيار عرضة للانفصال أكثر من الأزواج الذين يعيشون في المنطقة الجغرافية نفسها. وليسوا، كما يقول د. غريغوري غلدنر، مدير المركز، أقل رضا عن علاقاتهم، أو يخونون أكثر. يقول د. غلدنر: «طالما استطاع الزوجان العثور على طريقة للمشاركة في أنشطة كل منهما اليومية، وجدا طرقاً للحديث عن القضايا الكبيرة، ونعم، «تعلّما فن جنس المسافات البعيدة»، سيكون لدى أزواج المسيار فرصة جيدة مثل الجميع».

ما الذي يعنيه أزواج المسيار لأمريكة؟ على المستوى السياسي، لديك فجأة عدد أكبر من الناس «ينتمون» إلى ولايتين، مما قد يعقّد القوانين المتعلقة بالتصويت، وتحصيل الضرائب، والتسجيل في المدارس التي تعتمد جميعها على مكان الإقامة. هناك أيضاً فرص تسويق مهمة، تتضمن التخطيط المالي، والاتصالات، والسفر، والتخطيط للأمسيات الخاصة. بعد ابتعادهما عن بعضهما في الأحوال العادية، قد يكتسب لقاؤهما معاً معنى خاصاً. ربما إحدى الأسباب التي تجعل هذا الزواج يبدو ناجحاً هي أنه ينبغي على الناس أن يقدّروا فعلاً بعضهم لتحمّل زواج المسيار - ويتجدد الشعور الخاص بوجودهما معاً، وهو شيء مفقود لدى الأزواج الذين يعيشون في المنزل نفسه، باستمرار. إضافة إلى ذلك، يوفر هذا النوع من الزواج درجة من الحرية والخصوصية لا يوفرها الزواج التقليدي - وربما تكون تلك الحرية صمام الأمان الذي يمنح ذلك الزواج فرصة أفضل للنجاح، في عالم الطلاق فيه هو المعتاد.

يؤثر أزواج المسيار في قوة العمل أيضاً. قد تعتقد أن هؤلاء موظفون أقل إخلاصاً في العمل، وأول من يغادر بعد ظهيرة الجمعة؛ لينضم إلى حبيبه البعيد في عطلة نهاية الأسبوع. أو الشخص الحاد الطباع في المكتب؛ لأنه وحيد جداً دون زوجه وأطفاله.

لكن الحقيقة هي أنهم بالرغم من وجودهم في مدينة رب عملهم، إلا أن أزواج المسيار ربما يكونون أقل تشتُّتاً من نظرائهم الذين يعيشون مع عائلاتهم أو يحيون حياة صاخبة. قد يستطيعون في الواقع منح أرباب أعمالهم أسبوع عملٍ كاملاً 5/24، وأسبوعاً كاملاً 7/24 عندما لا تكون هناك عطلة نهاية أسبوع. لهذا في حقبة تشهد إقبالاً على مردود العمل أينما يكون، ربما يكون الموظفون الأكثر جذباً هم أولئك الذين يبدون مثل الرحّالة -غير مرتبطين وغير مستقرين في مكان واحد- ما عدا عطلتي نهاية أسبوع في الشهر، وفي الأعياد.

أخيراً، ينتقل أحد الزوجين أو الآخر عادة؛ لهذا لا يبقى أزواج المسيار على تلك الحال إلى الأبد. نظراً لقيام الناس حالياً بتغيير أعمالهم كل سنتين إلى أربع، يبرز سؤال عن المدة التي سيبقى فيها أزواج المسيار على تلك الحالة قبل أن يجتمعوا معاً من جديد. لكن مع التغييرات الكثيرة في العمل والأزواج الذين يعملون في مهنتين مختلفتين، فإن فرص دخول الأزواج -على الأقل في جزء من حياتهم- في علاقة مسيار بضع سنين على الأقل ترتفع بسرعة. لهذا استعدوا للحالة الجديدة المقبلة من الحياة المعاصرة.



الصورة الدولية

إن ثلاثة ملايين ونصف المليون أمريكي الذين يعيشون بوصفهم أزواج مسيار ليسوا وحدهم في ذلك.

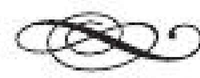
في أرجاء العالم الصناعي، ووظائف الأعمال الأجنبية -والزوجين بمهنتين مختلفتين- ترتفع. لكن نتيجة لذلك، يقضي المزيد من الأزواج من كل الجنسيات بعضاً من حياتهم الزوجية على الأقل في مدن مختلفة. بكل لغة، كما يبدو، أصبح المبدأ: «أينما تذهب، سأذهب» أقل إقناعاً مما كان عليه.

بالرغم من أن العديد من حالات زواج المسيار هي من اختيار طرفيه، خاصة ضمن الولايات المتحدة، إلا أن بعضها تحتمه الضرورة - خاصة إذا كان أحد الزوجين سينتقل إلى بلد أجنبي. وفقاً لدراسة نزعات الانتقال العالمية سنة 1999. من نحو 50 % من الأزواج الذين كان لديهم وظائف قبل انتقال نصفهم الآخر، استطاع 11% فقط منهم العثور على عمل في البلد المضيف. ولم يكن أرباب العمل متعاطفين جداً: ساعد 19% منهم فقط الشريك في العثور على عمل، فيما لم يقدم الثلث أي دعم على الإطلاق. [عرض آخرون استشارات مأجورة أو طلبوا نقوداً؛ ليعثروا لهم على عمل]. لجعل الأمور أسوأ، لم تسمح سوى بعض الدول فقط للأزواج بالعمل. لهذا ربما ينتهي الأمر حتى بالأزواج الذين يريدون العيش معاً بالوجود بعيداً عن بعضهم.

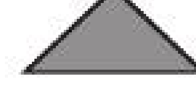
وبالفعل، ربما يكون من الإنصاف القول: إن معظم حالات زواج المسيار في العالم ليست ضمن أزواج الطبقة العليا - لكنه ضمن الأشخاص الذين ينتمون إلى طبقات أدنى وترغمهم الظروف الاقتصادية على العيش بعيدين عن بعضهم. في الولايات المتحدة نفسها، هناك ملايين العمال الوافدين [والمهاجرون غير الشرعيين]، وزوجات الكثيرين منهم في أوطانهم الأصلية. في الشرق الأوسط، هذه الظاهرة هي حال الأغلبية:

- في الكويت، 63 % من السكان مولودون في الخارج – معظمهم خدم وعمّال من مصر، والفلبين، وباكستان، والهند، وسريلانكا. [هناك تقديرات بأن 4 % من المصريين يغادرون بلدهم للعمل، 70 % من هؤلاء إلى دول الخليج العربي].
- في دبي، 17 % فقط من السكان مواطنون.
- في المملكة العربية السعودية، يقوم أجانب بثلثي كل الوظائف. في سنة 2006. أرسل هؤلاء العمال 14 مليار دولار إلى عائلاتهم.

لحسن حظ الكثير من هؤلاء الأزواج، السفر الدولي أسرع وأرخص مما كان عليه من قبل. وكذلك المكالمات الهاتفية الدولية واتصالات البريد الإلكتروني. لهذا لا يسع المرء سوى أن يأمل أن يجتمع الزوجان بما يكفي للإبقاء على عروة الزواج متماسكة – ويمكن للزوج والزوجة القيام بذلك بإرسال قبلات افتراضية كل ليلة إلى بعضهما.



زواج الإنترنت



كان اللجوء إلى الإنترنت للمواعدة يعد شيئاً محرجاً فيما مضى. كان ذلك يدل على عدم اندماج اجتماعي – أشخاص لا يستطيعون تحقيق ذلك في عالم المواعدة «الحقيقي». أشخاص لديهم ما يخفونه. أشخاص يائسون للحصول على رفيق (رفيقة) ويسعون للقاء غرباء في أوقات شتّى، هروباً من وحدتهم، وربما حتى من منازلهم الكئيبة. بالحد الأدنى، تجعل المواعدة عبر الإنترنت المرء يفكر في أعزاب كبار السن غير ناجحين تتضاءل فرصهم في العالم الحقيقي وساعاتهم البيولوجية تدق. البحث عبر الإنترنت هو الجهد الأخير الذي يمكن أن تبذله للقاء قرين قبل أن تطعن في السن. (ويعتقد كل الرجال أن مواعدة نساء على الإنترنت أمر سهل – ألا يضعن عملياً إعلانات يطلبن فيها رجالاً؟).

لكن في السنوات القليلة الماضية، كانت المواعدة الإلكترونية قد شهدت تغييرات جذرية، وأصبحت مقصداً وملاذاً ليس أخيراً وإنما أولاً. لم تعد مكاناً لأشخاص لا يمكنهم إقامة علاقة «عادية»، وأصبح يُنظر إلى مواعدة الإنترنت بازدياد على أنها طريقة ممتعة للقاء المزيد من الشركاء المحتملين، والابتعاد بفاعلية في الوقت نفسه عن «غير المرغوب فيهم على الإطلاق». وفقاً لدراسة سنة 2006 عن المواعدة الإلكترونية قام بها «مشروع الحياة الأمريكية وتأثير الإنترنت»، 61 % من الأمريكيين لا يعدون أن المواعدة الإلكترونية تشير إلى «اليأس». يظن نصف الأمريكيين الذين يستعملون الشبكة تقريباً أن مواعدة الإنترنت طريقة جيدة للقاء أشخاص آخرين.

نتيجة لذلك، يستعمل نحو 1 من كل 4 أعزاب أمريكيين يتطلعون للقاء شريك العمر -نحو 16 مليون شخص- مواقع المواعدة التي يبلغ عددها 1000 أو أكثر. يتضمن ذلك 1 من كل 5 أمريكيين في العشرينيات من العمر، و1 من كل 10 أمريكيين في الثلاثينيات أو الأربعينيات. وبداية من سنة 2004. وصلت عائدات تلك المواقع إلى نحو 470 مليون

دولار في السنة، ارتفاعاً من مجرد 40 مليون دولار سنة 2001. لم يتم ابتكار الشبكات الاجتماعية من أجل السياسة – فقد تم ابتكارها لتحقيق نشاط اجتماعي.

تم استبدال أماكن اللقاء السابقة للعثور على قرين – المؤسسات الدينية، أماكن اللهو، الخاطبة –بالمكان الذي يمكن فيه العثور على الجيل الجديد– في المكتب، وعلى الإنترنت.

بالتأكيد، لا تزال للمواعدة عبر الإنترنت مخاطرها. على أونلاين-ديتنغ-ماغازين. كوم www.onlinedatingmagazine.com-موقع مخصص لـ«البحث المعمّق في صناعة خدمات المواعدة الإلكترونية ومبادرات المواعدة لأولئك الذين يلتقون إلكترونياً»- ثلاثة من أكثر المقالات شيوعاً هي «مخاطر المواعدة الإلكترونية»، «إرشادات المواعدة الإلكترونية بأمان»، و«الابتعاد عن الرجال المتزوجين». لكن ضمن الملايين الذين يجربون المواعدة الإلكترونية بالرغم من ذلك، هناك عدد قليل تتحول لقاءاتهم الإلكترونية إلى ارتباط فعلي. وفقاً لدراسة تأثير الإنترنت، 17% من الأشخاص الذين يلتقون عبر الإنترنت –أو نحو 3 ملايين أمريكي راشد– قد حولوا اللقاءات الإلكترونية إلى علاقات طويلة الأمد أو زواج. ذلك بالضبط العدد نفسه من المتزوجين في أمريكاالذين يقولون: إنهم التقوا في الكنيسة.

بالرغم من عدم وجود بيانات مؤكدة عن نمو زواج الإنترنت، إلا أنه من الواضح أن تلك النزعة في تزايد. لم يكن موقع المواعدة الإلكتروني الرائد ماتش.كوم Match.com موجوداً قبل سنة 1995. لم يتم إطلاق إي-هارموني eHarmony، التي تفخر بعقد أكبر عدد من حالات الزواج، حتى سنة 2000. مئات ومئات من مواقع المواعدة الأخرى – بما في ذلك مواقع متخصصة مثل ديت-إي-غولفر DateAGolfer، أو أنيمال أتراكشن Animal Attraction (لمحبي الحيوانات الأليفة)، أو بوستيف سنغلز Positive Singles (لحاملي الأمراض التي يمكن أن تنتقل عن طريق الجنس) – لم تزدهر سوى أخيراً فقط. والآن بعد أن أصبح تحميل الصور، وحتى مقاطع الفيديو إلكترونياً أسهل، تصبح إمكانية رؤية القرين المستهدف أكثر واقعية.

في سنة 2007، سيتزوج نحو 4.4 ملايين أمريكي. سيكون 100.000 منهم قد التقوا عبر مواقع إلكترونية.

في ربيع 2007، قمنا بإجراء استطلاع صغير عن أشخاص التقوا وتزوجوا عبر الإنترنت. بالرغم من وجود أزواج إنترنت من كل نوع، إلا أن الشكل الأكثر شيوعاً هم المديرون البارزون، وسكان المدن، والديمقراطيون الذين يأخذون المواعدة الإلكترونية على محمل الجد، ويشعرون الآن بسعادة بالغة بشأن ذلك.

- مديرون بارزون: 76 % من أزواج الإنترنت موظفون خارج المنزل، و12 % فقط يعملون بدوام كامل في المنزل ولديهم أولاد. يحتل 70 % من الموظفين بدوام كامل مواقع مهنية أو إدارية بارزة. يمتلك 69 % من أزواج الإنترنت منازلَ خاصة بهم. 61 % أنهوا دراستهم الجامعية، وأنهى 20 % منهم دراستهم الثانوية. 51 % منهم دخلهم السنوي 75.000 دولارٍ أو أكثر.
- سكان المدن: يعيش نصف أزواج الإنترنت تقريباً في مدن. المفروض أن يعرف الناس في المناطق الريفية السكان المحليين، لكن بيئات المدن تعني أن هناك مئات آلاف الأزواج المحتملين الذين يسكنون بجوارك دون أن تعرفهم.
- ديمقراطيون: يقول 72 % من أزواج الإنترنت: إنهم ليبراليون أو معتدلون، ويحدد 43 % منهم أنهم ديمقراطيون. (في عينة قومية، لا يشكل الديمقراطيون سوى ثلث عدد السكان). المثير للاهتمام أن هذه المجموعة أكثر اهتماماً بالدين من الديمقراطيين العاديين. يقول 51 % منهم: إنهم يحضرون مراسم دينية عدّة مرات على الأقل في الشهر، مقارنة بنحو 31 % فقط من الذين «قلّما يحضرون أو لا يحضرون البتة». (في عينة ديمقراطية نموذجية، سيكون أولئك الذين يحضرون الطقوس الدينية بانتظام أقل من الثلث على الأرجح).

ينبغي النظر بإمعان في حالات الزواج عبر الإنترنت. قال 6 من أصل 10: إنهم استعملوا مواقع المواعدة الإلكترونية سنة أو أكثر قبل أن يجدوا أزواجهم، وكان على العدد نفسه تقريباً أن يواعد ستة أشخاص مختلفين على الأقل قبل أن يعثر على الشخص المنشود. (كان على نحو ربعهم أن يواعد أكثر من 10). وعلى الرغم من أن أزواج الإنترنت لم يشعروا باليأس، إلا أنهم قلّما كانوا يشعرون بالمتعة أو الثقة أيضاً.

«عندما فكرت أول مرة في المواعدة الإلكترونية، ماذا كان موقفك تجاهها؟» (يُسمح بإجابات متعددة)	
	النسبة
قلق	65
شك	55
إحراج	27
حيادي	22
سرور	20
ثقة	10
كانت الملاذ الأخير	10
المصدر: مكتب الإحصائيات الأمريكي، 2007	

لكن الحياة كانت طيبة معهم. قال 92 % منهم: إن زواجهم سعيد، وقال 80 % : إنهم «سعداء جداً». يظن 57 % أن زواجهم أقوى؛ لأنهم التقوا عبر مواقع إلكترونية، مقارنة بـ6 % فقط يظنون أنه أضعف. يظن 73 % أنهم وأزواجهم يتمتعون بميزات معينة؛ نظراً للطريقة التي التقوا بها، مقارنة بـ24 % فقط يعتقدون أنهم لا يتمتعون بأي ميزة.

وأزواج الإنترنت سعداء لنشر ذلك شفاهاً. كان 84 % قد نصحوا أصدقاء أعزاب آخرين أو أفراداً من أسرهم بالمواعدة عبر الإنترنت. قال 88 % منهم: إنهم سيدعمون قيام أولادهم (يوماً ما) بالمواعدة عبر الإنترنت. وقال 92 %: إنهم سيدعمون زواج أولادهم من شخص يلتقون به عبر موقع إلكتروني.

أخيراً، من ناحية العمر، يمكن لزواج الإنترنت أن يحدث مع أي شخص. 55 % من المشتركين في الاستطلاع تقل أعمارهم عن 35 سنة (نحو الثلث في بداية الثلاثينيات)، لكن 46 % فوق 35. منهم نحو الثلث فوق 45. الأمر ناجح مع الذين يرغبون في الزواج مجدداً أيضاً: 31 % من أزواج الإنترنت يدخلون قفص الزوجية للمرة الثانية.

يمكن أن يكون زواج الإنترنت موجة المستقبل. مع انخفاض نسب الزواج على نحو كبير، يحتاج الأشخاص الذين يرغبون في العثور على زوج إلى طريقة فاعلة ومجدية لاختراق المشهد السائد حالياً والوصول مباشرة إلى الشريك المنتظر. في استطلاعنا، عندما سُئل المشتركون عن أفضل شيء بشأن المواعدة الإلكترونية، كانت أولى إجاباتهم: «يمكنني تضييق نطاق بحثي إلى أشخاص بمواصفات معينة» و«يمكنني التعرف على عدد كبير من الناس في وقت قصير». لم يعد الزواج أمراً مسلماً به بعد الآن. إذا أردت أن تلتقي الشخص المنشود، ينبغي أن تعرض نفسك افتراضياً على الشبكة.

في الواقع، في عالم يشدد باطراد على الحرية الفردية، لا يبدو أن ترك رفيق روحك يبحث في لوائح الأعزاب، ضمن علاقات المكاتب، وبين أصدقاء الأصدقاء أمر سلبي فحسب، وإنما إهمال صريح أيضاً. هناك 6 مليارات نسمة في العالم، لكن حفنة قليلة منهم فقط هي التي توجد في فضائك اليومي. إذا أردت الحب فعلاً فتقدم إلى الأمام وابحث قليلاً، واجعل سهم كيوبيد يحقق إصابة بالغة.

بينما ينمو عدد حالات الزواج عبر الإنترنت، هناك عدة أشياء يمكن أن نتوقعها. أولاً، المزيد من حالات زواج المسيار. كان عدد الأمريكيين الذين يختارون نمط العيش ذاك قد وصل إلى نحو 5.5 ملايين شخص، لكن نظراً لأن عدد حالات الزواج عبر الإنترنت ستنتشر على الأرجح بين أشخاص يعيشون في مدن مختلفة -ومرتاحين أصلاً لذلك النوع من الاتصال والعلاقة، عبر الشبكة- يبدو على الأرجح أن نزعة زواج المسيار آخذة في النمو.

ثانياً، ينبغي أن نتوقع حالات زواج أكثر تنوعاً بين الأعراق والجنسيات. يبدو أن تنوع الزواج آخذ في النمو أيضاً - لكن حالما يتسع سوق المواعدة، ولا يبقى محدوداً بالمجتمع التقليدي أو الروابط المحلية، سيحظى رفاق الروح بحرية أكبر للعثور على بعضهم . (بالطبع، سيكون الأمر أسهل على أشخاص من أقليات عرقية أو دينية يرغبون في العثور على أشخاص مثلهم، أيضاً. اذهب فقط إلى مواقع www. EligibleGreek.com، www.EthiopeanPersonals.com، www.Muslima. com، أو أي من عشرات مواقع المواعدة العرقية الأخرى التي يمكنك العثور عليها بمجرد الضغط على فأرة الحاسب).

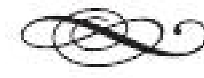
ثالثاً، البحث عن العلاج النفسي إلكترونياً. على الرغم من أن الزواج عبر الإنترنت يتمتع بميزة تحديد نطاق البحث عن الشريك الآخر، إلا أنه يضحي على الأرجح بما يبدو أنه حجر الزاوية في عالم المواعدة: الحصول على رأي قريب، رفيق السكن، أو زميل يعرف في الواقع الطرف الآخر قبلك. الآن، مع تسارع وتيرة العلاقات أكثر فأكثر دون أن تكون لها جذور عائلية، قد تظهر بعض المفاجآت التي تستدعي الحصول على استشارات من نوع جديد. في استطلاعنا، قال أزواج الإنترنت (كان معظمهم قد أمضى سنة على الأقل على تلك المواقع، تذكر): إن الجزء الأسوأ حتى الآن بشأن مواعدة الإنترنت هو أن الأشخاص الذين تلتقيهم ربما يكذبون عند تقديم أنفسهم. وبين أزواج الإنترنت الذين قالوا: إن اللقاء الإلكتروني أمر سلبي، كان الشيء الأكثر بروزاً هو أنهم لم يتعرفوا بما فيه الكفاية إلى خلفية أزواجهم و/أو عائلاتهم.

رابعاً، ابحث عن شبكة أمان إلكترونية عندما يتعلق الأمر بعائلات أزواج الإنترنت. سينشأ أولاد هذين الزوجين الذين يسمعون أن والدتهم ووالدهم وقعا في حب بعضهما عبر رسائل البريد الإلكتروني وغرف الدردشة. كيف سيستطيع هؤلاء الآباء إقناع أولادهم بإغلاق أجهزة الحاسب؟ والأكثر خطورة، هل سيتجاوز هؤلاء الأولاد شبكة الأمان الإلكترونية عندما يتعلق الأمر بالتحدث إلى غرباء عبر الشبكة؟

مثل عشّاق المكاتب، يحتاج أزواج الإنترنت إلى مجتمع خاص بهم، يتبادلون فيه التجارب، والدروس، والتحدّيات، والدعابات. عبر هذا الكتاب، أفكر في الحاجة لمثل تلك المجتمعات الخاصة بالعديد من المجموعات المجهرية. لكن في هذه الحالة، لدي إثبات حقيقي: بينما يقول 37 % فقط من أزواج الإنترنت: إنهم يعرفون بضع أزواج على الأقل التقوا إلكترونياً، يقول 82 % : إنهم سيرغبون في ذلك.

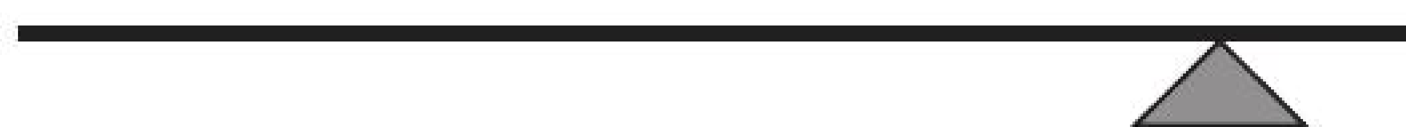
ربما يتساءل المشككون عن مدى جدّية وعمق العلاقات التي تنشأ في كنف الإنترنت، ويقولون: إن الناس الذين يتم العثور عليهم عبر الشبكة يعودون إليها أيضاً. لكن ما عرفناه لدى استطلاع آرائهم كان مختلفاً - اختاروا شركاءهم بعد تمحيص كثير من الخيارات، وقد بدؤوا علاقاتهم على أسس قوية جداً.

نحن بعيدون تماماً عن انتشار حالات الزواج عبر الإنترنت بأعداد كبيرة، وسيكون مثيراً للاهتمام رؤية إن كان ذلك سينمو فعلاً ليصبح الطريقة االرئيسة في المواعدة، ويستقر على تلك الحال. لكن ابدؤوا النظر حولكم - إلى جانب أحذية الأطفال المزوّدة بقطع برونزية، هل يضع أزواج الإنترنت إعلانات ليجتمعوا معاً؟ إذا كان الأمر كذلك، فستكون وصمة التسعينيات المتعلقة بالمواعدة الإلكترونية قد انتهت، وحل مكانها فخر البحث في الأرض، وعلى الإنترنت عن الشخص المنشود.

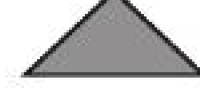


الفصل 2

الحياة العملية



المتقاعدون العاملون

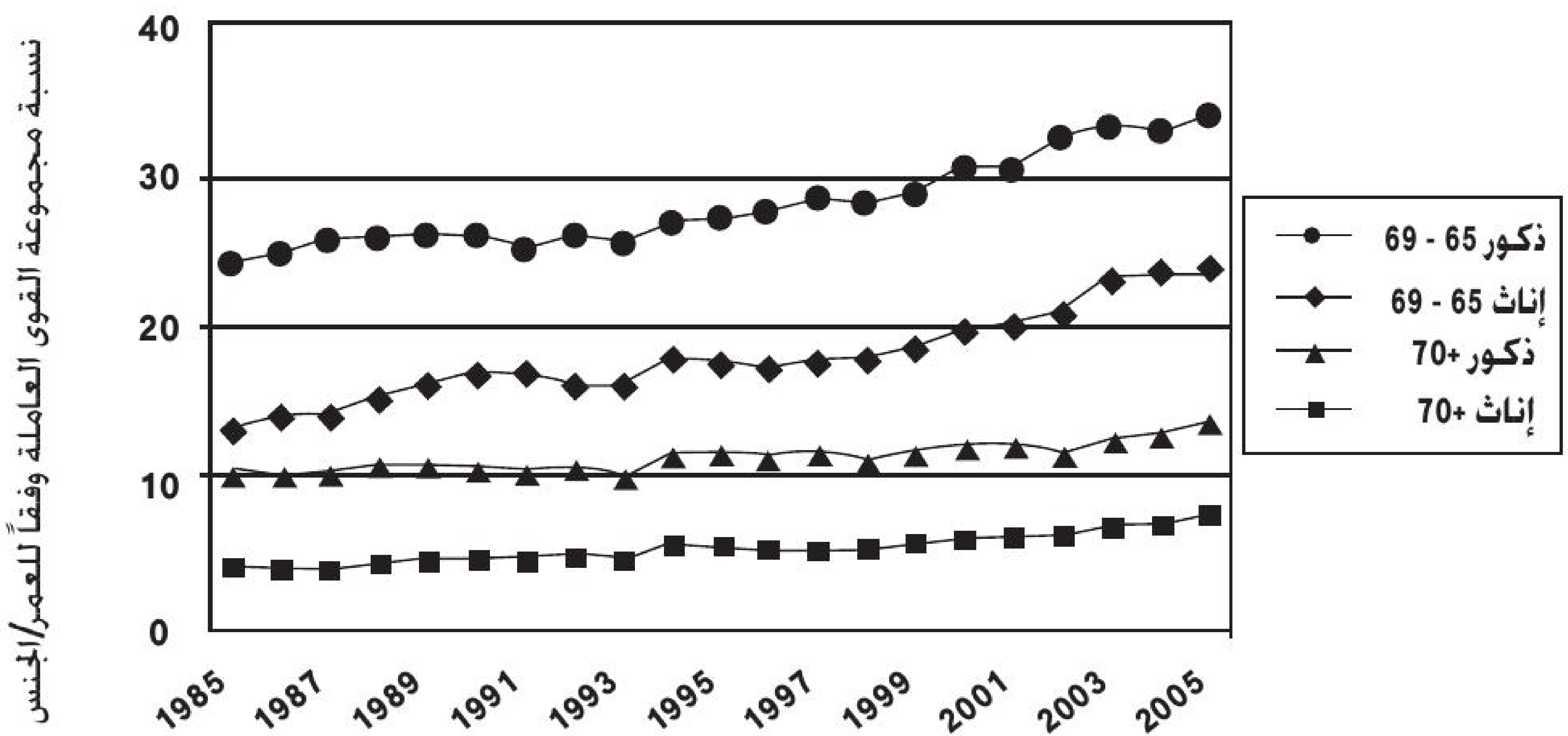


هناك أرقام سحرية قليلة في الحياة الأمريكية المدنية. يمكنك التصويت (ويتم استدعاؤك للخدمة العسكرية) في عمر 18 سنة. يمكنك أن تشرب في عمر 21 سنة. يمكنك أن تصبح رئيساً في عمر 35 سنة. يمكنك أن تتقاعد في عمر 65 سنة.

لكن فيما يتعلق بالرقم الأخير ذاك – هل يريد الأمريكيون ذلك حقاً؟ يعيش كثير من الأمريكيين الآن في صحة جيدة حتى 85 سنة، وأعداد الذين يتقاعدون في عمر 65 تصبح أقل شيئاً فشيئاً. اليوم، هناك 5 ملايين شخص أعمارهم 65 سنة في سوق العمل في الولايات المتحدة، وهذا يعادل تقريباً ضعف ما كانوا عليه في بداية الثمانينيات. وذلك الرقم على وشك أن يزداد.

نسبة القوى العاملة الأمريكية من الرجال والنساء في عمر 65+

1985 – 2005



المصدر: دراسة إحصائية حالية، مكتب إحصائيات العمل، 2006

يعمل بعض الناس بعد عمر 65 لأنه ينبغي لهم ذلك: تكاليف الرعاية الصحية ترتفع، ودفعات الضمان الاجتماعي -بمعدل نحو 1 000 دولار شهرياً- لا تغطي النفقات كما كانت من قبل. لكن النزعة الأكبر في وظائف العمل الإداري هي حقيقة أن الأمريكيين يحبون العمل - وطالما نعيش مدة أطول الآن، نريد أن نعمل مدة أطول أيضاً. لا نستطيع ببساطة الحصول على ما يكفي. صديقي ومستشاري هارولد بورسن، الشريك المؤسس لشركة بورسن مارستلر للعلاقات العامة الدولية، التي شغل فيها منصب الرئيس التنفيذي، بلغ من العمر 86. ويأتي إلى العمل كل يوم، مليئاً بالأفكار الجديدة.

بالمعدل، يعمل الأمريكيون ما يزيد عن 1 800 ساعة سنوياً، وهذا يزيد كثيراً عن معدل ساعات العمل في كل أنحاء العالم. بالرغم من أننا لا نحصل على كثير من الإجازات في أثناء السنة مقارنة بالدول الغربية (ثلاثة عشر يوماً، مقارنة بثمانية وعشرين في بريطانيا العظمى، وسبعة وثلاثين في فرنسة)، إلا أننا لا نعمل فيما يزيد على ضعف تلك المدة. وحقاً، ما الذي قد تعنيه الإجازة لنا هذه الأيام دون الاهتمام بالعمل؟ في سنة 2006. تفقّد نحو ربعنا (23 %) بريدهم الإلكتروني والصوتي من بعيد - ارتفاعاً من 16 % سنة 2005. كثير منا يحبون أن يعملوا.

في الواقع، حافز العمل مهم جداً وتقول الوصية الرابعة (الثالثة بالنسبة للكاثوليك) بضرورة أخذ إجازة يوم واحد في الأسبوع. يترافق الخلود إلى الراحة يوماً في الأسبوع مع الامتناع عن القتل، وعدم الوقوع في الزنا، وعدم السرقة. ننحو لأن نفترض أن معظم الناس يريدون إجازة - ينتظرون طوال الأسبوع حتى ظهيرة يوم الجمعة؛ ليرتاحوا من عبء العمل. حتى أكون واضحاً، كثير من الأعمال مروعة -حتى إنها تهدد الحياة - ويكون منطقياً ألا يطيق الناس الانتظار للذهاب إلى المنزل. لكن بما أن معظم الأعمال قد أصبحت إدارية، استشارية، وتعتمد على برامج الحاسب -والوظائف الصناعية في تراجع مستمر- قام كثير من الناس بتغيير موقفهم من العمل، وقد ازداد عدد المدمنين على العمل على نحو كبير. كم مرة سمعت القول المأثور: «العمر ينتهي والشغل لا ينتهي»؟ وبالرغم من ذلك، يفعل كثير من الناس ذلك. سيصاب جيل الشطائر بصدمة عندما

يتصلون بالآباء والأمهات الذين يبلغون من العمر سبعين عاماً في مكاتبهم، ويكتشفون أنهم مشغولون للغاية لمجالسة الأحفاد.

ما يضيف إلى هوس أمريكة العام بالعمل حقيقة أن الجيل المزدهر الجديد يقترب من 65. وأصبح واضحاً أن فكرة «التقاعد» التقليدية -مع الساعة الذهبية، والكرسي الهزّاز، ومسلك الغولف- ليست سوى استعداد للتقاعد نفسه.

أعاد أولئك المنتعشون مادياً تعريف الشباب في الستينيات والنجاح الاقتصادي في الثمانينيات؛ ولن يعيشوا ما تبقى من سنوات حياتهم وفقاً لما يمليه عليهم شخص آخر. وفقاً لدراسة نفّذتها ميريل لينش Merrill Lynch سنة 2005. قال 3 من كل 4 ممن يُعدّ دخلهم كبيراً: إنهم لا يسعون للتقاعد مبكراً. بدلاً من ذلك، كانوا يتطلعون قدماً إلى السنوات العشرين القادمة من عمرهم (عندما تم إنشاء الضمان الاجتماعي سنة 1935. كانت التوقعات تشير إلى أن الشخص الذي يبلغ من العمر 65 سنة لن يعيش أكثر من ثلاث عشرة سنة أخرى) - وكانوا يقولون: «دعونا نتقاعد». يرغب بعضهم الحفاظ على تأمينهم الصحي، أو الحصول على أموال تكفي سنواتهم الإضافية - لكن كثيراً من الذين استُطلعت آراؤهم قالوا: إنهم يرغبون في متابعة العمل؛ للحفاظ على نشاطهم الذهني والجسدي والبقاء على تواصل مع الناس.

وكانت تغييرات حديثة في بيئة العمل قد جعلت تلك الرغبات ممكنة. عندما تتطلب المزيد من الأعمال قوة عمل جسدية، ربما يكون ذلك في غير صالح الأشخاص الأكبر سناً الذين يعانون من المرض أو الألم. على أي حال، جعلت أدوية مثل سيلبركس Celebrex ملايين الأمريكيين يواصلون العمل بالرغم من آلامهم. وإذا انتهى الأمر بالعمال الأكبر سناً فهم مصابون بضعف جسدي، فإن «قانون الإعاقات» الأمريكي يساعد على جعل أماكن عملهم أكثر ملاءمة لهم.

المتقاعدون العاملون يعنون أشياء كثيرة لأمريكة. من ناحية رقمية بحتة، ذلك يعني وجود قوة عمل أكبر كثيراً مما قد يتوقع أي شخص. كل سنة، يصل ما يزيد قليلاً عن 2 مليوني أمريكي إلى عمر 65. إذا قرر نصفهم فقط متابعة العمل، فسيعني ذلك أكثر

من 1 مليون مشارك غير متوقع في قوة العمل - أو ما يعادل نحو 1 % إضافية من عدد العمال الحاليين.

سيكون لذلك تأثيرات كبيرة. أولاً، سيسبب ذلك ضغطاً على الموظفين الأصغر سناً، الذين كانوا ينتظرون دورهم لتولي زمام الأمور. إذا لم يستطع الناس فجأة أن يصبحوا مديرين ونواباً لرؤساء سوى بعد بلوغهم سن 40، بدلاً من 35، فهل سيبقون حقاً في مواقعهم وينتظرون؟ إذا فعلوا ذلك، فهل سينتج عن ذلك قادة أكثر سلبية — لأن الأكثر نشاطاً سيغادرون ويبدؤون مشروعاتهم الخاصة؟

لذلك تأثيرات أكبر، حتى بالنسبة لبعض الصناعات. ينحو العمال الأكبر سناً والأقل دخلاً إلى العمل في تجارة التجزئة، وغالباً بدوام جزئي؛ فيما ينحو العمال الأكبر سناً والأعلى دخلاً إلى أن يصبحوا مستشارين ومتعاقدين مستقلين، إما في مجال اختصاصهم أو في هواية يحبونها. وهم سيرغبون على الأرجح في إدارة عملهم الخاص: يحصل الموظفون الأكبر سناً على 7 % من التعاقدات المستقلة، مقارنة بـ2.5 % فقط من الموظفين المرتبطين بعقود تقليدية. لكن مهما يكن الأمر، يمكنك أن تتوقع مهمات سهلة لأقسام الموارد البشرية في هوم ديبوت Home Depot وسي-في-إس CVS. إضافة إلى شركات كثيرة في الحقول التقنية.

في كل الصناعات، يحتاج الموظفون إلى التكيف مع الواقع الجديد. وجدت دراسة ميريل لينش أنه لا توجد سوى بعض الشركات التي تركز على الموظفين كبار السن، وتتعامل معهم كما لو أنها تتعامل مع موظفين شبان موفوري الصحة لتخفض تكاليفها. لكن عندما يتعلق الأمر بحزمة الفوائد، ربما ستتنافس أولويات الموظفين الحالية مثل إجازة الأمومة والعناية بالأطفال مع خيارات «إجازات الشتاء» وتغطية تكاليف الأدوية. تماماً كما نجم عن الحركة النسائية خيارات جديدة مثل الدوام الجزئي والعمل من المنزل، توقع خيارات جديدة فيما يتعلق بأماكن العمل للأعمال الدورية والأشكال الأخرى غير التقليدية.

لا أحسد بناة نوادي الغولف أو ملاعبها - فأعداد المتقاعدين التي تقضي النهار كله في الملاعب ستتراجع على الأرجح مما سيحد من الطلب على تلك الأماكن. في الوقت نفسه،

ربما يصبح مكان العمل الأكثر ازدحاماً هو «مجتمعات التقاعد». وانظر إلى الأسواق المتنامية لكل من الحواسيب، والهواتف الخليوية، والأدوات المتنقلة المخصصة للمديرين، إضافة إلى زيادة استعمال نظارات القراءة.

سيؤثر المتقاعدون العاملون أيضاً في المشهد السياسي. يصوت المواطنون الأكبر سناً، ويولي الرجال والنساء العاملون بعض الاهتمام للاقتصاد عندما يعودون بشيكات رواتبهم إلى منازلهم. كان الناخبون كبار السن قد أصبحوا «ناخبي القيمة العالية» - خاصة الرجال دائمي الشكوى الطاعنين في السن. إن بقاءهم في سوق العمل يعني قيامهم بالتصويت على أساس يفيد الوظائف والاقتصاد دون إيلاء كبير اهتمام للقضايا الثقافية.

وانظر إلى التشريعات والقوانين الجديدة، خاصة قوانين التمييز الجديدة. منذ سنة 1978، أضحى غير قانوني إيقاف الموظفين عن العمل قبل بلوغهم سن 70. ومنذ سنة 1986 لم يعد هناك أي شكل إلزامي من التقاعد. لكنك لا تحصل حالياً على أي فوائد إضافية على تأجيل استلام دفعات الضمان الاجتماعي بعد سن 70. لماذا لا تكون 73؟

وماذا عن التمييز على أساس العمر؟ هل سيتم غض الطرف عن قضاء الموظفين الأكبر سناً وقتاً أطول في إنجاز المهام الموكلة إليهم؟ هل ستصبح «بيئة العمل عدائية» إذا تضمنت منافسات الوظيفة مسابقات عبر مواقع الإنترنت، بدلاً من ملاعب كرة السلة؟

نادراً ما تخيل أحد التأثيرات التجارية للمتقاعدين الموظفين. لا يزال تجار المنتجات «عالية الجودة» يركزون على نحو كبير على نوادي الغولف ومحبي رياضة المشي. ماذا عن مقاعد المكتب «الوثيرة» المناسبة لالتهاب المفاصل، وآلام الظهر، وجراحة الركبة؟ والمزيد من المنشآت المناسبة لقضاء مدة قيلولة للأشخاص كبار السن الذين يأتون إلى العمل في الساعة 7 صباحاً لكنهم يحتاجون إلى إغلاق عيونهم قليلاً بين 2 و2.30؟ وآرائك في كل رواق؟ وأطعمة خالية من الصوديوم في مطعم الشركة؟

سيكون للمتقاعدين العاملين تأثير كبير أيضاً على الحياة العائلية. ليس واضحاً كيف ستكون ردة فعل الزوجات عندما يختار الرجال فجأة البقاء في العمل بدلاً من قضاء سنواتهم الذهبية معهن. (هل ستكون تلك إهانة؟ أم مصدر راحة؟). وماذا عن الأولاد؟

لن يستطيعوا بعد الآن الاعتماد على والديهم لمجالسة أطفالهم؛ لأن الوالدين يعملان بجد مثلهما تماماً - يوحي هذا بأن تكاليف صناعة العناية بالأطفال سترتفع كثيراً.

وهناك تأثيرات تتعلق بالصحة العامة. أكثر من 1 مليون عامل إضافي كل سنة سيعني المزيد من الاختناق المروري على الطرقات. والحوادث - يكون السائقون في عمر 65 أو أكثر طرفاً في 7 % من كل حوادث الطرق، و10 % من كل الحوادث القاتلة.

لكن التأثير الكبير الحقيقي للمتقاعدين العاملين هو، أساساً، أن كل ما كنا نتوقعه في العقد الماضي أو نحو ذلك، فيما يتعلق بانهيار الضمان الاجتماعي، كان خاطئاً. لن يكون هناك، في الواقع، عشرة متقاعدين مقابل كل عامل واحد؛ لأن المتقاعدين سيكونون يعملون أيضاً. ستكون أعباء الضمان الاجتماعي الهائلة التي كنا نحذر منها أقل مما نتوقع، إلى درجة ما، نتيجة هذه النزعة - وإلى حدٍ كبير على حساب الناس الذين كان يفترض أن يستفيدوا منه. وفقاً ليوجين شتورل، اقتصادي في معهد أوربان Urban. إذا عمل كل شخص سنة واحدة فقط بعد سن التقاعد المتوقع، فسنعوض بالكامل النقص المتوقع بين الفوائد والضرائب في تأمين العصر الذهبي من الضمان الاجتماعي. إذا عمل كل شخص خمس سنوات إضافية، فستكون الضرائب الإضافية وحدها التي ستحصل عليها الحكومة أكبر من ذلك النقص.

هل هناك تأثير أكبر من ذلك؟

حسناً - ربما؛ قد يطيل المتقاعد العامل في الواقع من حياته نفسها. كانت كثير من الدراسات قد أظهرت أن الجسد والذهن النشيطين يشكلان عاملين أساسيين لزيادة سنوات التمتع بصحة جيدة. هل نحن على قمة جبل جليدي فقط لتوقع حياة أطول؟ ربما يصل المزيد والمزيد منا إلى عمر 100 - ليس من وجبات الطعام الجديدة الصحية والتمارين الرياضية، وإنما من دفع الساعة إلى ما بعد 65؟

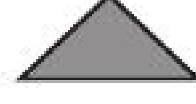
وربما يستطيع المتقاعد العامل إنقاذ العائلة - قد يبدو ذلك أمراً يصعب على الأزواج والأولاد استيعابه بادئ الأمر. إذا استطاع شخص ما العمل فعلاً حتى يبلغ 90 سنة، فهل سيكون ذلك صمام أمان لمعضلة العائلة العاملة؟ هل تستطيع الأمهات (أو الآباء)

القيام الآن بتربية الأولاد فقط بين عمري 23 و43 - ثم قضاء 50 سنة في العمل؟ تخبرنا دراسات عن صيادي أسماك أن أهم أولوياتهم في الحياة هي جني كثير من المال وإنشاء عائلة. هل يستطيعون -على المدى الطويل- القيام بكلا الأمرين إذا أصبحت «سنوات العمل» فجأة أطول عشرين عاماً مما اعتادوا عليه؟

ما كانت تُعدّ «سنوات ذهبية» أصبحت الآن، في أذهان الأمريكيين كبار السن، «فرصاً ذهبية». نعم، قد ينجم عن هذا التطور زيادة في الحوادث المرورية، ويدفع بالجيل الأصغر إلى إقامة مشروعاته الخاصة به - لكنه يعمل في الوقت نفسه على تفادي حدوث أزمة في نظام الضمان الاجتماعي في أمريكة، ويطيل العمر، وينقذ العائلة الأمريكية.



الانتقال من المنازل وإلى أماكن العمل



ربما لا توجد تجربة مشتركة في أمريكة مثل العادة اليومية في الانتقال ذهاباً وإياباً من العمل. يعمل منا نحو 150 مليون شخص، 3 % فقط في المنزل. لهذا نغادر جميعنا تقريباً -نحو 145 مليون شخص- منازلنا كل صباح، ننتقل إلى مكان العمل، ونعود أدراجنا في المساء.

قبل سنوات، كانت هناك دراسات تقول: إن الناس لن يتحملوا انتقالاً أطول من خمس وأربعين دقيقة. حسناً، نحن نتقدم هنا: معدلنا الحالي هو 25 دقيقة الآن، زيادة بنحو 20 % منذ سنة 1980. وفقاً لتقرير بزنس ويك Business Week سنة 2005. في سنة 1990 لم يغادر سوى 24 % من كل العاملين مقاطعات منازلهم للذهاب إلى العمل. الآن، 50 % من الموظفين الجدد يفعلون ذلك.

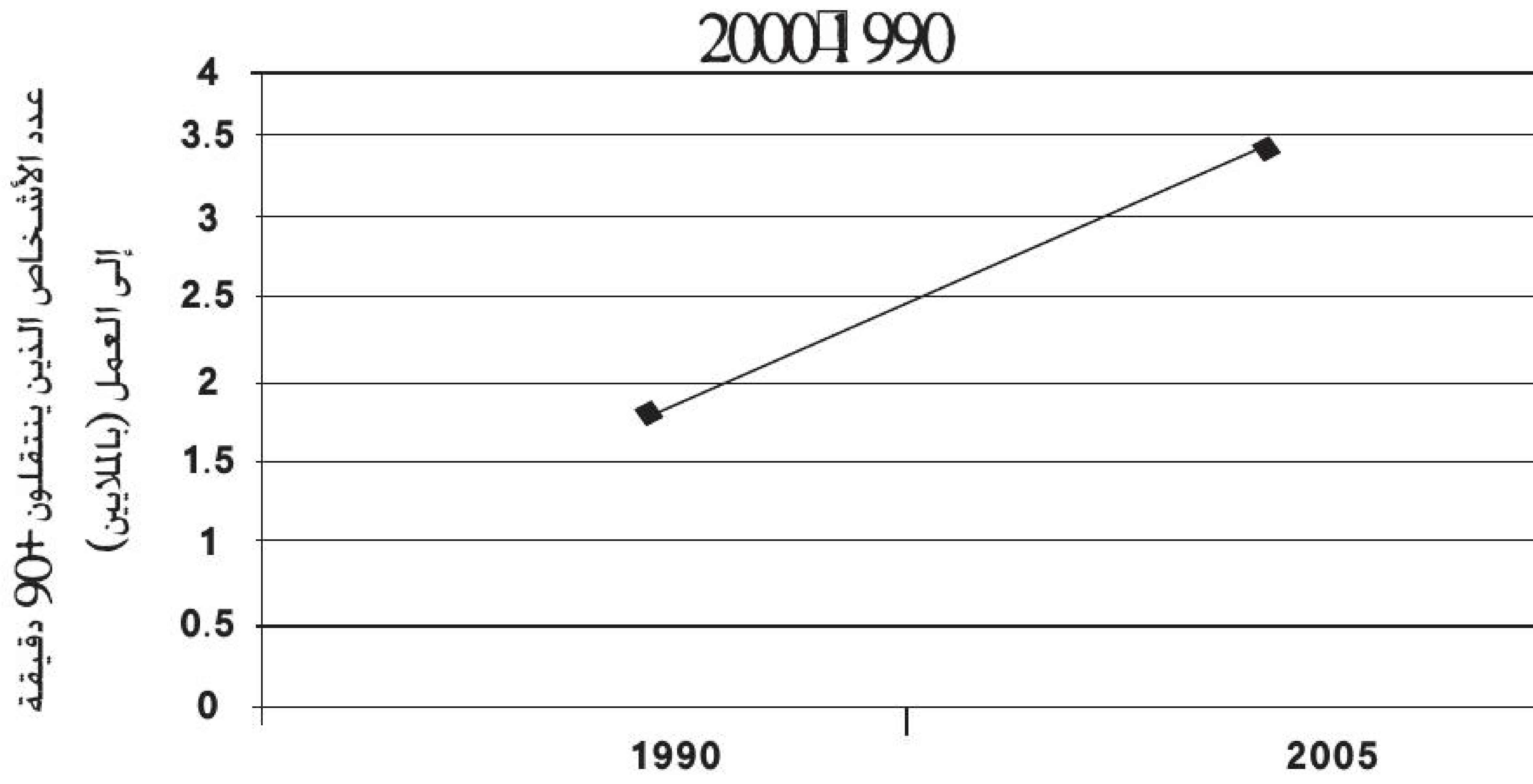
تتسع المسافة الكبيرة بين أماكن العمل ومنازل العمال؛ لأن الوظائف تنتقل إلى الضواحي، والعمال يغادرون إلى «الضواحي الخارجية». يشبه الأمر مطاردة كبيرة إلى الحلقات الخارجية، حيث يدفع المزيد من الناس ثمن الانتقال. لكن نتيجة لذلك، في سنة 2000. قضى نحو 10 ملايين أمريكي أكثر من ساعة في الانتقال إلى العمل — ارتفع العدد من نحو 7 ملايين قبل عشر سنوات.

وعند الحد الأقصى لهذه النزعة -كما سمّاها «مكتب الإحصاء»- هناك «أكثر الأشخاص انتقالاً» الذين يقضون على الأقل 90 دقيقة في الاتجاهين للوصول إلى العمل. في سنة 2000. كان هناك 3.4 ملايين عامل يقضون ذلك الوقت في الانتقال في أمريكة وهذا يعادل تقريباً ضعف العدد قبل عشر سنوات.

أضحى الانتقال الطويل ظاهرة دفعت بميداس موفلر في ربيع 2006 إلى تنظيم مسابقة لمكافأة «الشخص الذي يقطع أطول مسافة إلى العمل في أمريكة». جذبت المسابقة آلاف

المشاركين، ومنح ميداس الجائزة إلى ديفيد غيفنز من ماريبوسا، كاليفورنيا الذي يقود سيارته 372 ميلاً في الذهاب والإياب كل يوم إلى عمله في شركة سيسكو Cisco في سان خوسيه. (يغادر منزله كل صباح في الساعة 4:30، يتوقف مرة واحدة لتناول القهوة، ويكون على مكتبه في سيسكو الساعة 7:45. عند الساعة 5:00 بعد الظهر، يعود أدراجه، ويصل المنزل نحو 8:30).

الانتقال من المنزل وإلى مكان العمل في أمريكة



المصدر: مكتب الإحصاء الأمريكي. رحلة العمل. 2000

من هم أولئك العاملون الذين يبلغ عددهم 3.4 ملايين شخص، ويقطعون مسافات طويلة من منازلهم وإلى أماكن عملهم، ولماذا يعملون في أماكن بعيدة جداً عن منازلهم؟

على الأغلب، لا يستطيع الأشخاص الذين يعيشون بعيداً عن أعمالهم تحمل نفقات العيش قريباً منها. كانت أسعار المنازل الجديدة قد تضاعفت ثلاث مرات تقريباً منذ منتصف الثمانينيات، ووصل معدل ثمنها الآن إلى 300.000 دولار. لا يستطيع الناس شراء منازل في المناطق الحضرية الرئيسة، حيث يعملون. وفقاً لبيانات مكتب الإحصاء، الولاية التي شهدت أكبر زيادة في وقت الانتقال من المنزل وإلى العمل بين سنتي 2002 و2003 كانت فيرجينيا الغربية – حيث لا تزال المساكن متوافرة، لكن أعمالاً أكثر إغراءً

في واشنطن العاصمة، وبنسلفانيا، وأوهايو تجذب العاملين إلى خارج الولاية من الساعة 9 إلى 5 (أو، إذا أخذت زمن الانتقال في الحسبان، من 4:30 صباحاً إلى 8:30 مساءً).

يقوم موظفون آخرون بالانتقال مسافات طويلة من منازلهم وإلى أعمالهم لتحسين حياتهم. نظراً لتراجع أسعار الأراضي كلما ابتعدت عن المدن، يقرر الناس تحمّل مشقة الانتقال الطويل من أجل الحصول على منزل أكبر، وحديقة أكبر، وازدحام أقل، وجريمة أقل. ناهيك عن ذكر الطبيعة. يقضي نحو 25.000 شخص من جبال بوكونو في بنسلفانيا ساعات في الانتقال من المنازل وإلى مدينة نيويورك كل يوم في الأسبوع - لكن في عطلات نهاية الأسبوع، يستمتعون بالتنزّه، والتزلج، وهواء الجبال المنعش.

ويقطع بعض الأزواج ثنائيي الدخل مسافات طويلة ليس لأسباب اقتصادية أو تحسين نمط العيش، وإنما لضرورة الوجود قرب بعضهم. يزداد عدد الأسر التي يعمل فيها الزوجان، وكذلك فرص أن يضطر أحدهما أو كلاهما للقيام برحلة إلى مكان عمله. كانت برنستون، نيوجرسي، الشهيرة بالجامعات قد أضحت أيضاً ضاحية ذائعة الصيت لأزواج ينبغي عليهم الانتقال إلى كل من مدينة نيويورك وفيلادلفيا.

بالفعل، أسوأ الأماكن التي ينبغي الانتقال منها وإليها هي المناطق الحضرية في نيويورك وواشنطن العاصمة - بمعدل أربع وثلاثين وثلاث وثلاثين دقيقة، على الترتيب. واضح تماماً أن مسافات الانتقال الطويلة تلك، إضافة إلى أسعار الوقود المرتفعة، تدفع الناس إلى العودة إلى وسائل النقل العام.

لكن بالرغم من ذلك، يستيقظ ما يزيد عن 3 ملايين شخص -نسبة 1% السحرية لنزعة مجهرية — مع النجوم ويقطعون حدود الولاية وحتى المناطق الزمنية للوصول إلى أعمالهم؛ وربما يرغب واضعو السياسات العامة، ومسؤولو الصحة العامة، وعالم الأعمال في ملاحظة ذلك.

أولاً، هذه مجموعة يهمها كثيراً أسعار الوقود. يقود 76 % من كل هؤلاء الموظفين سياراتهم وحيدين إلى أعمالهم، والنسبة أكبر لدى أولئك الذين يقطعون مسافات طويلة جداً. (صعب حقاً أن تقود سيارتك ابتداءً من الساعة 4:30 صباحاً، أو 125 ميلاً في رحلة

ذهاب وإياب من العمل). يمكن لأسعار الوقود أن تفيد أو تسيء لمهن هذه المجموعة. قال السيد غيفنز، الفائز بجائزة ميداس موفلر للشخص الذي ينتقل أطول مسافة من منزله وإلى مكان عمله: إنه كان ينفق نحو 800 دولار كل شهر على الوقود. استشاطت إحدى السيدات اللواتي يقطعن مسافة طويلة إلى عملهن في كاليفورنيا الشمالية غضباً عندما قال الرئيس جورج دبليو. بوش في خطاب «حالة الاتحاد» سنة 2006: إن الأمريكيين «مدمنون للنفط». سألت: «هل نحن كذلك، أم أننا نحاول فقط الوصول إلى أعمالنا؟». قد لا يمانع الأشخاص الذين يسكنون في المدن فرض ضريبة على الوقود، لكن هؤلاء الملايين الثلاثة لن يصوّتوا البتة لمرشح يريد فرض مثل تلك الضريبة.

الأشخاص الذين يقطعون مسافات طويلة من منازلهم وإلى أماكن عملهم عرضة أيضاً لمخاطر كبيرة تنجم عن تصرفات خطيرة مثل غضب الطريق، إضافة إلى المشكلات الصحية. كان الطبيب جون هـ. كاسادا، المختص في إجهاد السفر، قد قال: إنه كلما كانت المسافة التي يقطعها الناس أطول، زادت على الأرجح معاناتهم من غضب الطريق – الذي قد يقود ليس إلى العنف فقط، وإنما إلى إصابتهم بنوبات قلبية، وجلطات، وقرحة.

يكون الأشخاص الذين يقطعون مسافات طويلة يومياً أكثر عرضة أيضاً للبدانة. كانت أبحاث في معهد جورجيا التقني قد أظهرت أن كل ثلاثين دقيقة من قيادة السيارة تزيد خطر البدانة بنسبة 3 %. في استطلاع أجرته أيه-بي-سي ABC/واشنطن بوست Washington Post عن حركة المرور سنة 2005. قال 4 من كل 10 سائقين: إنهم عندما يعلقون في زحمة السير، يتناولون طعاماً.

وجد روبرت بوتنام في كتابه لعب البولينغ وحيداً سنة 2000 أنه مقابل كل عشر دقائق إضافية تقضيها في الانتقال، تخسر 10% من الوقت المخصص للعائلة والأنشطة الاجتماعية (إلا، بالطبع، إن كنت تأخذ أطفالك معك إلى حضانة في مكان عملك). لكن بما أن العديد من الأشخاص الذين يقضون وقتاً طويلاً في الانتقال لا يمانعون ذلك مقابل الاستمتاع بحياة البلدات الصغيرة، يبدو ذلك على وجه الخصوص مؤسفاً، أو يتطلب تضحية بالذات. يقوم العديد من هؤلاء بذلك من أجل عائلاتهم – لمنحهم حياة أفضل

مع مدارس أفضل. ينتظر آخرون نهاية عطلة الأسبوع؛ للاستمتاع بالسبب الذي يجعلهم يقطعون كل تلك المسافة في أثناء الأسبوع.

هناك مفاهيم تجارية مهمة لمجموعة الأشخاص الذين يقطعون مسافات طويلة من منازلهم إلى أماكن عملهم. وفقاً لتقرير نيوزويك Newsweek سنة 2006. أضحت المطاعم تحضّر وجبات سريعة كاملة يمكن وضعها في أكواب، وتأتي بعض السيارات الآن مزوّدة بالمزيد من حاملات الأكواب. تضع محطات الوقود قوائم تعمل باللمس عند المضخات، ويمكن للناس عبرها طلب شطائر فيما يملؤون خزّانات سياراتهم ويتسلمونها جاهزة عند مغادرتهم. تأتي أنظمة الملاحة عبر الأقمار الاصطناعية الآن مع خيارات سير بالزمن الحقيقي؛ لتساعد السائقين في تفادي الازدحام المروري. ساحة المعركة الآتية، كما يقول المراقبون، هي المقاعد الوثيرة. سيكون الأشخاص الذين يقضون أكثر من ثلاث ساعات كل يوم خلف المقود على الأرجح مهتمين بميزات تحقق لهم راحة إضافية مثل تدليك الظهر. (حتى الآن، لم يطوّر أحد مرحاض سيارة محمولاً، ومقبولاً اجتماعياً، وصحياً).

أخيراً، يشكل الأشخاص الذين يقطعون مسافات طويلة من منازلهم إلى أماكن عملهم مجموعة لديها وقت من ذهب. تدّعي بعض شركات الصوتيات أنك لا تحتاج سوى ست عشرة ساعة من أشرطة اللغة التي تبيعها للانتقال من المستوى صفر في الإسبانية إلى الإتقان الكامل. بذلك المعدل، يمكن لتلك المجموعة التي يستمع أفرادها إلى تلك الأشرطة في السيارة إتقان الإسبانية في أسبوع دون التخلي عن أي أنشطة أخرى. وبعد شهرين، يمكن أن يعملوا مترجمين في الأمم المتحدة، إذا لم يكونوا راضين عن أعمالهم الحالية.

أو كتب على أشرطة. قاطعو المسافات الطويلة هم أنداد النقل لقارئي السرعة. يمكنهم استعراض الحرب والسلم في اثني عشر يوماً، أو شيفرة دافنشي في خمسة.

قال ليندون جونسون: إنه يعلن حرباً على الفقر وأطلق حملة ضخمة لتجديد المدن؛ لأن 95 % من الأمريكيين، كما توقع، كانوا سيعيشون في المدن. لكن في الواقع، انتشر الناس في كل أنحاء البلاد إلى الضواحي، وما خلفها بسرعة أكبر مما كان أحد يتوقع.

(يثبت هذا مدى صعوبة وضع افتراضات حول ما ستبدو عليه أمريكة بعد خمسين سنة من الآن - في حين تركّز على بعض النزعات الكبيرة، تنساب بعض النزعات المجهرية الأخرى وتقلب توقعاتك رأساً على عقب). أرباب العمل الذين ينتقلون إلى الضواحي يقتربون فعلاً من بعض القوى العاملة. لكن بالنسبة لمجموعة كاملة من العمال الآخرين، كل ما تفعله إعادة تمركز أرباب عملهم هو تشجيعهم على الانتقال بعيداً - هذا يعني بالنسبة للكثير من الناس أن أهم شيء هو منزل، وحديقة، وحياة هادئة، بغض النظر عن التكلفة بالمال أو الوقت.

خلاصة القول: إن المزيد والمزيد من الأمريكيين يوجدون على الطريق - لكن ليس مثل جاك كيرواك، يفعلون ذلك للعثور على أنفسهم. إنهم يبحثون، على الأرجح، عن فنجان من القهوة ووجبة سريعة، يأملون أن يكون الازدحام مقبولاً اليوم، ويعرفون أنهم سيسلكون الطريق نفسه تماماً غداً.



الصورة الدولية

عندما أسست المفوضية الاقتصادية الأوروبية سنة 1957، كانت مهمتها إزالة الحواجز التجارية وضمان حرية سفر كل الأوروبيين بين الدول الأعضاء. لم يكن المؤسس جان مونيه يعرف أن «حرية السفر» ستزيد من المسافات التي يقطعها الأوروبيون اليوم - وحتى الانتقال مسافات طويلة جداً على متن طائرات نفاثة.

ضمن أوروبة فاز البريطانيون بجائزة أطول معدل انتقال للموظفين (من منازلهم وإلى أماكن عملهم) بخمس وأربعين دقيقة - أطول بعشرين دقيقة من معدل انتقال الموظفين في الولايات المتحدة. المعدل الكلي لانتقال الموظفين في الاتحاد الأوروبي (خليفة المفوضية الاقتصادية الأوروبية) هو ثمانٍ وثلاثون دقيقة، ويبلغ في إيطالية ثلاثاً وعشرين وفي ألمانية أربعاً وأربعين دقيقة.

لكن القصة المثيرة للاهتمام لا تكمن في وقت الانتقال الممل فقط، وإنما في العدد الكبير للأميال التي يقطعها كثير من هؤلاء طواعية. نصف عدد المسافرين في قطار السرعة العالية، يوروستار Eurostar، الذي يقطع ما يزيد عن 200 ميل بين فرنسة وإنكلترة هم من الموظفين - أشخاص يعيشون أساساً في فرنسا ويعملون في لندن. (في سنة 2007، وللمرة الأولى على الإطلاق، أقام مرشح للرئاسة الفرنسية تجمّعاً انتخابياً خارج فرنسة - محاولاً كسب أصوات نحو نصف مليون مواطن فرنسي يعيشون و/أو يعملون في لندن).

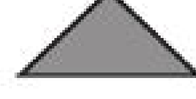
الأكثر إثارة للاهتمام هم الموظفون الذين يقطعون مسافات طويلة جداً من المنزل وإلى العمل، لكن ليس بالسيارة أو القطار، وإنما جواً على متن طائرات. كانت إحدى شركات السفر الجوي الأوروبية قد توقعت أنه بحلول سنة 2016 سيصل عدد الأشخاص الذين يعملون في المملكة المتحدة، لكن يعيشون في مكان آخر -وليس شمال فرنسا فقط، وإنما في برشلونة، وبالما، ودوبروفينك، وفيرونا أيضاً- إلى 1.5 مليون. تجعل تذاكر

السفر الرخيصة هذا الأمر ممكناً. في سنة 1994، لم تكن هناك أي شركة طيران تقدم تذاكر مخفّضة؛ وفي سنة 2005، وصل العدد إلى ستين. نقلت شركات طيران مثل ريانير Ryanair، إيزي-جت easyJet، وسكاي-يوروب Sky Europe نحو 200 مليون مسافر سنة 2003 وحدها.

على الرغم من أن السفر مسافات طويلة يزداد بسرعة في أوروبة، إلا أن الظاهرة ما تزال في مراحلها الأولى في آسية. تعرض بعض شركات طيران الأسعار المخفّضة مثل جت -ستار Jetstar، أواسيس Oasis، وإيرآسياإكس AirAsiaX تذاكر رخيصة، لكن لا يزال عليها منافسة شركات الطيران الحكومية. لكن يمكنك أن تتوقع أن يستفيد الآسيويون، أيضاً، من هذه النزعة حالما يستطيعون ذلك. يقضي الصينيون الآن ساعة أو أكثر في الانتقال إلى أماكن عملهم - عند أخذ ذلك في الحسبان، كيف يكون صعباً تنظيم رحلتي طيران يومياً للذهاب والإياب؟



أشخاص يعملون من المنزل

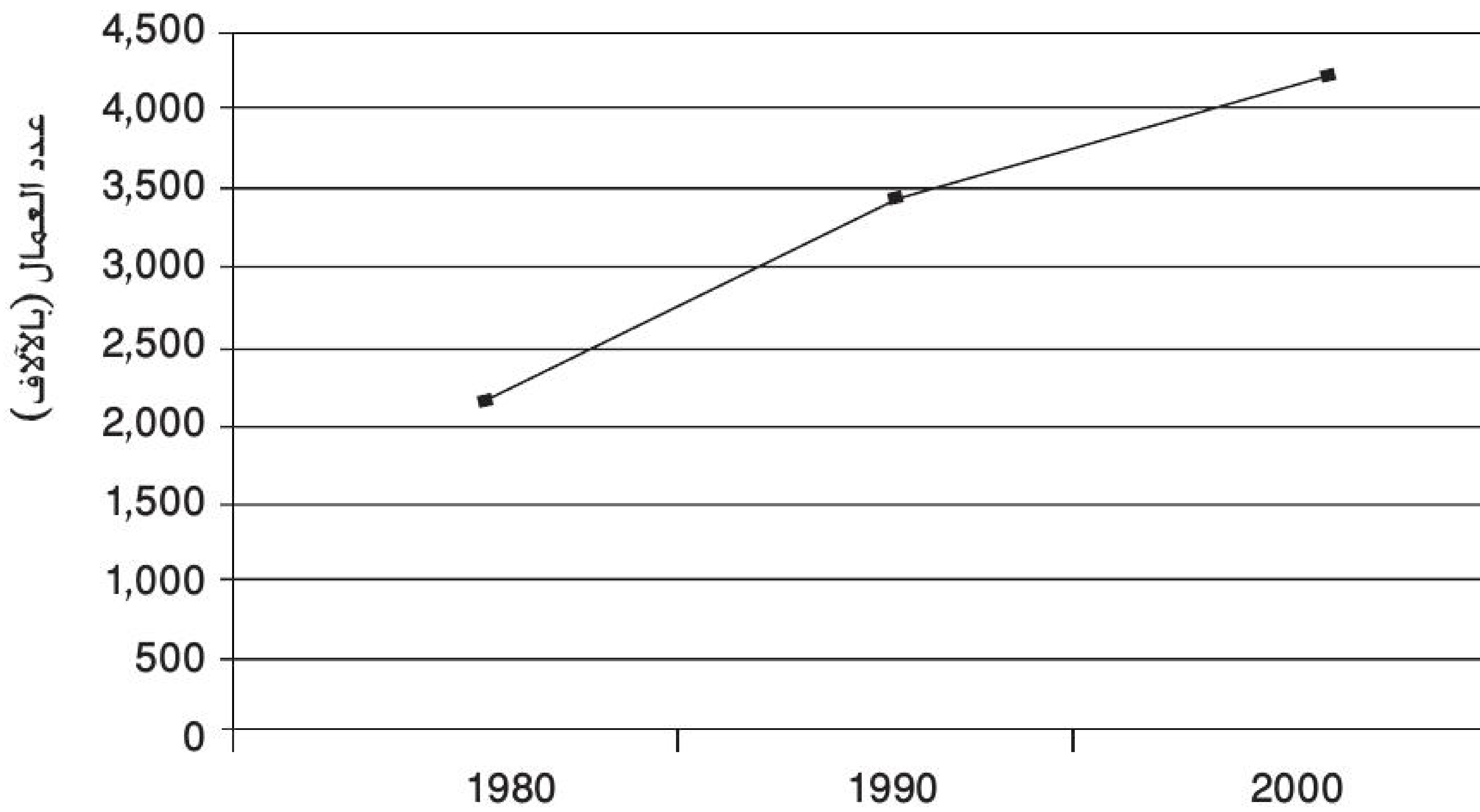


فيما يقود 3.4 ملايين أمريكي سياراتهم تسعين دقيقة أو أكثر إلى العمل كل يوم، ينتعل 4.2 أحذية خفيفة ويتجهون إلى مكتب المنزل، الذي ربما يكون عريناً منعزلاً بعيداً عن متناول أيدي الأطفال وله مدخل منفصل. أو ربما يكون السرير الذي أفاق عنه العامل للتو، وحيث يمكن للعامل/العاملة -حالما يتم إعادة الوسائد إلى مكانها، ترتيب السرير، ووضع الحاسب المحمول في المكان المخصص له- البدء بالإسهام في الإنتاجية في قوة العمل الأمريكية.

مهما يكن شكل العمل من المنزل، يمثل هؤلاء الـ4.2 ملايين أمريكي الذي يقومون به زيادة بنسبة 23 % عما كانوا عليه سنة 1990، وزيادة تقترب من 100 % عن سنة 1980.

عدد الموظفين الأمريكيين الذين يعملون من المنزل

1980–2000



المصدر: مكتب الإحصاء الأمريكي، 2000.

لا يتضمن هؤلاء العاملون من المنزل نحو 20 مليون أمريكي يعملون من بيوتهم «أحياناً». لا، هؤلاء هم أشخاص تقع مكاتبهم المعتادة على بعد خطوات فقط من فرشاة أسنانهم.

لماذا يعمل الناس من المنزل؟ غالباً ما يكون رعب الانتقال مسافات طويلة من المنازل وإلى أماكن العمل الذي وصفته في الفصل السابق سبباً كافياً - ربما يكون ذلك رائعاً لتفادي ساعات الازدحام، وتوفير نفقات الوقود، والتخفيف من تكلفة صيانة السيارة. تمتزج المتعة بالقدرة على البقاء بلباس النوم - الاستحمام اختياري.

يؤدي الضغط المتزايد لتحقيق توازن بين العمل والعائلة أيضاً إلى تفضيل العمل من المنزل. بالرغم من أنه ليس ممكناً على الأرجح أن يركز المرء على نحو كامل على العمل فيما يكون مسؤولاً أساساً عن أطفال (مستيقظين)، إلا أن العديد من العاملين داخل منازلهم يجدون أنهم أكثر إنتاجية في الساعات التي يكون فيها الأطفال في حضانة أو مدرسة.

لكن السبب الأكبر، بالطبع، لنمو ظاهرة العمل من المنزل قد يكون: الحواسيب المحمولة، وسرعة الاتصال العالية بالإنترنت، والهواتف الخليوية، وحتى هواتف الفيديو التي جعلت من الصعب تماماً تمييز المكاتب في المنزل عن تلك الموجودة في مباني الشركات، وقد أصبحت أخيراً متوافرة بقدرات وأسعار لم يكن ممكناً تخيلها البتة سنة 1980. لهذا سواء كنت تعمل لحساب نفسك أو لشخص آخر، ليس هناك فرق عملي تقريباً بالنسبة لزملائك أو عملائك فيما إذا كنت موجوداً في مكتب شركة أو عرين العائلة.

من هم العاملون من المنزل في أمريكا؟ ابتداءً من سنة 2000. 53 % نساء – مقارنة بـ 46 % فقط من العاملين في مكاتب الشركات من النساء. 88 % بيض. يمتلك 68 % منهم على الأقل شهادة جامعية، مقارنة بـ59 % من العاملين في مكاتب الشركات. النسبة الأكبر من هؤلاء تعمل في الإدارة وأعمال مهنية. نحو 2 من كل 3 يعملون بدوام كامل. يجني الكثير منهم أموالاً طائلة.

هذه طبقة ناجحة، وطموحة من الناس.

بالفعل، يدير أغلب العاملين من منازلهم (58 %) أعمالهم الخاصة، سواء كانت مسجلة رسمياً أم لا. يستخدم 35 % الحاسب في المنزل للعمل لصالح شركات خاصة أو منظمات غير ربحية تقع مراكزها في أماكن أخرى. تعمل نسبة 4 % فقط من العاملين من منازلهم لصالح الحكومة - ربما يكون هذا شيئاً جيداً، مع الأخذ في الحسبان عدد

الحواسيب المحمولة الحكومية التي تحتوي معلومات خاصة عن المواطنين، وقد تتعرض للسرقة فيما بعد.

يشكل الرجال الذين يعملون من المنزل مجموعة أكثر نجاحاً. يمتلكون أغلبية الأعمال التي يديرونها من المنازل، وليسوا أفضل تعليماً فقط، وإنما أكبر سناً وأكثر ثراءً من معدل السكان بوجه عام. يتربع الرجال الذين يعملون من منازلهم على قمة قائمة الدخل.

لكن لا تظن أن الرجال فقط يحولون العرين إلى مكتب شخصي. تتطور حركة «الأمهات سيدات الأعمال» -النساء اللواتي يُخرجن أنفسهن من القوة العاملة التقليدية ليبقين مع أولادهن، لكنهن يبدأن أيضاً عملاً بدوام جزئي للحصول على دخل، أو الرضا عن النفس، أو كليهما معاً- بسرعة أيضاً. وفقاً لإحصائيات سنة 2000. أكثر من نصف الشركات التي تتخذ من المنازل مقراً لها -تشكل نحو نصف شركات الولايات المتحدة بوجه عام- تمتلكها نساء. تتعامل مثل تلك الشركات في كل شيء من سيدات آفون Avon Ladies- 5 مليون عالمياً- إلى شركات استشارية تمتلكها نساء، التي تؤسسها عادة نسوة حققن إنجازات مهمة ولديهن قاعدة عملاء من أعمالهن السابقة. بين سنتي 2002 و2004 وحدهما، نما المعدل السنوي لعائدات شركات استشارية تمتلكها نساء (يعملن من المنزل أو غيره) 45 % لتصل إلى ما يزيد عن 150.000 1 دولار.

ومن كل الطبقات، يحب الناس حقاً العمل من المنزل. إلى جانب الحرية والمرونة اللتين يتمتع بهما رجال الأعمال، يقول 35 % من هؤلاء الموظفين الذين لا يديرون أعمالاً خاصة بهم، وإنما يعملون لصالح شركات أو منظمات أخرى: إنهم يستمتعون كثيراً. وفقاً لدراسة قامت بها «نقابة الأعمال الأمريكية»، يعبر 76 % من العاملين في المنازل بدوام كامل عن رضا كامل عن أعمالهم، مقارنة بـ56 % فقط من الذين يعملون في مكاتب الشركات. ولا يعزى السبب إلى أنهم مرتاحون في منازلهم. يسهم الأشخاص الذين يعملون من منازلهم بدوام كامل بما معدله 44.6 ساعة عمل في الأسبوع، مقارنة بـ42.2 ساعة يسهم بها العاملون بدوام كامل من مكاتب الشركات.

أرباب العمل سعداء، ليس بشأن كل ذلك العمل الإضافي فقط، وإنما بسبب الميزات الضريبية التي يحصلون عليها لخفض إطلاق مزيج الدخان والضباب من سيارات الموظفين، وزيادة المساحات الخالية في المكاتب أيضاً. في شركتي الخاصة لتنظيم استطلاعات الرأي، كنا قد ألغينا الحاجة إلى مكاتب هواتف الساحل الشرقي التي كانت تستقبل مكالمات المتصلين بنا، واستبدلناها بعاملين من منازلهم. ليس الأمر أسهل بالنسبة لهم فقط، وإنما أصبح هناك أشخاص مستعدون للاتصال بمستهلكين في اليابان (الساعة 3 صباحاً بتوقيت نيويورك) إذا كانوا يستطيعون القيام بذلك من شققهم بدلاً من مركز الاتصال الهاتفي. في النهاية، سيتم إجراء كل مقابلات استطلاعات الرأي بهذه الطريقة.

إذاً، بالرغم من أن نزعة العاملين من منازلهم لم تكن قد أسهمت في إحداث تغيير جذري بطريقة حياتنا -كما كان متوقعاً من قبل- إلا أن لهذه المجموعة من الأشخاص التي يزداد عددها على نحو كبير، وتعمل منتعلة أحذية خفيفة تأثيرات مهمة على العمل والسياسة.

أولاً، يحتاج العاملون من المنازل إلى طريقة لبناء مجتمع. المفارقة أنه بالرغم من أننا لا نلعب البولينغ وحدنا، إلا أننا نعمل على نحو متزايد وحدنا. العديد من العاملين في المنازل متعبون من تناول الغداء وحدهم، في المكان نفسه الذي يتناولون فيه الإفطار والعشاء. نحتاج إلى مبرّدة ماء افتراضية تعمل على إبقاء هؤلاء الأشخاص على اتصال بزملائهم - ليس بطريقة الرسائل الفورية فقط، وإنما بطريقة تعاونية، سهلة، لها فضاؤها المشترك. وهناك بالتأكيد سوق لتعليم الناس كيف يديرون، ويشاركون في اجتماعات عبر الهواتف.

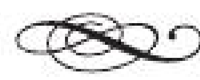
ثانياً، في حين تتحرك الكثير من وظائف القوة العاملة إلى المنازل، تظهر قضايا سلامة، وراحة، وتصميم مكتب المنزل. من الواضح أن هناك ازدياداً في معدل وقوع حوادث الحريق، والإصابات، وخسائر أخرى ناجمة عن الاستعمال غير المناسب لآلات النسخ، والحواسيب التي تجثم على الأثاث الذي يلعب حوله الأولاد، وأسلاك الطابعة التي يمضغها كلب العائلة مما دعا أمين سر العمل ليدعو سنة 2000 إلى إطلاق «حوار قومي»

بشأن سلامة مكاتب المنازل. هل يمكنك الحصول على تعويض إذا انزلقت في مكتبك المنزلي على حليب أراقته ابنتك؟ إذا انفجر حاسبك المحمول وأحدث ثقباً في أريكة غرفة معيشتك، فهل ينبغي على المدير أن يدفع لك؟

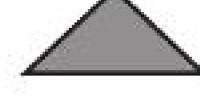
مع العدد المتزايد من الأشخاص الذين يعملون من منازلهم لحسابهم الخاص -خاصة الناجحين والمجدّين- ربما يمكننا أخيراً من وضع نظام للتأمين الصحي ومدخرات التقاعد أفضل من الموجود حالياً.

وربما سنشاهد زيادة في «نوادي الغداء» التي سيتم استعمالها لتكون إقليماً خاصاً لرجال يحتسون الشراب، وفي غرف منفصلة، لسيدات يرتشفن الشاي. يحتاج الرجال والنساء العاملون إلى مكان يلتقون فيه عملاءهم وبناء شبكات عندما لا يفي عرين العائلة بالغرض. تماماً كما أوجدت معدلات الطلاق المرتفعة سوقاً لأشخاص يقيمون أوقاتاً طويلة في فنادق مثل ريزدنس إن Residence Inn، تعمل زيادة عدد العاملين من منازلهم على إيجاد سوق لمقار أعمال مؤقتة - اجتماع أو عرض واحد كل مرة.

بالحد الأدنى، نحتاج إلى التأكد من أنه إذا أصبحت المؤتمرات عبر الفيديو شيئاً معتاداً في «مكاتب» الأفراد المنزلية، فسيكونون مستعدين تماماً للاستحمام، وارتداء ملابسهم، وترتيب ما يلزم قبل عقد تلك الاجتماعات. وضع صور العائلة بفخر على خزانة مكتبك الجانبية شيء، وظهور طفل وكلب العائلة يصرخان في الخلفية عندما تحاول وضع إستراتيجية لعملك شيء آخر تماماً.



نساء يسهبن في الكلام



وقع الرئيس السابق لجامعة هارفرد لاري سمرز في الكثير من المتاعب سنة 2005 عندما أشار إلى أن النساء أقل مقدرة على نحو طبيعي من الرجال في العلوم. لكن ما لم يقله -وما غفلت عنه بعض الجماعات النسائية التي ساعدت في إقصائه أخيراً- إن النساء على وشك أن يمثلن الأغلبية في مهن تعتمد على الكلام، مثل الصحافة، والقانون، والتسويق، والاتصالات.

خشية أن أتعرض للمشكلة نفسها التي واجهها سمرز، دعوني أوضح أني لا أعرف لماذا يتجه الرجال أكثر إلى العلوم فيما تذهب النساء غالباً إلى «الكلمات». ليست لدي أدنى فكرة عن الدور الذي يؤديه علم الأحياء، الثقافة، أو المكانة الاجتماعية في تلك الخيارات. لكني أستطيع أن أقول لكم: إن تلك الخيارات تغير جذرياً وجه مهن معينة، وإن ذلك قد يعني اختلافات كبيرة لأمريكة.

خذوا الصحافة مثلاً. وفقاً لـ«مكتب إحصائيات العمل»، ابتداءً من سنة 2005، 57 % من محللي الأخبار، والمحررين، والمراسلين كانوا نساءً. حتى 57 % من مذيعي الأخبار في محطات التلفزة -الدور الرسمي الذي كان مقتصراً فيما مضى على أشخاص مثل والتر كرونكايت- من النساء. بالتأكيد، قدمت كاثي كوريك أخباراً رائعة بتغطيتها واحداً من برامج أخبار المساء القومية سنة 2006. لكن على المستوى المحلي، كانت ماري ريتشاردسون التي تقدم أخبار العالم قد حلت محل تيد باكستر منذ زمن طويل.

في العلاقات العامة -فن مساعدة الناس في التعبير عن أنفسهم بطريقة صحيحة تماماً- تشغل النساء نحو 70 % من هذا العمل، ارتفاعاً من 30 % في السبعينيات. (تبلغ نسبة النساء في الشركة التي عملت رئيساً تنفيذياً لها، 70 % بورسن مارستيلر Burson Marsteller).

لاحظت يو-إس-إيه توداي USA Today أن العلاقات العامة ربما تكون أول مهنة كان يسيطر عليها الرجال تقليدياً وتحولت لتسيطر عليها النساء تماماً.

أو انظروا إلى القانون، ذلك الاختصاص الرائع للنقاش الذي يأخذ شكلي الكتابة والكلام. منذ سنة 1970، كان عدد المحاميات في أمريكة قد ازداد 2900 %.

تشكل النساء أكثر من نحو نصف خريجي كليات الحقوق، ونصف العاملين في شركات المحاماة تقريباً، ويشغلن ثلثي مناصب نائب العميد في كليات الحقوق.

قارن كل أعداد الأغلبية والأغلبية العظمى هذه بعدد النساء في العلوم والأعمال. تشكل النساء 14 % فقط من عدد المهندسين المعماريين واختصاصات أخرى. تبلغ نسبتهن 15% من عدد الأساتذة في جامعات تقنية رئيسة مثل كاليتش وجورجيا. يشغلن 16 % فقط من الوظائف العليا في أفضل 500 شركة وفقاً لفورتشن Fortune. لا يشكلن سوى 3 % من مديري شركات التقانة الأعلى دخلاً.

بالتأكيد، بروز النساء في المهن التي تتطلب إسهاباً في الكلام لا يعني أنهن يسيطرن دائماً على عملية اتخاذ القرار فيها. في الصحافة والمحاماة، بوجه خاص، تتسرب النساء في مكان ما بين الكليات النظرية (حيث يشكلن الأغلبية) وأروقة السلطة. تشكل النساء 17 % فقط من شركاء شركات المحاماة. تبلغ نسبتهن نحو ثلث الصحفيين بدوام كامل الذين يعملون لوسائل إعلام رئيسة. لكن هذه النزعة جديدة، لهذا ربما تستغرق وقتاً طويلاً حتى تصل إلى القمة.

في العقود التي أعقبت انضمام النساء إلى أخبار التلفاز، زاد عدد القصص عن الإجهاض، والعناية بالأطفال، والتمييز الجنسي في مكان العمل على نحو كبير. وفقاً لتحليل واشنطن بوست Washington Post، في أثناء المدة القصيرة التي تولت فيها إليزابيث فارغاس تقديم أخبار العالم على قناة أيه-بي-سي ABC، خصصت المحطة وقتاً لقصص «الجنس والعائلة» -منع الحمل، والإجهاض، والتوحّد، وتطورات ما قبل الولادة، والولادة، واكتئاب ما بعد الولادة، وخلاعة الأطفال- أكثر مما قدّمته سي-بي-إس CBS وإن-بي-سي NBC مجتمعتين.

في كليات الحقوق، كان القانون العائلي موضوعاً اختيارياً حتى السبعينيات. هناك الآن عشرات الموضوعات التي تتناول بالبحث القانون العائلي الذي يعد أحد أشهر الصفوف في كلية الحقوق.

الشيء نفسه صحيح في العلاقات العامة والإعلان. كانت الإعلانات التلفازية عن الفوط النسائية، ومراهم المهبل، و«التخلص من ألم الحيض» قليلة ومتباعدة. لا يمكنك أن تشاهد الآن حتى نصف ساعة من وقت الذروة دون رؤية مثل تلك الإعلانات.

التأثير الآخر لانتقال النساء إلى مهن تعتمد الإسهاب في الكلام هو أن الرجال ربما يبتعدون عنها. في سنة 1971، كان أكثر من ثلث المعلمين في مدارس أمريكة العامة رجالاً. عندما اندفعت النساء إلى مهنة التعليم، تراجع عدد الرجال إلى أقل من الربع. في كل من العلاقات العامة والصحافة التلفازية الآن، بدأ المديرون يقلقون بشأن ابتعاد الرجال عنهما على نطاق واسع. يدّعي بعضهم أن «أفضل» المهنيين قد فازوا ببساطة، لكن آخرين يعكسون اعتراض لاري سمرز: مع تمثيل غير صحيح لنصف الجنس البشري، هل يمكننا حقاً الاستفادة من طاقاتنا كاملة؟

الحقيقة هي أن النساء يتّبعن بطرق عديدة المسارات التقليدية التي كان المهاجرون الجدد قد اكتشفوها لتحقيق النجاح. دخلت النساء سوق العمل بأجور أقل من الرجال، ويعد اللجوء إلى مثل تلك المهن مساراً مؤكداً للتطور الاجتماعي والاقتصادي. تتطلب مهن الإسهاب في الكلام رأسمالاً بشرياً، وتكون نتيجة الدراسة والعمل الجاد، وليس القوة أو العنف. على الرغم من أن النساء سيطرن أولاً في التعليم والتمريض، إلا أن تطورهن الاجتماعي والاقتصادي كان قد قاد إلى مرتبة جديدة من النجاح المهني خلف هاتين المهنتين.

كانت المهن التي تتطلب إسهاباً في الكلام خياراً منطقياً – مكان يمكن للنساء تحقيق النجاح فيه بقدراتهن الخاصة، وحيث يمكنهن إدخال أفكار جديدة كانت مفقودة من المشهد. وهكذا أصبحت النساء أكثر راحة؛ لأنهن يستطعن التفوق في تلك المهن. تركن الكفاح الجسدي على الأغلب للرجال، وتولين أمر الكفاح اللفظي الذي يحدد الكثير في ديمقراطية مسالمة.

ويمكن أن تتوقع أن تتسع هذه النزعة عالمياً. عندما دخلت النساء في كل مكان سوق العمل وتلقين تعليماً أفضل، فتحت مجموعة كاملة جديدة من المهن أبوابها لهن.

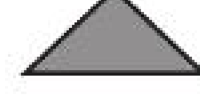
بالطبع، أحد أكثر المؤلفين بيعاً في كل الأوقات، جي. ك. رولينغ J.K. Rowling، التي ذاعت شهرتها مع هاري بوتر، هي امرأة بريطانية.

ربما تكون السياسة الجبهة الآتية للنساء. بعد أن عملت طويلاً مع هيلاري كلينتون، رأيت كيف يتحول ما كان مرة إجحافاً بحق النساء في الحياة العامة ببطء إلى قبول وحتى تفضيل. يراقب جيل كامل من الشابات الآن لمعرفة إن كانت أمريكة، أيضاً، ستنتخب أول امرأة رئيسة للسلطة التنفيذية كما حدث سلفاً في المملكة المتحدة، وألمانية و«إسرائيل» وتشيلي. إذا كانت ملايين النساء الشابات يثبتن أقدامهن في الصحافة، والعلاقات العامة، والقانون، فستكون السياسة قفزة منطقية - لأنها تتطلب الكثير من المهارات نفسها التي يحتاج إليها المرء في السياسة. العديد من صانعي السياسة المحترمين في واشنطن الآن نساء، ويسهمن بتشكيل القرارات التي يصدرها البيت الأبيض ومجلس النواب وتحدد وجهة بلدنا. كان هناك ست عشرة امرأة في مجلس الشيوخ سنة 2007 - بعيداً تماماً عن خمسين، لكنها قفزة كبيرة من واحدة فقط، قبل خمس وخمسين سنة مضت.

كان لاري سمرز يركز على الجانب الخاطئ من القضية. بدلاً من أن يتساءل عن السبب الذي يجعل تمثيل النساء غير صحيح في الرياضيات والعلوم، ربما كان ينبغي أن يلاحظ براعة النساء في المهن التي تتطلب إسهاباً في الكلام وكيف أن نجاحهن هناك ربما يقود أخيراً إلى سياسات جديدة بالكامل. كان لحملتهن الكلامية بالتأكيد تأثير عليه.



نساء يتشبهن بالرجال



لن تشكل النساء اللواتي يسهبن في الكلام نزعة مجهرية إذا لم يكن هناك أيضاً مجموعة أخرى متمايزة المعالم تندفع في الاتجاه المعاكس. لهذا نتحول الآن إلى نساء في أمريكة يخترن بازدياد أعمالاً تتطلب قوة جسدية كبيرة.

تتراوح تلك الأعمال من الرياضات إلى الإطفاء والشرطة، والبناء، والجندية. أولاً، الرياضات. على الرغم من أن أول مسابقة لكمال الأجسام النسائية كانت أساساً منافسة جمال بملابس البحر البكيني، إلا أن هناك الآن مسابقات جدّية لبناء الأجسام ورفع الأثقال النسائية، وقد أصبحت رفع الأثقال النسائية رياضة أولمبية رسمية سنة 2000. انضمت المصارعة الحرة النسائية إلى الألعاب الأولمبية سنة 2004. في نيسان 2007، أصبحت ريا كورتيسو أول امرأة تحكم مباراة في دوري كرة القاعدة منذ عقود.

لا تزال كرة القدم الأمريكية تجلب إلى الأذهان رجالاً أقوياء البنية يحتشدون حول كرة مصنوعة من الجلد، لكن ابتداءً من سنة 2007. كانت هناك في الواقع ثلاث مسابقات لكرة القدم الأمريكية النسائية في أمريكة، تضم ثمانين فريقاً - ارتفاعاً من عشر فرق سنة 2000. يُقال: إن عدد النساء اللواتي يلعبن الرغبي -لم يكن ذلك معروفاً نظرياً قبل عقدين من الزمن- يصل إلى نحو 10.000 في الكليات و3000 امرأة أخرى في المدارس الثانوية.

صحيح، إنهن يلعبن مع بعضهن -هذه ليست بيلي جين كينغ تضرب بوبي ريغز في عرض تلفازي مصور مسبقاً من السبعينيات- لكن اسأل جدّتك إن كانت استطاعت أن تتوقع أنه بحلول سنة 2007 سيكون هناك نحو 100 فريق كرة قدم أمريكية نسائي محترف في أمريكة.

على جبهة عمل الإطفاء، نحو 5 % من العاملين في الإطفاء في أمريكة من النساء، أو ما يزيد عن 6000 امرأة (هناك 35.000 متطوعة). بين موظفي تطبيق القانون، 1 من كل أربع نساء. وهي نسبة ارتفعت كثيراً مقارنة بعقود ماضية. بين ضباط الشرطة، نجد أن النسبة تزيد قليلاً عن 1 من كل 10.

في سنة 1953، تأسست «النقابة القومية لعاملات البناء» بستة عشر عضواً. تضم اليوم نحو 6000 عضوٍ، و180 فرعاً في أرجاء البلاد.

شهد الجيش نمواً كبيراً في عدد النساء المنتسبات إليه أيضاً. في سنة 1960، لم تكن هناك سوى 31.700 امرأة في القوات المسلحة، أو ما يزد عن 1 % قليلاً. ابتداءً من سنة 2005، كانت هناك أكثر من 200.000 امرأة في الخدمة، أو نحو 15 % من قواتنا المسلحة. (كانت جيسيكا لينش، التي أنقذت على نحو بطولي في العراق سنة 2003، واحدة فقط من 150.000 امرأة أمريكية خدمن في العراق وأفغانستان، ابتداءً من أواخر سنة 2006). معاً، هناك 1.7 مليون محاربة قديمة في الولايات المتحدة – العدد نفسه تقريباً من معلمي المدارس الابتدائية والمتوسطة. على الرغم من أن قلّة من الوظائف العسكرية لا تتطلب الاشتراك في معارك، إلا أنه من الواضح أن العمل يجذب الجانب القوي من الجنس اللطيف.

في ربيع 2007، أجرينا استطلاعاً سريعاً للرأي؛ لمعرفة المزيد بشأن أولئك النساء اللواتي يخترن مهناً في الرياضيلت والشرطة والإطفاء والقوات المسلحة أو البناء والتشييد. بوجه عام، هن نساء كبيرات الحجم، ومحافظات، وسعيدات، وسويات في علاقاتهن الجنسية – مستعدات للكفاح في طريقهن صعوداً على السلم الاقتصادي.

أولاً: أجسادهن ضخمة. طول 1 من كل 4 أكثر من 180 سم، أو 90 % من القيمة الإحصائية للنساء البيض بوجه عام. (كانت 90 % من مجمل العينة نساء بيضاوات). هن أيضاً أثقل وزناً، إذ تزيد أوزان 58 % منهن على 70 كيلوغراماً، ويزيد وزن نحو 1 من كل 3 نساء في العينة المنتقاة على 80 كيلوغراماً. ربما ليس مفاجئاً أن 8 من كل 10 كن رياضيات في صغرهن، ومعظمهن لديهن أشقّاء أكثر من الشقيقات. (نصفهن تقريباً لديهن على الأقل شقيقان).

تميل النساء اللواتي يتشبهن بالرجال أيضاً إلى اليمين - تدعو 76 % منهن أنفسهن بأنهن محافظات أو معتدلات، وتقول 1 من كل 4: إنها ديمقراطية. إنهن يسكن في الأرياف أكثر من المدن مقارنة بعينة قومية نموذجية.

النساء اللواتي يتشبهن بالرجال راضيات عن أعمالهن. تحب 54 % منهن أعمالهن معظم الوقت، وتميل 52 % منهن إليها معظم الوقت. وستوصي كلهن تقريباً بأعمالهن إلى فتيات أو شابات يفكرن في الانضمام إليها - أكثر من النصف، بكل نشاط وحيوية.

هل ستوصين بعملك إلى فتيات أو شابات يفكرن في الانضمام إليه؟	
	%
نعم، بحماس	56
نعم، مع بعض التردد	30
لا، ربما لا	8
لا، بالتأكيد لا	2
لا أعرف	4

حماستهن لأعمالهن كبيرة بالرغم من حقيقة أنها لم تكن سهلة. قالت 6 من 10: إنهن يتعرضن للتمييز في العمل؛ لأنهن نساء، وقالت نحو 4 من 10: إنه في مجال عملهن يتم تجاهل آراء النساء. لكن يبدو أن السجية الخاصة لأعمالهن جزء من الإثارة. قالت 64 % منهن: إن حقيقة أن العمل كان تقليدياً حكراً على الرجال قد جعلهن أكثر اهتماماً به، مقارنة بنسبة 10 % فقط قلن: إن تلك الحقيقة تجعلهن أقل اهتماماً به. كان ذلك التقليد الذكوري مصدر فخر في الأحاديث الاجتماعية:

عندما تخبرين الناس عن طبيعة عملك، هل تكونين	
	%
فخورة: لأنه تقليدياً حكر على الرجال	76
مترددة: لأنه تقليدياً حكر على الرجال	4
لا أعرف	20

أخيراً، كانت النساء اللواتي يتشبهن بالرجال قد أبلين حسناً على الصعيد الاقتصادي. على الرغم من أن 1 فقط من كل 4 كانت قد أنهت دراستها الجامعية، إلا أنهن يجنين مبالغ جيدة من المال - يزيد دخل 42 % منهن على 75.000 دولار، بما في ذلك 14 % يتجاوز دخلهن 100.000. كان المال والفوائد قد تصدَّرا تقريباً قائمة ما تحبه النساء في أعمالهن، بعد التحديات الذهنية فقط.

بمعايير الحالة الاجتماعية، 76 % من النساء اللواتي يتشبهن بالرجال متزوجات الآن، وخاضت 18 % منهن تجربة الزواج من قبل. وبالرغم من أن معظم أفراد العينة قلن: إنهن يعرفن شخصاً كان شاذاً أو كانت سحاقية، إلا أن 13 % منهن فقط -أصغر مجموعة ممن جرى استطلاع آرائها- قلن: إن مثل هؤلاء الأشخاص كانوا يعملون معهن.

لكن يبدو أن العمل في مهنة يسيطر عليها الرجال ينطوي على خطر التعرض لاعتداء جنسي أو يشجع على مثل ذلك الاعتداء. قالت نحو 4 من كل 10 نساء: إنهن كن ضحايا اعتداء جنسي في مرحلة ما من حياتهن، وهذه نسبة عالية تماماً مقارنة بالتجارب التي تمر بها النساء بوجه عام. ربما كانت تجربة التعرض لمثل ذلك الاعتداء هي التي دفعت بعض أولئك النساء نحو مهن تتطلب قوة جسدية كبيرة، والضعف غير مرغوب به فيها.

للنساء اللواتي يتمتعن بقوة جسدية كبيرة تأثيرات مهمة على المجتمع. أولاً، أولئك النسوة يحببن أعمالهن، وهن يحظين بالقبول. على الرغم من أن بعض المجموعات النسائية كانت قد اشتكت أن عدد النساء في أدوار يهيمن عليها رجال تقليدياً لم يرتفع بسرعة كافية، ينبغي أن يتوقع الرجال الذين يحتفظون بتلك الأعمال لأنفسهم أن دوام الحال من المحال. كانوا قد اختاروا لأنفسهم بعضاً من أقسى، وأشد الخصوم على الأرض.

ثانياً: إلى حدٍ ما، ستغير النساء تلك المهن. في البداية، يكون الموقف أن بمقدورهن ويمكنهن إنجاز العمل مثل الرجال تماماً - لكن حالما تصبح أعدادهن كبيرة (كما حدث في القانون والصحافة، والطب كما يبدو)، ستغير آراؤهن المهن نفسها. في سنة 2002، وجد «المركز القومي للنساء والسياسة»، بناءً على دراسة لسبعة أجهزة شرطة رئيسة في الولايات المتحدة، أن ضباط الشرطة من النساء أقل استخداماً للقوة المفرطة من

نظرائهن الرجال - أو اتهامهن بذلك أقل. نتيجة لذلك، يكلف كل ضابط شرطة من الرجال دائرته ما بين ضعفين ونصف وخمسة أضعاف تكلفة ضابط الشرطة من النساء بوصفها تعويضات قضايا المسؤولية عن استعمال القوة المفرطة. هل تركز النساء ضباط الشرطة على التخفيف من التوتر بدلاً من محاولة السيطرة عليه بالقوة؟ وبالرغم من أن تلك لن تكون إستراتيجية نافعة في كل حالة، أليس كذلك، هل ستكون عامل توازن مفيداً للقوة المفرطة؟

نصف جرائم العنف التي تصل إلى الشرطة تخص العنف العائلي. هل لدى المرأة ضابط الشرطة حس أفضل في الاستجابة لها؟

بالطبع، لن أتكلم بوجه عام عن إيجابيات النساء دون ذكر سلبياتهن. بالتأكيد، في ظل أول امرأة مدعٍ عام في أمريكة، جانيت رينو، أصبحت الشرطة تركز على «السياسات الاجتماعية» التي تمنع الجريمة قبل وقوعها. من ناحية أخرى، ساعدت أول مستشارة للأمن القومي (أصبحت لاحقاً وزيرة الخارجية)، كونداليزا رايس، على تمهيد الطريق للحرب على العراق. ونشرت أول رئيسة وزراء مارغريت تاتشر الجيش البريطاني على نحو أكثر عدوانية مما فعله أي سلف لها في سنوات. لم يكن هناك ما يكفي من النساء في السلطة لإطلاق أحكام عامة شاملة بشأن الطريقة التي ربما يقدن فيها على نحو مختلف عن الرجال، لكن بناءً على ما كنا قد رأيناه في القانون والصحافة، سأتوقع حدوث تغييرات في مهن النساء اللواتي يتشبهن بالرجال، أيضاً.

الشيء المذهل الآخر بشأن النساء اللواتي يتشبهن بالرجال هي أنه فيما تتصدى المزيد والمزيد من النساء لمهن تتطلب قوة جسدية، يبدو أن معدل قوة النساء يتزايد. منذ أواخر الستينيات، كان الرجال قد أنقصوا الزمن اللازم لقطع الماراثون ثلاث دقائق - لكن النساء أنقصن الزمن إحدى وثلاثين دقيقة. محرومات وقتاً طويلاً، بأعداد كبيرة، من إجراء تدريبات جسدية مكثّفة، كانت النساء (والرجال) يعتبرن حقيقة مطلقة أنهن أصغر، وأضعف، وأبطأ من الرجال. لكن من يعرف؟ تجري المزيد من النساء تدريبات جسدية ويصبحن أقوى. لبعض الوقت، استطاع الرجال تمييز أنفسهم على أساس القوة

الجسدية. تحصل النساء الآن على تلك الفرصة، وبدأت ملايين النساء اللواتي لم يكنّ قد شاركن من قبل في سباق حقيقي أو اختبرن قدراتهن الجسدية القيام بذلك. سوف يستمر ذلك لتقليص الاختلافات الجسدية بين الجنسين.

تماماً كما كانت العديد من النساء قد اكتشفن قوة الكلمات، اكتشفت كذلك نساء أخريات قوتهن الجسدية وقدرتهن على التنافس جبناً إلى جنب مع الرجال في مهن تتطلب قوة جسدية كبيرة. النساء اللواتي يخترن تلك الدروب الجديدة يحببنها ويصبحن جزءاً من مجموعتها المتميزة - قويات، فخورات، شديدات، ويسرن على درب أمام أخريات. قبل خمس وعشرين سنة مضت، كان هناك نقاش قومي بشأن «تعديل الحقوق المتساوية»، وكانت إحدى أكبر الحجج ضده أنه ربما ينبغي على النساء الخدمة في القوات المسلحة أو الشرطة. تثبت النساء اللواتي يتشبهن بالرجال اليوم كم كان ذلك النقاش سخيفاً.

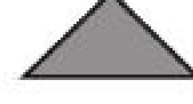


فصل 3

العرق والدين



سقف الزجاج الملون



نزعة أخيرة بشأن النساء في العمل. ربما تستطيع النساء الهيمنة على مهن تتطلب إسهاباً في الكلام في أمريكة، مثل الصحافة، والعلاقات العامة، والقانون، لكن تفوق النساء يصبح أكثر تعقيداً عندما يتعلق الأمر بمهن «الكتاب المقدس».

في العقدين الأخيرين، كان عدد الكهنة من النساء قد تضاعف أكثر من ثلاث مرات. تخطت النساء في مدارس اللاهوت عتبة 51 %. في السنوات العشر الأخيرة، تضاعف عدد النساء اللواتي يتخصصن في الدين أو اللاهوت أكثر من مرتين، في حين لم يتضاعف العدد بالنسبة للرجال أكثر من النصف. نشهد حالياً نمواً مثيراً لكهنة جدد، مع مجموعة جديدة من الأولويات الشخصية التي تقودهن للانضمام إلى العاملين في الكنيسة. وبالرغم من أنهن يتلقين العلوم في مدارس اللاهوت، إلا أنهن لا يزالن يبحثن عن مكانة دائمة في الحياة الدينية في أمريكة.

يبدو أن النساء اللواتي يرتدين لباس الكهنة يمتلكن شعوراً عميقاً بأن العالم يحتاج إلى إصلاح. الكهنة النساء، أكثر غالباً من زملائهن الرجال، نشيطات جداً في القضايا السياسية والمدنية. وفقاً لدراسات عن الكهنة النساء، قضيتهن الأساسية حتى الآن هي الرفاه الاجتماعي، بما في ذلك الفجوة المتزايدة بين الأغنياء والفقراء. يأتي لاحقاً التسامح والحقوق، بما في ذلك العنصرية؛ يتبعها النظام والأخلاق العامة؛ ثم حقوق الشواذ. يقع عند أسفل قائمة اهتمامهن الدفاع والسياسة الخارجية؛ وفي تناقض صارخ مع العديد من الكهنة الرجال في أمريكة، ربما تكون آخر أولويات القساوسة النساء «القيم العائلية» أو «الاهتمام الروحي والأخلاقي بأن الأمة تبتعد عن الرب».

ربما لا يكون مفاجئاً، عند النظر إلى القائمة، أن نجد أن الكهنة النساء متحررات أيضاً، وأحياناً إلى حدٍ مفرط، ويدعمن عادة المرشحين الديمقراطيين لمناصب مختلفة.

قبل جيل، كانت العديد من أولئك النسوة سيعملن معلمات، عاملات اجتماعيات، ومتطوعات مدنيات، لكنهن يمزجن الآن التزاماتهن بالعدالة الاجتماعية بإيمانهن الشخصي، ويرتقين منابر الوعظ ومراتب الكهانة.

سيؤدي ارتقاء النساء سلم الترتيب الكهنوتي إلى حدوث بعض التغييرات في الدين الأمريكي. يقول كل من الكهنة الرجال والنساء للقائمين على استطلاعات الرأي: إن الكهنة من النساء أكثر اهتماماً بشأن الحياة الفردية لأعضاء المحفل الكنسي، وأكثر استعداداً للاستفادة من تجارب شخصية عند الوعظ، والتعليم، وتقديم النصائح. يُقال أيضاً: إن النساء أقل اهتماماً بكثير بالسياسات الكنسية، والسلطة على الآخرين، ومكانة العمل. ويُقال: إنهن أكثر ترحيباً بالوافدين الجدد الذين تم إبعادهم من أماكن أخرى.

لكن مع كل هذه الإسهامات، وارتفاع أعدادهن، تواجه الكهنة النساء بعض التحديات الخطيرة جداً. يبدأ الأمر مع الضغط الشخصي الذي تشير دراسات إلى أنه أكبر كثيراً مما يشعر به الكهنة الذكور. في دراسة عن 190 كاهناً امرأة بروتستانتية في أنحاء البلاد، قالت 60 % منهن: إن نومهن غير مستقر، 56 % إنهن يشعرن برغبة في ذرف الدموع، وأكثر من ثلثهن (35 %) إنهن «لم يستطعن التخلص من الكآبة حتى مع مساعدة العائلة والأصدقاء». أكبر تحدٍ حتى الآن، كما تقول الكهنة النساء، كان تحقيق توازن بين العمل والعائلة. يمكن أن يصبح العمل الرعوي على مدار الساعة والعناية بالأطفال في المنزل شاقاً جداً. وفيما لدى معظم الكهنة الرجال زوجات يؤدين أدواراً قيادية في الكنيسة، تجد الكهنة النساء أنفسهن يقمن بكل من واجبات الزوجة والكاهن. أخيراً، بالنسبة للكاهن المرأة العزبة، مواعدة الرجال تحدٍ كبير جداً. يُقال: إن معظم الرجال يخافون كثيراً من الكاهن المرأة غير المتزوجة، وأولئك الذين لا يخافون – مثل زملائهن الكهنة الرجال– مشغولون جداً ليكونوا شركاء مثاليين. (تخيل أن تلتقي عضو أخويتك في موعد غرامي مع كاهن).

بوجه عام، يبدو أنه حتى تلك الديانات التي تعترف بالكهنة النساء تقاوم أن يؤدين دوراً كبيراً فيها. هناك ظاهرة شائعة على نطاق واسع بين الكهنة النساء –معروفة باسم

«سقف الزجاج الملون»- أنه على الرغم من أنهن ينهين تدريبهن بأعداد تساوي أو تفوق أعداد الرجال، إلا أن ارتقاءهم سلّم الترتيب الكنسي يتم ببطء شديد. حتى يومنا هذا، تنظيم ديني كبير -بأي ديانة- تقوده امرأة وحدها غير معروف البتة.

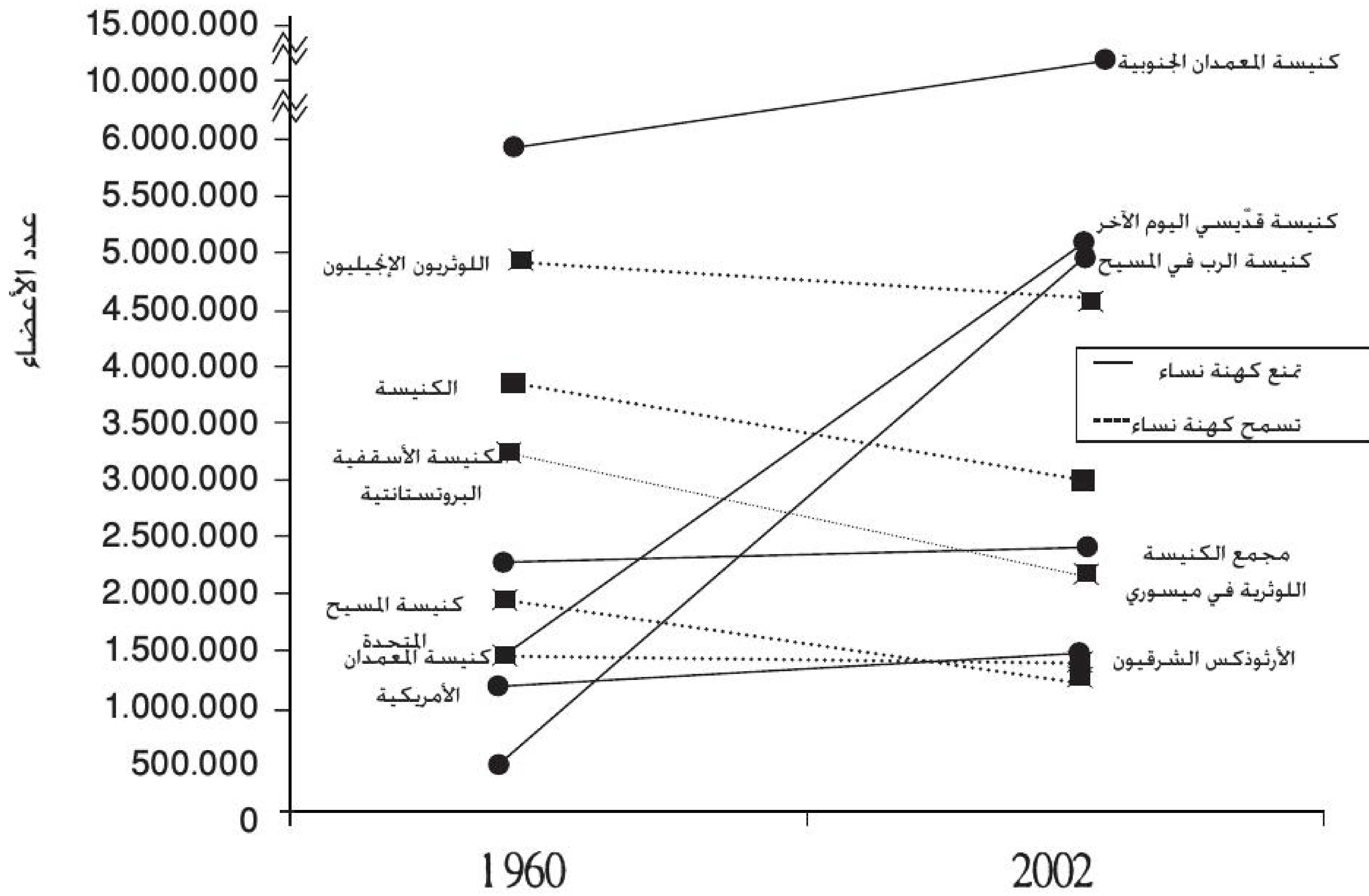
يقول بعضهم: إنها مسألة وقت فقط قبل أن تخترق الكهنة النساء «سقف الزجاج الملون». كنا قد أحرزنا تقدماً جيداً في مهن أخرى -خاصة تلك التي تتطلب إسهاباً في الكلام- وربما يستغرق هذا الميدان وقتاً أطول؛ لأن «التعديل الأول» (على الدستور) يمنع اللجوء إلى قوانين مكافحة التمييز. (لهذا السبب، دون خوف من العقوبة، يمكن أن يحرم القساوسة الرجالُ النساءَ من مهنتهم بالقول فقط: «عندما تبع آدم نصيحة زوجته وتناول الفاكهة المحرّمة، انظر إلى أين قادنا ذلك»).

لكن نظرة أعمق على كفاح الكهنة النساء تكشف أن ما يأتي أولاً قد لا يعني «أنباء جيدة».

في السنوات الخمسين الأخيرة، كل مجموعة دينية رئيسة تقريباً في أمريكة سمحت بدخول النساء سلك الكهنة قد شهدت تراجعاً كبيراً في عدد أعضائها. وشهدت كل مجموعة دينية حظرت على النساء العمل في شؤون الدين ازدياداً كبيراً في عدد أعضائها. كما يُظهر الرسم البياني أدناه، تراجع أعداد معظم الجماعات البروتستانتية الرئيسة التي تسمح بوجود قساوسة من النساء، في حين ارتفعت أعداد معظم الجماعات الأخرى التي تقصيهن عن مثل تلك الأعمال.

يمنع الكاثوليك في أمريكة، الذين يصل عددهم إلى رقم كبير لا يمكن تضمينه في هذا الرسم البياني، النساء من العمل في مجال الكهنوت، وقد ازداد عددهم في السنوات الخمسين الأخيرة من 42 إلى 67 مليوناً. يمنع المسلمون الأمريكيون، بالرغم من عددهم الصغير الذي لا يمكن إظهاره في هذا الرسم البياني، النساء من امتهان العمل في الدين؛ وقد زاد عددهم من 527.000 سنة 1990 إلى 1.1 مليون شخص سنة 2001. وفقاً لدراسة «تحديد الديانات الأمريكية». (ربما يكون عددهم قد أصبح أكبر كثيراً الآن). تؤدي الهجرة دوراً مهماً في هذا الشأن أيضاً، لكن الأنماط تبقى على حالها.

نمو/تراجع الأديان الرئيسة في الولايات المتحدة، 1960–2002



المصدر: بيانات إحصائية عضوية الكنائس النصرانية في الولايات المتحدة 1960–2002

سيجد بعضهم دافعاً للقول: إن وجود النساء في مواقع معينة يدفع بالناس إلى الابتعاد عنها. من يحتاج إلى قول القديس بول: «لا أسمح لأي امرأة بالتعليم أو امتلاك سلطة على الرجال»، إذا كنت تستطيع الاستفادة من نزعة تجريبية لإثبات أنك إذا أردت نشر دين معين، ينبغي لك منع النساء من العمل الكهنوتي فيه.

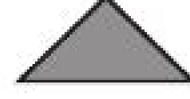
لكن على الأرجح فإن القبول بدخول النساء السلك الكهنوتي جزء من نزعة تحررية كبيرة تصبح هي نفسها غير مقبولة بين بعض رجال الدين. تمثل الكهنة النساء، اللواتي يرتقين السلم كما فعلن مع حركة التحرر النسائية، دمج المجتمع المدني المتقدم بالدين. لكن التقدم ليس ما يصبو إليه كثير من الناس صبيحة يوم الأحد. يقول 77 % من الناس الذين يواظبون على الذهاب إلى الكنيسة: إنهم يفعلون ذلك لأنها تخاطب قلوبهم؛ في حين يقول 23 % فقط: إنهم يذهبون بسبب الطريقة التي تخاطب بها عقولهم. بالنسبة للأنشطة

السياسية، والالتقاء بالأصدقاء، ونشر الأخلاق؛ يظن الناس أن بمقدورهم الذهاب إلى نادي سيرا Sireea. إذا ذهبوا إلى كنيسة، فإنهم يبحثون عن الإلهام، والخوف، والإيمان. وهكذا تعمل الكهنة النساء على إيجاد أسلوب يمنح الدين المزيد من المشاعر، وهذا شيء جديد تماماً على أعضاء المحافل الكنسية القدامى.

بالطبع، لا ينبغي الخلط بين عضوية المحفل الكنسي والحقيقة. بدأت كل أديان العالم العظيمة صغيرة. لهذا على الرغم من أن عضو الطائفة الدينية قد يقول الكثير مما يرغب الناس في سماعه، سيجادل الكثيرون بأنه لا يقول شيئاً مما يريده الرب، أو عما يبحث عنه أعضاء الطائفة بمرور الوقت. تظهر الإحصائيات القديمة الآن أن هذه الطبقة الجديدة من الكهنة النساء يعانين الأمرّين؛ لأن الأديان المتشددة تنتشر والأديان المتسامحة تنحسر. لكن هذا المؤشر كان قد تأرجح مرات عديدة من قبل، ودور الدين اليوم في العديد من النزاعات في العالم قد يسبب رد فعل على الاستقطاب الديني، وربما تكون كهنة سقف الزجاج الملون رائدات في حركة جديدة تصبح حجر الزاوية في دين جديد. ربما يكون إجماع الآراء مستبعداً الآن، لكنهن يتحفزن للعودة مجدداً. كما قد تكون أمريكة مستعدة لوصول أول امرأة إلى البيت الأبيض، كذلك نحن مستعدون أيضاً لأول بيلي غراهام - أول كاهن امرأة تثير إعجاب البلاد عبر قوة التلفاز، وربما حتى الإنترنت.



محبة السامية



في واحد من المشاهد الطريفة لفيلم ودي ألان سنة 1977 بعنوان آني هول Annie Hall، يذهب ألفي سنغر إلى منزل صديقته غير اليهودية في منطقة شيبوا، ويسكنسن، للقاء والديها. على الرغم من أن آني وعائلتها مضيافون كثيراً، ولم يتطرقوا البتة إلى اختلافاتهم الدينية مع الصديق، إلا أن ألان أظهر لنا كيف يتخيل ألفي أن جدّة آني تراه: رجلاً ملتحاً، من العالم القديم، مع طاقية وضفائر (المظهر التقليدي للرجال اليهود). ثار الجمهور اليهودي غضباً من جنون عظمة ألان. لكن لم يمضِ وقت طويل حتى تبين أن فكرة ألان -يعتبر غير اليهود تلقائياً أن اليهود أجانب وغير مرغوب فيهم - حقيقية.

اليوم، ربما يتم عرض ذلك المشهد من الفيلم على نحو مختلف. اليوم، ربما يرتدي ألفي في الواقع القبعة ويجدل شعره إلى ضفائر، وربما يجلس والدا آني هناك سراً يأملان بأن يكون ألفي الشاب الذي يتزوج آني.

اليوم في أمريكة، حب اليهود شغف للجميع، فهم مطلوبون في كل مكان. ما كان يبدو في الماضي أنه سبب حسد أو رفض اليهود قد تحول الآن إلى إعجاب وجاذبية. كان معتاداً أن يسعى اليهود إلى إقامة علاقات خارج نطاق الذين يعتنقون معتقدهم، ويعملون على إخفاء دينهم في أثناء ذلك لكن الآن هناك دليل متزايد على حدوث نزعة معاكسة: يسعى غير اليهود نحو اليهود.

اليهوديات، اللواتي لطالما تم تصويرهن على أنهن من يحضّرن العشاء، موضع اهتمام شديد الآن، ويتطلع إليهن الجيل الجديد بشغف. وحتى إذا كان صحيحاً أن بعضهن لا يتقنّ الطهي، فقد يعزى السبب إلى أن اليهوديات كن في طليعة الثورة المهنية في أثناء العقود القليلة الماضية، وأصبحن يمثّلن نسباً لا مثيل لها من الخريجات الجامعيات، وحاملات الشهادات العليا، وشاغلات الوظائف المهمة. (تحمل 68 % من اليهوديات بين 25–44 سنة شهادة جامعية، وهي أعلى نسبة حتى الآن في أي مجموعة دينية في أمريكة).

في اقتصاد اليوم الذي يوفر خدمات شاملة ويعتمد على التعليم، أضحت أنماط العيش التي كانت خارج متناول الكثيرين ممكنة على نحو كبير الآن. وقد أضحى العُزاب اليهود (من كلا الجنسين) موضع اهتمام الأشخاص الذين يبحثون عن شريك حياة ناجح جيد الثقافة.

لم يكن الأمر على تلك الحال دائماً. كان لأمريكة حصتها من معاداة السامية؛ في سنة 1939، وجد استطلاع روبر Roper للرأي أن 39 % من الأمريكيين فقط يشعرون بأنه ينبغي معاملة اليهود مثل الآخرين. كان 53 % يظنون أن «اليهود مختلفون وينبغي تقييد نشاطهم». اعتقد 10 % في الواقع أنه ينبغي تهجير اليهود. في الأربعينيات، وجدت عدّة دراسات قومية أنه يتم اعتبار اليهود خطراً على رفاهية الولايات المتحدة أكبر من أي مجموعة قومية، أودينية أو عرقية أخرى.

قارن ذلك باستطلاع غالوب Gallup للرأي الذي تم في آب 2006. عندما سُئل الأمريكيون عن شعورهم نحو مجموعات دينية أو روحية مختلفة في الولايات المتحدة، تم تصنيف اليهود أعلى من أي مجموعة أخرى في أمريكة، مع نسبة إيجابية بلغت 54 %. لم تحصل أي مجموعة أخرى -بروتستانت، معمدانيين، كاثوليك، إنجيليين، أو نصارى متشددين، أو مورمن، أو مسلمين، أو ملحدين، أو علمانيين- على نقاط أكثر في نظر الأمريكيين على مستوى الأمة.

كانت «محبة السامية» قد تحولت، بالنسبة للبعض، إلى أفضلية شخصية. وفقاً لـ دجي-ديت J□Date، أشهر مواقع المواعدة اليهودية في العالم، ابتداءً من سنة 2007، لم يكن نحو 11 % من أعضائه يهوداً. هذا يعني أن عدداً يقترب من 67.000 شخص غير يهودي حول العالم، ونحو 40.000 أمريكي غير يهودي، يدفعون رسوماً شهرية للتمتع بميزة البحث عن يهود غير متزوجين ضمن قاعدة بيانات واسعة. في واحدة من استطلاعات الرأي التي قمنا بها في أيلول سنة 2006. قال نحو 4 من كل 10 يهود: إنهم سيكونون مهتمين «جداً» أو «نوعاً ما» بمواعدة أو التزوج من شخص ليس يهودياً.

كان أولئك الأكثر اهتماماً رجالاً كاثوليكاً متحررين إلى معتدلين، من طبقة متوسطة. (قليل من آني هول، وكثير من جوي تريبياني من مسلسل أصدقاء). إنه هذا الانجذاب

إلى الكاثوليك الذي يدعم السامية؛ لأن كلتا المجموعتين تشددان أساساً على قيم العائلة الكبيرة ولديهما قواعد صارمة للطعام - مزيج من اللحم الحلال وأقراص اللحم. كانت كلتا المجموعتين قد شعرتا بأنهما تعرضتا لتمييز في المعاملة في وقت من الأوقات، وحققت كلتاهما أخيراً مكاسب مهمة اجتماعياً. في مرحلة ما، بدا رئيس كاثوليكي أمراً لا يمكن التفكير فيه. لكن مع استطلاعات مثل تلك التي قامت بها غالوب - هل يمكن أن نشهد رئيساً يهودياً؟

ابتداءً من سنة 2006، كان هناك أحد عشر نائباً يهودياً في مجلس الشيوخ - أحدهم من أوريغون، ولاية لا يشكل فيها اليهود سوى أقل من 1 %.

جزء مهم آخر لمحبة السامية في أمريكة هو ازدياد الدعم القوي لـ«إسرائيل» من مناطق غير متوقعة. اليوم في أمريكة، هناك نصارى إنجيليون أكثر من اليهود يدعمون «إسرائيل». كان عضو مجلس الشيوخ بوب بينيت، الذي تبلغ نسبة اليهود في دائرته الانتخابية يوتاه 0.2 %، متحدثاً أساسياً أمام حشدٍ موالٍ لـ«إسرائيل». يتمتع الرئيس جورج دبليو. بوش -الذي كانت تنظر الجالية اليهودية إلى عائلته فيما مضى بتشكك كبير- بأعلى معدل شعبية في بلد واحد فقط في العالم: «إسرائيل».

عندما أجرينا استطلاعاً للرأي عن محبة السامية، السبب رقم واحد الذي حصلنا عليه للرغبة في الحصول على زوجة يهودية هو القيم القوية، وأقر نحو الثلث تقريباً أنهم ينجذبون إلى المال، المظهر، أو الشعور بأن اليهود «يعاملون أزواجهم على نحو أفضل». في سنة 2004، عملت مع عضو مجلس الشيوخ جوزيف آي. ليبرمان، يهودي أرثوذكسي، في حملته ليصبح رئيساً. بالرغم من أنه فشل في الفوز بترشيح حزبه، إلا أن تشديده على القيم قدم مثالاً زاد من الاهتمام بحياة اليهود في أمريكة. في أثناء حملته، قال له يهود أكثر بكثير من غير اليهود: إنه لا ينبغي لليهودي أن يهرب. لكن شعوره القوي بالمسؤولية خدمه جيداً سنة 2006، عندما هبّ جمهوريون ومستقلون -لم يكونوا يدعمون قبلاً مرشحاً يهودياً- لمساعدته عندما أحجم ديمقراطيو كونيكتيكت عن ترشيحه لإعادة انتخابه إلى مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة.

يبدو أن ثقافة البوب (الشعبية) قد اكتشفت، أيضاً، محبة السامية. عندما ألزمت مادونا نفسها بالقبلانية (صوفية يهودية)، وهي حركة دينية تمتد جذورها إلى الباطنية اليهودية، تعرّف جيل جديد بأكمله في أمريكة إلى حياة اليهود. ليست من نوع سينفيلد -حيث تحوم الثقافة اليهودية بهدوء في الخلفية- لكن من النوع الديني الفريد، والمميز. أمر مسلَّمٌ به، لكن بعضهم ظن أن مادونا تمادت فيه: في أثناء جولتها سنة 2004 رفضت بكل وضوح شرب أي شيء سوى «ماء قبلانية»، ولم تكن تقدم عروضاً في أمسيات الجمعة احتراماً ليوم السبت اليهودي.

حالما بدأ غير اليهود الاهتمام باليهودية، انغمس اليهود فيها أكثر، أيضاً. في سنة 2005، اعتمر الفنان الموسيقي اليهودي ماتيسياهو (اسم ماثيو باليهودية، أو «هبة الرب») طاقيته وجدل شعره، وغنى عن قوة الرب؛ ليرفع من شأننا، وشاهد الظهور الأول لقرصه المضغوط الثاني في وسائل الإعلان. الجديد هنا هو أن يهودياً استطاع تحقيق نجاح كبير في موسيقا الروك آند رول. كان كثيرون، مثل روبرت زيمرمان، الذي غير اسمه إلى بوب ديلان، يرتدون الجينز وقمصاناً دون أردان، غنّوا عن أمريكة، وأذهلوا جيلاً بأكمله. الجديد أن ماتيسياهو بدا قادماً من كنيس بولندي في القرن الثالث عشر، يغني بمزيج من اليدش (عبرية قديمة تكلم بها يهود أوروبا الشرقية) والعبرية، ويجذب معجبين من أوكلاهوما.

فيما تنتشر محبة السامية، تنتشر كذلك العادات اليهودية المتميزة - حتى عندما لا يوجد اليهود في الأرجاء. بدأ غير اليهود إقامة ميتزفاخ، احتفال «البلوغ» الديني اليهودي عندما يبلغ عمر الطفل 13 سنة. مدونة كاملة مخصصة لآداب وطريقة استعمال تشوباخ، غطاء الزفاف اليهودي، في حفلات غير اليهود. يتناول غير اليهود بسعادة طوال السنة ماتزوخ، «خبز الأسى»، الذي يفترض أن يتقيد اليهود بتناوله في أثناء عيد الفصح اليهودي؛ إحياءً لذكرى خروج أسلافهم من مصر.

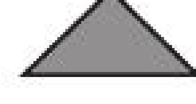
ربما بدأ كل هذا مع خبز الشعير وشطائر السجق، والاعتقاد الراسخ عميقاً أنها لو كانت كوشر (طعاماً حلالاً) لكان ذلك أفضل. عمل والدي في مجال لحوم الدواجن

الحلال في الخمسينيات، وواجه سوقاً تنكمش عندما تخلى اليهود عن الطعام الحلال. اليوم، مع التسويق المناسب، كان سيرحب بالطلب المتزايد من اليهود وغير اليهود على حدٍ سواء. إن كان هناك من شيء يمكن أن يستند إلى هذه النزعة، سيكون أن اليهودية لم تأخذ نصيبها من التسويق الجيد حتى اليوم.

وفقاً لتقليد يهودي، ينبغي أن يدرس غير اليهودي، ويسأل ثلاث مرات، قبل أن يتمكن من اعتناق الدين. ربما في الحقبة المعاصرة، سيخففون من ذلك الطلب، بعد أن أضحى غير اليهود الآن يستوعبون اليهودية بسرعة ولهفة كبيرتين. لكن في أثناء ذلك، يبدو أن الأعزاب اليهود (مثل المنتجات الوطنية اليهودية) ينبغي أن يتحملوا عبء «الاستجابة إلى نداء أسمى».



عائلات مختلطة الأعراق



ربما لم يكن هناك موضوع في التاريخ الأمريكي أكثر أهمية، إثارة للجدال، أو تداولاً من العلاقات بين الأعراق. ولهذا ربما يكون مثيراً للاهتمام أن تكون نسبة هؤلاء الأزواج على جبهة مزيج العرق-و-اللون قد تجاوزت عتبة 1% في أمريكة.

اليوم، ما يزيد عن 3 ملايين حالة زواج في أمريكة مختلطة الأعراق. ويقول 83 % من الأمريكيين: إنهم يؤيدون زواج الأعراق المختلطة، لهذا تمثل هذه النزعة تغييراً كبيراً في مواقف وتسامح الأمريكيين.

كان أول استطلاع للرأي قمت به (عندما كان عمري 13 سنة) عن موضوع علاقات الأعراق في أمريكة. طلبت من كلية هوراس مان Horace Mann في مدينة نيويورك إجراء الاستطلاع ضمن حرمها، وقد عرضته سي-بي-إس CBS على نطاق قومي، عن مواقف أبيض-أسود. اكتشفت أنه عندما يتعلق الأمر بالعرق، كان أساتذتي أكثر معرفة وتحرراً من عامة الشعب (ربما كان ذلك بذرة افتتاني بالطريقة التي يكون فيها لمجموعات مختلفة آراء متناقضة عن الأشياء نفسها). لكن حتى بين هؤلاء الأساتذة، لم يكن هناك ذلك النوع من القبول، والاحترام الذي نراه اليوم لدى الجيل الأصغر.

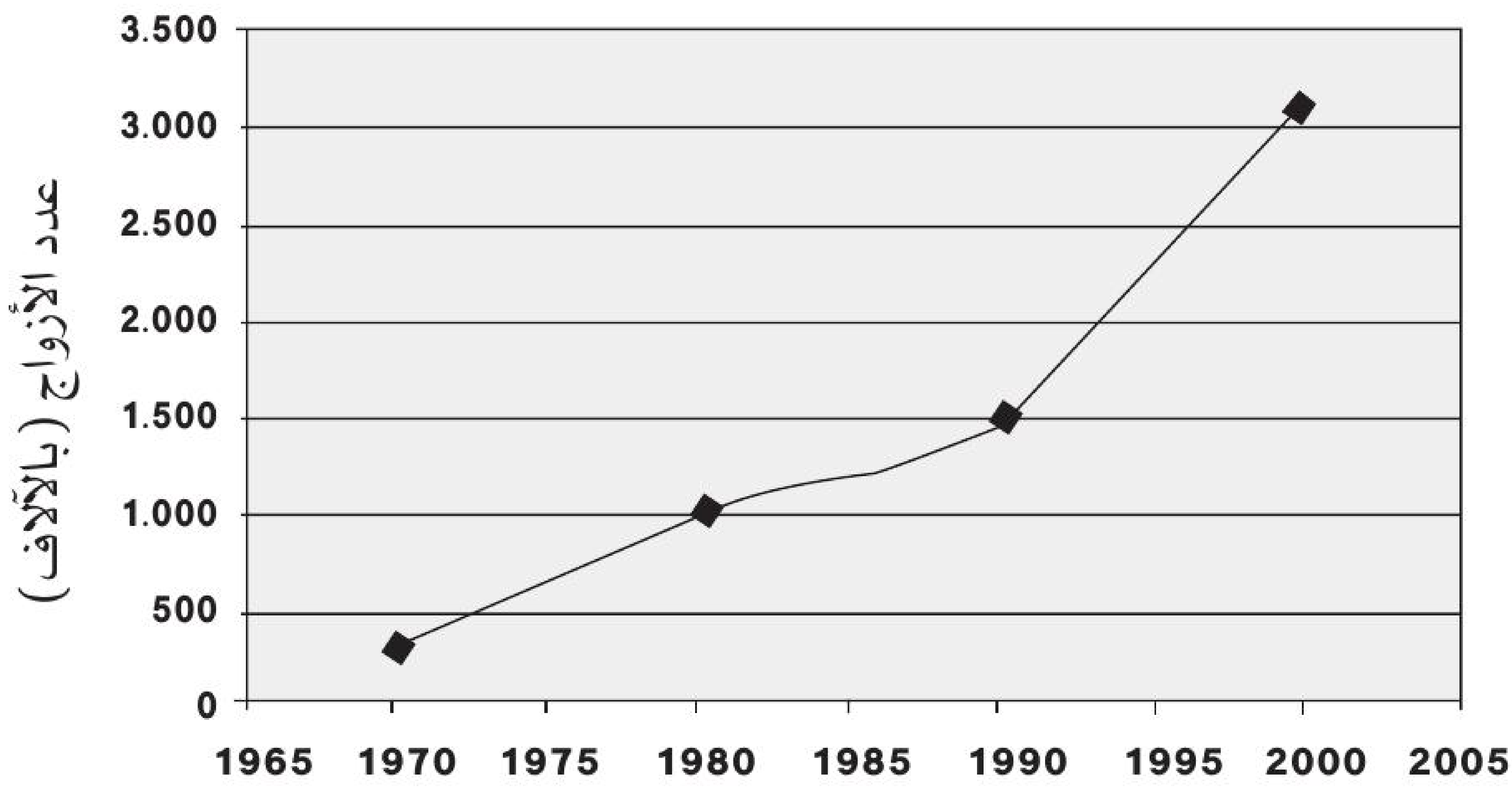
في سنة 1970، كانت هناك نحو 300.000 حالة زواج مختلط الأعراق في أمريكة، أو 0.3 % من السكان المتزوجين. بحلول سنة 2000، كان هناك أكثر من عشرة أضعاف ذلك الرقم - 3.100.000 - أو 5.4 % من كل حالات الزواج.

نزعة الزواج المختلط والذرية متعددة الأعراق مهمة بما يكفي لدرجة أنه في سنة 2000، للمرة الأولى، سمح مكتب الإحصاء في الولايات المتحدة للأمريكيين بملء عدة خانات من «العرق» - كان هناك 63 مزيجاً عرقياً محتملاً لا يتضمن «أخرى».

من ينحو للاختلاط، عرقياً؟

وفقاً لبيانات «مركز أبحاث بيو Pew» من سنة 2006. على الرغم من أن أغلبية أزواج الأعراق المختلطة تتضمن لاتيناً (من أمريكة اللاتينية)، إلا أن النموذج الأكثر شيوعاً لأزواج الأعراق المختلطة (14%) هو رجل أبيض يقترن بامرأة آسيوية.

أزواج الأعراق المختلطة في الولايات المتحدة، 1970–2000



المصدر: مكتب إحصائيات السكان، 2005.

ثانياً، بنسبة 8%، رجل أسود يتزوج امرأةً بيضاءَ. المثير للاهتمام أن (أزواج أبيض-آسيوي) من رجال بيض مع نساء آسيويات أكثر بثلاث مرات من العكس؛ ويكون أزواج (أسود- أبيض) من رجال سود مع نساء بيض أكثر بثلاث مرات من الحالة المعاكسة. كان مراقبون قد علّقوا على مظاهر تراجع حالات زواج النساء السود والرجال الآسيويين نتيجة لذلك - بالرغم من أنه لا يبدو أن أفراد تلك المجموعتين، كما قد يتوقع المرء بمعادلة رياضية بحتة، يمكن أن يتزوجوا بعضهم بعضاً).

إضافة إلى ذلك، تقع حالات الزواج المختلط الأعراق أكثر في الغرب مقارنة بالجنوب، الشمال الشرقي، أو الغرب الأوسط. على أي حال، يقول استطلاع للرأي قامت به مؤسسة غالوب أخيراً: إن الشرقيين هم أكثر من يقول: إنهم يقبلون زواج أسود-أبيض. هذه هي

الفجوة الشهيرة بين أولئك الذين يتكلمون ويتكلمون فقط وأولئك الذين يسيرون على الدرب - في هذه الحالة على الممر في حفل الزفاف.

لا يقتصر الحب بين الأعراق على العلاقة العاطفية - يتسع أيضاً ليشمل تبني الأولاد. بين سنتي 1998 و2004، قفزت نسبة الأولاد الذين يتم تبينهم من أعراق مختلفة في أمريكة (يعني ذلك عادة أولاداً سوداً يتبناهم والدون بيض) من 14% إلى 26 %. بين سنتي 1990 و2005، تضاعف عدد الأولاد الذين يتم تبنيهم من والدين أمريكيين ويأتون من دول أخرى مثل الصين، وغواتيمالا، وكوريا الجنوبية، ثلاث مرات - ارتفع إلى نحو 18% من كل عمليات التبني، أو 20.000 عائلة كل سنة.

حتى عند جمعها معاً، لا يزال عدد العائلات مختلطة الأعراق لا يشكل سوى جزءٍ صغيرٍ من الأسر الأمريكية. لكنه ينمو بثبات، وسوف يستمر بذلك دون شك. السبب الرئيس هو أن قبول العلاقات مختلطة الأعراق قد ازداد كثيراً. في سنة 1987، كان أقل من نصف الأمريكيين يعتقدون أنه «لا بأس بأن يواعد السود والبيض بعضهم بعضاً»؛ وفي سنة 2003، أصبح أكثر من ثلاثة أرباع الأمريكيين يعتقدون أنه لا بأس بذلك.

ويظن الشبان اليوم أن الأمر مقبول تماماً. لم يترعرعوا على صيغة تستند إلى «التنوع» و«تعدد الثقافات» فقط، وإنما يعد الجيل تحت الثلاثينات اليوم الأكثر تنوعاً في التاريخ أيضاً. ربما نتيجة لذلك، يقبل أكثر من 90 % من الشبان علاقات الأعراق المختلطة، مقارنة بـ50 % فقط من الأكبر سناً.

ولا يقبلون ذلك فقط، وإنما يصبحون أطرافاً في تلك العلاقات أيضاً. في سنة 2002، قال 20 % من الذين تتراوح أعمارهم بين 18–19 سنة: إنهم يواعدون شخصاً من عرق مختلف، ارتفاعاً من نحو 10% قبل عقد فقط. من بين أعضاء موقع ماتش.كوم Match.com، يقول 70 % : إنهم مستعدون لمواعدة شخص من عرق مختلف.

في المستقبل، يبدو أن العرق لن يكون سبباً للخلاف كما كان سابقاً. كان الرئيس كلينتون يحب أن يقول: إن الناس متآلفون معاً؛ لأنهم متماثلون وراثياً 99.9 % - مختلفون عشرة بالألف فقط. يبدو أنه حتى قوة تقسيم 1% تلك تتضاءل.

مع هذا النوع من النمو الكبير في عدد حالات الزواج مختلط الأعراق، يمكن للعائلات التي تعيش حياة مختلطة الأعراق أن تتلقى بعض الدعم. يقول نحو نصف أزواج أسود - أبيض: إن الزواج بعرق مختلف يجعل الحياة العائلية أصعب. يقول ثلثا أزواج أسود - أبيض: إن والديّ أحد الطرفين على الأقل اعترضا في البداية. يبدو أن مشاعر أصدقاء وأقرباء المتحابين من أعراق مختلفة تذهب في كل اتجاه ممكن - مثل الدعم، والغضب، والاشمئزاز، والغيرة التي سيطرت كلها على كل من ويزلي سنايبز وأنابيلا سكوريا في حمّى الأدغال **Jungle Fever** لسبايك لي.

لا يزال ينبغي على والدين أبيضين يرغبان في تبني ولد أسود في أمريكةالخضوع لتدريب «كفاية ثقافية» - إيماءة إلى الأيام (من السبعينيات وحتى بداية التسعينيات) التي كان فيها التبني من عرق مختلف منتقداً بوصفه «إبادة جماعية ثقافية».

لكن إلى جانب حاجتها إلى احترامنا ودعمنا، تجذب عائلات الأعرق المختلطة من كل الأنواع اهتمامنا؛ لأنها ببساطة شديدة تتجاوز الافتراضات التي كانت قد قامت عليها السياسات، والتقاليد، والعادات المرتبطة بالأعراق في أمريكة لعقود.

مثلاً، ماذا يعني عمل إيجابي، في حقبة أضحى فيها أسلاف الناس ضحايا ومضطهِدين معاً؟ هل يحظى مثل أولئك الناس بمعاملة تفضيلية، أم لا؟

إلى متى سنلتزم بقاعدة «القطرة الواحدة» في تحديد عرق الناس؟ والدة عضو مجلس الشيوخ عن إيلينوي باراك أوباما بيضاء، وقامت بتربيته وحدها، لكن هل يسرد أحد قصته (بمن فيهم عضو مجلس الشيوخ نفسه) دون الإشارة إلى لونه الأسود؟ والدة هيل بيري بيضاء، أيضاً، وقد ربّتها وحدها. لكن السطر الأول من سيرتها الذاتية (وموضوع خطاب قبولها الأوسكار المطوّل) كان مكانتها كأول أمريكية - إفريقية تفوز بجائزة أفضل ممثلة. يزعم علماء الأعراق أن العرق تجربة، وليس حقيقة - لهذا إذا تمت معاملة شخص على أنه أسود، فسيكون أسودَ بغض النظر عن عدد «القطرات» التي تظهر عليه.

لكن ضمن نجوم مثل هؤلاء في كل ميدان - من أوباما في السياسة، وبيري في هوليوود، وتايغر وودز (نصف أسود، نصف آسيوي) في الرياضة - ليس هناك شك في أن الوصمة

التي تحيط بعائلات الأعراق المختلطة تتضاءل، وبالفعل، قبولها يزداد. كانت أمريكة قد قطعت شوطاً طويلاً من مشهد الوالدين المصدومين في فيلم «خمّن من سيأتي إلى العشاء» Guess Who's Coming to Dinner سنة 1967، عندما أحضرت ابنتهما سيدني بويتر إلى المنزل.

وبعد أن تبنت مادونا الآن طفلاً من مالاوي، وتبنت أنجيلينا جولي أطفالاً من إثيوبيا، وكمبوديا، وفيتنام، لم يعد هناك عائق أمام بناء عائلتك بقدر ما ترغب من التنوع العرقي.

بالطبع، سيجادل بعضهم بأن القبول المتزايد للعلاقات مختلطة الأعراق سيؤدي إلى خسارة الخصوصية التي كانت تتمتع بها كل مجموعة وعملت جاهدة للحفاظ عليها. يأسف الأمريكيون الأصليون الذين يتمتعون بأعلى نسبة زواج مختلط مقارنة بأي مجموعة عرقية أخرى في أمريكة، لفقدانهم تقاليدهم، ولغتهم، وهويتهم الخاصة بهم؛ وقد قاموا أخيراً بافتتاح متحف في واشنطن لإحياء ثقافتهم.

إحدى الأفكار الكبيرة لهذا الكتاب هي أن أمريكة لم تعد فرن صهر بعد الآن - أضحت المجموعات الصغيرة، بدلاً من ذلك، تحدد نفسها بطريقة حادة أكثر تميزاً من ذي قبل. إلى حدٍ ما، العائلات متعددة الأعراق استثناء. طوال مئات السنين، شهد هذا البلد انقسامات عرقية حادة، ويبدو أن تلك الانقسامات تتضاءل بطرق مثيرة جداً للاهتمام. لكن في الوقت نفسه، يمكن للناس أن يعبِّروا عن أنفسهم على نحو غير محدد سلفاً بالعرق أو العقيدة أو تاريخ الولادة، وإنما بتجاربهم ومعتقداتهم في الحياة. ويتعلم الأمريكيون كيف يكونون مختلفين ويقبلون الاختلافات بطرق جديدة. ربما ما يجعل الزواج مختلط الأعراق إشارة جيدة هي أنه يُظهر لنا أن الانقسامات القديمة يمكن أن تصبح قوى توحيد بمرور الوقت. لن ترغب أمريكة في تكرار النزاعات التي شهدتها بشأن الاختلافات العرقية عندما يتعلق الأمر بالدين، أو السياسة، أو الفن، أو الثقافة. فيما تأخذ نزعات مجهرية أمريكة في مئات الاتجاهات الجديدة، يمكن أن تفيد هذه الفكرة المركزية للتخفيف من التأثير المجتمعي على تطور المجتمع - القدرة على دفن الاختلافات القديمة دون السماح لاختلافات جديدة بأن تصل إلى مرحلة الغليان، كما حدث في الماضي.

الصورة الدولية

بالتأكيد، الزواج متعدد الأعراق ليس ظاهرة أمريكية بحتة. يبدو أن الناس في كل أنحاء العالم يتزاوجون عبر الأعراق، والحدود، والقارات - على الرغم من أن أسبابهم ربما تكون مختلفة عن تلك التي تدفع هذه النزعة المجهرية هنا في الولايات المتحدة.

كانت هذه النزعة في الزواج عالمياً قد حققت مستوى جديداً من الشعبية في آسية:

- في سنة 2005، وصلت نسبة الزواج بأجانب إلى 14 % من كل حالات الزواج في كوريا الجنوبية، ارتفاعاً من 4 % سنة 2000.
- في اليابان سنة 2003، كان 1 من كل 20 زواجاً جديداً يضم شريكاً غير ياباني. كانت أغلبية حالات الزواج هذه تتألف من رجال يابانيين يبحثون عن زوجات أجنبيات.
- نظراً لتزايد فرص العمل للنساء في اليابان، وكورية الجنوبية، وماليزية، وتايوان -وعدد الذكور غير المتناسب معهن- يجد الرجال في تلك الدول أنفسهم يستقلون الطائرات للزواج. ونساء من دول آسيوية أخرى سعيدات بهذا الارتباط. تحتل فيتنام المرتبة الثانية بعد الصين على قائمة أكبر مصدّري الزوجات في آسية: أكثر من 87.000 امرأة فيتنامية تزوجن أجانب في السنوات الثماني الماضية. تتضمن دول أخرى تستفيد فيها النساء من هذه الفرص تايلاند وأندونيسة.

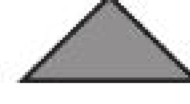
أصبحت روسية معروفة في أثناء التسعينيات بأنها مصدر زوجات البريد للأمريكيين؛ لكن هذا قد تغير، بمرور الوقت، أيضاً. أخذت تركية الآن مكان أمريكة وأضحت المصدر المفضل للعثور على أزواج بالنسبة للنساء الروسيات. في سنة 2006، تضمنت أغلبية حالات الزواج الأممي في موسكو أزواجاً من تركية، يليهم أولئك من ألمانية، وأمريكة، وبريطانية، والمنطقة التي كانت تضم يوغسلافيا السابقة.

هناك جانب مظلم لكل حالات الزواج الأممية تلك، على أي حال. على الرغم من أن بعضها ربما يستند إلى الحب والعلاقات العاطفية، إلا أن معظمها تحتمه الضرورة. بعض الرجال الذين يبحثون في الخارج عن زوجات يفعلون ذلك لأسباب اقتصادية: لا يمكن لمعظمهم أن ينالوا، بسبب ضيق ذات اليد، زوجة من جنسيتهم. يتم ترتيب حالات زواج أخرى بهدف وحيد هو الحصول على الجنسية، ويتبعها مباشرة الطلاق. يتعرض العديد من هؤلاء في النهاية إلى عزلة وإساءة استعمال.

لكن حالات الزواج مختلط الأعراق، متعدد الوثنيات، والأممية ترتفع، وكذلك الذرية التي تنتج عنها. ربما تكون بينيتون Benetton على حق في شعارها.



اللاتين البروتستانت



خمّن أي بلد يرسل أكبر عدد من المهاجرين الكاثوليك إلى الولايات المتحدة؟ صحيح، المكسيك.

خمّن الآن أي بلد يرسل أكبر عدد من المهاجرين البروتستانت إلى الولايات المتحدة؟ نعم، إنها المكسيك مجدداً.

مكسيكيون بروتستانت؟ لاتين بروتستانت؟ بأعداد كبيرة؟

يعرف الجميع أن نفوذ اللاتين في أمريكا ينمو بسرعة كبيرة. في سنة 2006. هناك ما يزيد عن 43 مليون لاتيني في أمريكا، وقد ارتفع العدد من نحو 22 مليوناً سنة 1990. إذا أحصيت عدد سكان جزيرة بورتوريكو (4 ملايين)، وأخذت في الحسبان ما غفلت عنه الإحصائيات بالتأكيد، تصل أعداد السكان اللاتين في الولايات المتحدة إلى نحو 50 مليون شخص.

في سنة 2003. فاقت أعداد اللاتين أعداد الأمريكيين-الأفارقة بوصفها أكبر مجموعة أقلية في الولايات المتحدة. يشكلون الآن 14 % من سكان الولايات المتحدة، ونحو 8 % من عدد الناخبين - ارتفاعاً من 2 % فقط سنة 1976.

لكن بوجه عام، هناك اعتقاد سائد بأن المهاجرين اللاتين كاثوليك. ولأكون منصفاً، 07% من المهاجرين اللاتين كاثوليك، ومع معدلات هجرة عالية الآن، ارتفع عدد الكاثوليك اللاتين في الولايات المتحدة إلى رقم غير مسبوق وصل إلى 29 مليون شخص. تحمل الكاثوليكية نفسها رقماً قياسياً في عدد الأمريكيين الذين يعتنقونها (نحو 70 مليوناً) ويتوقع أنه بحلول سنة 2015 سيكون ما يزيد عن 50 % منهم من اللاتين.

لكن مجموعة فرعية جديرة بالاهتمام من اللاتين في أمريكة هم البروتستانت. وفقاً لكتاب صدر سنة 2005 بعنوان أديان اللاتين والنشاط المدني في الولايات المتحدة، قال نحو ربع اللاتين الأمريكيين: إنهم بروتستانت أو نصارى آخرون بما في ذلك شهود يهوه والمورمن. يشكل هؤلاء نحو 10 ملايين شخص في أمريكة- أكثر من عدد اليهود، أو المسلمين، أو رعايا الكنيسة الأسقفية في الولايات المتحدة. ومن هؤلاء اللاتين البروتستانت الذين يبلغ عددهم 10 ملايين شخص، يقول نحو 90 % منهم: إنهم ليسوا بروتستانت «عاديين» أو متحررين، وإنما رعايا كنيسة العنصرة (ذكرى نزول الروح القدس على الحواريين بعد خمسين يوماً من عيد الفصح اليهودي)، إنجيليون، أو «مولودون مجدداً».

إلى حدٍ ما، هذا كله جزء من انتشار واسع النطاق لرعايا كنيسة العنصرة، الذين ازداد عددهم من أقل من 50 مليوناً إلى أكثر من 400 مليون في أنحاء العالم في العقود القليلة الأخيرة. الواضح أن الهوية البروتستانتية لبعض المهاجرين اللاتين تعود في جذورها إلى بلادهم الأصلية. لكن الكثير منها يحدث هنا. وفقاً لدراسة سنة 2003 عن «الكنائس اللاتينية في الحياة العامة الأمريكية»، تراجع اعتناق الكاثوليكية نحو 15 % بين أول جيل من اللاتين الأمريكيين وأحفادهم. بالتأكيد، تخلي المهاجرين عن تقاليدهم الإثنية قصة فرن صهر قديمة – ما عدا أن الأمر الآن معكوس. لا «تمتزج»الأجيال الجديدة في أمريكة بقدر ما تختار هوية إثنية مختلفة.

يقول مراقبو اللاتين: إن التحول إلى العنصرة يتم على مستويات عدّة. تقدم كنائس العنصرة خدمات بلغات المهاجرين الأصلية، وتركز بقوة على الفرد. تهتم كثيراً بقيمة الحرية الاجتماعية والمادية، مما يتوافق مع الطموحات الشخصية لكثير من المهاجرين. تركيزها على الرعاية الشخصية ومداواة الجسد يجذب المهاجرين الذين يحصلون على أجور قليلة، وليس لديهم تأمين صحي. وفقاً لأحد الخبراء في ثقافة اللاتين في أمريكة، كهنة العنصرة في مجتمعات اللاتين مثل المسؤولين عن دوائر انتخابية في مدن شمال شرق أمريكة يقدمون وظائفَ، ورعاية صحية، وقروضاً، ودعماً اجتماعياً. بالنسبة للأشخاص منخفضي الدخل من اللاتين، مجتمع العنصرة مثل عائلة.

إضافة إلى ذلك، يُقال: إن اللاتين الكاثوليك ينجذبون إلى الفرص القيادية الكبيرة في حركة العنصرة. في حين يشكل اللاتين نحو 40 % من كل كاثوليك الولايات المتحدة، أقل من 8 % من القساوسة الكاثوليك الأمريكيين من اللاتين، وكثير من هؤلاء جاؤوا من كولومبيا وإسبانيا. لهذا بالنسبة للأمريكيين من أصل لاتيني، تقدم حركة العنصرة فرصاً أفضل وأسرع للقيادة.

وربما يكون الشيء الأكثر أهمية أن رعايا كنيسة العنصرة ينتشرون بكثافة. في بعض الأماكن، تكون لديهم وسائل تعاون كاملة من البريد المباشر إلى عناوين اللاتين، لإيصال الرسائل بسرعة، إلى «آداب اللياقة» التي تجذب كل الوافدين.

وما سبب أهمية ذلك؟ لأن اللاتين البروتستانت -الذين لا يعرف كثير من السياسيين حتى بوجودهم- قوة سياسية فاعلة. في الحملتين الانتخابيتين الرئاسيتين الأخيرتين، المجموعتان الرئيستان اللتان أحدثتا فرقاً في خسارة الرئيس جورج دبليو. بوش للتصويت الشعبي (والفوز بتصويت المجمّع الانتخابي بقرار من المحكمة العليا) سنة 2000. وفوزه الحاسم في كلا التصويتين سنة 2004. كانتا النساء البيض واللاتين. في سنة 2000. صوّت اللاتين لبوش بمعدل 35 % فقط. في سنة 2004. رفعوا دعمهم له إلى 40 %، وكانت استطلاعات رأي الخارجين من صناديق الاقتراع قد أوصلت النسبة إلى 44 %. كان ذلك تحولاً مثيراً، وبالغ الأهمية للرئيس. لكن إليكم ما هو جدير بالملاحظة. كان كل التحول بين البروتستانت اللاتين. كانت نسبة المؤيدين لبوش بين الكاثوليك اللاتين سنتي 2000 و2004 نفسها تماماً - 33 %. زاد اللاتين البروتستانت فقط من دعمهم لبوش من 44 إلى 56 %. كان اللاتين رعايا كنيسة العنصرة، غير المعروفين لمعظم الأمريكيين، إحدى القوى الرئيسة التي قررت نتائج انتخابات سنة 2004.

بعد تلك الانتخابات، من المنصف القول: إن الرئيس بوش والحزب الجمهوري تغاضوا عن النوايا الطيبة للمواطنين اللاتين عبر سلسلة من مشروعات قوانين الهجرة التي وجدها اللاتين من كل طائفة عدوانية. في انتخابات التجديد النصفي سنة 2006، كان اللاتين قد عادوا، على المستوى القومي على الأقل، إلى تأييد الديمقراطيين بنسبة 2 إلى 1 كما كان الأمر تاريخياً. كانت مشاعر حتى اللاتين من رعايا كنيسة العنصرة أكثر قوة

بشأن الهجرة من القضايا التي كانوا متوافقين عليها مع الجمهوريين. لكن، وفقاً لمركز بيو اللاتيني، في ستة انتخابات لمجلس الشيوخ ومنصب حاكم ولاية، حصل المرشحون الجمهوريون على دعم قوي من اللاتين. وبالنسبة لمرشح رئاسي جمهوري مختلف، أو في سنة لا تهيمن عليها نقاشات الهجرة العاطفية، يمكن توقع أن يكون اللاتين بوجه عام، ورعايا كنيسة العنصرة بوجه خاص، في صف الجمهوريين.

لا يميز السياسيون بين الناخبين اللاتين. صحيح، معظم اللاتين كاثوليك محافظون، ويفعلون كل ما ينبغي لإحياء الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة. لكن مجموعة متزايدة من اللاتين من البروتستانت ورعايا كنيسة العنصرة، وما عدا قضية الهجرة، فإنهم لا يتفقون مع إخوانهم الكاثوليك سوى بشأن القليل من القضايا. مثلاً:

- وفقاً لاستطلاع رأي أجرته مؤسستي سنة 2006، فإن عدداً كبيراً من اللاتين الكاثوليك (42 %) يعتقدون أن القضية الأكثر أهمية في الانتخابات الرئاسية هي الاقتصاد. على العكس من ذلك، عدد كبير من اللاتين البروتستانت (44 %) هم «ناخبو قيم». القيم، الكاثوليك، هي العامل الأقل أهمية في انتخابات رئاسية، ولم يقل سوى 23 % من اللاتين الكاثوليك: إنها تحتل مرتبة متقدمة بالنسبة لهم.

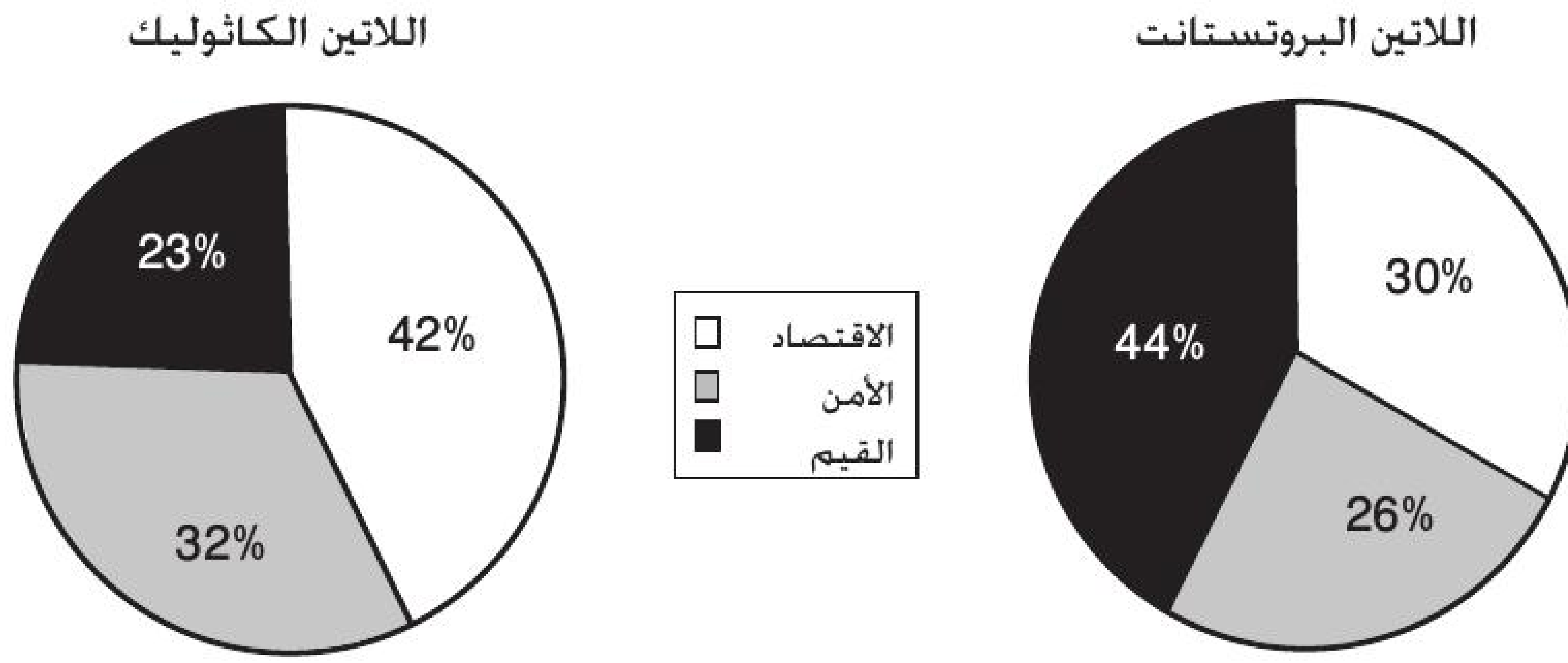
- عدد اللاتين الكاثوليك أكبر بثلاثة أضعاف على الأرجح من عدد البروتستانت الذين ينتمون إلى اتحاد عمالي، أو ينتمي إليه أحد أفراد عائلتهم.

- اللاتين الكاثوليك أفضل دخلاً قليلاً من البروتستانت. يبلغ دخل 23 % من اللاتين الكاثوليك 75.000 دولار أو أكثر، مقارنة بـ12 % من البروتستانت.

- أكثر من نصف اللاتين البروتستانت يتكلمون الإنكليزية وحدها، أو الإنكليزية مع القليل من الإسبانية. يصح ذلك على 28 % فقط من اللاتين الكاثوليك. أمر مسلم به أن اللاتين البروتستانت يمثّلون بوجه عام أجيالاً لاحقة من الأمريكيين، لكن الثابت أن هناك نزعة كبيرة تطول كثيراً من اللاتين الذين يصبحون حقاً «أمريكيين» فيما يتعلق بكل من استعمال الإنكليزية والانتماء إلى كنيسة العنصرة.

- ربما يكون الشيء الجدير بالملاحظة الفرق بين اللاتين الكاثوليك ورعايا كنيسة العنصرة فيما يتعلق بالإجهاض. في حين يؤيد اللاتين البروتستانت بقوة الحياة (58 إلى 26 %) - مجدداً، تذكر التحالف مع الرئيس جورج دبليو. بوش سنة 2004 - يؤيد اللاتين الكاثوليك اختيار الفرد، بنسبة 41 إلى 37 %.

اختلافات في الأولويات بين اللاتينيين الكاثوليك والبروتستانت، 2006



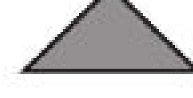
المصدر: مكتب إحصائيات السكان، 2006.

لغاية نشوب النزاع المتعلق بالهجرة سنة 2006، كان أعضاء الحزب الجمهوري قد حازوا مكانة خاصة لدى مجتمع اللاتين. الجدير بالملاحظة أن المجموعة الدينية الأسرع نمواً ضمن المجموعة العرقية الأسرع نمواً في أمريكا تبدو مثلهم تماماً: غير كادحة، وتناصر الحياة، وتؤيد اللغة الإنكليزية ومدافعة عن القيم. للأسف، في سنة 2006، عادت هذه المجموعة إلى الديمقراطيين.

والاعتبارات ليست سياسية فقط. تحتاج المزيد من الكنائس البروتستانتية لتعلم اللغة والثقافة الإسبانيتين، ويحتاج المزيد من الكاثوليك إلى معرفة ما دفع بـ «قاعدتهم» إلى اعتناق العنصرة. هناك حاجة لشبكات اجتماعية جديدة بشكل كامل، بما في ذلك تلك التي تخص الشبان. يصلي الناس بطرق مدهشة، وصلوات من كل التقاليد ترتفع بلغات جديدة.



المسلمون المعتدلون



منذ 9/11 لم يكن الوضع سهلاً على المسلمين في أمريكة. لدى نصف الأمريكيين تقريباً نظرة سلبية عن الإسلام. عندما سُئلوا أن يصنّفوا كل الأديان الرئيسة، لم تأتِ سوى الطريقة العلمية (حركة دينية تدّعي أنها تشفي الإنسان من أمراض الجسد والعقل) خلف الإسلام.

إذا كان المرء يعرف مسلماً على نحو شخصي، فستكون آراؤه معتدلة - لكن أكثر من ثلث الأمريكيين بقليل يعرفون مسلماً على نحو شخصي. يظن نصف الأمريكيين تقريباً (46 %) أن الإسلام يشجع على العنف أكثر من أي أديان أخرى - ارتفاعاً من 35 % كانوا يشعرون بتلك الطريقة بعد ستة شهور من هجمات 2001. يقول أكثر من نصف الأمريكيين: إن المسلمين لا يحترمون النساء. يقول 44 % : إن المسلمين متشددون جداً في معتقداتهم الدينية. يقول 22 % : إنهم لا يريدون مسلماً يسكن بجوارهم.

لكن إذا نظرت إلى المشهد الديمغرافي الحقيقي للمسلمين في أمريكة، فستجد صورة مغايرة تماماً.

يظن الأمريكيون أن المسلمين عنيفون؟ تؤيد نسبة ساحقة تبلغ 81 % من الأمريكيين المسلمين تنظيم حمل السلاح، مقارنة بنصف الأمريكيين فقط. المسلمون متشددون دينياً؟ 25 % من المسلمين يقولون: إنهم يؤدون شعائرهم الدينية الأسبوعية - يتطابق ذلك فعلياً مع نسبة 26 % من الأمريكيين الذين يقولون: إنهم يفعلون الشيء نفسه. يقول 40 % من المسلمين: إنهم معتدلون - يتطابق ذلك مع نسبة الأمريكيين بوجه عام.

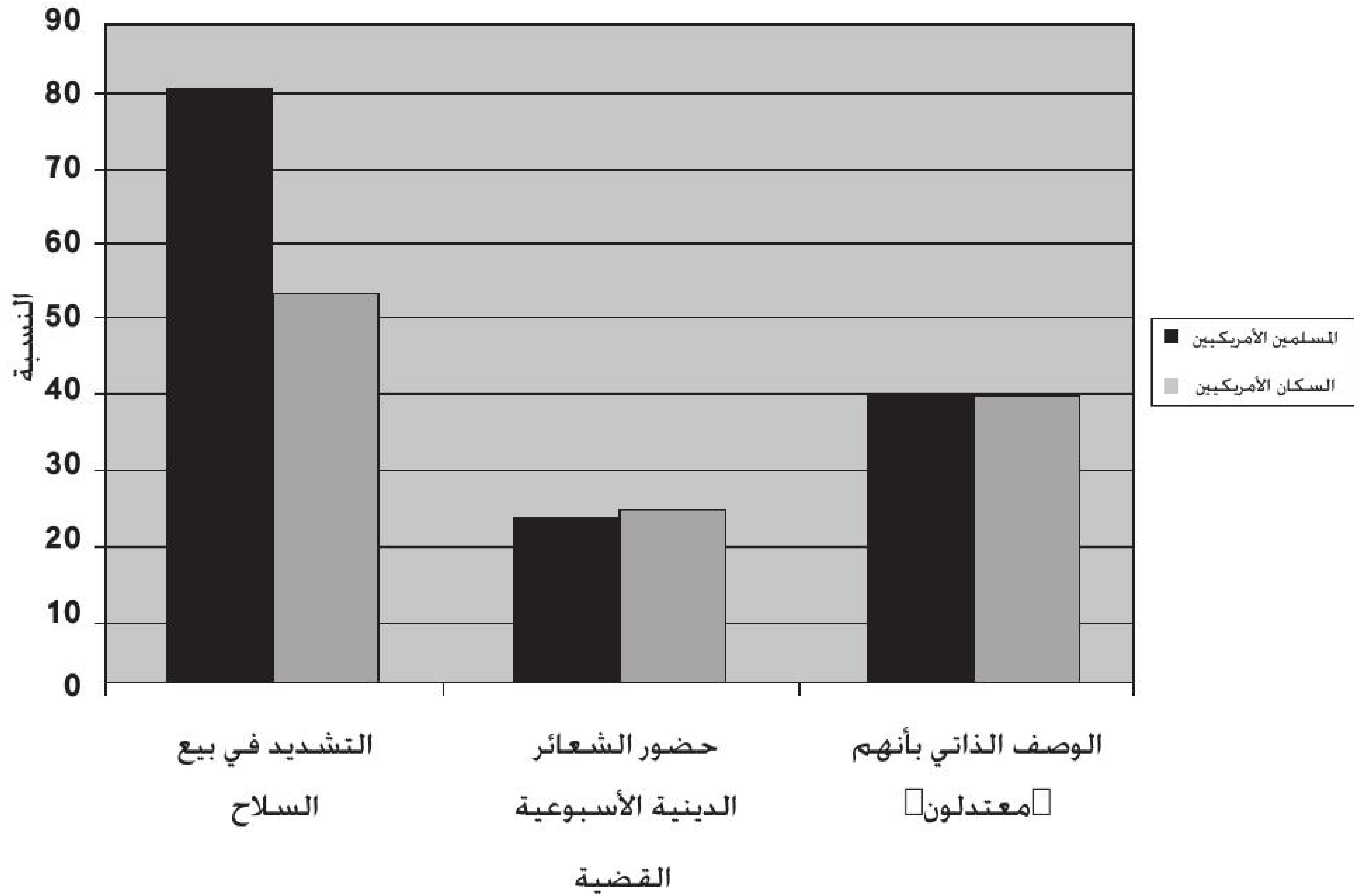
في الواقع، إذا كنت سأصف لك مجموعة من الأمريكيين الذين يتزوجون بمعدل 70 %، يسجلون للتصويت بمعدل 82 %، يحصلون على إجازات جامعية بمعدل 59 %، ويكسبون بالمعدل أكثر من 50.000 دولار سنوياً - من برأيك ستكون تلك المجموعة؟

إنهم المسلمون المعتدلون في أمريكة. شبان، ويحبون العائلة، ومثقفون، وناجحون في عملهم، ونشيطون سياسياً.

آه – وعددهم يزداد. منذ الستينيات، عندما تم إلغاء حصص الهجرة التي كانت تفضل أولئك القادمين من أوروبة الشرقية، كان المسلمون يأتون إلى الولايات المتحدة بأعداد تزيد باستمرار، وعلى نحو رئيس إلى ميتشيغان، وكاليفورنيا، ونيويورك، ونيوجرسي. هناك أكثر من 1200 مسجد في أمريكة الآن، وقد ارتفع العدد من 450 سنة 1980. منذ سنة 1994. ازداد عدد المساجد 25 %. وعلى الرغم من أن هجرة المسلمين تراجعت بحدّة بعد الهجمات الإرهابية سنة 2001. إلا أنها عادت دون شك إلى ما كانت عليه: في سنة 2005، أصبح نحو 100.000 شخص من دول إسلامية مواطنين أمريكيين على نحو دائم وقانوني – أكثر من أي سنة أخرى منذ 1985.

مواقف المسلمين الأمريكيين مقارنة

بمواقف السكان الأمريكيين بوجه عام



المصدر: مشروع استطلاع مابس/زغبي MAPS/Zogby. 2004؛ هاريس إنتراكتيف. 2005. 2006؛ غالوب Gallup. 2004

لا يتفق الخبراء على عدد المسلمين الذين يعيشون فعلاً في أمريكة- بحساب المهاجرين المسلمين، وذرياتهم، والأمريكيين الذين يعتنقون الإسلام، ستتراوح التقديرات من 2 إلى 7 ملايين شخص. لكن لا يجادل أحد بأن المسلمين يزدادون ليس بالعدد فقط وإنما بالتأثير السياسي أيضاً. في التسعينيات، أعلنت مجموعة تدعى «اتحاد المسلمين الأمريكيين» عن خطة لإيصال 2000 مرشح إلى مناصب أمريكية مختلفة بحلول العام 2000. أوصلت المجموعة نحو 700 مرشح قبل الانحدار الشديد سنة 2001 - لكن في 2006. أصبح كينيث إيلسون من مينسوتا أول مسلم يتم انتخابه لمجلس النواب.

لا تكمن الدلالة الحقيقية في زيادة نفوذ الجالية المسلمة في تغير عدد المسلمين، وإنما في إمكانية التغيير ضمن الجالية المسلمة التي قد تأخذ أشكالاً متعددة. في حين يزداد عدد الأمريكيين المسلمين، ستحدد الخيارات الداخلية التي يتبناها هؤلاء مكانة الإسلام في أمريكة، التي يمكن أن يكون لها، ببعض الطرق الصغيرة، تأثير في مكانته في العالم.

حتى الآن، تغير اتجاه المسلمين الأمريكيين 180 درجة في الانتخابات الرئاسية. في سنة 2000، دعم أغلبيتهم الجمهوري جورج دبليو. بوش ضد الديمقراطي آل غور؛ وفي الانتخابات اللاحقة سنة 2004، صوّت أكثر من 75 % منهم للديمقراطي جون كيري ضد جورج دبليو. بوش. بالطبع، في السنوات التي تخللت تلك المدة، قاد بوش حملات غزو أفغانستان والعراق بعد أحداث 9/11 التي عدها معظم المسلمين هجمات ليس على الإرهاب وإنما على الإسلام — لهذا فإن تحولهم، بالرغم من أنه كبير، إلا أنه مفهوم.

لكن الأمريكيين سجلوا ملاحظة: المسلمون ناخبون متأرجحون ضمن جاليتهم، أيضاً.

في سنة 2004. وجدت دراسة أجراها معهد «الفهم والسياسة الاجتماعية» الذي يتخذ من ميتشيغان مقراً له، لمرتادي المساجد في منطقة ديترويت، التي تحتضن واحدة من أكبر الجاليات المسلمة في الولايات المتحدة، أن 65.000 أو نحو ذلك من مرتادي المساجد، أي 38%، «يفضلون انتهاج مقاربة مرنة» في ممارساتهم الدينية. نحو العدد نفسه - 36% -

كانوا «محافظين» (بمن فيهم 8% الذين يتم وصفهم بالسلفيين، المجموعة الأكثر تشدداً، التي تمارس التمييز على أساس الجنس بوصفه قانوناً إلهياً، وتظن أن غير المسلمين سيذهبون إلى جهنم).

المميز هنا، بالرغم من ذلك، أن الربع الباقي من المسلمين الذين يواظبون على الذهاب إلى المساجد يمكن إقناعه - ليتحول إما إلى «معتدل» أو «محافظ». يدعوهم م. أ. مقتدر خان، عالم سياسة نشر الدراسة المذكورة آنفاً ومدافع رئيس عن الإسلام المعتدل، «المستقلين». بوصفي شخصاً يعمل في تنظيم استطلاعات الرأي، سأدعوهم «متأرجحين».

يبدو أن مستقبل الإسلام في أمريكة يعتمد عليهم. إذا قرروا أن يصبحوا متشددين، فربما سيظهر المسلمون في أمريكة وفقاً للنمط القديم الراسخ في الأذهان - معزولين وفقاً للجنس، وغير منفتحين نحو أديان أخرى. لكن إذا أصبح المسلمون المتأرجحون «معتدلين»، فقد يكون هناك بذور لإعادة تشكيل حقيقي للإسلام في هذا البلد يمكن أن تعمل لسد الفجوة بين المسلمين وغير المسلمين ليس في أمريكة فقط، وإنما في كل أنحاء العالم أيضاً.

وربما يشكلون أيضاً مجموعة أكبر كثيراً مما تشير إليه الدراسة؛ لأنها لم تصل سوى إلى المواظبين على الذهاب إلى المساجد فقط. يفترض أن يكون الثلثان الآخران اللذان لا يواظبان على الذهاب إلى المسجد أكثر انفتاحاً نحو الاعتدال. لهذا إذا أخذت في الحسبان أولئك الذين لا يذهبون إلى المسجد، والمواظبين على الذهاب إلى المسجد، والمتأرجحين، وافترضت وجود 4 أو 5 ملايين مسلم (متوسط تقديرات الخبراء) - تحصل بسهولة على ما يزيد عن 3 ملايين مسلم معتدل.

تحاول بعض المؤسسات حشد قواهم. تشكل «المؤتمر الإسلامي الأمريكي» بعد 9/11 للتنديد بالإرهاب الإسلامي والترويج لوجود المسلمين المعتدلين في الولايات المتحدة. كان شخص يعمل بأسلوب مارتن لوثر ويدعى كمال نواش قد أطلق «اتحاد المسلمين الأحرار» للتنديد بالعنف الديني والإرهاب على نحو أكبر مما كانت تفعله منظمات المسلمين بعد 9/11.

كان البنتاغون نفسه قد أطلق حملة مكثّفة لتجنيد أمريكيين مسلمين في القوات المسلحة الأمريكية، وتعيين أئمة لوعظهم، والاحتفال بأعياد المسلمين، وضمان وجود غرف صلاة للمسلمين في ويست بوينت (الأكاديمية العسكرية الأمريكية) ومدارس أخرى.

لا أعرف من سيكسب قلوب المسلمين المعتدلين في أمريكة،. لكن مهما يكن الذي يفعل ذلك، فإنه سيغيّر من وجهة النظر الأمريكية في الجالية المسلمة وربما يساعد في صعود قادة عالميين يسدون الفجوة بين الشرق والغرب. ربما يكون لدى المسلمين القاطنين في الولايات المتحدة خصائص تجعلهم أكثر وداً للثقافة الغربية مما يحدث في أوروبة (انظر لاحقاً). أو ربما يتذكر المسلمون الأمريكيون بامتنان كيف تصدت أمريكة بقوة للصرب، واتخذت مواقف عسكرية مناصرة للمسلمين في البوسنة وكوسوفو. مهما يكن السبب، الفرق بين الجاليات المسلمة في أمريكة وأوروبة صارخ. لكن السياق المستقبلي للإسلام الأمريكي غير محدد البتة، وستكون الطريقة التي ينظر بها المسلمون المعتدلون لكل من الوحدة الأهلية والسياسة الخارجية الأمريكية عاملاً حاسماً للسلام في الداخل والخارج.



الصورة الدولية

بالرغم من أنه يمكن وصف العديد من المسلمين في الولايات المتحدة بالمعتدلين، إلا أن ذلك أقل صحة في أوروبة.

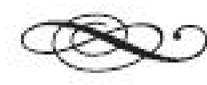
يشكل المسلمون ما يصل إلى 5 % من عدد سكان الاتحاد الأوروبي، أو 15 إلى 18 مليون شخص - أكبر بعدّة أضعاف من عدد المسلمين الذين يُقدّر أنهم يعيشون في الولايات المتحدة. لكن ذلك العدد ينمو بسرعة؛ نظراً لمعدلات الهجرة العالية وحقيقة أن نسبة ولادات المسلمين أكبر بثلاثة أضعاف من الأوروبيين غير المسلمين. بحلول سنة 2015، يُتوقع أن يتضاعف تقريباً عدد المسلمين في أوروبة، وربما يصبح المسلمون قريباً أغلبية في عدّة مدن أوروبية رئيسة.

لسوء الحظ، قد يؤدي نمو عدد السكان المسلمين إلى بث الشقاق في أوروبة وليس إثراءها. وجدت دراسة قام بها معهد بيو Pew بعنوان: «مشروع المواقف العالمية» عن المسلمين في أوروبة، أنه على الرغم من أن المسلمين الأوروبيين يعبرون عن مواقف أكثر إيجابية عن الغرب مقارنة بالمسلمين الذين يعيشون في دول إسلامية، إلا أن مجموعات كبيرة من المسلمين الذين يعيشون في فرنسة، وإسبانية، وألمانية يصفون الغربيين بأنهم «أنانيون»، و«متغطرسون»، و«عنيفون»، و«طمّاعون»، و«غير أخلاقيين»، و«متعصبون». والشعور متبادل: يعد 83 % من الإسبان، 78 % من الألمان أن المسلمين «متعصبون». (يتفق مواطنو المملكة المتحدة وفرنسة على ذلك بنسبة أقل تبلغ نحو 50 %).

جذور التوتر اقتصادية وثقافية. نسبة العاطلين عن العمل في الجالية التركية في ألمانية 24 % - أعلى بمرتين ونصف المرتبة من المعدل الوطني. تصل نسبة بطالة الوافدين من شمال إفريقيَّة في فرنسة إلى 30 % - أعلى بثلاثة أضعاف من المعدل الوطني.

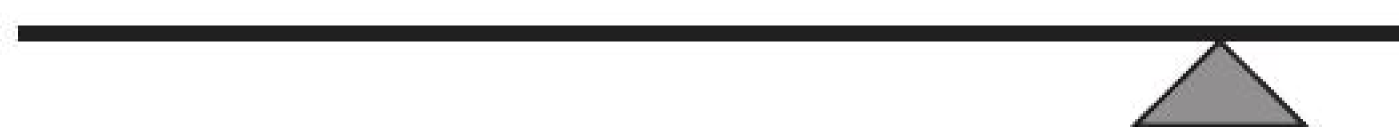
ويلوح شبح الإرهاب. وفقاً لدراسة بيو Pew مجدداً، أغلبية المسلمين في فرنسة، وألمانية، وإسبانية منقسمون بالتأكيد حول ما إذا كان العرب مسؤولين عن تفجير طائرات في مركز التجارة العالمي في 9/11 - ويقول 56 % من المسلمين في بريطانية: إنهم لم يكونوا مسؤولين. ربما يكون الأكثر مدعاة للقلق أن نحو 1 من كل 7 مسلمين في فرنسة، وبريطانية العظمى، وإسبانية يظنون أنه يمكن تبرير التفجيرات الانتحارية للدفاع عن الإسلام.

يبدو منطقياً أن يكون المسلمون الأمريكيون أكثر اعتدالاً - أولئك الذين يقطعون كل تلك المسافة للوصول إلى هنا ربما يكونون أكثر انجذاباً للقيم الأمريكية من أولئك الذين يقطعون مسافة جغرافية وثقافية أقصر إلى أوروبا الغربية. لكن ذلك ربما يجعل الأمريكيين أكثر اهتماماً بالتواصل الإيجابي مع المسلمين الذين يُعدّون، خاصة المتأرجحين، معتدلين.

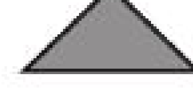


فصل 4

الصحة والعافية



كارهو الشمس



طوال ألف سنة، كان البشر قد عبدوا الشمس. كنا قد اعتدنا على عدها إلهاً حقيقياً، لكنها الآن هوس ثقافي، خاصة على شواطئ هاواي، ونيوجرسي، وفلوريدا، وكاليفورنيا. نذهب إلى تلك المناطق لقضاء الإجازات، ونديز وجوهنا إليها عند ساعة الغداء، وإذا منعنا العمل أو الدراسة من الحصول على أشعتها فعلاً، نتظاهر بأننا نحصل عليها بالاستلقاء فوق أسرّة لتسمير البَشرَة أو رش أنفسنا باللون البرتقالي. اليوم في أمريكة، عدد قاعات تسمير البَشرَة أكبر بثلاثة أضعاف من نقاط خدمة ستاربكس Starbucks.

وكل هذا على الرغم من أن الأمريكيين يعرفون مدى خطورة الشمس. وفقاً لدراسة سنة 2004، 93 % من الأمريكيين يعرفون أن التعرض الكثيف لأشعة الشمس غير صحي، و 81 % لا زالوا يعتقدون أن مظهرهم يبدو جيداً بعد التعرض للشمس. ما تزال واحدة من كل عشر إجازات في أمريكة تتضمن الذهاب إلى الشاطئ، وتبقى هاواي البقعة الأشهر لقضاء العطلات. تسمير البَشرَة داخل حجرات مغلقة صناعة بـ5 مليارات دولار كل سنة، مع قيام نحو 30 مليون أمريكي بذلك — بمن فيهم أكثر من 2 مليون مراهق. وفقاً لدراسة أخرى، 1 من كل 10 أطفال تتراوح أعمارهم بين 12–18 يستعمل مصباحاً شمسياً، و 1 فقط من كل 3 يستعمل مرهماً للوقاية من الشمس.

بخلاف التدخين الذي يجذبنا أيضاً عندما نكون يافعين، نكون عرضة لضغط شديد للقول: إن تأليه الشمس يتضمن إدماناً جسدياً (جدير بالملاحظة أن بعضهم يحاول قول ذلك). لا، يبدو أن الإضرار عن سابق وعي بجلدك ليظهر على نحو أفضل على المدى القصير ليس سوى خصلة ذميمة - الخيار المتعمد لتحقيق مسرة قصيرة الأمد مع الشعور بالألم وقتاً طويلاً.

لكن وسط الحشود العامة لعابدي - الشمس، هناك مجموعة ناشئة من المنشقين الذين يضعون نصب أعينهم تغيير ذلك كله. إنهم كارهو - الشمس. إنهم أشخاص يتلقون أشعة

شمس الصيف بقبعات كبيرة تبدو مثل خوذات قادة قاذفات الحرب العالمية الأولى (تأتي مع غطاءين للأذنين)، يظهرون متذمرين في حفلات حوض السباحة يرتدون بِذْلات كاملة، ويضعون أربع عشرة طبقة من المرهم الواقي من الشمس عيار 50+ للذهاب إلى العمل في مكتب.

ليس أنهم مخطئون. سرطان الجلد هو النوع الأكثر شيوعاً من السرطان في الولايات المتحدة اليوم، مع أكثر من مليون إصابة جديدة كل سنة. كانت نسبة الوفيات من سرطان الجلد قد ارتفعت 50 % منذ السبعينيات. بين سنتي 1980 و1987، ازداد عدد حالات الإصابة بأورام خبيثة (سرطان الجلد الخطير حقاً) 83 %. تشهد حالات سرطان الجلد لدى المراهقين، الذي لم يكن أحد يسمع به قبل جيل، ارتفاعاً.

على الرغم من أن سرطان الجلد أكثر شيوعاً لدى الأشخاص الذين لديهم بشرة داكنة، إلا أنه قاتل أيضاً لدى اللاتين أو الأمريكيين - الأفارقة. (كان أحد أشهر الأشخاص الذين ماتوا من ورم خبيث في الجلد بوب مارلي).

و25 % على الأقل -بالرغم من وجود تقارير بأن النسبة أكبر- من مشكلات الجلد تحدث قبل أن يبلغ الشخص 18 سنة. تكلم على خصلة ذميمة - ستسيء عملياً إلى طفلك عندما تأخذه إلى الشاطئ.

لهذا انطلق كارهو الشمس لحماية أمريكة، وليس مع رمز حماية من الشمس مطبوع على جانب قارورة فقط. مثل مكافحي التدخين في السبعينيات ومتناولي الطعام العضوي في الثمانينيات يتبنى هؤلاء باكراً ما يأملون بأن يصبح قريباً شغفاً وطنياً.

حتى الآن، كانوا قد أنتجوا صناعة ملابس تحمي من الشمس، وهذا يعني قمصاناً طويلة الأردان وسراويلات منسوجة بإحكام أكبر من الملابس العادية. (يقدم قميص أبيض بردنين قصيرين، يشيع ارتداؤه في الصيف، عامل حماية من الأشعة فوق البنفسجية، بواقع 5 فقط). يتم تزويد بعض الملابس بعناصر حماية من الشمس، أو مواد كيميائية مثل ثاني أكسيد التيتانيوم، التي ترد أشعة الشمس. من صناعة غير موجودة عملياً سنة 2000، وصل حجم صناعة الملابس التي تحمي من الشمس الآن إلى نحو 180 مليون دولار

كل سنة. هذا شيء ليس بالقليل، بالتأكيد؛ لكنه في طور النمو، خاصة إذا استطاع مصنّعو منتجات الحماية من الشمس إيجاد طريقة لجعل مظهر تلك الإضافات تبدو أقل شبهاً بخوذات قادة قاذفات الحرب العالمية الثانية.

يحفّز كارهو الشمس أيضاً ابتكارات تقدم حماية من الشمس في حياتنا اليومية. ظهر في الأسواق أخيراً منتج يدعى حارس الشمس، أداة غسيل توزّع مرهم الحماية من الشمس على الملابس، وترفع عامل الحماية من نحو 5 إلى 30. في صناعة مستحضرات التجميل، لم يكن أحد قد سمع بمرهم الوقاية من الشمس في المكياج قبل التسعينيات. تحتوي أغلبية مراهم التجميل الآن على عامل حماية من الشمس أو الأشعة فوق البنفسجية بما لا يقل عن 15.

منتج العناية بالبشرة الأسرع نمواً هو أداة التسمير الذاتي التي تعمل على الجلد لتغيّر لونه. من الواضح أن هذه الطريقة الصحيحة الوحيدة لتسمير البشرة دون المخاطرة بالتعرض للأشعة فوق البنفسجية. ازدادت مبيعات تلك المنتجات قرابة 80 % بين سنتي 1977 و2005. قفزت مبيعات بخاخات تسمير البشرة 67 % في بداية الألفية الثالثة.

ربما سيطور شخص ما مراهم دائمة للوقاية من الشمس، تماماً كما تم تطوير أدوات تجميل دائمة.

ما هو حجم جمهور كارهي الشمس؟ إذا أخذت في الحسبان كل مختصي أمراض الجلد في أمريكا (نحو 14.000)، إضافة إلى عائلاتهم، عائلات الأشخاص الذين ماتوا أخيراً من سرطان الجلد (نحو 80.000 حالة وفاة بين سنتي 1977 و2006)؛ ضحايا سرطان الجلد الحاليين (نحو 500.000)، إضافة إلى عائلاتهم؛ والأشخاص الذين يأخذون حذرهم بوجه عام في أمريكا (أشخاص يصغون إلى تحذيرات مختصي الجلد عندما يطلقونها أول مرة، لا يأكلون سوى الطعام الصحي، ولا يقودون سوى أكثر السيارات أماناً) تحصل على ما لا يقل عن 2 مليون أمريكي يكرهون الشمس، ويضعون قبعات في شهر آب.

هل يمكنهم تحفيز سياسة عامة؟

حتى الآن، لم تكن الحكومة الأمريكية متشددة بشأن تقنين تعرضنا للشمس. (نظراً للارتباط المستمر بين تسمير البشرة والعبادة، ربما يخشى المسؤولون من تحدي «التعديل الأول»). لكن أستراليا فعلت، حالما وصلت معدلات سرطان الجلد فيها إلى مستويات فلكية، وكانت الأكاديمية الأمريكية لأمراض الجلد قد قالت: إنه إذا استمرت النزعة الحالية، يمكن أن يزيح سرطان الجلد سرطان الرئة من المرتبة الأولى لأشد السرطانات فتكاً في البلاد.

كانت نيويورك ونيوجرسي قد أقرّتا أخيراً قوانين تحظر على الأطفال تحت سن 14 سنة التعرض لأشعة تسمير البشرة في قاعات مغلقة. لكن ذلك قد لا يبدو نافعاً في أثناء وقت قصير للغاية، بالفعل. ينبغي أن يتطلع الجميع نحو الوكالات الاتحادية والمدّعين العامين لملاحقة أماكن تسمير البشرة مثلما حدث سابقاً في أثناء حملة مكافحة التبغ. إذا استطاع كارهو الشمس المضي قدماً في عملهم، ينبغي عليهم وضع لافتات تحذير على الشواطئ، وإقامة دعاوى قضائية ضد مالكي المنتجعات الشاطئية الذين لا يضعون لافتات كافية. وأين سينتهي هذا؟ هل ينبغي أن يكون هناك لافتات تحذير في أحواض السباحة الخاصة؟ الأثاث المخصص للساحات المكشوفة؟ نظام الحدائق الوطنية بأكمله؟

هل ستكون هناك دعاوى قضائية تدّعى وجود «أشعة شمسية من الدرجة الثانية» يتعرض لها الأطفال على الرغم منهم في المدارس؟

على المدى القصير، توقع صرخات لوضع تعاريف وأنظمة محددة تتعلق بالحماية من الشمس والأشعة فوق البنفسجية. حالياً، لا تشير أرقام عامل الحماية من أشعة الشمس إلى قوارير المراهم التي نأخذها على محمل الجد، إلا إلى الوقت الذي سينقضي قبل أن نصاب بحرق ثانوي من الشمس. (إذا كان الأمر يستغرق على نحو طبيعي عشر دقائق لحصول الحرق، فسيسمح لك مرهم الوقاية من الشمس بمعدل يبلغ 15 بقضاء ساعتين ونصف الساعة قبل أن تصاب بحرق. لكنك ستصاب بالحرق بالرغم من ذلك، إذا لم تكن طبقة المرهم كثيفة، ولن يكون هناك تغيير في الضرر الذي سيلحق بالجلد).

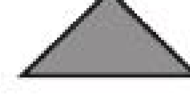
التقاضي قد بدأ للتو. في سنة 2006، أقامت ولاية كاليفورنيا دعوى قضائية ضد صانعي مراهم الوقاية من الشمس، وادّعت أن ضمانات الحماية مبالغ فيها كثيراً. ما هي الطريقة «الآمنة والفاعلة» للحماية من أحد أسباب السرطان، على أي حال؟

قد يتزامن التركيز على ضرر الشمس مع ازدياد المخاوف من الاحتباس الحراري التي يقول بعضهم، بالمناسبة: إنه قد فاقم مشكلة سرطان الجلد نتيجة تآكل طبقة الأوزون. لسوء الحظ، في العقود القادمة، يبدو أن الجو سيصبح أكثر حرارة دون أن ينتابنا شعور مريح بالمقابل لأننا نحصل على بشرة سمراء.

كانت الأمهات في أمريكة يقلن: «اخرج للحصول على بعض الهواء النقي». يقلن الآن: «لا تنسَ أن تضع مرهم الوقاية من الشمس». لم تعد أشعة الشمس في يومٍ صافٍ كما كانت من قبل.



ساهرو الليل

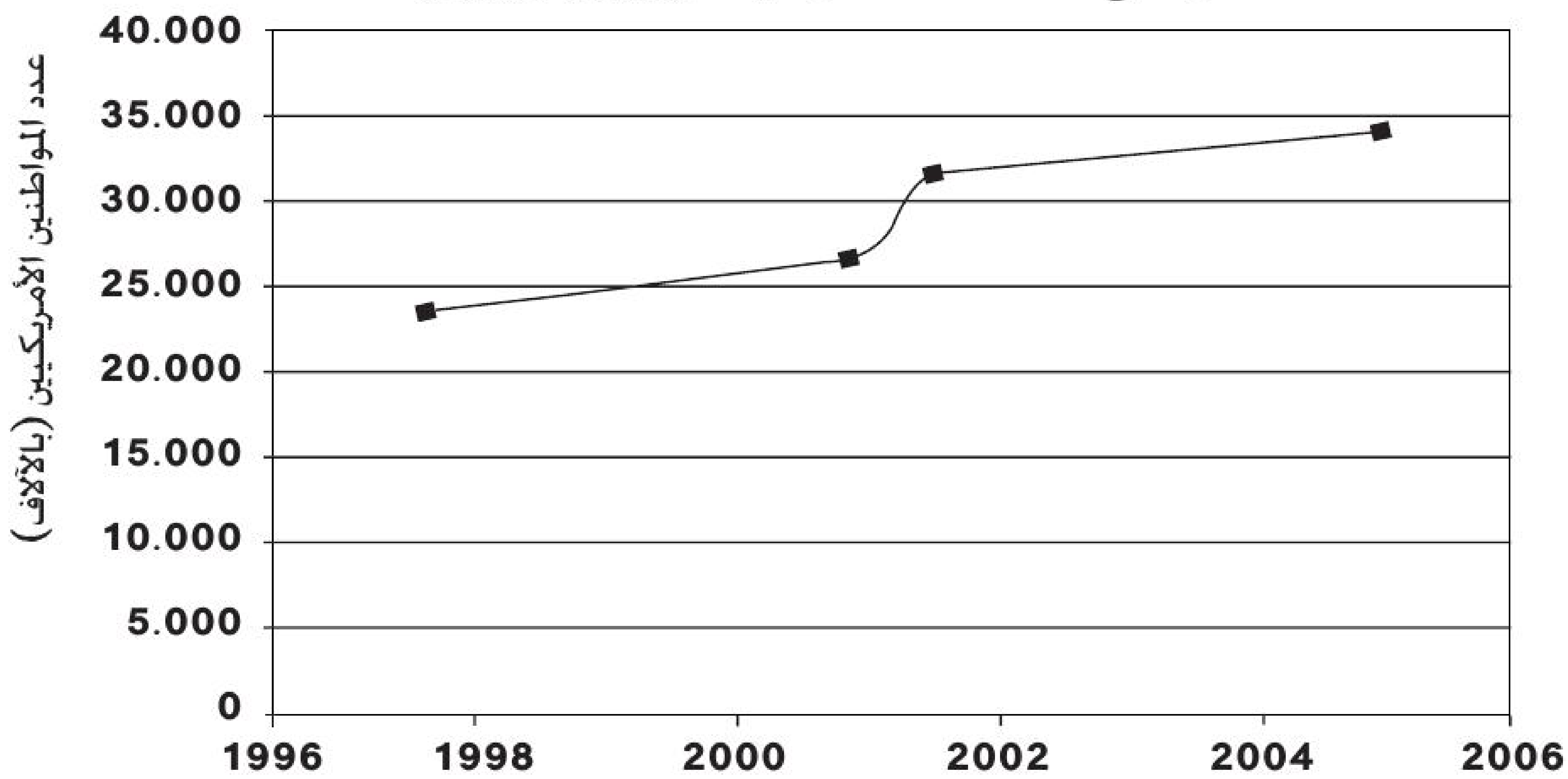


يعرف الجميع أنه من المفروض أن ينام المرء ثماني ساعات في اليوم. حتى عندما يختلف خبراء التغذية حول عدد السعرات الحرارية التي ينبغي أن نحصل عليها، وخبراء الكحول حول ما إذا كان يجب علينا شرب النبيذ الأحمر - كان «خبراء النوم» ينشدون الأغنية نفسها طوال 150 سنة: يحتاج الناس للنوم سبع ساعات ونصف الساعة إلى ثمانٍ كل ليلة.

حسناً، نحن نتراجع في ذلك. ينام الأمريكي العادي الآن أقل من سبع ساعات في الليل، ويمثل ذلك تراجعاً بمقدار 25% منذ أوائل القرن العشرين. بفضل الإلكترونيات، والتوقعات المتوافرة على مدار الأربع والعشرين ساعة، نستيقظ أكثر من أي أمريكيين في التاريخ المدون.

بالفعل، عدد الأشخاص الذين ينامون أقل من ست ساعات كل ليلة يرتفع بسرعة من 12% من الأمريكيين الراشدين سنة 1998 إلى 16% سنة 2005.

عدد المواطنين الأمريكيين الراشدين الذين ينامون أقل من ست ساعات كل ليلة (1998-2005)



المصدر: مؤسسة النوم القومية، 2005 .

يقترب ذلك العدد من نحو 34 مليون شخص يضيئون سراج منتصف الليل. أو يشغّلون آلات الغسيل. أو يقضون وقتهم على الإنترنت. أو يتقلبون في مضاجعهم.

من المثير التفكير في ساهر الليل بوصفه شخصاً أقوى منا، وبعضهم يمنحك بالتأكيد ذلك الانطباع. يُقال: إن مارغريت تاتشر كانت تنام خمس ساعات فقط في الليل. تصر مادونا على أنها تنام أربع ساعات فقط في الليل. عمل توماس أديسون على ألا ينام أكثر من خمس ساعات كل ليلة، وطلب من كادره القيام بالشيء نفسه. (إنه الكادر نفسه، بطبيعة الحال، الذي قال: إن أديسون كان في الواقع ينام أكثر مما يسمح به). وأحد أصدقائي في الكلية، المليونير جيم كرامر، لم ينم البتة أكثر من أربع ساعات كل ليلة، مما أكسبه ميزة على بعض الرفاق المتميزين جداً لولا ذلك في هارفرد.

بصدق، هل يمكنك التفكير في أي نشاط، إضافة إلى الحرمان من النوم، يمكن اعتباره شكلاً من أشكال تعذيب أسرى العدو وشارة شرف للعاملين بجد؟ ستحسد أشخاصاً يقولون: إنهم لا ينامون كثيراً. إذا لم يكن هناك من شيء آخر، في سباق الحصول على المزيد من كل شيء، فسيكون لديهم المزيد من الوقت. تسعون دقيقة إضافية كل ليلة —تعادل 10 % زيادة من وقت الاستيقاظ كل يوم— أو 8.2 سنة إضافية لشخص يُتوقع أن يعيش إلى أن يبلغ، لنقل: 82. عبر نوم أقل، يمكنك الحصول على تجربة حياة شخص يصل عمره إلى 91 سنة. هذا شيء مغرٍ.

لكن الحقيقة أن معظم ساهري الليل ليسوا فخورين تماماً بذلك ولا شديدي الاحتمال. على الرغم من أن بعضهم جرّاحون يافعون في مقتبل العمر، أو عاملو ول ستريت الذين تجدهم طوال الليل والنهار في كل من الولايات المتحدة وآسية، إلا أن معظم الناس الذين لا ينالون قسطاً كافياً من النوم يعملون في مناوبات ليلية أو في خدمة الطوارئ، مثل الأطباء المساعدين أو عمال الخدمات، وهم عرضة بمعدلٍ عالٍ للإصابة، والحوادث، والمشكلات الصحية دون أن تكون دخولهم كبيرة.

وبوجه عام، معظم الناس الذين تجدهم مستيقظين في الليل يكونون كذلك لأنهم لا يستطيعون النوم. يرتبط النوم القصير في الواقع إحصائياً مع ضعف الصحة، والقلق،

والضغط، والدخل المنخفض. ينام الرجال أقل من النساء – على الرغم من أن النساء، خاصة اليافعات منهن، يقلن على الأرجح: إنهن لا ينمن بما فيه الكفاية. (تقول 76 % من النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين 18□34□ إنهن يشعرن بنعاس في أثناء النهار مرة واحدة على الأقل في الأسبوع). في الدراسة الأساسية الوحيدة عن النوم التي تضمنت أعداداً كبيرة من الأمريكيين – الأفارقة، اكتُشف أن الرجال السود ينامون ساعة كاملة أقل من المعدل، وأن نومهم أكثر تقلباً من النساء السود أو البيض.

سيكون لارتفاع أعداد ساهري الليل نتائج مأساوية، إذا كان ممكناً توقعها. في استطلاع للرأي عن «النوم في أمريكة» سنة 2005، قال 60 % من الذين تم استطلاع آرائهم: إنهم قادوا سياراتهم وهم يشعرون بالنعاس في السنة الماضية، وقال 37 % منهم: إنهم غفوا أو ناموا خلف المقود. تقول «إدارة سلامة حركة السير على الطرقات العامة»: إن النعاس في أثناء قيادة السيارة مسؤول عن أكثر من 50.000 حادث سير كل سنة، وما يزيد على 1500 حالة وفاة. تُعزى كوارث شهيرة مثل تحطم ناقلة النفط إكسون فالديز في ممر جزيرة ستاتين إلى سائقين ناموا خلف المقود.

نوم أقل يعني أيضاً إنتاجية أقل. يقول 2 من كل 10 أمريكيين: إن النعاس يجعلهم يرتكبون أخطاء في العمل. تم تقدير التكاليف الإنتاجية بـ50 مليار دولار على الأقل.

ويهدد النوم السيئ التناغم الأهلي. يقول 39 % من الأمريكيين الراشدين القادرين جنسياً –يتضمن ذلك 64 % من النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين 35 و44 سنة: إنهم لا يقيمون علاقة من أجل أن يناموا. يقول 1 من كل 4 راشدين: إن مشكلات نوم زوجهم أو شريكهم تُبقيهم مستيقظين، أيضاً. وفيما يخص الرجال الذين يبقون مستيقظين أكثر من النساء، لا يمكن للمرء سوى أن يتوقع فقط مشكلة أكبر فيما يتعلق بالجنس الإلكتروني، والمقامرة الإلكترونية، والتنافر العام عندما يريد الزوج رفقة فيما ترغب الزوجة بالراحة.

لكن التأثير الأكثر تعقيداً ربما يكون الرابط غير المباشر بين النعاس والبدانة. يمكن أن تسبب البدانة مشكلات نوم، بما في ذلك انسداد المجاري التنفسية الذي يعيق التنفس.

لكن لأن نقص النوم يطلق في الواقع الهرمونات التي تعطي الإحساس بالجوع والشهية، يمكن لذلك أن يزيد أيضاً من فرص إصابتك بالبدانة. وفقاً لبحث أعدّه معهد الصحة القومي عن اضطرابات النوم، يزيد النوم أقل من ست ساعات كل ليلة خطر البدانة 23%. يرفع النوم أقل من أربع ساعات كل ليلة خطر البدانة 73 %.

المؤسف حقاً أن الأمريكيين لا يعالجون أرقهم بالجري خمسة أميال. يبدو أن ذلك يحل كلتا المشكلتين.

بدأ بعض المشرّعين حمل مشكلة الأرق على عاتقهم. سنّت نيوجرسي قانوناً يجرّم «القيادة في أثناء النعاس» سنة 2003 –جعلته مماثلاً للقيادة تحت تأثير الشراب– على الرغم من أن ولايات أخرى تأخرت في أن تحذو حذوها.

القطاع الخاص ينتهز الفرصة لمساعدة الناس في النوم في الليل وإبقائهم مستيقظين في أثناء النهار. تشهد صناعة أقراص النوم ازدهاراً كبيراً: وصلت مبيعات أمبين Ambien الجديد، الذي لا يسبب الإدمان، إلى 2 مليار دولار عالمياً سنة 2004، وقد تضاعف عدد الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 20–44 ويتناولون أقراص النوم بين سنتي 2000 و2004. من جانب البقاء مستيقظين، مشروبات الطاقة المليئة بالكافيين هي القطاع الأسرع نمواً من صناعة المشروبات الأهلية التي يصل حجمها إلى 100 مليار دولار تقريباً؛ ويُتوقع أن تدر تلك المشروبات بين سنتي 2005 و2008 أرباحاً أكثر من كل المشروبات الغازية والرياضية مجتمعة. وبالطبع، تغلغل مشروب ستاربكس Satrbucks، الذي يحتوي مزيجه على نسبة مضاعفة من الكافيين مقارنة بالمشروب الذي يتم بيعه في البقاليات ويحمل العلامة التجارية فولجرز Folgers، عميقاً في الثقافة الأمريكية، حتى إن المرء لم يعد يستطيع تجاوز مبنى واحد دون أن يتعثر بمنفذ بيع له.

إذا لم تستطع النوم في الليل أو البقاء مستيقظاً في النهار، تعرض شركة تدعى ميترونابس Metronaps حجيرات نوم في المطارات، ومباني المكاتب، وأماكن عامة أخرى. بالتأكيد، سيكون غريباً أن تنام وسط غرباء في وضح النهار – بالمحصلة،

يُفترض أن يكون النوم عادة خاصة جداً. حسناً، نعم - لكن عدم القدرة على النوم مشكلة عامة جداً.

وبالرغم من أنه من الصعب أن نتخيل وجود حملة صحية عامة للحصول على المزيد من النوم -ستكون دعابات آخر الليل سخيفة للغاية، والعثور على متحدثين مرحين صعباً- ربما حان الوقت لإقرار «قيلولة أمريكية». طبعاً، يبدو ذلك متناقضاً مع أخلاقيات الأمريكيين في العمل الجاد، لكن ذلك كان قبل وجود بريد إلكتروني 7/24 وتسوق إلكتروني. الآن، إذا تم عدّها قضية إنتاجية وسلامة عامة، يمكن أن تكون قضية استراحة منتصف النهار قوية للغاية. وكان هناك أشخاص مشهورون بأخذهم قيلولة. كان ونستون تشرشل يعمل حتى وقت متأخر من الليل، لكنه يأخذ قيلولة حقيقية مرتدياً لباس النوم بعد الظهر. يُقال إن كلاً من رونالد ريغان وبيل كلينتون كانا يحبان أخذ قيلولة. هل أمريكة مستعدة للتخلي عن «نم باكراً، أفق باكراً»، لمصلحة «إذا كنت متعباً، فأغلق عينيك فحسب»؟

أمام أمريكة خيار كبير - إما الاستمتاع بوقت الاستيقاظ الإضافي، والقيام بأنشطة جديدة وأكثر إنتاجية في أثناء ذلك؛ أو القول: إنه لا يمكننا ألا ننام ثماني ساعات، واكتشاف طريقة لفعل ذلك. مهما يكن، المسألة ليست صغيرة. يمكن أن تعتمد صحتنا وحياتنا على ذلك.



الصورة الدولية

إنه متعب مثل الأمريكيين، باقي العالم ليس أفضل حالاً البتة.

وفقاً لدراسة عن النوم قامت بها إيه-سي-نيلسن ACNielsen سنة 2005، فإن 7 من كل 10 دول من «بوم الليل» آسيوية. لاحظ أن أمريكة لا تظهر حتى في قائمة الدول العشر الأولى.

- أعداد كبيرة من السكان في تايوان (69 %)، وكورية (68 %)، وهونغ كونغ (66 %)، واليابان (60 %)، وسنغافورة (54 %)، وماليزية (54 %)، وتايلاند (43 %) تذهب بانتظام إلى النوم بعد منتصف الليل.
- تفيد تقارير أن سكاناً في البرتغال (75 %)، وإسبانية (65 %)، وإيطالية (39 %) يخلدون إلى النوم أيضاً بعد منتصف الليل. كل الدول الثلاث معروفة بأنها تدمج القيلولة في نشاطها اليومي، ربما بسبب السهر حتى وقت متأخر من الليل. المفارقة أن ثقافة القيلولة قد أصبحت تحدّياً للإنتاجية في إسبانية، حتى إن الحكومة أطلقت، سنة 2006، حملة وطنية تطلب من كل الموظفين الاتحاديين ألا تستغرق استراحة الغداء أكثر من خمس وأربعين دقيقة.

إضافة إلى أنها تسهر الليل، تشكل الدول الآسيوية نصف عدد الطيور التي تستيقظ باكراً أيضاً - تلك التي تستيقظ قبل 7 صباحاً. مجدداً، أمريكة ليست معروفة بأنها من الطيور التي تستيقظ باكراً.

- أغلبية الإندونيسيين (91 %)، والفيتناميين (88 %)، والفلبينيين (69 %)، والهنود (64 %)، واليابانيين (64 %) تستيقظ قبل 7 صباحاً.
- سكان الدول الأخرى الموجودة في قائمة العشرة هي الدانمرك (66 %)، وألمانية (64 %)، والنمسة (64 %)، وفنلندة (63 %)، والنرويج (62 %).

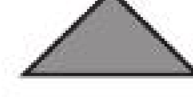
ما الذي ينتج عن كل ذلك الحرمان من النوم؟ بالرغم من أن الناس في كل أنحاء العالم يقولون إن: «العادة» و«جدول العمل» هما اللذان يحددان سلوك نومهم، يقول ثلث الأمريكيين أيضاً: إنها «العائلة/الأولاد» - مقارنة بـ17 % فقط من الأوروبيين، و16 % من الآسيويين. ما يزيد على نصف الأوروبيين يقولون: إن العمل هو السبب، فيما يقول معظم الآسيويين: إنها العادة.

عندما يتعلق الأمر بإجمالي عدد ساعات النوم، نجد أن الأمريكيين متعبون كثيراً - لكنهم لا يستطيعون الادّعاء بأنهم الأكثر تعرضاً للإرهاق. تذهب تلك الميزة لليابانيين - ينام 4 من كل 10 أقل من ست ساعات كل ليلة. ومن يحصل على أكبر قسط من النوم؟ سكان نيوزلندة أسترالية، حيث ينام 28 و31 % على الترتيب أكثر من تسع ساعات كل ليلة.



أعسر دون قيود

ازدياد عدد الأشخاص الذين يستعملون اليد اليسرى في أمريكة



أمريكة تتجه نحو اليسار. أعني استعمال اليد اليسرى.

على الرغم من أن سياسات اليمين-و-اليسار كانت قد بقيت ثابتة تماماً، إلا أن هناك زيادة في عدد الأشخاص الذين يستعملون اليد اليسرى. وما لم تكن الخريطة الوراثية قد تعرضت لتحوّل مخفي، ستكون تلك الزيادة على علاقة بالتغيرات الاجتماعية التي تقع في صلب النزعات المجهرية اليوم.

قبل مئتي سنة مضت، عندما كان الإنسان العاقل يبتكر أولى الرماح والإبر الحجرية في تاريخ البشرية، كان بعضهم يستعمل أيديهم اليسرى. تشير الأسنان المتحجرة في هولندة مع علامات تدل على جهة الفم التي كان يفضلها هؤلاء الناس- إلى أن حفنة منهم كانت تستعمل يدها اليسرى. وضمن رسّامي الكهوف الأوائل، قبل نحو 50.000 سنة مضت، كان 1 تقريباً من كل 4 أعسر - النسبة نفسها تقريباً من رسّامي اليد اليسرى اليوم.

لكن بالرغم من بضع مئات آلاف السنين الماضية التي يمكننا البحث فيها، إلا أننا لا نعرف على وجه الدقة أسباب أو تأثيرات استعمال اليد اليسرى.

يدّعي بعض العلماء أن استعمال اليد اليسرى على علاقة بالجينات الوراثية، ويشيرون إلى دليل أنها تنتقل ضمن العائلة. (الملكة إليزابيث الثانية، والأمير تشارلز، والأمير وليام يستعملون اليد اليسرى، إضافة إلى الملكة الأم). يقول آخرون: إن استعمال اليد اليسرى يعود إلى حدوث صدمة وتوتر في الرحم، ويشيرون إلى حقيقة أن معدل استعمال التوائم – إضافة إلى أشخاص يتعرضون قبل الولادة لهرمونات جنسية مثل التسوسترون – لأيديهم اليسرى أعلى من المعتاد.

ثم هناك دراسات متناقضة عن تأثيرات كون المرء أعسَرَ. تقول بعض الدراسات: إن ذلك يقصّر من العمر، في حين ترى أخرى أنها لا تفعل ذلك. تقول بعض الدراسات: إن استعمال اليد اليسرى يزيد خطر سرطان الصدر و/أو يخفض من خطر الزهايمر؛ في حين تقول أخرى: إن ذلك غير صحيح. كانت دراسة واحدة على الأقل قد وجدت أن الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى يكسبون أكثر من الذين يستعملون يدهم اليمنى، خاصة بين الخريجين الجامعيين؛ في حين وجدت دراسة أخرى أن دخل المجموعتين متماثل.

لا يتفق العلماء، حتى على أن «تمايز فصي الدماغ» أمر خاص بالبشر. تشير الاكتشافات الأخيرة إلى أن القردة تفضّل استعمال يدها اليمنى، وأن هناك أسماكاً «ثانوية» تسبح في الاتجاه المعاكس عن باقي أقرانها عندما تظهر سمكة ضارية.

لكن وسط الحيرة بشأن تأثير اليسار مقارنة باليمين، هناك شيء واحد صحيح بالتأكيد: عدد الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى في العالم يزداد، ويبدو أنه سيستمر في الارتفاع. التقديرات الحالية هي 1 من كل 10. يبدو أن الزيادة ستصل على الأرجح إلى ضعفي ذلك الرقم – وأعتقد أن الأمر يعزى إلى مقاربة جديدة من قبل الآباء.

طوال قرون، لم يكن الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى موضع استحسان. في أثناء العصر الفكتوري وحتى بداية القرن العشرين، كان مستحيلاً تقريباً العثور على أشخاص يستعملون يدهم اليسرى؛ لأن مشاعر الكبت والإحساس بالاختلاف كانت سائدة. بالفعل، في معظم ثقافات العالم، كان الجانب الأيسر من الأشياء مرتبطاً عادة بالشر، والخطيئة، وعقدة النقص. انظر فقط إلى طريقة كلامنا عن الأمر. الكلمة الإنكليزية «شرير» مشتقّة من كلمة لاتينية تعني «يسار». الكلمة الفرنسية «غوش» (يسار) تعني «أخرق»؛ وبالنرويجية التعبير «فينزتريهاندساربد» (عمل باليد اليسرى) يعني «شيئاً يتم القيام به بطريقة سيئة أو غير مرضية». (العكس صحيح أيضاً. «يمين» تعني «عدل» بالإنكليزية. دروا «قانون» بالفرنسية. ريخت «سلطة» بالألمانية والهولندية. ديزرتو «ماهر» بالإسبانية).

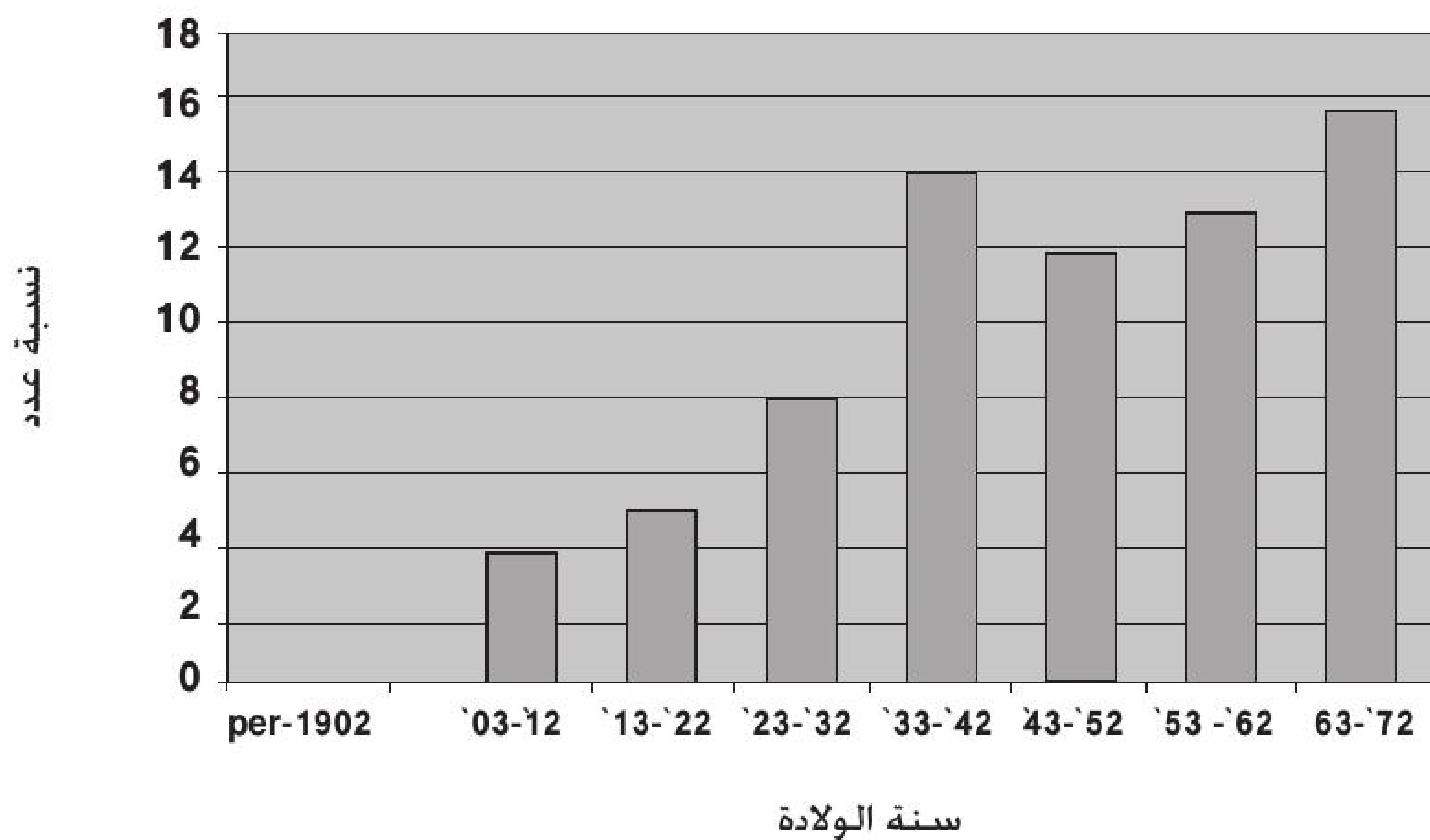
جاء الموقف المضاد لليسار من – أو انعكس عن – حقيقة أنه في العهد الجديد، يجلس الشيطان إلى يسار الرب، في حين يجلس المباركون إلى يمينه. في الإسلام، أيضاً، استعمال

اليد اليسرى لعنة – قبل الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979، «أثبت» آية الله الخميني أن الشاه ملعون بالإشارة إلى أن ابنه البكر أعسر.

لم يكن استعمال اليد اليسرى يلقى التشجيع البتة، بل يعرض الناس للضرب. كانت الصين وهولندة خاصة متشددتين في قمع «استعمال اليد اليسرى» لغاية القرن الثاني عشر؛ وحتى الستينيات في الولايات المتحدة، كان المعلمون في المدارس الابتدائية –أشهرها المدارس الكاثوليكية– يصفعون الأطفال الذين يستعملون يدهم اليسرى في الكتابة. كان رونالد ريغان، وبيب روث، ولو غيرغ يستعملون يدهم اليسرى في شبابهم ويُقال: إن المعلمين أرغموهم على التحول إلى الكتابة باليمين.

لكن منذ أجيال مضت، كان كل هذا قد تغير. كان الإكراه على التحول للكتابة بيد أخرى قد أضحى يُعدّ مؤلماً وغير ضروري، وما كان يعد كريهاً لدى الأطفال أصبح موضع احترام فجأة. انظر فقط إلى التحول في أمريكة بين الناس الذين يعيشون اليوم. وفقاً لدراسة أجريت سنة 1993، كانت نسبة الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى ومولودون في الستينيات ضعف معدل الأشخاص الذين يبلغ عمرهم 60 سنة أو أكثر.

نسبة عدد سكان الولايات المتحدة الذين يستعملون اليد اليسرى وفقاً لسنة الولادة



المصدر: هغدال، ك.، ساتز، ب.، متروشيما، م.، ميلر، إي. إن (1993) «الأعسر والعمر المتقدم: هل يموت الأعسر مبكراً؟» نوروسايكولوجيا، مجلد 4، صفحة 325-333.

هذا يعني أن النسبة «الطبيعية» للأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى هي 16% أو أعلى – ليست 10% كما كان يعتقد سابقاً.

أظن أن ارتفاع عدد الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى يمثل تحولاً في طريقة تربيتنا لأطفالنا، وكيف نترك شخصياتهم تظهر لمساعدتهم في تحقيق ما يصبون إليه. في وقت ما، هذه الأيام، يدرك الوالد أن طفله/طفلها ينحو لاستعمال اليد اليسرى. يذعر الوالد. هل ستتم السخرية من الطفل؟ هل سيعاني في الكتابة؟ هل سيكون وحيداً؟ في الماضي، كان الوالد سيفعل كل ما هو ممكن لتغيير تلك النزعة. لكن اليوم؟ اليوم، يهز كثير من الآباء أكتافهم استخفافاً قائلين: لابأس، وإنه ربما يكون شيئاً مميزاً. أو تكون محاولاتهم لتغيير الوضع خجولة، وتفشل في نهاية الأمر. هذا ليس رد فعل معزول. إنه جزء من نزعة أكبر نحو تشجيع، بدلاً من كبت تلك الميزة في الأطفال. من منحهم وقتاً أطول للتطور في رياض الأطفال إلى الأخذ في الحسبان شهيتهم للنباتات، يستلهم الآباء اليوم الإشارات من الأولاد، بدلاً من العكس. يتعلق الأمر أيضاً بهامش الحرية الكبير الذي يتمتع به الشبان اليوم للتعبير عن هويتهم الجنسية. الأشخاص الذين يستعملون اليد اليسرى ليسوا سوى قمة جبل الجليد – في عالم اليوم، يترك الآباء أطفالهم يبنون شخصياتهم بأنفسهم، ولا يريدون لهم أن يكونوا نسخة طبق الأصل عنهم.

كل هذا بالإضافة إلى حقيقة أننا نرى على الأرجح ولادة المزيد من الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى. لا تنطبق النسبة العامة على الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى على التوائم – الذين ازدادت أعدادهم أكثر من النصف بين سنتي 1980 و1997. إنهم يولدون على الأرجح لأمهات أكبر سناً – وفقاً لأحد الباحثين، نسبة الأطفال الذين يولدون لأمهات تزيد أعمارهن على 40 سنة ويستعملون يدهم اليسرى أكبر 128% من الأطفال الذين يولدون لأمهات في العشرينيات. كما يعرف الجميع، تزداد أعداد الأمهات اللواتي ينجبن بعد سن 40 – تضاعف إنجابهن للأطفال خمس مرات تقريباً بين سنتي 1980 و2004.

أظن أن ازدياد عدد الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى سيؤدي إلى موجة من الترويج لابتكارات جديدة، تدفعها فكرة تقع في صلب هذا الكتاب – إن مجموعات صغيرة

من الناس، تشترك في تجارب متشابهة، يمكن أن تحتشد معاً للدفاع عن مصالحها. يمثّل الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى على وجه الخصوص الابتكار والتعبير عن الذات. كان أينشتاين أعسرَ، وكذلك بن فرانكلين وإسحاق نيوتن.

وجود المزيد من الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى يعني أيضاً المزيد من التعبير عن الذات. ربما ليس مفاجئاً أن الناس الذين يستعملون يدهم اليسرى قد يشتركون على الأرجح في خصائص أخرى: في إحدى الدراسات، كان الشواذ ممن يستعملون يدهم اليسرى أكثر بنسبة 39 % من الأشخاص الأسوياء.

قد يعني المزيد من هؤلاء المزيد من الابتكارات العسكرية: كان قادة عسكريون مشهورون، من تشارلمان إلى الإسكندر الكبير إلى يوليوس قيصر إلى نابليون –إضافة إلى كولن باول ونورمان شوارزكوف– يستعملون يدهم اليسرى.

وكذلك مجرمون مشهورن مثل بيلي الفتى، وجاك الفتّاك، وخانق بوسطن.

ربما يعني أيضاً المزيد من الإنجازات الفنية والموسيقية – ليوناردو دا فنشي، ومايكل أنجيلو، وبابلو بيكاسو، ولودفيغ فان بيتهوفن، ونعم، جيمي هندريكس وبول مكارتني كانوا جميعاً يستعملون يدهم اليسرى.

سيعني ذلك بكل تأكيد لاعبي كرة مضرب وقاعدة أفضل. كان مشاهير كرة المضرب من رود لافر إلى جيمي كونورز إلى جون ماكنرو إلى مارتينا نافراتيلوفا يستعملون يدهم اليسرى للتغلب على نقاط ضعف المنافسين.

وكرة القاعدة –من أين جاء «الأعسر» (يتم بناء ملاعب كرة القاعدة ليواجه حامل المضرب الشرق من أجل تفادي شمس بعد الظهر، مما يعني أن ذراع رامي الكرة اليسرى تتجه نحو الجنوب)– سيستفيد بالتأكيد. لا يمكن لمن يلعب باليد اليسرى شغل أربعة من تسعة مراكز في فريق كرة قاعدة – ملتقط الكرة، أو القاعدة الثانية، أو مركز التوقف، أو القاعدة الثالثة، سيكون عليهم قطع الكثير من الخطوات للإمساك بالكرة ورميها إلى القاعدة الأولى – لكن للسبب نفسه، لديهم أفضلية مميزة في المواقع الخمسة الباقية. ومن بيب روث إلى تيد ويليامز إلى باري بوندز، يمتلك ضاربو الكرة باليد اليسرى أفضلية

مرجحة: ليس أن رماة الكرات يستفيدون من قوتهم فقط، وإنما من موقعهم أيضاً، إضافة إلى زخم أرجحة مضارب الكرة باليد اليسرى التي تجعلهم أقرب إلى القاعدة الأولى.

ربما يعني وجود المزيد من الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى المزيد من الدعابة: جي لينو، وجيري وسينفيلد، ودون ستيوارت، وبيرني ماك، وبن ستيلر، ومات غرونينغ (وصنيعته بارت سمبسون) كلهم يستعملون يدهم اليسرى.

وقد يعني ذلك المزيد من المديرين الرائعين. مشاهير كبار مثل ستيف فوربس، وروس بيروت، ولو جيرستنر يستعملون يدهم اليسرى. كذلك كان كل رئيس أمريكي منذ جيرالد فورد، عدا جيمي كارتر وجورج دبليو. بوش. (في سنة 1992، شهدت أمريكة أول حملة انتخابية بين مرشحين يستعملون يدهم اليسرى: جورج بوش وبيل كلينتون وروس بيرو).

من وجهة نظر من يستعمل يده اليسرى، راحة المستهلك شيء غير مألوف. إذا كنت تستعمل يدك اليسرى أو تعيش مع شخص يفعل ذلك، تعرف كم يشق على هؤلاء استعمال المقصات، وأدوات فتح العلب المعدنية، والخلاطات اليدوية، وسكاكين الفاكهة، وأدوات فتح القوارير، ومعدات أخرى أساسية مصممة لأشخاص يستعملون يدهم اليمنى. كان الرئيس التنفيذي المساعد لشؤون الأبحاث في موشن Motion، منتجة بلاكبيري BlackBerry، وهو أعسر، قد أقر بأن جهاز التحكم بالأزرار على الجانب الأيمن مصمم لأولئك الذين يستعملون يدهم اليمنى فقط. لكن حتى الآن، لم يكن مجدياً من ناحية التكاليف تصميم أداة للأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى.

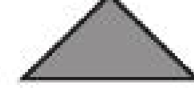
لكن الذين يستعملون يدهم اليسرى بدؤوا المسيرة الآن، وأخذت أعدادهم تزداد – ولن يمضي وقت طويل قبل أن يتوقف المسوّقون عن تجنّبهم والقيام بدلاً من ذلك بالاستفادة من سوقهم، مع المزيد من المقابض التي يمكن تبديلها على منتجاتهم والمزيد من النسخ البديلة المخصصة لهم.

القصد هو أن ازدياد عدد الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى لا يعني فقط المزيد من هؤلاء في المدارس وأماكن العمل - وإنما أيضاً أن المجتمع يصبح أكثر انفتاحاً، وتسامحاً، وأخيراً أكثر قدرة للبناء على التعبير عن الذات بدلاً من كبتها. قد تبدو نسبة

الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى تفصيلاً غير مهمة، لكن في الواقع، فإن مجتمعاً يضم أشخاصاً يعملون بأيدٍ مختلفة، ويشجع الوالدين على ترك أولادهم يكبرون ويشعرون بأنهم طبيعيون، سيجيز على الأرجح إطلاق كثير من الحريات الأخرى. ربما تكون نسبة الأشخاص الذين يستعملون يدهم اليسرى في مجتمع واحدة من أفضل العوامل التي يمكننا عبرها تقويم انفتاح ومرونة أو انغلاق وتعصّب ذلك المجتمع. أنا، من ناحيتي، فلن أرغب بالعيش في مجتمع لا يشجع أولئك الذين يستعملون اليد التي يرغبون فيها.



الطبابة الذاتية



في السنوات العشرين الماضية، كان عدد الأطباء الذين يزاولون المهنة في أمريكة قد تضاعف تقريباً. لهذا ستظن، مع كل أولئك الأطباء الذين يظهرون من حولك، أن الأمريكيين يستشيرون المختصين في الطب عند كل فرصة.

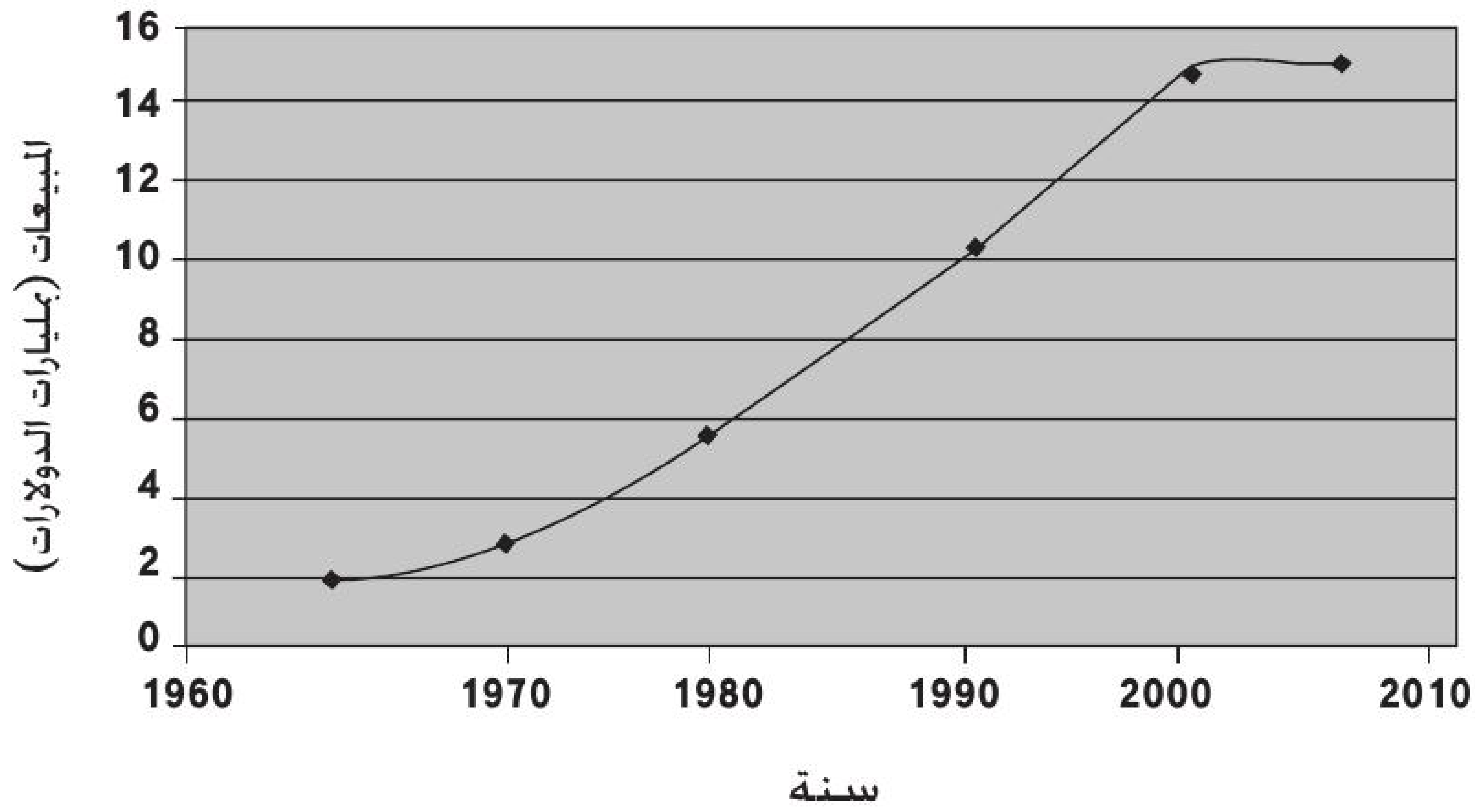
إنهم لا يفعلون ذلك. في الواقع، أكبر نزعة في الرعاية الصحية الأمريكية هي «الطبابة الذاتية»: أشخاص يعالجون أنفسهم بأنفسهم. إنهم أشخاص يبحثون عن الأعراض التي تنتابهم، يقومون بتشخيص أمراضهم، ويصفون لأنفسهم العلاج المناسب. إذا اضطروا للاتصال بالأطباء، يعاملونهم مثل آلات الصرّاف الآلي؛ للحصول على وصفات «يعرفون» سلفاً أنهم يحتاجونها، أو يظهرون في عياداتهم مع وصف كامل لحالتهم، وتشخيص ذاتي لمرضهم.

إن كان لديهم مال كافٍ، يشترون آلات تصوير فوق صوتية حتى يستطيعوا فحص الأجنَّة كل ليلة. يجلسون في قاعات كبيرة ويقارنون أحجام شامات الجلد وأشكالها، ويتبادلون المعرفة المكتسبة بشأن فرص الإصابة بالسرطان وأفضل الممارسات لإزالة تلك البثور. في الأيام الخوالي، كانت الرعاية الطبية المنزلية تعني حساء الدجاج والاستراحة. الآن، يضع المرضى حياتهم بين أيديهم، وعلاقة الطبيب - المريض القديمة تصبح أكثر مثل البائع -العميل- على الأقل بالنسبة لعدد متزايد من المرضى الذين يظنون أنهم يعرفون ما يحتاجون إلى معرفته.

إحدى الإثباتات على نزعة الطبابة الذاتية هي زيادة مبيعات الأدوية دون وصفة طبية. في السنوات الأربعين الأخيرة، كانت مبيعات الأدوية دون وصفة قد ارتفعت قرابة 10 أضعاف - من أقل من 2 مليار دولار إلى أكثر من 15 مليار دولار سنوياً. ولا نتكلم فقط على أشياء معتادة. إنها 15 مليار دولار من المسكّنات، ومضادات الحساسية، ومضادات

الحموضة، ومليّنات، وغسول. هذه الأيام، يمكن الحصول، حتى على أقراص حمية للتخفيف من الوزن دون وصفة. في الماضي، دواء مثل ذلك لم يكن ليتوافر البتة دون وصفة، بغض النظر عن سلامته. كان الأمر منوطاً بالأطباء. لكن الآن، يريد المرضى القيام بكل شيء بأنفسهم.

مبيعات الأدوية دون وصفة، 1964–2005



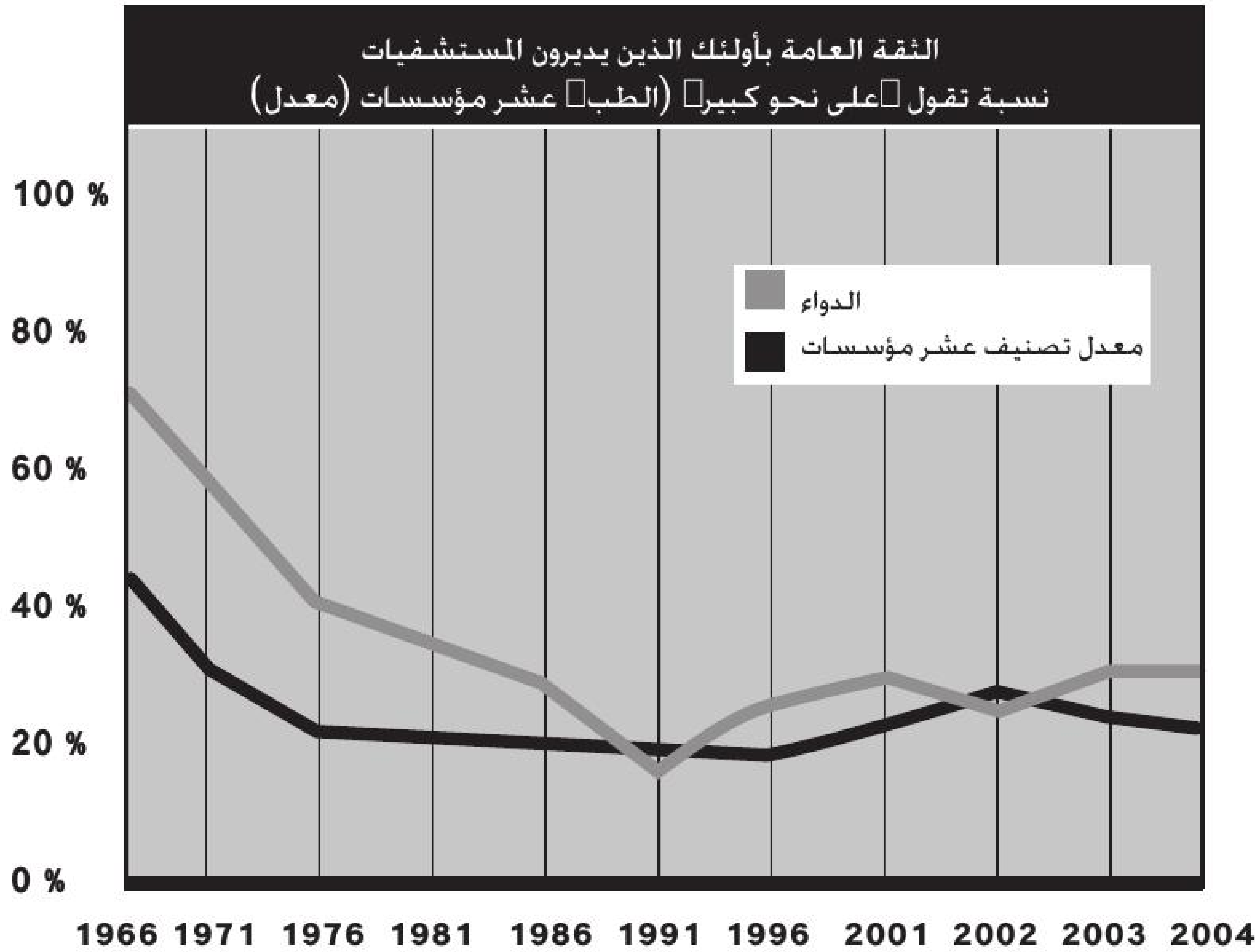
المصدر: إيه سي نيلسن، 2005. ACNielsen.

مؤشر آخر على الطبابة الذاتية هو أن الأمريكيين يندفعون نحو «الطب البديل» مثل المعالجة اليدوية، والوخز بالإبر، والتدليك. في سنة 1997، أنفق الأمريكيون على الطب البديل أكثر مما تم إنفاقه على كل العلاجات التي تمت في المستشفيات. ابتداءً من سنة 2002، قال ما يزيد عن 1 من كل 3 راشدين أمريكيين (36 %): إنهم كانوا قد استعملوا مثل تلك العلاجات البديلة.

بالطبع، إنها الإنترنت التي سمحت للكثير من الأمريكيين بأداء دور الطبيب. في سنة 2005، استعمل 117 مليون شخص الإنترنت؛ للبحث عن معلومات تتعلق بالصحة، وقفز هذا الرقم إلى 136 مليوناً سنة 2006 – بزيادة قدرها 16 % في سنة واحدة. المعلومات الصحية الآن واحدة من الأشياء الرئيسة التي يسعى الناس للحصول عليها إلكترونياً. ولم لا؟ في حين كان الحصول على إجابة عن سؤال طبي شخصي يعني رحلة طويلة،

ومكلفة، وربما تكون محرجة إلى الطبيب، يمكنك الآن الكتابة في محرك البحث الذي تفضله أي شيء من «الاضطراب الذهني» إلى «تفاعل الخميرة»، وفي دقيقتين ستشعر بأنك قد ذهبت إلى كلية الطب.

ربما لا يحب الأطباء هذه النزعة، لكنهم جزء من السبب الذي جعل الناس يتحولون إلى الرعاية الذاتية. بين سنتي 2000 و2004، ارتفعت أجور الأطباء التي تتضمن زيارات إلى المنزل إلى أكثر من الضعف. يقول 3 من كل 5 أمريكيين: إنهم قلقون من الأخطاء الطبية في المستشفيات. (ينبغي لهم ذلك - وفقاً للمعهد الطبي، تقتل الأخطاء في المستشفيات أشخاصاً كل سنة أكثر من حوادث السيارات أو سرطان الثدي. وكل سنة، يقتل تلوث المستشفيات أمريكيين أكثر بخمسة أضعاف من الإيدز). الحقيقة هي أن الثقة العامة بالأشخاص الذين يديرون المستشفيات قد تراجعت بسرعة أكبر من أي مؤسسة مجتمعية أخرى.



منذ سنة 1966، كانت الثقة العامة بقادة مؤسسات الرعاية الصحية قد تراجعت عن أعلى مستوياتها لصالح مؤسسات أخرى. فوق ذلك، يمثل الخط الداكن معدل تصنيف عشر مؤسسات، بما في ذلك الجيش، والمحكمة الأمريكية العليا، والكليات والجامعات، والأديان المنظمة (ما عدا سنة 1991)، والشركات الرئيسة، والقسم التنفيذي من الحكومة الاتحادية، والصحافة، ومجلس النواب، والعمالة المنظمة (ما عدا سنتي 1991 أو 1996).

المصدر: اقتباساً من روبرت بلندون، من هاريس 1966 Harris 2004، دراسة هارفرد عن الصحة العامة .

لهذا مع توافر المعلومات الطبية والأدوية على نحو مباشر -وتراجع مكانة الأطباء- لماذا لا تحاول ذلك بنفسك؟

في طليعة المتحمسين للطبابة الذاتية النساء، وربما لا يكون هذا مفاجئاً؛ لأن النساء يتخذن قرارات الرعاية الصحية في أكثر من 70 % من الأسر الأمريكية. لدى النساء أيضاً تاريخ من الاستقلالية الطبية - قبل ظهور الأطباء المحترفين، كانت «الزوجات العجائز» وصانعو «الأدوية المنزلية» هم من يقدمون الرعاية الصحية في أمريكة.

الطبابة المنزلية أمر حديث أيضاً. لا يعزى السبب في ذلك إلى أن الشبان يعتمدون على الإنترنت، وإنما لأن الأشخاص في سن العشرينيات والثلاثينيات - بعد أن ترعرعوا وهم يستطيعون الحصول على أدوية دون وصفة، ويتم معالجتهم بتركيز أكبر على الجانب النفسي من الاكتئاب، والقلق، واضطراب عدم الانتباه مما كان سائداً قبل جيل في التاريخ - يظنون أن التشخيص والأدوية جزء روتيني من الحياة. يغير عدد كبير منهم الأدوية التي يتم وصفها لهم دون استشارة أطبائهم. بالنسبة لهم، تولي مسؤولية إدارة شؤون صحتهم أمر طبيعي مثل وضع الموسيقا التي يفضلونها في أجهزة آي-بود iPods.

للطبابة الذاتية تأثير كبير. كانت شركات الأدوية قد لاحظت قوة الإعلانات التي تتوجه مباشرة إلى المستهلكين، مثل تلك التي تغزو أجهزة التلفاز كل ليلة عن الفياغرا، سيالس، و«اسأل طبيبك إذا كانت الحبة الوردية مناسبة لك». وعلى الرغم من أن تلك الشركات لا تزال تنفق معظم أموال التسويق على الأطباء، إلا أن النمو في الإعلانات الموجهة مباشرة إلى المستهلكين كان كبيراً: في سنة 1997، أنفقت شركات الأدوية نحو 1 مليار دولار على تلك الإعلانات؛ فيما وصل الإنفاق بحلول سنة 2004 إلى أكثر من 4 مليارات دولار.

الطبابة الذاتية مؤشر أيضاً على تحول لا يمكن عكسه في دور الأطباء الأمريكيين. في سنة 1970، كان يشاهد الطبيب ماركوس ويلبي 1 من كل 4 أسر في أمريكة. كان محط إعجاب لأسلوبه الرقيق الحنون مع مرضاه (معظمهن إناث). لكن تلك الحقبة انتهت إلى الأبد. الآن، بعد ظهور الإنترنت، وعدم الثقة المتزايدة في الأطباء والمستشفيات، يرى المزيد

من الأمريكيين -خاصة النساء- أنفسهم شركاء أطبائهم في أفضل تقويم ومشرفين عليهم في أسوأ حال. خاصة عندما يتعلق الأمر بالأطفال. كانت والدتي تعد كلام طبيب الأطفال مقدساً. تستشير زوجتي، من ناحية أخرى، ثلاثة أو أربعة أطباء (وعشرين صديقاً) حول ما إذا كان ينبغي أن يحصل طفلنا البالغ من العمر أربع سنوات على لقاح الإنفلونزا. كان الأطباء يطرحون أسئلة فقط عندما تسوء الأمور ويصل المحامون. يطرحون الآن 20 سؤالاً من أجل إعطاء لقاح روتيني.

في المستقبل، توقَّع مزيداً من علاقات المساواة بين الأطباء والمرضى، التي تتضمن مراسلات أكثر عبر البريد الإلكتروني. في سنة 2005، قال 8 % فقط من الراشدين: إنهم يستعملون البريد الإلكتروني للتواصل مع أطبائهم - لكن 81 % قالوا: إنهم سيحبون القيام بذلك. ينبغي على الأطباء أن يكتشفوا طريقة للحصول على مال من استشارات البريد الإلكتروني أولاً - سيودّون دون شك مساعدة المرضى بهذه الطريقة، خاصة مرضاهم، لكن ربما ليس على حساب الزيارات التي تتم إلى عياداتهم. حالما يتم وضع أسس نظام الدفع الجديد، ابحث عن المزيد من الاستشارات الإلكترونية.

يمكننا أن نتوقع أيضاً مزيداً من الضغط على «إدارة الأدوية الاتحادية» لتسمح بتداول المزيد من الأدوية دون وصفة. حالياً، يمكننا الحصول دون وصفة على نحو 700 دواء أكثر مما كان سائداً قبل ثلاثين سنة مضت، لكن ربما لا يكون ذلك كافياً للمتحمسين لهذا النوع من الطبابة.

هل الطبابة الذاتية نزعة جيدة؟ نظراً لأن الناس لا يستطيعون مقاضاة أنفسهم عن سوء تصرفاتهم، ربما لا نعرف البتة. بالطبع، ربما نرى المزيد من الدعاوى القضائية ضد شركات الأدوية لعدم كفاية المعلومات المعروضة، التي تعد مهمة جداً في المعالجة الذاتية. (إلى أي حد قد تكون لصاقات التحذير على تلك الأدوية أكثر وضوحاً أو تفصيلاً؟).

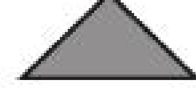
توفر الطبابة الذاتية بالتأكيد كثيراً من وقت الأطباء، إذا عالج الناس أنفسهم بدلاً من المجيء إليهم. ونظراً لأن كل شخص هناك يتفحص بتمعّن حالته/حالتها الصحية،

سيكون هناك على الأرجح بعض الأشخاص على الأقل الذين يفشلون في اتباع أوامر الطبيب - ربما يستطيع الأطباء قضاء وقت أطول مع أولئك الذين يحتاجون إليهم فعلاً.

لكن ازدياد الطبابة الذاتية سيعني دون شك ازدياد الخطأ في التشخيص والأدوية، إضافة إلى التأخر في الذهاب إلى طبيب ربما يلاحظ علامات تحذير أساسية مبكرة. على الرغم من أن الأمر يعود أخيراً إلى المرضى لمقارنة تلك المخاطر بالأخطاء التي يقع فيها الأطباء، وضد تشككهم المتزايد بأنهم يعرفون كثيراً مثل أطبائهم، ربما يكون الأطباء الذين يجادلون في جدوى الدعاوى القضائية التي تلقي باللائمة عليهم في أي حادث مؤسف على أي حال. سيكون شيئاً جيداً رفع الطبابة الذاتية عن القائمة عندما يتعلق الأمر بخسارة الوزن، والصلع، واختلال عملية الانتصاب، وستكون شركات الأدوية سعيدة عندما يصبح الأشخاص المهتمون بتلك الأمور مستهلكين مباشرين لديها. لكن عندما يصبح المرضى مثل الأطباء المتمرسين في طرق علاج السرطان، سيمثل ذلك تحديداً جديداً بالكامل.

بالرغم من ذلك، فالطبابة الذاتية مستمرة. وفيما تصبح المواقع الإلكترونية أفضل في تقديم المعلومات الطبية، إلا أن ذلك ليس نظاماً سلساً حقاً. لا يعرف المرضى حقاً متى يمكنهم تولي المسؤولية ومتى ينبغي عليهم الذهاب إلى عيادة طبيب بأسرع ما يمكن. لا يعرفون حقاً متى يكونون محقين والمؤسسة مخطئة. ومثل كل من يقومون بالأمور بأنفسهم، لا يعرفون حقاً ما لا يعرفونه. قبل سنوات مضت، كانت الإسعافات الأولية الأساسية منهاجاً إلزامياً في المدارس والمعسكرات - ربما حان الوقت لمنهاج في الطب الإلكتروني، حتى يستطيع الشبان الحصول على إرشادات عن الطبابة الذاتية، وأن يتعلموا السير في متاهة الرعاية الصحية. ربما يصبح الأشخاص الذين يطببون أنفسهم بأنفسهم -مثل الممرضين لكن على نطاق أضيق- بحاجة إلى شهادات لممارسة الطبابة الذاتية. لن يسمح ذلك للأمهات بأن يتفاخرن بأن أطفالهن أطباء - لكن ربما يجعلهن ذلك يشعرن بحال أفضل؛ لأن أطفالهن لم يذهبوا إلى طبيب البتة.

صعوبات السمع

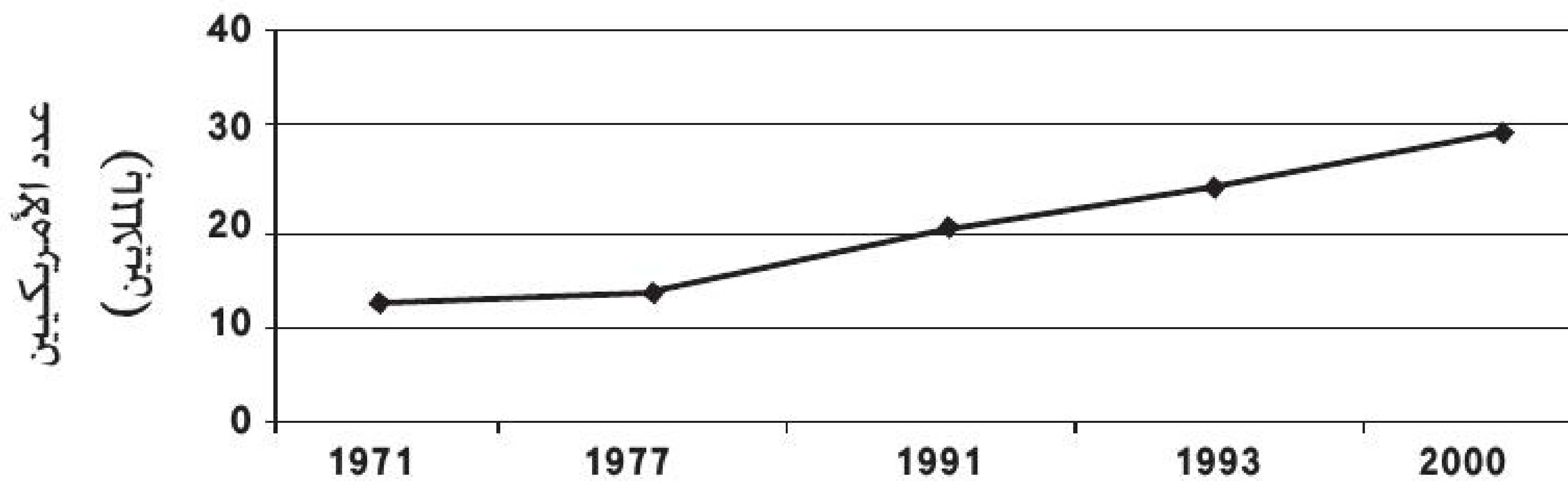


وجدت دراسة سنة 2006 أن الرئيسين رونالد ريغان وبيل كلينتون تمتعا بأعلى شعبية بين الرؤساء الأمريكيين في السنوات الأربعين الماضية. إليك ما يشتركان فيه أيضاً: إنهما الرئيسان المتقاعدان الوحيدان اللذان أقرّا أن لديهما صعوبات في السمع.

عندما أعلنا ذلك، جلس الناس وأصغوا السمع؛ لأن ذلك كان يحدث لهم أيضاً. في سنة 2000، وصل عدد الأمريكيين الذين يعانون نقصاً في السمع إلى نحو 30 مليون شخص، وهذا أكثر من ضعف ما كان عليه الرقم في أواخر السبعينيات. أي أن 1 من كل 10 أمريكيين يعاني صعوبة في السمع، أو لا يسمع على الإطلاق.

ارتفاع عدد الأمريكيين الذين يعانون نقص السمع، من عمر 3 سنوات فما فوق

2000-1971



المصدر: نقابة الكلام-السمع-اللغة الأمريكية، 2007.

قبل جيل مضى، كانت مشكلة الحواس الأكثر شيوعاً في أمريكة ضعف النظر. أولاً، أبطلت العدسات اللاصقة استعمال النظارات عملياً، والآن أبطل الليزر استعمال العدسات اللاصقة عملياً. ربما سمعت كيف أن البحرية لم تعد تستطيع تزويد الغواصات بالكادر اللازم؛ لأن تلك الوظائف كانت تذهب إلى بحّارة لا يؤهلهم ضعف نظرهم لأن يصبحوا

طيارين. لكن بعد أن أصبحت جراحة العين ليست روتينية فحسب، وإنما مجانية أيضاً في الأكاديمية البحرية الأمريكية، يريد الجميع أن يصبحوا طيارين.

ما كان قصر النظر يمثّله لكل تلك الأجيال السابقة، أصبح مترافقاً مع نقص السمع الآن. ربما تكون السمّاعات صغيرة بما يكفي هذه الأيام، حتى إن أطفال المدارس الذين يحتاجون إليها لن يتعرضوا للسخرية مع صرخات «أربع آذان» - لكن الصمم هو بالتأكيد الاختلال الوظيفي الجديد الذي يطول إحدى الحواس في أمريكة.

معظم نقص السمع في الولايات المتحدة حسّي، مما يعني أنه ينتج عن ضرر يصيب الأذن الداخلية أو الطرق السمعية بين تلك الأذن والدماغ. نظراً لأن كثيراً من ذلك يحدث مع تقدم العمر، فإن احتمال إصابتنا بنقص السمع تزداد بالطبع. لدينا أشخاص تزيد أعمارهم عن 65 سنة في أمريكة أكثر من أي وقت مضى (نحو 35 مليوناً)، ويعاني نحو ثلث الأشخاص تقريباً في ذلك العمر من نقص في السمع. نحو نصف الأشخاص بعمر 75 سنة وأكثر، أيضاً.

لكن وفقاً لـ«مؤسسة أبحاث الصمم»، نحو 1 من كل 3 حالات نقص السمع في الولايات المتحدة لا علاقة لها بتقدم العمر، وإنما نتيجة الضجيج. ونحن من نسبب ذلك لأنفسنا. في الأيام الخوالي، عندما كنا نفقد السمع بسبب الضجيج، كان ذلك من معدّات التصنيع أو نار المدفعية. أبعد التقدم في التقانة، وتطور معدّات الحماية، تلك الأسباب جانباً. لكن الآن، أعداد الذين يعانون نقصاً في السمع أكبر في الواقع، وكل ذلك بسبب أنشطة الفراغ والتسلية.

هل شاهدت فيلماً للمراهقين أخيراً؟ لا يمكنني، حتى رؤية المشاهد الافتتاحية دون أن أسدّ أذنيّ. يشبه الأمر بلداً يعاني تضخماً لا يمكن السيطرة عليه، ويقرر تغيير عملته، وتصبح 10.000 روبية فجأة 1 روبية. جالساً في دار عرض، ومراهقون يمضغون بسعادة البوشار دون أن يبدو أنهم يلاحظون حجم الصوت، شعرت كما لو أن شخصاً قد غيّر فجأة الأساس الذي يتم وفقاً له اعتبار الضجيج «طبيعياً».

فكم يتضرر سمعنا في حياتنا اليومية. يصل الضجيج إلى عتبة الضرر الدائم عند نحو 85 ديسبل. انظر الآن إلى حياتنا اليومية. تصل قوة صوت مجففات الشعر التي يستعملها بعضنا كل يوم عدّة دقائق في كل مرة - غافلين عن رنين الهاتف، وبكاء الأطفال، وأزواج متذمرين - إلى 90 ديسبل. سيارة الثلج إلى 100. الضجيج في محطة قطار أنفاق 105. في قمرة طائرة 110. حفلة روك 120. من الواضح أن قضاء تسع ثوانٍ في حفلة روك يعرضك لنقص في السمع.

لا يزال هناك حكم ينتظر أجهزة آي-بود iPod. مع انتشار 100 مليون من أجهزة تسجيلات الموسيقا المحمولة تلك في كل أنحاء العالم التي تصدح في آذان الناس، كانت دعاوى قضائية وتساؤلات من مشرّعين بشأن تأثيراتها في نقص السمع قد بدأت. حظرت الحكومة الفرنسية أخيراً بيع أجهزة إم-بي3 MP3 باستطاعة أكبر من 100 ديسبل. كانت آبل Apple، التي تنتج آي-بود، قد طوّرت برنامجها للسماح لمستهلكين (أو آبائهم) بتحديد حجم الصوت في أدواتها.

لكن سواء كانت الموسيقا، أو الأفلام، أو مجففات الشعر، أو السفر، تنهك الحياة اليومية أعصابنا السمعية. ديمغرافياً، الأمر بالنسبة للرجال أسوأ من النساء، ويعاني نحو 12% من الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 65-74 طنيناً أو رنيناً في الأذنين. يتمتع السود بسمع أفضل من البيض أو اللاتين. هناك اختلافات جغرافية أيضاً. يعاني الجنوبيون من الطنين بمعدل الضعف عن سكان الشمال الشرقي. هل يتعلق الأمر بالخروج من المنزل أكثر؟

يعمل رجال الأعمال بجد؛ للاستفادة من سوق نقص السمع المتنامي. عندما صرّح الرئيس كلينتون علانية أنه يعاني نقصاً في السمع، كانت لديه آنذاك سمّاعة رقمية صغيرة أنيقة مزروعة عميقاً في قناة الأذن. كان ذلك مختلفاً تماماً عن «أذني الفأر ميكي» التي كان يستعملها أي شخص مثل هاتف، ويمرر الأصوات عميقاً في أذنيه. لكن حتى في العقد الماضي، كانت السمّاعات قد أضحت أصغر وأكثر فاعلية. حدثت أيضاً

تطورات كبيرة في الجراحة سمحت لأشخاص يعانون نقصاً كبيراً في السمع من سماع أشياء على نحو لم يكن ممكناً من قبل.

لكن نظراً لازدياد الصمم بين محبي الاستماع إلى الموسيقا، وبين الشبان اليافعين، فإن الأمر مرشح ليصبح أكثر سوءاً. انظر إلى المعالجات السمعية الإلكترونية المكونة من أنسجة الرقاقة الواحدة التي يمكن زرعها في أذن والعمل دون تبديل المدخرات خمس عشرة سنة. انظر إلى تطور الأدوية المضادة للأكسدة، التي تخفف جزيئات الأوكسجين الحرة التي تقتل خلايا الزغيبات الشعرية الحسّاسة في الأذن الداخلية. انظر إلى بحّاثة الخلايا الجذعية الذين يحاولون تعويض خلايا الأذن الداخلية المتضررة.

وترقّب حملة صحة عامة ضد الضجيج. مثل إدمان التبغ والضرر الناجم عن الشمس، إذا تمكّن منك الأمر وأنت يافع، فربما لا تتعافى البتة. إنها قضية جديدة للنشاط العام – ما عدا، بالطبع، تحدي أن تكون مسموعاً في واشنطن دون صراخ.

حالياً، قطع مجتمع نقص السمع والصمم شوطاً بعيداً. تم تتويج أول ملكة جمال أمريكية صمّاء، هيذر وايتستون، سنة 1995. يضم دوري كرة القدم الوطني ومسابقة كرة القاعدة لاعبين مصابين بالصمم – كيني ولكر من دينفر برونكوس، ويليام «الأبكم» هوي من فريق واشنطن سيناتورز. في سنة 2001، أعلن روش ليمبوغ أنه كان يعاني نقصاً مفاجئاً في السمع، نجم عن مرض في الأذن الداخلية. وشاركت الممثلة الصماء مارلي مالتن، التي كانت في عمر 21 سنة أصغر من يفوز بجائزة الأوسكار لأفضل ممثلة (عن الفيلم المخصص للصم «أطفال أقل شأناً للرب»)، في أدوار مختلفة بوصفها امرأة تعاني من نقص السمع من مختصة علم الأجنة في قانون ونظام Law and Order، إلى لاعبة كرة المضرب في سينفيلد Seinfeld إلى المختصة في تنظيم استطلاعات الرأي في الجناح الغربي The West Wing – مسلسلي المفضل.

وبالطبع، لغة الإشارة معروفة تماماً. يندر أن تجد معلمة لا تستعمل يديها للتعبير عن الكلمات التي تنطقها، وظاهرة تعليم الأطفال الإشارة قبل أن يتكلموا شائعة كثيراً.

ربما تكون الفائدة الحقيقية لارتفاع معدل فقدان السمع المزيد من الابتكارات الرائعة. يُنسب ابتكاران رائعان في مجال الاتصالات في أثناء الـ150 سنة الماضية، وهما الهاتف والإنترنت، إلى شخصين تأثرا بنقص السمع. ابتكر ألكسندر غراهام بيل، الذي كانت والدته وزوجته تعانيان من الصمم، الهاتف في محاولة لتضخيم الصوت لفاقدي السمع. يُقال: إن فينتون سيرف، الذي يعد على نطاق واسع أب الإنترنت، ابتكر الاتصال الإلكتروني —الذي أصبح البريد الإلكتروني— نتيجة إحباطه؛ لأنه لم يستطع التكلم على نحو كافٍ مع باحثين آخرين (هو أصم جزئياً) أو مع زوجته الصماء.

على أي حال، افحص سمعك. حالياً، يستطيع الأطفال اليوم سماع نغمات رنين عالية لا يمكن لمن تجاوز 40 أو 50 سماعها (من هنا جاءت نغمة رنين «البعوضة»، التي يستعملها الطلاب لإدخال هواتفهم الخليوية خلسة إلى الصفوف). إنها مشكلة، إن لم تكن مستعداً لعكس التقانة ضدهم - مثل مالك متجر يحاول إبعاد شبان متسكعين بإصدار أصوات مزعجة لا يمكن لأحد أن يسمعها سواهم. لكن إذا كنت من عائلة تعاني نقصاً في السمع، حان الوقت لإجراء فحص سمع، فربما تفقد سمعك دون أن تدري.

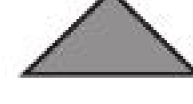


فصل 5

الحياة العائلية



آباء جدد طاعنون في السن



ما الذي يشترك به كل من ستروم ثورمند، وميك جاغر، ولوشيانو بافاروتي، وتشارلي تشابلن، وروبرت مردوخ؟

أنجبوا جميعاً أبناء بعد سن 55.

في الواقع، إذا استثنينا ميك جاغر، الذي أنجب طفلاً بعمر 55 سنة، أنجب كل الآخرين أطفالاً بعد عمر 65. كان ثورمند، وتشابلن، ومردوخ في الواقع فوق 70 سنة.

آباء جدد طاعنون في السن ليست نزعة خاصة بالأغنياء والمشاهير، على أي حال. اليوم في أمريكة، هناك مجموعة جديدة متزايدة من الرجال الذين يتناولون مسكنات ألم ويخرجون إلى حديقة المنزل للّعب، ليس مع أحفادهم، وإنما مع أبنائهم.

في السنوات الأخيرة، كان الجميع قد اهتموا كثيراً بأمهات جدد طاعنات في السن، وكيف أن الحياة المهنية للنساء إضافة إلى التقدم في معالجة العقم دفعت بسن الإنجاب إلى، بعد، 40.

لكن الشيء المفقود هو الاهتمام بالآباء، الذين تصبح أعمارهم أكبر على نحو متزايد، ولا يواجهون المشكلات البيولوجية نفسها التي تعانيها معظم النساء نحو سن الـ40.

في سنة 1980 في أمريكة، كان يولد 1 من كل 23 طفلاً لرجل يبلغ من العمر 50 سنة أو أكثر. في سنة 2002، ارتفعت تلك النسبة إلى 1 من كل 18. في الوقت نفسه، ارتفع معدل الولادات لآباء تتراوح أعمارهم بين 40–44 بنسبة 32 %، وارتفعت بين آباء أعمارهم بين 45–49 بنسبة 21 %. ارتفعت النسبة 10 % لآباء تتراوح أعمارهم بين 50–54 سنة.

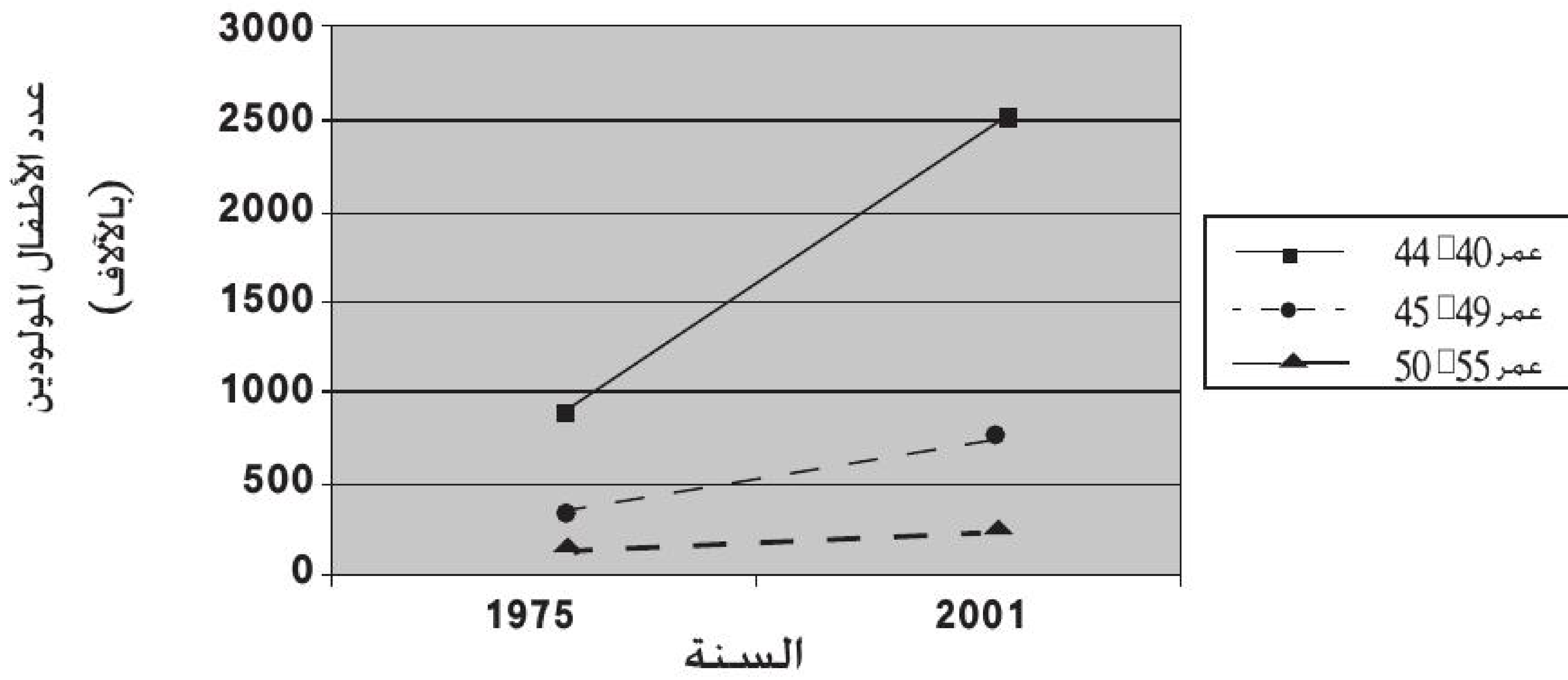
يمكن رؤية نزعة مماثلة في العديد من الدول الغربية، بما في ذلك «إسرائيل»، وهولندة، والمملكة المتحدة، ونيوزلندة.

وجود آباء تجاوزت أعمارهم 62 سنة في حفل تخرج طلاب أمر شائع.

على الرغم من أن أغلبية الأبناء لا يزالون يولدون لآباء تتراوح أعمارهم بين 20–34، إلا أن نسبة الآباء الذين تتجاوز أعمارهم 40 سنة تزداد بسرعة.

عدد الأطفال المولودين في الولايات المتحدة، نسبة إلى عمر الأب،

1975–2001



المصدر: المركز القومي للإحصائيات الصحية، 2002.

جزء من السبب، بالطبع، هو أمهات جدد طاعنات في السن. في حين تؤخر النساء إنجاب الأطفال من أجل حياتهن العملية، فإن شركاءَهُن -الذين لا يزالون أكبر منهن ببضع سنوات- يفضلون على الأرجح تقليب صفحات فورتشن Fortune، بدلاً من الجلوس في غرف انتظار المخاض.

سبب آخر هو الطلاق. معروف تماماً أن نصف حالات الزواج تنتهي بالطلاق، لكن صحيح أيضاً أن الرجال يتزوجون مجدداً بسرعة أكبر، وبمعدل تكرار أعلى، مما تفعله النساء. تدعى تلك الظاهرة «آباء من جديد»، وتتمثّل بالمزيد من الرجال الذين يختبرون الأبوّة مرة ثانية مع زوجة أكثر شباباً. (يعكس تلك النزعة ازدياد إلغاء قطع القناة

الدافقة بنسبة تصل إلى 40 % منذ سنة 1990. ويقول أطباء المسالك البولية: إن الرجال الذين يفعلون ذلك يكونون دائماً في أواسط الأربعينيات أو أكبر عمراً، تزوجوا من نساء يصغرنهم بثماني سنوات على الأقل).

السبب الثالث هو مزيج من علم الأحياء والنجاح. يتمتع آباء جدد طاعنون في السن بالقدرة الجسدية على إنجاب أطفال، ويمكنهم الحصول على زوجات أكثر شباباً، ويبدو أن لديهم على الأرجح الوسائل اللازمة لإعالة أطفالهم لاحقاً في الحياة.

هل الآباء الجدد الطاعنون في السن آباءٌ أفضل؟ إنهم يتعرضون لبعض النقد بسبب كونهم طاعنين في السن ولا يمكنهم الاعتناء كما ينبغي بالرضّع، وربما لا يكون بعضهم على قيد الحياة عندما يصل أبناؤهم إلى منعطف حاسم في حياتهم. لكن كثيراً من الآباء الطاعنين في السن يقولون: إنهم يشعرون «بالتجدد»، وإنهم أكثر استرخاءً وأكثر اهتماماً بالحياة العائلية مما كانوا عليه (أو قد يكونون عليه) في أثناء حبوهم باكراً في حياتهم العملية. أيام عمل أطول أقل جذباً الآن. يقول الكثيرون أيضاً: إنهم يشعرون بأنهم أكثر حكمة واستجابة لأطفالهم، وبالرغم من أنهم يأخذون في الحسبان أن ساعة أجلهم قد أزفت إلا أنهم يركزون بتقدير أكبر على أولادهم.

أنا أب جديد طاعن في السن بنفسي، مع ولادة ابني الأصغر عندما كنت بعمر 48 سنة؛ وتمتد أعمار أولادي من 19 إلى 4 سنوات. يثير كون المرء أباً كبيراً في السن مخاوف مما قد يحدث إذا لم أكن موجوداً عندما يحتاجني أولادي. لكنه يعني أيضاً أن متع الحياة العائلية تستمر إلى الستينيات، وأن مراحل التقاعد وحياة الفراغ تتقلص، أو لا يعود لها وجود على الإطلاق. بين الفينة والأخرى، أرى في صف باليه أو اجتماع مدرسي آباءً شباناً إلى أحد جانبي الغرفة، لا يزال لديهم كثير ليتعلموه، وآباء جدداً كباراً في السن إلى الجانب الآخر، يتحلّون بهدوء أكبر. الفرق في العمر صارخ تماماً في المدارس العامة – في المدارس الخاصة، يختلط الآباء الجدد الطاعنون في السن جيداً مع الآخرين– لكننا نبرز تماماً في اجتماعات المدارس العامة.

الفرق بين المدارس العامة والخاصة ليس سوى أحد مظاهر التأثيرات التجارية والاجتماعية لهذه النزعة. يكون الآباء الجدد الطاعنون في السن على الأرجح أكثر ثراءً. بالنسبة لكثير من الرضّع، هذا يعني الحصول على ثروة وامتيازات قد لا تكون متوافرة لأطفال يولدون لآباء شبان مكافحين.

في الوقت نفسه، هؤلاء الأطفال جزء أيضاً من تجربة اجتماعية غير ملحوظة. لوقت طويل، كنا قد درسنا مشكلات حمل المراهقات، لكننا كنا قد أهملنا الطرف الآخر من المسألة - في سنة 2001، كان عدد الأطفال المولودين لآباء فوق 40 سنة مماثلاً لعدد الأطفال المولودين لأمهات تحت 19 سنة.

وبالرغم من وجود لكثير من المجموعات التي تدعم الأمهات الجدد كبار السن، إلا أنه يبدو أن آباء كبار السن منسيون تماماً، يعتنون بأنفسهم مع القليل من الإرشادات، أو الكتب، أو المنظمات التي تخدم احتياجاتهم. ينبغي أن تلاحظ «المنظمة الأمريكية للمتقاعدين» ذلك - ربما ننضم إليك في سن 50، لكن عدداً متزايداً منا لا يزال لديه أطفال في المدرسة الابتدائية.

لكل هذا تأثيرات كبيرة في مجتمعنا وأنظمة الدعم فيه. يحتاج آباء جدد طاعنون في السن إلى العمل وقتاً أطول، والتقاعد في وقت متأخر، من أجل دفع رسوم الجامعات ونفقات أخرى لتربية أطفال في مراحل لاحقة من الحياة.

يحتاجون إلى سلسلة جديدة كاملة من الأنشطة التي تتطلب مجهوداً بدنياً أقل وذهنياً أكثر، ويمكنهم القيام بها مع أبنائهم من كل الأعمار.

يبدو على الأرجح أن آباء جدداً طاعنين في السن سيكونون أكبر المستهلكين لمشروبات الطاقة، وكتب إرشاد الوالدين؛ نظراً لانشغالهم مع عائلاتهم وابتعادهم عن ملاعب الغولف مقارنة بنظرائهم الذين أصبحت أعشاشهم خاوية.

سيحتاج الأطفال، الذين سيكونون على الأرجح مجرد أطفال أو أبناء على متن آخر عربة في القطار، إلى أشخاص آخرين يمكنهم القيام بأشياء يفعلها الآباء الأصغر سناً

عادة، مثل الاشتراك في الرياضة وألعاب تتطلب قوة جسدية كبيرة. من ناحية أخرى، سيكون لدى الأولاد قدوة أكبر سناً - مما يجعلهم أقل اهتماماً بالجعة وأكثر اهتماماً بالنبيذ، أقل اهتماماً بالقيادة السريعة وأكثر اهتماماً بالقيادة الآمنة، وأقل تمرداً وأكثر محافظةً بوجه عام.

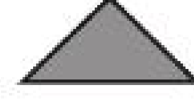
ربما ينبغي علينا أيضاً إعادة النظر في نظام دعم الأهل الطاعنين في السن؛ لأن العديد من هؤلاء سيحتاجون الآن إلى مساعدة قبل أن يستطيع أولادهم تقديمها لهم.

يصبح آباء جدد طاعنون في السن قوة سياسية جديدة. حالياً في المملكة المتحدة، كان الآباء المطلقون قد أظهروا قوتهم في سعيهم للحصول على حقوقهم الأبوية، وظهروا في العناوين الرئيسة لأخبار العالم باقتحامهم لقصر بيكنغهام.

أخيراً، إذا كانت الفكرة السائدة أن الناخبين في العشرين من العمر يركزون عادة على الفرص الشخصية، وأنَّ الناخبين في الثلاثين والأربعين يركزون على قضايا العائلة، والناخبين في الخمسين والستين يركزون على رسوم الكليات والتقاعد، والناخبين فوق 65 سنة يركزون على الضمان الاجتماعي والرعاية الصحية، فإن آباء جُدداً طاعنين في السن لا يلتزمون بتلك المتوالية. سيركزون الآن على أطفالهم في الأربعين والخمسين من العمر، رسوم الكليات في الستين والسبعين من العمر، و...



مالكو الحيوانات الأليفة



يهيم الأمريكيون حباً بالحيوانات الأليفة. لم يجرؤ رئيس منذ تشستر أيه. آرثر على الانتقال إلى البيت الأبيض دون كلب أو قط، واصطحب بعض الرؤساء في القرن التاسع عشر ماعزاً، وأبقاراً وديوكاً أيضاً. بالتأكيد، تقدم الحيوانات الأليفة الدفء والصُّحبة. إنها الأصدقاء المفضلون لدينا. كانت عدّة دراسات قد أظهرت أنها تخفّض ضغط دمنا، وتخفف من توترنا، وتمنع أمراض القلب، وتقي من الاكتئاب.

إذاً، ما الجديد بشأن القطط والكلاب؟ هناك سلالة جديدة من الحيوانات الأليفة، لها دور جديد في مجتمعنا. إنها تحتل مكانة الأطفال في الصُّحبة رقم واحد في أمريكة. وكما تتم معاملة طفل جديد في المنزل، تحصل بعض الحيوانات الأليفة على حياة جديدة من الرفاهية، مع بطاقة إكسبريس Express أمريكية سوداء، وبطاقة مسافر دائم بلاتينية، وخادمة دائمة. كانت قد حققت ما حققته حفنة قبلها - فرصة مواجهة مشكلات الطبقة المترفة والتمتع بحياة الطبقة المترفة. في أمريكة اليوم، تعيش أفضل 1% من الحيوانات الأليفة حياة أفضل من 99 % من سكان العالم.

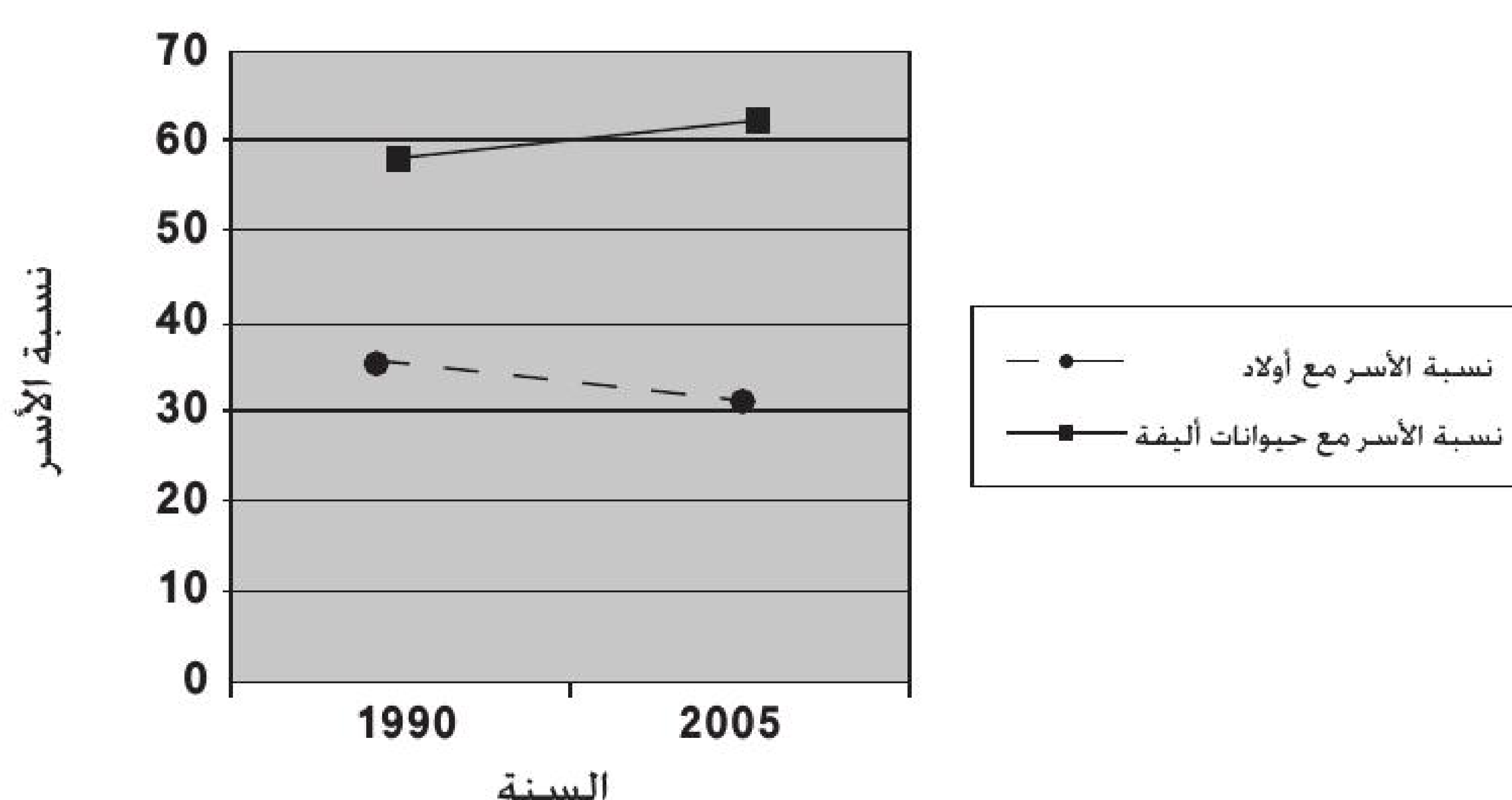
إليك القصة. تضم 63 % من الأسر الأمريكية حيوانات أليفة، ارتفاعاً من 56 % سنة 1988. هناك 44 مليون أسرة لديها على الأقل كلب واحد، و38 مليون أسرة لديها على الأقل قط واحد (على الرغم من أن المثير للاهتمام أن عدد القطط في أمريكة يفوق عدد الكلاب بنحو 17 مليوناً، ويعزى السبب في ذلك إلى أن مالكي القطط يحتفظون على الأرجح بأكثر من قط واحد).

أضف إلى تلك الأسر عدداً آخرَ من الأشخاص الذين يمتلكون أسماكاً وطيوراً وأفاعي، وكل الحيوانات الصغيرة الأخرى، وستكون نسبة الأسر التي تقتني حيوانات أليفة في أمريكة أكثر من ضعف الأسر التي لديها أولاد. في الواقع، في السنوات الخمس

عشرة الماضية، انخفضت نسبة الأسر التي لديها أولاد، وارتفعت نسبة الأسر التي تقتني حيوانات أليفة بالمقدار نفسه عملياً.

الأسر الأمريكية التي لديها حيوانات أليفة أو أولاد

1990–2005



المصدر: مصنّعو منتجات الحيوانات الأليفة الأمريكيون، 1990، 2005–06؛ مكتب الإحصاء الأمريكي، 2006.

وعلى نحو متزايد، تعيش النساء الآن وحدهن أو يقمن بالإشراف على العائلة. هذه تغييرات ديمغرافية عميقة سيكون لها تأثيرات كبيرة في بلدنا وبعض الدول الصغيرة.

ليست مصادفة أن يكون عدد الأسر التي ليس لديها أولاد قد ارتفع، وعدد الحيوانات الأليفة المدللة قد ارتفع أيضاً. وفقاً لمدير أحد المتاجر الكبرى المتخصصة باحتياجات الحيوانات الأليفة، فإن المشتري العادي لمنتج مخصص لحيوان أليف هو امرأة، عمرها بين 24–45، وليس لديها أولاد. نمط العيش في أمريكة يعني المزيد من التأخر في إنجاب أولاد، لكن سرعة أكبر في اقتناء حيوان أليف. كان معتاداً أن يكون الأولاد القوة المحركة وراء اقتناء حيوانات أليفة – يشاهد الأطفال الجراء ويزعجون والديهم حتى يستسلموا أخيراً. ومهما تكن الموارد التي تذهب للحيوانات الأليفة فإنها تأتي من النفقات المخصصة للأولاد. إنهم يشتركون في الموارد التي يمتلكها الوالدان.

ترث الحيوانات الأليفة الآن كل شيء. لم يعد الأمر مقصوراً على أسر من الطبقة الوسطى ليس لديها أولاد، وإنما هناك أيضاً أسر أضحت أعشاشها خاوية، ويقضي

الشريكان المزيد من السنوات معاً بعد أن يرحل أولادهما عنهما. كانت إطالة مدة الحياة وحدها قد ضاعفت عدد سنوات خلو العش من العصافير خمس مرات بعد ذهاب الأولاد إلى الجامعات. لهذا سواء كان الأمر يتعلق براشدين لم ينجبوا أطفالاً قط، أو راشدين رحل عنهم أولئك الذين قاموا بتربيتهم، هناك المزيد والمزيد من الناس في أمريكة الذين، بدلاً من البقاء وحدهم، يقتنون المزيد من الحيوانات الأليفة ويعاملونها مثل أولادهم.

ومن الواضح أن تلك حيوانات أليفة محظوظة للغاية. في سنة 2006، أنفق الأمريكيون نحو 40 مليار دولار على حيواناتهم الأليفة -ارتفاعاً من 17 ملياراً في بداية التسعينيات- مما جعل الإنفاق على الحيوانات الأليفة واحداً من أعلى عشرة قطاعات تجزئة في الولايات المتحدة. تشكل المنتجات المخصصة للحيوانات الأليفة اليوم صناعة أكبر من الدمى، أو الحلويات، أو أجهزة الحاسب. لكن ليس ذلك السوق الضخم هو الشيء الجديد - إن حجم سوق المنتجات الفخمة المخصصة للحيوانات الأليفة هو الجديد. تحصل 1% من الحيوانات الأليفة على نحو 40 % من كل الهدايا الجديدة.

من يحتاج إلى أطفال عندما يكون لديه حيوان أليف؟ يشتري 8 من كل 10 مالكين، و2 من كل 3 مالكين للقطط، هدايا لحيواناتهم الأليفة بمناسبة عيد ميلادها أو في العطلات. التأمين على صحة الحيوانات الأليفة في تصاعد مستمر. 70 % من المالكين الذين يقومون بالتأمين على حيواناتهم الأليفة ومالكون آخرون مهتمون بالتأمين يقولون: إنهم «سيدفعون أي مبلغ» لإنقاذ حياة حيوانهم. في سنة 2004، اشترى الأمريكيون بقيمة 14 مليار دولار من أطعمة الحيوانات الأليفة، بما في ذلك مبالغ قياسية لأطعمة مخصصة للبشر، ونباتية، ومنخفضة السعرات الحرارية، وعضوية لحيواناتنا.

في سنة 2006، أنفقنا ما يزيد عن 9 مليارات دولار على المعالجات الطبية والتجهيزات المخصصة لحيواناتنا الأليفة - ولا تعتقد أن الأمر يقتصر فقط على أطواق وأعمدة حك الظهر. اشترينا مبيضات أسنان، ومعطرات أنفاس، وملمع فرو، وكنزات، ومجوهرات تقليدية، وأيضاً مقاعد سيارات للحيوانات. اشترينا أدوية لمعالجة البثور. و«نظارات» لحماية عيون كلابنا من الوهج عندما تركب في سيارات مكشوفة. مرهم شمسي للجراء.

ملمع أظفار. مراهم لمعالجة تجعدات جلود الحيوانات. عطور مثل «باوفيوم» Pawfume (كان K#9، لبعض الوقت، خاصة ببارنيز Barneys) . وكذلك اشترينا لحيواناتنا الأليفة عدسات لاصقة.

يدفع بعض مالكو الحيوانات الأليفة الآلاف، أو حتى عشرات الآلاف، لمنازل مبينة خصيصاً للكلاب. كانت مؤسسات تربية الكلاب قد عقدت اتفاقيات مع فنادق فخمة تقدم خدمات النزهة والسباحة والتلفاز والوجبات، والعناية بالأظفار للكلاب. قام فندق ناشفل لويس Nashville Loews (المخصص للبشر) أخيراً بتنظيم خدمة «كلب الموسيقا» حيث يمكنك، مقابل 1600 دولار، إرسال كلبك في رحلة بسيارة فخمة إلى إستوديو وتسجيل نباحه على قرص مضغوط. يتضمن العرض التدليك للكلب.

وكما يعرف كل والد محب، هناك خدمات اجتماعية. تلعب الحيوانات الأليفة في مجموعات لتشجيع الاندماج الاجتماعي. خدمات مواعدة الكلاب، و، آه، الزفاف. منازل تقاعد للحيوانات، حيث يتم تجميع تلك التي تعاني حساسية مفرطة معاً؛ لتلعب بين جلسات المعالجة. وبالطبع، الحجارة التذكارية، وطقوس الحزن على الحيوانات الأليفة. هل تعرف أنك تستطيع صنع ماسة من بقايا حيوانك الأليف المحبوب؟ من الواضح أن 20 % من كل الماس الصناعي يتشكل بتلك الطريقة.

ليس مستغرباً أن يكون «أنا ومارلي: الحياة والحب مع أسوأ كلب في العالم» قد كان معظم سنتي 2005 و2006 على قائمة أفضل الكتب مبيعاً. وكان «لاسي» الذي أُعيد إنتاجه سنة 2006 واحداً من أكثر الأفلام نجاحاً.

ما الذي يرمز إليه محبو الحيوانات الأليفة؟

الواضح أن سوق المنتجات والخدمات المخصصة للحيوانات الأليفة ستستمر في الازدهار. ولن يقتصر الأمر بعد الآن على متاجر صغيرة مخصصة للحيوانات الأليفة، بل سيتعداه إلى أسواق كبيرة تضم «متاجر للحيوانات» لتلبية طلبات محبي الحيوانات الأليفة. حتى «شركات البشر» تريد الاشتراك في ذلك. أقامت شركة بول ميتشل Paul

Mitchell لمستحضرات العناية بالشعر خطاً متخصصاً بالفرو فقط. تبيع أوماها Omaha شرائح لحم «مخصصة للحيوانات الأليفة» (على الرغم، على ما يبدو، من أنها غير مخصصة للأبقار). تدخل شركات الملابس والدمى، والمفارش سوق المنتجات المخصصة للحيوانات الأليفة.

هذه أنباء مهمة لطبابة الحيوانات أيضاً. مع كل تلك الأطعمة الجيدة والمعالجة المستمرة، تعيش الحيوانات الأليفة ثلاثة أو أربعة أضعاف ما كانت تعيشه قبل 30 سنة مضت، لهذا فيما كان الأطباء البيطريون معتادين على معالجة داء وسل الكلاب، يعالجون الآن البدانة، والفشل الكلوي، وتصلب الشرايين. تشهد المراكز البيطرية في كل أنحاء الولايات المتحدة انبثاق اختصاصات فرعية جديدة في أمراض القلب، والأعصاب، والجلد.

ربما ليس سيئاً جداً أن يكون المرء «مريضاً مثل كلب»؟

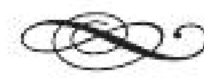
إلى جانب المنتجات والخدمات المخصصة للحيوانات الأليفة، ينبغي أن ينتبه المبتكرون إلى الأشياء التي يشترك بها البشر والحيوانات. في سنة 2005، كشفت هوندا Honda النقاب عن واو Wow. سيارة تجريبية لأشخاص ينقلون كلاباً معهم بانتظام. يتحول وسط الصفوف الثلاثة من المقاعد إلى حظيرة. الأرضية مغطاة بالخشب لسهولة التنظيف. الباب الخلفي فيه صناديق لوضع الرسن، والفرشاة، ومعدات أخرى. ويعمل أشخاص من أجل الحيوانات الأليفة أكثر من العكس. يمكن أن يجني شخص 200 دولار في الساعة مقابل اصطحاب مجموعة من الكلاب في نزهة حول المبنى. يجني مصفف شعر الحيوانات الأليفة 100 دولار في الساعة إن كان يعمل لحيوانات النخبة.

ثم هناك المساحات العامة. لا تزال المتنزهات الوطنية ترفض استقبال حيوانات أليفة (إذا كان لديك كلب فإنه سيجتذب أسد جبال)، لكن شيئاً فشيئاً، الفنادق لا تسمح باصطحاب الحيوانات الأليفة فحسب، وإنما تعرض أسرّة وملابس حمام لها أيضاً. يقدم عدد متزايد من المطاعم «أكياس كلاب» للاستهلاك المباشر. تضع المزيد من المتاجر أوعية من الماء لفيدو Fido حتى يستطيع «الأب والأم» التسوق.

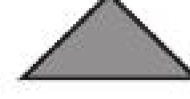
انظر إلى الحيوانات الأليفة في العمل، أيضاً. تضاعف عدد الشركات التي تشترك في المعرض الدولي للعناية بالحيوانات الأليفة «خذ كلبك إلى يوم عمل» بين سنتي 2003 و2005. لم نتدبر أمر العناية بالأطفال في أماكن العمل بعد، لكن ألا ينبغي أن تكون العناية بالكلب أسهل؟

يدفع محبو الحيوانات الأليفة نزعة لإلغاء التمييز في القانون بين الحيوانات الأليفة والبشر. في سنة 2004، منحت هيئة محلفين في كاليفورنيا مالك حيوان أليف تعويضاً قياسياً بقيمة 39.000 دولار في دعوى سوء تصرف مركز بيطري، وأقرّت أنه بالرغم من عدّ الكلب مجرد «ملكية»، إلا أن قيمته العادلة في السوق لا تساوي أكثر من 10 دولارات. في سنة 2007، دفعت فضيحة أطعمة الحيوانات المسمّمة محامين إلى رفع دعاوى قضائية لما كان مماثلاً برأيهم للقتل العمد. قد تشكل هذه النزعة انتصاراً كبيراً لمحبي الحيوانات الأليفة، لكن احترس من نشطاء حقوق الحيوان على الجانب الآخر الذين يظنون أن امتلاك حيوان أليف غير إنساني. إذا لم تكن الحيوانات الأليفة ملكية، في نظر المحاكم، فلماذا يتم السماح للناس بامتلاكها إذاً؟

عنصر جديد آخر هو أن العلماء يقولون منذ وقت طويل: إنه ليس لتلك الحيوانات اللطيفة سوى الغريزة، وإنها لا تمتلك مشاعرَ أو عواطف. كان مجتمع العلم قد قلب ذلك الآن رأساً على عقب، واعترف بما هو واضح – الحيوانات الأليفة تفكر وتتصرف وتحب، مثل أطفال حقيقيين تماماً. ربما على نطاق أضيق كثيراً، الرابط العاطفي بين الحيوان الأليف ومالكه أو مالكته، خاصة في منزل ليس فيه أولاد، حقيقي ولا ينبغي التقليل من شأنه البتة. عندما يتعلق الأمر بمن نرعاهم، ليس هناك شيء لا نمنحهم إياه، حتى عندما يكونون قططاً وكلاباً.



أهل يدللون أطفالهم



هناك موضوعات قليلة تثير شغفاً لدى الأمريكيين مثل تربية أطفالهم. لا يزال د. بنجامين سبوك عملياً مثار اهتمام العائلة -بعد خمسين سنة (و50 مليون نسخة) من صدور كتابه المميز العناية بالرضيع والطفل- ويلتقط الأمريكيون الآن كتابات من جاء خلفه بالملايين.

في سنة 1975، نشرت دور النشر الأمريكية الرئيسة سبعة وخمسين كتاباً عن تربية الأولاد؛ وفي سنة 2003، نشرت ضعف ذلك الرقم اثنتي عشرة مرة. هناك نظرياً مئات المجلات وآلاف المواقع الإلكترونية التي تقدم النصيحة بشأن كيفية التعامل مع الخدّج والرضّع والأطفال، والمراهقين. وعمل منتجات الأطفال -الذي يدعم إلى حدٍ ما كل تلك الإصدارات- أضحى الآن صناعة بـ7 مليارات دولار.

المجال ليس كبيراً فحسب، وإنما مثيراً للجدل أيضاً. بالرغم من أن جزءاً من عبقرية د. سبوك بدا أنه يخاطب عملياً كل والد في أمريكة، فإن المجال اليوم منقسم على نفسه ويشهد نزاعاً مريراً، مثل إخوة مراهقين يتشاجرون على جهاز دي-في-دي DVD جديد أحضره الأب. كان يتم اعتبار د. سبوك فيما مضى صوت العقل في التربية الناجحة، إلا أنه الآن عرضة لهجوم شرس من قبل أشخاص مثل جيمس دوبسن؛ لأنه كان متساهلاً جداً («ينبغي أن يكون لدى الوالد القول الفصل»)، ويتم عدّه من قبل أشخاص آخرين مثل د. سيرز متشدداً للغاية («يحتاج الأطفال إلى الانضباط، وليس الاستقلالية»).

تشعر بهذا الانقسام الحاد عندما يكون لك طفل هذه الأيام. ها أنت ذا، تفكر في أن تنضم إلى صفوف المباركين -أو المتشاجرين، أو مهما يكن رأيك في تربية الأولاد- وتفخر بذلك، فيما تكون في الواقع موضع تمحيص خبراء التربية وأتباعهم. لم تخطط للإرضاع الطبيعي؟ يا لها من أنانية! الإرضاع الطبيعي علانية؟ يا لها من همجية!

طفلك ينام معك في السرير؟ اتكالية. تعاقب طفلك باحتجازه؟ يا لك من أمريكي جاهل، مثيرٍ للشجن!

وسط تلك الانقسامات الحادة من الصعب العثور هذه الأيام على أي شيء يتفق عليه الآباء الأمريكيون. لكنني أظن أنني وجدت شيئين. أولاً، يظن معظم الآباء في أمريكة أنهم شديدون. ثانياً، إنهم واثقون تماماً أنهم وحدهم في ذلك.

في سنة 2006، أجرينا استطلاعاً لآراء أمريكيين لديهم أطفال تحت 18 سنة ويعيشون معهم في المنزل، وقسمناهم إلى مجموعات مختلفة وفقاً لمعيار التساهل/التشدد. لم تكن بعض الأشياء مفاجئة - يذهب الآباء المتشددون إلى الكنيسة كل أسبوع أو أكثر، يعرّفون أنفسهم بأنهم محافظون، يعيشون في الجنوب، وهم أكبر سناً. الآباء الأقل تشدداً يافعون، متحررون، يعيشون في الشمال الشرقي، وترعرعوا على أيدي آباء متساهلين. الرجال أكثر تشدداً بقليل من النساء. البروتستانت أكثر تشدداً قليلاً من الكاثوليك.

لكن عندما تنظر إلى المجموعة الكلية من الآباء الذين تم استطلاع آرائهم، تدرك أن أحد المبادئ الموحدة هي أن معظم الآباء يظنون أنهم قساة. يقول 55 % من الآباء: إنهم صارمون، مقارنة بـ37 % فقط يقولون: إنهم متساهلون. يقول 52 % من الآباء (و58 % من الآباء الأكبر سناً): إنه من الأفضل توجيه الأولاد «بانضباط وحزم» بدلاً من «الحنان والتشجيع». وبنسبة أكثر من 2 إلى 1، يقول آباء أمريكيون: إن جعل أبنائهم مواطنين صالحين أكثر أهمية من تحقيق السعادة لهم.

الغريب أن الآباء الأمريكيين يقولون بنسبة كبيرة: إن آباء آخرين لا يبذلون جهداً كافياً. تقول نسبة ساحقة تبلغ 91%: إن «معظم الآباء اليوم متساهلون كثيراً مع أطفالهم»، مقارنة بنسبة 3 % فقط تقول: إن الآباء متشددون للغاية اليوم.

إذاً لدينا مجموعة من الآباء الذين يظنون أنهم صارمون، لكن ليس هناك أحد غيرهم في ذلك. الحقيقة هي أنهم نصف محقين - والأمر يتعلق بالآخرين. اليوم في أمريكة، كل الآباء تقريباً أكثر تساهلاً مع أطفالهم مما كانت عليه الحال قبل جيل مضى، بالرغم من وصفهم لأنفسهم بأنهم آباء وأمهات سيئون. عندما يتعلق الأمر بالتساهل، يدخل الآباء اليوم، مثل عنوان كتاب شهير، في حالة إنكار.

يبدأ الأمر مع هؤلاء الأطفال في الليل. في النصف الأول من القرن العشرين، كان يُطلب إلى الوالدين وضع موعد محدد لنوم الأطفال، حتى إذا كان ذلك يعني «جعلهم يبكون» في منتصف الليل. في الخمسينيات، تم اعتبار د. سبوك «متساهلاً» لاقتراحه أنه من الصائب، أحياناً، الذهاب إلى الطفل وتهدئته - بالرغم من أنه قال، أيضاً، في نسخ لاحقة من كتابه: إنه من الأفضل ترك الأطفال يبكون وحدهم. في الثمانينيات، نصح د. ريتشارد فيربر من هارفرد الآباء في كتابه الشهير حل مشكلات نوم طفلك بترك الأطفال يتعلمون بمرور الوقت أن يبكوا حتى يصمتوا من تلقاء أنفسهم - أسلوب غالباً ما تتم الإشارة إليه الآن بـ «طريقة فيربر».

لكن ما رأي الآباء الأمريكيين في طريقة فيربر؟ كما هو معتاد، يعتمدها بعضهم، لكن معظمهم يعتقد أنها مثل تعليق الطفل في مشنقة. أعلن 60 % من الآباء الذين استطلعنا آراءهم أنه «ينبغي تهدئة الأطفال كلما بكوا» - مقارنة بنسبة 35 % فقط قالوا: إنه ينبغي ترك الأطفال يبكون حتى يصمتوا من تلقاء أنفسهم ويخلدوا إلى النوم. وبين الأمهات، اللواتي يتخذن على ما يبدو معظم هذه القرارات، كانت النسبة 66 مقابل 30 - أو أكثر من 2 إلى 1 - لصالح تهدئة الطفل كلما بكى. (يتكلم الآباء كثيراً، لكنهم يصبحون بطريقة ما أكثر قدرة على النوم عبر الصرخات).

ما هو الحل الأقرب إلى وجهة نظرك؟	أمهات	الجميع	آباء
ينبغي تهدئة الأطفال كلما بكوا	60	48	66
ينبغي السماح للأطفال بالبكاء في الليل: حتى يتعلموا كيف يخلدون إلى النوم	35	44	30
لا أعرف	5	8	4

عندما يتعلق الأمر بالأطفال والنوم، كان مركز الجاذبية الاجتماعية كاملاً قد انتقل إلى يسار د. سبوك، الذي كان يُعدّ متساهلاً في أيامه. كان د. فيربر نفسه قد ذهب إلى أقصى حد في نسخة 2006 من كتابه لتوضيح أنه لم يستعمل تعبير «البكاء حتى الصمت» البتة، وأن ما يدافع عنه هو «الانتظار المتدرج».

ربما يكون الأكثر إثارة للاهتمام في تربية الأولاد هو صفعهم على أردافهم. في سنة 1968، كان هناك شبه إجماع عالمي على العقوبة البدنية، وكان 94 % من الأمريكيين

يقولون: إنه لا بأس بصفع أطفالهم على أردافهم. بحلول سنة 1994، تراجعت الموافقة إلى 68 %، وثبتت عند 65 % تقريباً منذ ذلك الوقت. على الرغم من أن 65 % لا تزال نسبة أغلبية، إلا أن هناك صعوبة في العثور على نزعة اجتماعية أخرى تراجعت إلى هذا الحد وبتلك السرعة. حتى تأييد عقوبة الموت، التي تحظى الآن بموافقة 66 % من الناس، تراجعت من 80 % فقط.

كما لو أن المواقف تجاه التدريب على النوم والكلام ليست كافية لإظهار تساهل أمريكة المتزايد، ما أدهشني حقاً هو ما يقوله الآباء عن طريقة تعاملهم فعلاً مع أولادهم اليافعين والمراهقين. سأل استطلاعنا آباءً عما سيفعلونه إذا قام ابن يبلغ من العمر 9 سنوات بشتمهم وقال: إنه يكرههم. كانت الإجابة التي تكررت كثيراً من والدين من الجنسين ومختلف الأعمار: «سأجلس وأسأله لماذا يشعر بتلك الطريقة» و«أقول له: إنني آسف؛ لأنه يشعر بتلك الطريقة، لكنني سأحبه على أي حال». (إذا كانت ابنة، كانت أعداد من يجيبون بتلك الطريقة أكبر). قال 14 % فقط من الآباء: إنهم سيضربون الابن، وبين آباء تحت 35 سنة، كان الذين سيضربون أقل من النصف بقليل. قال بالكاد 2 من كل 10: إنهم سيحرمون الطفل من كل الامتيازات أسبوعاً على الأقل.

افترض أن لديك ابناً / ابنة في التاسعة من العمر شتمك بكلمة وقال: إنه / إنها يكرهك. ماذا ستكون ردة فعلك على الأرجح؟ إجابات متعددة

تشير المجموعتان من الأرقام إلى ابن / ابنة	الجميع	آباء	أمهات	والد أصغر من 35	والد أكبر من 35
تجلس وتسأله / تسألها لماذا يشعر بتلك الطريقة؟	64/58	59/60	66/57	63/53	64/61
تخبره بأنك آسف لأنه / لأنها يشعر بتلك الطريقة، لكنك تحبه / تحبها على أي حال	57/56	51/44	60/63	67/63	57/51
ترسله / ترسلها إلى غرفته / غرفتها	46/44	38/37	50/49	53/51	41/40
تحرمه/ تحرمها من الامتيازات أقل من أسبوع	33/34	27/39	35/31	39/41	28/30
تحرمه/ تحرمها من الامتيازات أسبوعاً أو أكثر	25/21	24/22	25/21	26/15	24/25
تضربه/ تضربها على المؤخرة	14/14	2/18	20/11	20/8	10/17
لا أفعل شيئاً	2/0	4/0	1/0	1/0	2/0
لا أعرف	1/3	3/1	0/4	1/7	1/1

تقول: لا بأس – لكن الطفل يبلغ من العمر 9 سنوات فقط، وهو يختبر بعض الاستقلالية الجديدة عليه. لكننا سألنا الآباء أيضاً ماذا ستكون أول ردة فعل لهم إذا كان ابنهم الذي يبلغ من العمر 15 سنة يتعاطى عقاقير غير مصرح بها. وهذه المرة، قال 3 من كل 4 إنهم سيجلسون ويتكلمون – قال تقريباً 1 من كل 10: إنهم سيحافظون على سر قيام أبنائهم بتعاطي عقاقير غير مصرح بها. كان 15% فقط من الآباء سيحرمون أبناءهم من الامتيازات (أقل من 1 من كل 10 أمهات ستحرم ابنها منها)، ولم يقل أحد عملياً: إنهم سيضربون أبناءهم.

افترض أن لديك ابناً / ابنة في الخامسة عشرة من العمر واكتشفت أنه / أنها يختبر عقاقير غير مصرح بها. ماذا ستكون ردة فعلك الأولى على الأرجح؟

تشير المجموعتان من الأرقام إلى ابن / ابنة	الجميع	آباء	أمهات	والد أصغر من 35	والد أكبر من 35
تجلس وتسأله / تسألها لماذا يفعل ذلك؟	66/68	70/55	63/75	68/73	63/65
تحرمه / تحرمها من الامتيازات شهراً أو أكثر	6/10	7/16	5/6	4/4	7/13
تخبره عن تجاربك الخاصة مع العقاقير غير المصرح بها	8/7	9/11	7/5	8/8	7/6
تحرمه / تحرمها من الامتيازات أقل من أسبوع	8/6	6/13	9/3	9/6	6/7
الاتصال بالشرطة	4/4	3/3	4/4	3/1	4/5
تحصل على استشارة / ترسله / ترسلها إلى برنامج إعادة تأهيل	2/1	0/0	4/1	1/1	3/0
تتكلم إليه / إليها عن الضغوط / تخبره / تخبرها عن مخاطر / عواقب استعمال العقاقير الممنوعة	1/1	3/1	0/2	0/1	2/1
تضربه / تضربها	0/0	0/0	0/0	0/0	1/0
أخرى	3/0	0/0	4/0	1/0	4/0
لا أعرف	3/3	2/1	4/4	5/4	2/2

تم استبدال «احتفظ بالعصا ودلّل الولد» بـ «اشترك في حديث جيد معه من القلب إلى القلب». لن أطلق أحكاماً على أي من الطريقتين، لكنني سأراقب كم كان هذا التغير مثيراً. في حين يحصل المزيد من الأولاد على المزيد من الحرية، يذهب المزيد من الراشدين إلى

السجن - كان القضاة، الذين أثارتهم التغييرات في القانون، قد ذهبوا في اتجاه معاكس للآباء. هل ينقل الآباء المزيد من المشكلات إلى النظام؟ ربما.

نعم، تشرح بيانات استطلاعات الرأي نفسها بنفسها - لهذا ربما يقول الآباء إنهم: سيجلسون ويتكلمون، في حين يقومون في الواقع بالصراخ والضرب. لكن هذه هي المجموعة نفسها التي تتقيد بالتشدد في وصف أفضل طريقة لتربية الأطفال. إنهم يعتقدون أنَّ هذا تشددٌ.

ما الذي يعنيه كل هذا التساهل المُحدث لأمريكة؟

إنه سؤال شائك؛ لأن كل معسكر من الآباء يستلهم شغفه ليس من محبته للأبناء فقط، وإنما من الإحساس بأن مستقبل العالم يعتمد على فوزه. سيقول المحافظون الاجتماعيون إن تساهلاً أكبر، كما وصفناه هنا، يعني أن الأطفال سيكبرون أنانيين، لا يحترمون السلطة، ويصبحون مجرمين. سيشيرون حتى إلى قادة سود متحررين عبر أمريكة قالوا علانية: إن الضرب بين الحين والآخر من الأم أو الجدّة هو ما أبقاهم على قيد الحياة. وضمن دراستنا، سيشيرون إلى حقيقة أنه في أسفل قائمة الآباء الصارمين، إلى جانب المتحررين، هناك سكان الشمال الشرقي، والأشخاص الذين ترعرعوا على أيدي آباء متساهلين - هناك أيضاً، وربما يكون ذلك مفاجئاً، الآباء في الأرياف. في أثناء مدة تراجع معدل الجريمة على نحو كبير في التسعينيات، كان معدل الجريمة في الأرياف قد تراجع ببطء أكبر مما حدث في الضواحي أو المدن.

سيشير المتحررون، من ناحية أخرى، إلى عقود من الدراسات التي تقول: إنه ينتج عن ضرب الأطفال خضوع على المدى القصير، لكنه يؤدي إلى مشكلات أكثر حدة على المدى الطويل - بما في ذلك، للمفارقة، التمرد. لهذا سيعني تساهلاً أكبر في أمريكة، أخيراً، مجتمعاً أكثر صحة.

لكن في كلتا الحالتين، القصد أن معاقبة الأطفال أضحت غير مقبولة اجتماعياً. كنت على متن طائرة أخيراً، حيث هدّد أب بإلغاء رحلة تزلج إذا لم يحسن أولاده التصرف.

وبدا الركاب الآخرون منزعجين تماماً -من رد فعل الأب- حتى إنني فكرت أنه سيكون هناك تدخل لاعتقاله. إلغاء رحلة تزلج - كان ذلك تشدداً أكثر من اللازم. مجدداً، لا أعرف من كان محقاً أو مخطئاً - لكن احذروا فقط إذا عاقبتم أطفالكم علانية؛ لأن معظم الناس سينحازون إلى جانب الأولاد.

ينجم عن وجود آباء متساهلين اليوم تأثيرات تجارية حقيقية. في التسعينيات، كان يُظن أن أكثر ما يحتاج إليه الآباء المشغولون هو التقانة -مثل برامج حجب الإنترنت- لإبعاد التأثيرات السيئة قبل أن تدخل المنزل وتثير كل أنواع المشكلات العائلية. لكن كما تبين لاحقاً - لا أحد يستعملها. في سنة 2001، بعد أكثر من سنتين على توافر ميزة حجب برامج معينة في أجهزة التلفاز، لم يستعملها سوى أقل من 1 من كل 10 آباء. أظهر استطلاعنا أنه على الرغم من أن 85 % من الآباء الذين لديهم أولاد يستعملون الحاسب يشرفون عليهم، إلا أن أقل من 1 من كل 3 يفعلون ذلك باستعمال برامج مخصصة. يقول آباء متساهلون اليوم: إنهم بحاجة إلى المزيد من الأدوات التقنية الذكية، لكن ما يحتاجون إليه فعلاً هو إرشادهم حول طريقة القيام بـ «المحادثة».

في الأيام الخوالي، كان الأطفال يحصلون على العصا فقط، أو على الأقل توبيخ شديد. اليوم، يتم حملهم، وتهدئتهم، والتفاوض معهم لوقت طويل. ليس هناك وضوح فيما إذا كنا نتجه فعلاً إلى أن نصبح مجتمعاً أقل عنفاً، أو أن المزيد من الناس لن يستمعوا إلى السلطات.

ربما يكون «أهل يدلّلون أطفالهم» أكثر من نزعة مجهرية - تؤثر هذه النزعة في ملايين الآباء، ولها نتائج مجتمعية كبيرة. لكن الشيء الأكثر بدهية بشأنها هو كيف يفكر الآباء في أنهم صارمون، في حين هم في الحقيقة قد أعادوا على الأقل تعريف التشدد، وحولوه من حزام خلف الظهر إلى حديث لطيف مع الأولاد.

الصورة الدولية

إذاً أمريكة تصبح أكثر «اهتماماً بالأولاد»، مع كل ذلك الاندفاع لتهدئة الأطفال الذين يبكون في منتصف الليل والتراجع السريع في استعمال العقوبة البدنية. لكن نظرة على نزعات حول العالم تظهر أن الولايات المتحدة ربما لا تزال أكثر تشدداً من باقي العالم عندما يتعلق الأمر بالضرب، لكنها ربما ليست متشددة بما يكفي عندما يتعلق الأمر بالانضباط الأكاديمي.

على الرغم من أن الأمريكيين لا يوافقون على العقوبة البدنية بمعدلات أعلى من ذي قبل، إلا أن معدل الموافقة لا يزال قريباً من الأغلبية بنسبة 65 %. ولا تزال 22 ولاية تجيز العقوبة البدنية في المدارس. يضعنا ذلك ضمن أقلية.

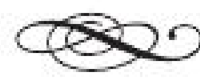
- أوروبة. في أيسلندة وبولندة وهولندة ولوكسمبورغ وإيطالية وبلجيكة والنمسة وفرنسة وفنلندة وروسية والنرويج والبرتغال والسويد والدانمرك وقبرص وألمانية وسويسرة وآيرلندة واليونان والمملكة المتحدة، تم حظر العقوبة البدنية رسمياً في المدارس؛ وفي العديد من تلك الدول، تم حظرها أيضاً في البيوت. حتى في المملكة المتحدة، التي أقرت سنة 2004 قانوناً يضمن حق الوالدين في ضرب الأبناء، ربما هناك استعداد الآن للتراجع عن ذلك. وجدت دراسة قام بها «اتحاد عدم ضرب الأولاد» أن 71 % من الراشدين البريطانيين يفضلون الآن منح الأولاد الحماية نفسها من الاعتداء مثل الراشدين.
- إفرِيقيَّة. تم حظر العقوبة البدنية في المدارس في ناميبية، جنوب إفرِيقيَّة وزيمبابوي وزامبية وكينية.
- آسية. كانت حكومات اليابان والصين وتايلاند وتايوان قد أبلغت المعلمين بضرورة ترك العصا واللجوء إلى بعض العقوبات الأخرى بدلاً من ذلك.

(بالطبع، في سنة 1994، كانت سنغافورة مستعدة لضرب أمريكي يبلغ من العمر 18 سنة علانية لتخريبه بعض السيارات).

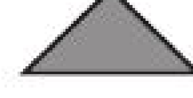
لهذا تعد أمريكة قاسية حقاً، عندما نتحدث على نطاق عالمي، فيما يتعلق بضرب الأولاد، لكن عندما يتعلق الأمر بالتشديد على الواجبات المدرسية، ربما نحن مهملون نسبياً. وفقاً لدراسة أجراها مركز بيو Pew سنة 2006، يعتقد 56 % من الأمريكيين أن الآباء لا يضغطون كثيراً على الأبناء للتفوق في المدرسة. لكن في الصين، والهند، واليابان -بلاد معروفة ببيئاتها التعليمية التنافسية- تقول الأغلبية العظمى من الآباء: إنها تضغط كثيراً على أبنائها.

وبالطبع، يحقق الطلاب الآسيويون نتائج في بعض الامتحانات الدولية أفضل من الطلاب الأمريكيين. احتلت الولايات المتحدة المرتبة 24 من 29 بلداً في اختبار رياضيات عالمي سنة 2003، بعيدة تماماً عن اليابان والصين. هل يمكن أن يكون لهذا علاقة بحقيقة، كما اكتشفت مؤسسة راند Rand ومعهد بروكنغز Brookings، أن الطالب الأمريكي النموذجي يقضي أقل من ساعة في اليوم لأداء فروضه المدرسية؟

ربما ينبغي أن نحتفظ بالعصا وندلّل المعلمين - ونجعل الأطفال يجلسون ويؤدون وظائفهم.



شواذ يظهرون لاحقاً



في آب 2004، وقف حاكم نيوجرسي جيمس مكغريفي أمام مراسلين محليين، وشركات الصحافة القومية، و300 مليون مشاهد تلفاز؛ ليعلن أنه سيستقيل لأنه يقيم علاقة مع رجل وسيجعله ذلك عرضة «مزاعم زائفة وتهديدات بكشف سره».

كانت هناك الكثير من القصص الأخرى التي تتحرك مثل دوّامة. هل تمت إساءة استعمال الأموال العامة لتوظيف الحبيب كـ «خبير أمني» فيما لم يكن الرجل يتمتع في الواقع بأي خبرة؟ هل كانت العلاقة إساءة استعمال للسلطة؛ لأنه كان قد عمل لصالح الولاية؟ هل يمكن الوثوق بسياسي كذب بشأن الجنس في أي قضية أخرى؟

لكن هناك قصة أخرى لم تأخذ حقها من النقاش: دينا ماتوس مكغريفي. كانت زوجة الحاكم، تقف وفية له في أثناء إعلان زوجها. قال مكغريفي: «حقيقتي أنني أمريكي شاذ»، في حين كانت زوجته منذ أربع سنوات، ووالدة ابنتهما التي تبلغ من العمر سنتين، تراقب ما يجري بابتسامة متكلفة.

كان مكغريفي وماتوس قد التقيا سنة 1996، بعد أن كان مكغريفي قد انفصل عن زوجته الأولى. كانا قد مشيا معاً إلى سيارتها، وتبادلا القبلات في الليلة نفسها. بعد أربع سنوات من التودد، تزوجا في احتفال صغير في ودبريدج، فيرجينيا، تبعه حفل استقبال في فندق هاي آدمز Hay Adams الأنيق الذي يطل على البيت الأبيض (حيث ربما كان مكغريفي، الذي سيصبح حاكماً قريباً، يطمح لأن يعيش يوماً ما). بعد سنتين، احتفلا بولادة الصغيرة جاكلين. والآن، بعد أربع سنوات تقريباً من زواجهما، على التلفزة القومية، كان جيم مكغريفي، بعمر 47 سنة، يعلن للعالم أنه شاذ.

مثل هؤلاء الشواذ الذين يظهرون لاحقاً قوة متنامية في أمريكة. بالرغم من أنه من الصعب تحديد أعدادهم بدقة، إلا أن الخبراء يعتقدون أن هناك على الأقل 2 مليون

لوطي وسحاقية كانوا فيما مضى متزوجين أشخاصاً من الجنس الآخر أو لا يزالون كذلك. وفقاً لدراسة قامت بها وزارة الصحة الأمريكية والمؤسسة القومية للخدمات البشرية سنة 2002 عن النمو العائلي، قال 3.4 % من الرجال المتزوجين حالياً والذين تتراوح أعمارهم بين 15 و44 □ أو قرابة 900.000 □ : إنهم أقاموا علاقة جنسية مع رجال آخرين (بالرغم من أنه ينبغي ملاحظة أن مثل ذلك الإعلان أوسع من الإعلان بأن المرء شاذ). عندما تضيف رجالاً كانوا متزوجين فيما مضى، تحصل على ما يزيد على 1.2 مليون رجل في أمريكة متزوجين أو كانوا كذلك وقالوا: إنهم أقاموا علاقة مع رجال آخرين.

معظم الشواذ الذين يظهرون لاحقاً، كما يبدو، لا يرتبطون بالزواج عن سوء نية. يدرك بعضهم ما يحدث معهم في وقت لاحق؛ وكانت دراسة واحدة على الأقل قد اكتشفت أن 1 من كل 5 رجال شواذ متزوجين كانوا قد تجاوزوا 40 سنة عندما اختبروا أول علاقة لواط. يشك بعض الشواذ في الأمر، لكن الأمر يتضح فقط بعد سنوات من الكفاح مع حقائقهم الداخلية. لا يزال بعض الشواذ يظهرون ضد إرادتهم، غالباً نتيجة وجود زوجة تكتشف خلاعة لواط أو رسائل بريد إلكتروني جنسية صريحة على حاسبهما. أو، كما في حالة الحاكم مكغريفي، من الحبيب نفسه. تذكّر قسيس كولورادو تيد هاغارد، الذي قرّر حبيبه بعد عدّة سنوات أخيراً أن الكيل قد طفح من أحاديث هاغارد العلنية ضد الشذوذ! عندما فضح المومس مايك جونز هاغارد سنة 2006، كان الأخير في عمر 50، متزوجاً منذ 28 سنة، ولديه خمسة أولاد.

أفترض أن الشواذ الذين يظهرون لاحقاً أصبحوا «رسمياً» ظاهرة قومية في سنة 2004 عندما قدّمت أوبرا وينفري حلقة من برنامجها بعنوان «زوجي شاذ».

من أين يأتي الشواذ الذين يظهرون لاحقاً؟ يبدو أن الارتفاع في أعدادهم على صلة مباشرة بزيادة قبول الشذوذ. عندما كان معظم هؤلاء الرجال في المدارس الثانوية، كان أقل من 30 % من الأمريكيين يعدون الشذوذ «نمط عيش بديل مقبول». الآن، في سنة 2006، انعكست النسبة، وتقول أغلبية كبيرة من الأمريكيين: إنه لا بأس بالأمر. يقول 88 % من الأمريكيين: إنه ينبغي أن يحصل الشواذ على حقوق متساوية في أماكن العمل،

ارتفاعاً من نسبة 56 % سنة 1977. وكانت مجموعات دعم اللوطيين والسحاقيات قد انتشرت في كل مكان تقريباً من أمريكة.

لهذا ما كان يبدو مستبعداً قبل سنوات مضت -عندما كان الناس يربطون الشذوذ بتجارب قديمة، أو أوهام خاصة، ويسيرون على الممر مع امرأة أو رجل يهتمون به حقاً- قد أصبح الآن ممكناً؛ ويحصل باستمرار، وتقوم به أعداد متزايدة من الناس.

رجال، كما يبدو، أكثر من نساء. يعزى السبب إلى وجود لوطيين أكثر من سحاقيات، ووفقاً للخبراء، فإن النساء أبطأ في الانتقال من اكتشاف أنهن سحاقيات إلى طلاق فعلي. بالتأكيد، زوجة روس، وهي في صحبة أصدقائها تركته من أجل امرأة جذابة التقتها في صالة الرياضة، والأم في السيرة الذاتية لأوغستين بوروغو الأكثر مبيعاً سنة 2002 بعنوان الجري مع المقصّ (أدت الدور آنيت بينينغ في فيلم سنة 2006) كان لديها علاقات سحاقية في منتصف حياتها. لكن في الحياة الحقيقية، الموقف الأكثر شيوعاً هو مثل دينيس كويد في فيلم سنة 2002 بعيداً عن الجنة. رجل متزوج في ضاحية. طفلان. حياة مدنية مميزة. جاذبية للشواذ لا يمكن تجاهلها. أعلن الأمر بعمر 40.

للوطيين الذين يظهرون لاحقاً في أمريكة احتياجات، خاصة ضمن مجتمع الشواذ. على الرغم من أن الإفصاح عن الأمر سيكون أسهل للمراهقين، وللذين لم يتجاوزوا العشرين، لا يزال الرجال في «منتصف العمر» الذين يعلنون ذلك أول مرة يشعرون بانزعاج كبير - ناهيك عن ذكر ظهورهم الجديد في مشهد الشواذ. يسرد مبتكر الموقع الإلكتروني www.comingoutat48.blogspot.com أنه عندما بدأ حياته الجديدة بوصفه رجلاً شاذاً، لم تكن لديه فكرة عما يرتديه للذهاب إلى المشارب، وكان يصل إلى هناك مبكراً جداً. خصص مسلسل ويل وغريس Will & Grace عدّة حلقات على الأقل عن قيام ويل أو جاك «برعاية» شاذ ظهر لاحقاً في مجتمعهما.

لكن إذا نحينا احتياجات الشواذ الذين يظهرون لاحقاً جانباً، لا يمكننا وصف كيف يغير هؤلاء عالم أزواجهم وأطفالهم. وفقاً لدراسة سنة 1990 عن «التنظيم الاجتماعي للعلاقات الجنسية» (التي أثبتتها بيانات النمو العائلي المذكورة سابقاً)، هناك نحو 3

ملايين امرأة كانت أو لا تزال متزوجة من رجل ينام الآن مع رجل آخر. إضافة إلى ذلك، هناك نحو 3.5 ملايين طفل أعلن آباؤهم أنهم شواذ في مراحل لاحقة من حياتهم. نتكلم عن الأحاديث الجنسية الصعبة مع الأم والأب.

الأزواج الأسوياء الذين يجدون أنفسهم وحدهم لديهم مرجع في «شبكة الأزواج الأسوياء العالمية»، التي تنسّق عمل قرابة ثمانين مجموعة دعم في الولايات المتحدة والخارج. موقعها الإلكتروني هو www.straightspouse.org، وتفيد التقارير أن عدد زواره يصل إلى 300 في اليوم. والمساندة ضرورية. وفقاً للخبراء، يمر أزواج الشواذ الذين يعلنون عن ذلك لاحقاً بكل المراحل التي يختبرها المرء عند موت شخص يحبه - غضب، حزن، إنكار، ثورة. أحياناً، هناك شيء يدعو للارتياح ويأتي على شكل «لم يكن أنا، وإنما هو». أحياناً هناك خوف، خاصة فيما يتعلق بالأمراض المنقولة جنسياً والإيدز. لكن دائماً تقريباً، بالنسبة لزوجة سوية يتركها شاذ، هناك رفض، شعور بالإذلال، والخيانة، وأحياناً إرغام المرء نفسه على إعادة تقويم حكمه، واستيعاب الحقيقة.

كل هذا، في حين على المستوى العملي، يعمل الزوجان أيضاً على قضايا الانفصال، اختبار فرصة البقاء معاً على أي حال (وهو ما يفعله ثلث الأزواج)، و/أو اختبار مشاعر مختلطة عند السعي لإقامة علاقات جديدة. تجد الكثير من الزوجات السويّات أنفسهن حبيسات فضائهن الخاص حتى ينتشر النبأ علانية - يكون عليهن عندها تحمّل الكثير من الأسئلة الصعبة من أصدقاء وأهل وزملاء وأولاد. بالتأكيد، ينضممن آنذاك إلى صف الزوجات المذهولات لكل من أوسكار وايلد، وروك هدسون، وإلتون جونز - لكن ذلك لا يعالج الألم.

يعصف مليونان من الشواذ الذين يظهرون لاحقاً بحياة 4 ملايين راشد على الأقل - لكنهم يغيرون أساساً ما كان شيئاً ثابتاً لكل شخص آخر. يعاني الزواج في أمريكة من وقت صعب بما يكفي هذه الأيام، مع قيام 7.5 فقط من كل ألف شخص بالزواج، انخفاضاً من 10.6 سنة 1980. لكن الآن حتى الأشخاص الذين يطمحون للزواج، يلتقون شخصاً مناسباً، ويسيرون معه في الواقع على ممر الزفاف، لديهم مشكلة جديدة ينبغي عليهم التعامل معها. في أثناء خمس عشرة سنة، هل سيكون زوجهم شاذاً يعلن عن نفسه

آنذاك – أو أسوأ، يحافظ على شذوذه سراً؟ هل يمكن أن يقول: إنه يحب –وإنه في الواقع لا يرغب في امرأة أخرى– ويترك زوجته من أجل شغف أكبر عندما يصبح في عمر 45؟ كيف يمكن معرفة الشاذ مباشرة وفوراً في حين لا يزال الثنائي يتواعدان؟

ربما سترغب مواقع المواعدة الإلكترونية، وخدمات استشارات الزفاف، في إضافة بعض الأسئلة بشأن التفضيل الجنسي. الأمل أن يخضع كل شخص اليوم لكل أنواع الاختبارات الشخصية لمعرفة من يناسبه، طريقة توقع (وفض) نزاعات العلاقة، وكيفية زيادة فرص السعادة الزوجية. ربما لن تكون فكرة سيئة أن يتأكد المرء من ميول أشخاص آخرين قبل أن يبدأ البحث عن شريك.

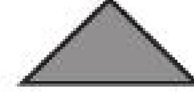
إذا استمر التسامح مع الشذوذ في الارتفاع في أمريكة، فسينخفض عدد الشواذ الذين يظهرون لاحقاً بناءً على نظرية أن الشاذ سيكون مجرد شخص عادي، وسيقطع ذلك الطريق على زواجه من شخص سوي. عملياً، إذا حظي زواج المثليين بموافقة كبيرة، فلن يفقد الشواذ شيئاً باختيار شركاء من الجنس نفسه، وسيعاني الأزواج الأسوياء ألماً شديداً. (كما كان الكوميدي جاسون ستوارت قد قال: «أتمنى منكم أنتم الأشخاص الأسوياء أن تسمحوا لنا نحن الشواذ بالزواج. إذا فعلتم ذلك، فسنتوقف عن الزواج بكم!»).

لكننا لن نشهد ذلك اليوم قريباً في أمريكة. لا يزال 51 % من الأمريكيين يعدون الشذوذ «خطأ أخلاقياً» وقرابة 60 % يعارضون زواج المثليين. يظن العديد من الأمريكيين (36 %) أن قبول الشواذ ينبغي أن يكون أقل، لا أكثر. وطالما أن الشواذ طبقة ثانية في أمريكة، سيتخلى عدد كبير من الأشخاص الذين لديهم مثل تلك الميول عنها لصالح الزواج بالجنس الآخر، حيث في ذلك تحصين نقي، وأطفال يولدون على نحو طبيعي. لكن إذا عادت تلك الميول، بعد سنوات، مرة أخرى أو ظهرت بطرق جديدة، فسيكون هناك أخبار عاجلة عن ميولهم الجنسية – وميول كل شخص آخر.



أبناء بررة

ذكور يعتنون بأقربائهم في أمريكة



في هذا الوقت، نعرف جيداً أن الأمريكيين يعيشون مدة أطول - يُتوقع أن يعيش شخص يولد اليوم إلى ما بعد 70 سنة، مقارنة بتوقع مدة الحياة التي كانت تبلغ 47 عاماً لشخص ولد سنة 1900. والعيش حتى يبلغ المرء الثمانين أو التسعين من العمر يزداد.

نعرف أيضاً أنه عندما يموت الناس، يفعلون ذلك ببطء - يعانون حالات عضال مثل أمراض القلب والزهايمر، وليس من بعض الأمراض القاتلة بسرعة، كما في الماضي.

نتيجة لذلك، ينتهي الأمر بمعظم كبار السن بحاجة إلى نوع من العناية في نهاية العمر، وبالرغم من ذلك، وبخلاف الاعتقاد الشائع، لا يذهب سوى القليل منهم إلى دور الرعاية أو مراكز المساعدة. في الواقع، فقط 4 % من الناس الذين يبلغون من العمر 65 أو أكبر يعيشون فعلاً في مثل تلك الأماكن. الأغلبية العظمى من كبار السن الذين يحتاجون إلى الرعاية إما يحصلون عليها في المنزل من أقارب دون تكلفة، أو ينتقلون للعيش مع أحد أفراد العائلة. ولمدة تتراوح بين أربع وخمس سنوات. يشكل ذلك عبئاً ثقيلاً على الذي يتكفّل بالرعاية.

الواضح أن معظم عبء تقديم الرعاية في أمريكة يقع على عاتق النساء. هناك تعبير عن المرأة التي تعمل وتتوقف مؤقتاً عن ذلك لرعاية والد طاعن في السن: «درب الابنة» - انعكاساً من «درب الأم» الذي ظهر قبل عشرين سنة مضت، عندما تخلّين مؤقتاً عن حياتهن المهنية للعناية بأطفالهن.

لكن على الرغم من أن النساء يتولين أمر معظم الرعاية، والمزيد من العناية المكثفة، إلا أن هناك مجموعة متزايدة -وربما تكون قوية- من مقدمي الرعاية مجاناً في أمريكة

من الرجال. وفقاً لدراسة سنة 2004 قام بها الاتحاد القومي لمقدمي الرعاية والمنظمة الأمريكية للمتقاعدين، نحو 40 % من 44 مليون شخص في أمريكا يعتنون مجاناً براشدين عجزة هم من الرجال. هذا يعني نحو 17 مليون ابن، وصهر، وابن أخ، وشقيق، وزوج يهتمون بمن يحبونهم في أوقات «فراغهم». في أثناء التسعينيات، كانت المجموعة الأسرع نمواً من الأقارب الذين يعتنون براشدين عاجزين أبناء.

ولا يقتصر الأمر على زيارة في عطلة نهاية الأسبوع لمساعدة الأب على نقل الأريكة القديمة التي لم يعد يستطيع رفعها بنفسه. يقضي رجال يعتنون بأقاربهم في أمريكا ما معدله تسع عشرة ساعة أسبوعياً مع أحبائهم العجزة. ويقضي بعضهم ساعات أكثر من ذلك: نحو ثلث مقدمي الرعاية لأقارب يحتاجونها هم رجال.

هناك بعض الميزات لـ «أبناء بررة» تميزهم عن أخواتهم البررة، ويمكن أن يكون لذلك في نهاية المطاف أهمية سياسية. ينحو مقدمو الرعاية الرجال إلى عدم التوقف مؤقتاً أو الامتناع عن العمل، وهم على الأرجح (60 إلى 41 %) يعملون بدوام كامل، مع كل الموارد الإضافية والنفوذ الذي يتضمنه ذلك. يساعد مقدمو الرعاية الرجال غالباً رجالاً آخرين - 35 % مقارنة بـ28 % فقط من مقدمي الرعاية النساء اللواتي يفعلن ذلك. ثالثاً، أكثر مما تفعله النساء، يختار مقدمو الرعاية الرجال موقفهم: يقول ثلثا هؤلاء: إن لديهم خياراً في القضية، مقارنة بأقل من 3 من كل 5 نساء.

أمر آخر مثير للاهتمام هو أن نسب «أبناء بررة» من الآسيويين لا تتناسب مع ما ذكرته أعلاه. 54 % من مقدمي الرعاية الأمريكيين -الآسيويين رجال- مقارنة بـ 41 % فقط من اللاتين، 38 % من البيض، و33 % من الأمريكيين - الأفارقة. بالفعل، يشكل الأمريكيون - الآسيويون المجموعة الفرعية الوحيدة التي يشكل فيها الرجال الذين يقدمون الرعاية أغلبية. ينبثق ذلك دون شك من القيمة الآسيوية الجوهرية بطاعة الأبناء للوالدين التي تعود إلى كونفوشيوس، والثقافة الآسيوية التقليدية التي تقع في قلب تطور الشخص الأخلاقي. النتيجة هي أنه في العائلات الآسيوية، يُتوقع من الابن البكر عادة العناية بوالديه.

أخيراً، العديد من مقدمي الرعاية الرجال شواذ. ظهر مقال مثير في نيويورك تايمز في كانون الأول 2006 لبيتر نابوليتانو، رجل يبلغ من العمر 48 سنة، عازب، وشاذ والذي نقل مقر إقامته للعناية بوالدته التي تبلغ من العمر 81 سنة - أساساً لأن شقيقه السوي وزوجته لا يمكنهما استقبال أمهما في أسرتهما.

لهذا ربما يتحمل الرجال ذلك العبء - العديد منهم يهتمون كثيراً عندما يتعلق الأمر بالأمهات والآباء والأزواج والشركاء. الواضح أنه لدى الرجال الأمريكيين -الآسيويين الكثير ليعلموه لبقيتنا، لكن هذا النمو في «أبناء بررة» يدل على تحولات أكثر عمقاً في المشهد العام. بالرغم من أنها إحدى الوصايا العشر أن تعتني بوالدك ووالدتك، إلا أن أمريكا لا تركز في الواقع على طاعة الأبناء للآباء كقيمة أساسية. تركز أمريكة أساساً على العناية بالأطفال، ونتكلم دائماً عن الجيل اللاحق، وليس السابق. إن تركيزنا على المستقبل نقطة قوة لنا - لكن ربما يكون ذلك أحياناً على حسب آبائنا.

كما رأينا مع آباء جدد طاعنين في السن، متقاعدين عاملين، ومجموعات أخرى في هذا الكتاب، سيقوم هذا الجيل الأكبر سناً بفعل ما هو أكثر من لعب الغولف - سيعيشون مدة أطول، يسهمون على نحو أكبر في حياة أولادهم، ويطورون بمرور الوقت صلات أكثر عمقاً معهم. لهذا إحصائياً، ستأخذ قضية العناية بالوالدين حيزاً أكبر في حياتنا وحياتهم. هذا يعني أنه على الرغم من ازدياد أعداد «أبناء بررة»، إلا أن ما نحتاجه فعلاً لتفادي التصادم بين الأجيال هو أن ترى الأجيال المقبلة مسؤولياتها من وجهة نظر أوسع من «دفع الأمور إلى الأمام». لا يزال النظر إلى الخلف فكرة حقيقية تماماً، وعلى نحو متزايد، ينبغي أن ننغمس في مجتمعنا وقيمنا.

يحتاج «أبناء بررة» إلى مساعدة أكبر مما يحصلون عليها. مثل مقدمي الرعاية النساء، يحتاجون إلى المزيد من خبراء التعامل مع الشيخوخة للمساعدة في إرشادهم عبر متاهات الرعاية الصحية؛ إيجاد من يحل محلهم إذا تطلب منهم عملهم الخروج من البلدة؛ ونوع التدريب الطبي الضروري للعناية بمن يحبون بعد إخراجه من مستشفى أو انتهاء مدة تمريض قصيرة الأمد في المنزل. لا تقدم كثير من أماكن العمل أي ميزات

حقيقية للعناية بكبار السن، وبرغم أن العناية بالكبار مشمولة بقانون «الإجازات العائلية والطبية»، إلا أن إجازة «العناية بالوالد» لم تصبح ثقافة عامة مثل إجازة الأمومة. ولا يناسب نموذج إجازة الأمومة حقاً العناية بكبار السن. يمكنك وضع مخطط لاحتياجات نمو أطفال بين 3□0 سنوات وخطة للتحول إلى الرعاية في أثناء النهار أو المدرسة. أيضاً، هم يعيشون معك. يمكن أن يوجد الوالدان بعيداً عنك، لا يمكنهما تلبية احتياجاتهما الصحية، ولا يستطيعان بالتأكيد توقع مدة أو نوع الرعاية التي يحتاجانها.

لكن يستطيع «أبناء بررة» أيضاً الاستفادة من بعض الدعم المخصص لهم فقط. نظراً لأنهم قد لا يكونون على الأرجح من يعتني أساساً بالأولاد، ربما يجدون العناية ببشر حسّاسين، محبطين، لا يقدّرون أحياناً ما يفعلونه من أجلهم -حتى أولئك الذين يحبونهم- أكثر إثارة للغضب مما تجده النساء. عندما يكون عدد الأشقاء قليلاً، ربما يجد هؤلاء تعاطفاً أقل عندما تجعلهم التزامات العناية بالأم أو الأب يأتون متأخرين، يغادرون باكراً، أو يفقدون العمل بأكمله.

ربما يكون الوالدان، خاصة الآباء، قساة على الصبيان في أثناء تدهور صحتهم أكثر من البنات. ربما يواجه الرجال الشواذ، خاصة، مجموعة من القضايا المعقدة في أثناء عنايتهم بوالديهم الذين، ربما إلى حدٍ ما، لا يقبلون بهم تماماً.

بعض المساعدة في طريقها إليهم. في أواخر سنة 2006، أقر مجلس النواب «قانون الرعاية طوال العمر»، وخصص نحو 300 مليون دولار منحة للولايات والوكالات المحلية للمساعدة في تقديم خدمات لأشخاص يعتنون مدة طويلة بأفراد عائلاتهم.

لكن بالطبع، هناك كثير مما ينبغي فعله. ثلاث مئة مليون دولار بداية جيدة، لكن الرعاية التي يقدمها أفراد العائلة تُقدّر بنحو 300 مليار دولار. لقد بدأنا ندرك مشكلة تنتشر بسرعة، وبدأنا تقويم الموارد اللازمة لتأمين الرعاية الصحية في المنزل التي نحتاج إليها للقيام بذلك على نحو صحيح.

تحديداً، فيما يصبح الأمريكيون أكبر سناً، وفيما يتراجع عدد المختصين بالشيخوخة، نحتاج إلى إدراك أكبر أن المزيد من الأمريكيين في عمر 50 يعتنون في أمريكيين في أعمار

70 و80 سنة – ويحتاج هؤلاء إلى ترتيبات مناسبة في أماكن العمل. يمتلك «أبناء بررة» القوة والقدرة لتحويل ما كان يتم عده سابقاً «قضية نساء» فقط إلى قضية اجتماعية واسعة يمكنها أخيراً تحريك المشهد السياسي لوضع الأمر على الطاولة إلى جانب الرعاية الصحية والضمان الاجتماعي.

والاهتمام مطلوب. في سنة 1997، خسرت شركات بين 11 و29 مليار دولار بسبب عمال يتركون وظائفهم، يغيبون عنها، وتوقف الأعمال نتيجة قيام موظفين بالاعتناء بأقارب عجزة. ينبغي أن يرى صانعو السياسة العامة القيمة في ذلك الإسهام «المجانية» لمقدمي الرعاية التي تبلغ قيمتها 300 مليون دولار. إذا لم يقم الأبناء والبنات الراشدون بهذا العمل، فمن سيتولى أمور كبار السن في أمريكة؟ نظام الضمان الاجتماعي الذي ينوء بالفعل تحت ثقل أعبائه؟

يُقال: إن المرشح الديمقراطي للرئاسة جو ليبرمان كان يتواصل مع والدته كل يوم حتى توفيت سنة 2005 عن عمر يناهز 90. كان تيدي روزفلت إلى جانب والدته عندما توفيت. فيما يحظى المزيد من «الأبناء البررة» بشرف العناية بآبائهم وأمهاتهم، سيضيفون بعداً أخلاقياً آخر إلى الحياة في أمريكة- بعدٌ ربما يضمحل شيئاً فشيئاً.

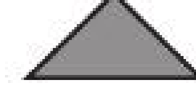


فصل 6

السياسة



نُخب سريعة التأثر



في كل يوم من موسم انتخابات 2008 هذا، أسمع نوعين من التعليقات. أولاً، أسمع: «لو أن المرشح زيداً أو عمراً كان أكثر دفئاً، وودّاً، لكنت صوّت له/لها».

ثانياً: أسمع: «أحب المرشحين الذين يركزون على القضايا. هذه انتخابات حاسمة، ونريد رئيساً ينتبه إلى مشكلاتنا فعلاً ويساعد على حلها».

أي من تلك المواقف، برأيك، يأتي من حملة الدكتوراه في أمريكا؟ الموقف الأول الذي يركز على الشخصية، أم الثاني الذي يركز على القضايا؟

حملة الدكتوراه، صدّق أو لا تصدّق، لا يهتمون إلا بالشخصية. لأن شيئاً غريباً كان قد حدث لجمهور الناخبين الأمريكيين، انقلب الأمر رأساً على عقب. كانت نخبة أمريكا-الأغنى والأفضل تعليماً في مجتمعنا- قد أصبحت أقل اهتماماً باقتصاد أمريكا والتحديات الإستراتيجية مما هي عليه الحال بالنسبة لشخصيات المرشحين. اذهب إلى أي حفلة كوكتيل، وأصغِ السمع لما يظنون أنه الأكثر أهمية في الانتخابات الرئاسية. أضمن لك أنهم سيبدؤون بتحليل الخصائص الشخصية لكل مرشح. وهناك سبب وجيه لذلك - نُخب اليوم بعيدة جداً عن الاهتمامات الرئيسة مثل الرعاية الصحية، والرسوم الجامعية، وخسارة الوظائف، والعناية بالأطفال التي يواجهها معظم الأمريكيين. ربما كان صحيحاً دائماً أن النُّخب لديها اهتمامات مختلفة عن عامة الشعب، لكن في الحياة الأمريكية الفاضلة في أثناء القرن العشرين، كانت النُّخب مجموعة خاصة شقت طريقها صعوداً على السلم وتقدّر عالياً أولئك الذين يكافحون الآن للارتقاء أيضاً. كانت، بالمختصر، مجموعات جدّية من الأشخاص الذين شهدوا الحرب العالمية الثانية

ويحترمون حقاً الحياة والسياسة. تتمتع نُخب اليوم بالدلال منذ مدة طويلة، وهي بعيدة عن كفاح آبائها وأجدادها.

على الرغم من أن نُخب اليوم تقرأ كتاب توم فريدمان «العالم مسطح»، إلا أن باقي أمريكة تعيشه. حققت النُّخب نجاحاً اقتصادياً غير مسبوق، في حين لا يصل أولئك الذين يكافحون في الأسفل إلى أي مكان. تُظهر بيانات الدخل التي تم نشرها في آذار 2007 أن أعلى 10 % دخلاً يحصلون على المزيد كل سنة، مع ذهاب أكبر زيادة (نحو 14 %) إلى أغنى 1 %. كان دخل أدنى 90 % من الأمريكيين ينخفض. لم يكن المد، في الواقع، يرفع كل القوارب.

هذا ما يجعل في الأمر مفارقة؛ لأنك عندما تسأل النخبة: لماذا يركزون على الشخصية؟ سيقولون لك: إن «الناخبين -أي، الأمريكيين الأقل دخلاً وتعليماً- لا يفهمون القضايا ولهذا يصوتون على أساس المزايا الشخصية. لكن ذلك بعيد عن الحقيقة تماماً. ما يدعى العامة في أمريكة الآن أفضل تعليماً ويركزون على القضايا أكثر من ذي قبل. اذهب إلى قاعة البلدة السياسية، مع ناخبين منتظمين في أمريكة، وسترى أن الشخصية لا تهم إطلاقاً. يركز الناخبون على الرعاية الصحية، والتعليم، والأصدقاء الذين يخدمون في العراق. يتمتعون بمستويات من المعرفة بشأن الرعاية الصحية، ونظامنا الدراسي، والاقتصاد العالمي ستجعل العديد من حاملي الدكتوراه يشعرون بالخجل. عندما أقامت هيلاري كلينتون تجمّعاً انتخابياً في إحدى دور البلدية، تلقت 11.000 سؤال. كان عشرة منها عن طعامها وأفلامها المفضلة. كانت الأسئلة الـ10.990 الأخرى عن التحديات الحقيقية التي تواجه الناس وكيف يمكنها مساعدتهم في مواجهتها. غالباً ما يكون لدى النخبة اليوم نظرة فوقية نحو عامة الشعب، لكنني كنت قد لاحظت أن النخبة هي التي يمكن التأثير فيها دون أي حقائق واقعية، فيما المجموعات الأكبر أكثر اهتماماً بالحقائق، والقيم، والتجارب. تماماً كما أن طلاب الكليات لديهم دائماً وجهات نظر تتغير عندما ينتهون من دراستهم ويمرون بتجارب الحياة، كذلك النُّخب اليوم مثل طلاب كليات دائمين، بعيدون تماماً عن التجارب والكفاح الذي يشكل حياة الأمريكيين كل يوم. لهذا يكون التأثير على النُّخب في أمريكة أسهل كثيراً من التأثير في عموم الناخبين.

كنت أتكلم على الهاتف في أحد الأيام مع مراسل من صحيفة بارزة كان يتحدث عن أهمية شخص الرئيس. قال: «لدي بريد إلكتروني عن هذا من أستاذ». قلت: «أستاذ - هل تلك هي فكرتنا عن الأمريكي النموذجي؟». يتصرف الأساتذة الأمريكيون من وحي رؤيتهم لناخبين لم يحصلوا على تعليم جامعي، ويتصرف الناخبون الذين لم يحصلوا على تعليم جامعي، كما هو متوقع من أساتذة جامعيين. وعندما تحدّيت المراسل ببعض الملاحظات الأخرى، قال: إنه سيتحقق من الأمر، وشعر «مراسلون آخرون» بالطريقة نفسها. تتطلع النُّخب إلى نُخب أخرى لتعزيز وجهات نظرها، وتقنع نفسها أن الطريقة التي ترى بها الحياة هي نفسها التي تختبرها بها نسبة 90 % الأخرى من أمريكة.

هذا ليس تخميني فقط. لننظر إلى البيانات.

كان سؤال أساسي في أحد استطلاعات الرأي التي نظّمتها يتناول ما يعتقد الناس أنه الأكثر أهمية في التصويت لمرشح:

(1) القضايا التي يطرحها، (2) الشخصية، أو (3) الخبرة. طرحت ذلك السؤال لأنني أعرف أن الثلاث كلها مهمة في قائد، وأنه من الصعب ترتيبها.

وفقاً لاستطلاع رأي نظّمناه أخيراً، تظن أغلبية كبيرة من الناخبين - 48 % - أن موقف المرشح من القضايا المطروحة للنقاش هو الأكثر أهمية، وجاءت الشخصية في المرتبة الثانية بنسبة 32 %. كان ذلك التفضيل لأهمية القضايا المطروحة قد بقي ثابتاً سواء كان الناخب من حملة الشهادة الجامعية أو لا، سواء كان متديناً أو لا، ومهما اختلف العرق. العامل الوحيد الذي لم يبقَ ثابتاً عنده، على أي حال، هو الدخل. حالما يصل الناخبون إلى عتبة 100.000 دولار السحرية في السنة، يتغير اهتمامهم إلى الشخصية، بهامش كبير. كما يُظهر الجدول أدناه، يولي الأشخاص الذين يجنون أقل من 100.000 دولار أهمية أكبر للقضايا (51 %) من الشخصية (30 %). لكن حالما يستطيعون تحقيق 100.000 دولار، يتغير ذلك، وتصبح الشخصية (45 %) أكثر أهمية من القضايا (37 %):

أي العوامل الآتية هي الأكثر أهمية بالنسبة لك عند التصويت لمرشح رئاسي؟		التعليم		الدخل					
	الجميع	دون شهادة جامعية	شهادة جامعية	50>	50+	75>	75+	100>	100+
الموقف من القضايا	48	48	48	50	50	51	46	51	37
الشخصية	32	22	35	28	34	31	33	30	45
الخبرة	19	29	15	22	15	18	19	18	18
لا أعرف	1	1	2	1	1	0	1	1	0

هذا يعني 29 نقطة تأرجح. تغيرٌ نادراً ما يبدو أوضح في استطلاعات الرأي.

فيما قد تعني «الشخصية» أحياناً شيئاً جوهرياً عن شخص، مثل إمكانية الاعتماد عليه أو أخلاقه العالية، إلا أنها غالباً ما تعني شيئاً سريع الزوال أو سطحياً مثل من تود تناول الجعة معه. بالتأكيد، محبة واحترام الشخص عامل مهم في اختيار رئيس. لكن هل هما أكثر أهمية من حل قضايا الرعاية الصحية وتوفير وظائف؟ يقول معظم الأمريكيين: لا. بصراحة، الشخص الوحيد الذي يقول: نعم يكون ثرياً جداً. وبرامج الحوار في وسائل الإعلام. لدى إصدارات مثل نيويورك تايمز، التي تعتقد أنها رصينة للغاية وأضاعت فرصة التركيز على الجانب الشخصي، أشخاص مثل مورين دود الذي يكتب مقالات نفسية يتم نشرها على صدر صفحاتها الأولى، ومراسلي أخبار مثل مارك ليبوفيتش الذي يملأ الصفحات الأولى بانطباعات شخصية عن شخصيات المرشحين. وكانت تايمز تلحق فقط بصحف أخرى مثل واشنطن بوست، التي لديها مراسلون مثل لويس رومانو ينظرون إلى الجانب الشخصي منذ سنوات. في آذار 2007، خصصت حتى ول ستريت جورنال مقالاً عن بِذّلات باراك أوباما، ومظهر جون إدواردز، وربطات عنق رودي جولياني. فجأة لدينا أقاويل في تايمز، وبوست، وجورنال، وتحليلاً أكثر عمقاً في كليفلاند بلين ديلر وكانساس سيتي ستار. سيكون وردو ويلسون أكثر صرامة مع نخبة اليوم، وسيكون على يمين حركة السلام الشعبية.

بطرق عديدة، أصبح واسعو الاطلاع والثقافة أقل شأناً، والأقل شأناً واسعو الاطلاع والثقافة. ويمكنك رؤية تأثير هذا التموج عبر وسائل الإعلام. كم عدد ضيوف البرامج الحوارية الذين يجنون أقل من 100.000 دولار سنوياً؟ كم عدد المراسلين الذين يتكلمون إلى الكثير من الناس ويجنون أقل من 100.000 دولار سنوياً؟ يهيمن على دائرة معلومات النخبة أشخاص يعيشون في عالم أغنى 10 % من السكان، وعلى الرغم من أن ذلك ساعد في الماضي على دفع النقاش إلى مستويات واقعية، فإنه اليوم يفعل العكس. اليوم، النُّخب أكثر افتناناً بالأقاويل، ويدفعون النقاش بعيداً عن الواقع نحو الخيال.

سيكون كل هذا مجرد ملاحظة غريبة عن «أوراق سجلات» و«صحف أخبار حقيقية» - إذا لم تكن تتعلق بحقيقة أن الطرق المختلفة التي ترى بها النخبة والعامة القيادة فستحظى بأهمية كبيرة في تحديد مصير الانتخابات الرئاسية. نظراً للتغييرات في قوانين تمويل الحملة التي كان القصد منها فصل المال عن السياسة، فقد انبثق «مانحون مهمون للغاية» يتمتعون بنفوذ واسع على عملية اختيار المرشح والحملات الانتخابية أكثر من ذي قبل. بدلاً من بضعة مانحين يقدمون مبالغَ كبيرةً، لدينا الآن كثير من المانحين الذين يقدمون ما معدله 10.000 دولار. وجميعهم يجنون أكثر من 100.000 دولار سنوياً (من يستطيع غيرهم التخلي عن 2300 دولار، مرة في الانتخابات التمهيدية ومرة في الانتخابات النهائية، بعد اقتطاع الضرائب، لسياسي؟) يشير هذا إلى أنهم جميعاً، كما وصفت أعلاه، من خارج جمهور الناخبين الرئيس.

إليك كيف سيكون المانحون الجدد للسياسيين بالغي الأهمية. بعد وترغيت سنة 1974، أقر مجلس النواب سلسلة من قوانين إصلاح تمويل الانتخابات للحد من الأموال التي يتم دفعها للحملات الانتخابية. ما لم تقم تلك القوانين بتنظيمه، بطبيعة الحال، كانت «الإسهامات المالية» - إسهامات للحفلات السياسية التي يمكن استعمالها للقيام بـ «أنشطة حزبية عامة»، مثل الحض على التصويت. لهذا في أثناء بضعة عقود، كان هناك سوء استعمال لتلك الأموال. في سنة 2002، أقر مجلس النواب مجموعة من الإصلاحات التي تلغي تلك الظاهرة - لكنه ضاعف المبلغ «المالي» الذي يمكن للأفراد تقديمه للمرشحين.

(ابتداءً من سنة 2007، أضحى ممكناً أن يقدم المرء 2300 دولار لكل مرشح، في الانتخابات التمهيدية والنهائية؛ و28.500 دولار للحزب، مع وجود قيد اتحادي بألا تتخطى تبرعات الشخص في أثناء سنتين 108.200 دولار). لكن ما تركه مجلس النواب ذاك دون تنظيم كان الهبات لمنظمات غير ربحية، المعروفة بمجموعات 527 نسبة إلى القسم من قانون الضرائب الذي سمح بإنشائها. الآن، تجمع 527 (مثل «محاربين قدماء من أجل الحقيقة» و«التقدم لأمريكة» على اليمين، و«منظمة تقدم إلى الأمام» و«الاتحاد العالمي لموظفي الخدمات» على اليسار) أموالاً غير محدودة من موالين حزبيين أثرياء، وتستعملها لفعل ما كان الحزب يقوم به - مثل الدفاع عن قضايا معينة، ونشر إعلانات تلفازية تركز على تلك القضايا، والحصول على أصوات الناخبين.

بالنسبة لي، أفرزت إصلاحات سنة 2002 مجموعتين صغيرتين بالغتي الأهمية: الأولى هي «مانحون كبار» - الأثرياء والمانحون الملتزمون الذين، بدلاً من منح المال لموظفي الحزب لينفقوه كيفما يشاؤون، يقومون برعاية منظمات 527 ويكون لهم القول الفصل بأنفسهم في طريقة إنفاق المال. في انتخابات التجديد النصفي سنة 2006، جمعت منظمات 527 نحو 380 مليون دولار، وهذا أكثر على الأقل بثلث ما كانت قد جمعته سنة 2002. في سنة 2004، كان هناك تقرير بأن خمسة أشخاص: اثنان منهم متزوجان من بعضهما، منحوا 78 مليون دولار لمنظمات 527 مناصرة للديمقراطيين، وكان ذلك نحو ربع ما حصل عليه الديمقراطيون من تبرعات.

المجموعة الثانية هي «مانحو النخبة» - ثنائي يجنيان 300.000 دولار أو أكثر سنوياً ويستطيعان منح 10.000 دولار أو نحو ذلك لمرشحين دون أن يتأثرا بذلك. إنهم مهنيون متعلمون جيداً، وهم بعيدون تماماً عما يواجهه جمهور الناخبين. لديهم رعاية صحية، مدارس، ومنازل. ينتمي جميعهم تقريباً إلى أغنى 5 % في أمريكة- معظمهم من أغنى 1 %. ربما يقضي المرشحون السياسيون نصف وقتهم مع هؤلاء الأشخاص، والنصف الآخر مع الـ95 % الآخرين.

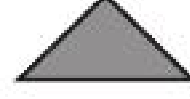
لهذا بين المانحين الكبار بموجب قانون 527 ومانحي النخبة الذين يتمتعون بنفوذ كبير، لدينا طبقة جديدة من المانحين التي تؤدي دوراً تتزايد أهميته في السياسة - تثبت الإحصائيات أنهم ليسوا قريبين من الناخبين. وليسوا بعيدين عنهم فقط، وإنما يدفعون بالنقاش في اتجاه معاكس تماماً. ربما تكون النُّخب قد أنشأت محطات التلفزة، لكن ذلك ليس ما تعرضه البرامج الحوارية الآن.

لم نصل بعد إلى مرحلة قيام نيرون بالعزف على الكمان في حين روما تحترق - الصورة التقليدية للفصل النهائي بين صفوف القيادة. والجانب الآخر من كل هذا هو أن أغلبية الناخبين لم يكونوا البتة أكثر وعياً مما هم عليه الآن لمبدأ أن الناخبين ليسوا حمقى. إنهم أكثر انتباهاً، واطلاعاً، وثقافة، واستقلالية من ذي قبل. لهذا إذا كنت تستطيع التغاضي عن كل النُّخب الثرثارة والصحفيين الذين لا يدركون ما يجري، يمكنك أن تتكلم إلى بعض الأشخاص الأذكياء هناك.



التأرجح لا يزال سيد الموقف

أسطورة استقطاب جمهور الناخبين



نسمع ذلك كل يوم: أمريكة منقسمة إلى معسكرين -أحمر وأزرق- والعامل الحاسم في الانتخابات هو تحفيز القاعدة. تم تأليف كتب، وابتكار مهن، وتأسيس حركات عن ذلك. لكن ذلك ببساطة ليس صحيحاً.

الحقيقة أنه في استطلاعات الرأي لا يزال التأرجح سيد الموقف - هذا يعني أن الناخبين العمليين، وليس المتمسكين بأفكار معينة، الذين يميلون قليلاً إلى أي حركات هم الذين يحددون من سيدخل البيت الأبيض ويسيطر على الكونغرس (وفي بريطانية، من يجلس في 10 شارع داونينغ). هؤلاء الناخبون مستقلون، لا تحركهم الاعتبارات الحزبية. وشيئاً فشيئاً، تتحول الانتخابات نحو ما يفضله الناس في منتصف العمر، ليس كبار السن أو اليافعين.

انظر فقط إلى الأرقام الخاصة بتحفيز القاعدة الحزبية، مقارنة بحشد الناخبين المتأرجحين. التصويت يستند إلى التاريخ - الناخبون المحتملون هم أولئك الذين صوتوا آخر مرة. بناءً على ذلك، قضية الفوز بالاعتماد على القاعدة فقط ليست صحيحة. افترض أن لديك عشرة ناخبين صوّتوا آخر مرة، ووزّع خياراتهم 50/50؛ إذا غيَّر ناخب متأرجح واحد رأيه/رأيها، يصبح التصويت 40/60. وإذا دخل ناخب جديد واحد إلى الحلقة، بفضل جهودك في تحفيز القاعدة، فسيبقى التصويت 55 إلى 45 ضدك (سيكون لديك 6 من 11). إذا تم نقل ناخب ثانٍ لم يصوت آخر مرة إلى مركز اقتراع، تعود مجدداً إلى 50/50؛ لأنه يكون لديك 6 من 12. بكلمات أخرى، يتطلب الأمر ناخبين جديدين للتغلب على ناخب واحد كان قد غيَّر رأيه، وثلاثة ناخبين جدد للتغلب على ناخب غيَّر رأيه. في كل الحالات تقريباً، لهذا السبب، سيكون أجدى من الناحية الإستراتيجية الحصول على

ناخب واحد غيَّر رأيه بدلاً من ناخبين أو ثلاثة جدد في صناديق الاقتراع. الأمر ممكن نظرياً عند زيادة حجم القاعدة، لكن في 95 % من الانتخابات، الناخب المتأرجح هو من يقرر النتيجة.

في حملة هيلاري كلينتون الانتخابية للتجديد لعضوية مجلس الشيوخ سنة 2002، توقعت أننا لن نستطيع إحضار ناخب واحد جديد إلى صناديق الاقتراع؛ لأنها انتخابات نصفية، لا يهتم بها الناخبون كثيراً؛ وبدلاً من ذلك كان علينا العمل بجد للفوز بناخبين متأرجحين من الضواحي والذين يمتلكون تاريخاً طويلاً في التصويت. بتحديد العوامل النفسية والديمغرافية التي تؤثر عليهم، قمنا بتقسيمهم إلى ست مجموعات متمايزة، وذكّرناهم بسجل كلينتون في قضايا مهمة في حياتهم اليومية، مثل ضرائب الملكية، وعنف ألعاب الفيديو، وشؤون محلية. انتقلت من خسارة نحو 150.000 ناخب في تلك المقاطعات إلى ربح قرابة 150.000 ناخب فيها - زيادة بنسبة 18% في الأصوات التي حصلت عليها من بعض المناطق.

تصبح الأسطورة التي «تستقطبها» أمريكة دونما فائدة خالدة؛ لأن الجميع في واشنطن العاصمة -حيث يكتب معظم المنتقدين- عليهم الاختيار؛ حتى يستطيعوا المضي قدماً. لكن الأمور لا تجري على ذلك المنوال في معظم أمريكة، أو بريطانية أو فرنسة أو تايلاند. في الواقع، بسبب التدفق المتزايد للمعلومات، صار الناخبون أقل تشدداً من ذي قبل، وأكثر انفتاحاً ومرونة. انظر إلى النزعات.

في السنوات الخمسين الماضية، كان عدد الأمريكيين الذين كانوا يدعون أنفسهم «مستقلين»، ليسوا ديمقراطيين أو جمهوريين، قد ازداد من أقل من ربع إلى أكثر من ثلث عموم الناخبين. في كاليفورنيا وحدها، تضاعفت نسبة الناخبين المستقلين بين سنتي 1991 و2005. الحزب السياسي الأسرع نمواً في أمريكة هو اللاحزبية.

وفقاً لدراسات الانتخابات القومية الأمريكية في جامعة ميتشيغان، نسبة الناخبين الذين يصوتون لأكثر من حزب -هذا يعني أشخاصاً يصوتون لديمقراطي ليكون رئيساً وجمهوري ليصبح عضواً في مجلس النواب، أو العكس- قد ارتفعت 42 % منذ سنة 1952. هذه إرادة

جديدة من جانب الأمريكيين الذين ينظرون إلى المرشحين بوصفهم أفراداً، وليس وفقاً لانتماءاتهم الحزبية. إنها علامة على وجود جمهور ناخبين يفكر، وليس متحزباً.

عند سؤالهم، يتردد الأمريكيون قليلاً ويقولون: إنهم بالتأكيد لن يصوتوا لبعض المرشحين أو الأحزاب. لكن يتبين فيما بعد أن هذا تبجح غير واقعي. في سنة 1995، قال 65% من الناخبين: إنهم لن يصوتوا البتة لبيل كلينتون. بعد سنة واحدة، أعادوا انتخابه بأغلبية ساحقة.

انظر إلى ما حدث في انتخابات التجديد النصفي سنة 2006 - فاز الديمقراطيون بثلاثين مقعداً جديداً في مجلس النواب عن مناطق كان الجمهوريون قد أعلنوا أنها معاقل لهم. كان الجمهوريون قد جابوا المقاطعات لتفادي التغيير، لكنهم برغم ذلك تعرضوا للهزيمة لسبب بسيط هو أنك إذا حصلت على نسبة صغيرة من الناخبين المستقلين، فسيكون لذلك تأثير كبير على المشهد السياسي.

أو انظر إلى ما تدعوه استطلاعات الرأي تصويت مجلس النواب الشامل - «إذا تم إجراء انتخابات مجلس النواب اليوم، لأي مرشح ستصوّت؟». بين أواخر سنة 2004 وبداية 2006، تأرجح الناخبون من 5 نقاط لصالح الجمهوريين إلى 15 نقطة لصالح الديمقراطيين. وعندما تم إجراء الانتخابات، اكتسح المد الديمقراطي اثني عشر عاماً من الحكم الجمهوري. كانت نسبة الشبان قد انخفضت إلى 12% من 17% في جمهور الناخبين في أثناء انتخابات سنة 2004، لهذا كان أداء الديمقراطيين جيداً بالرغم من انخفاض نسبة الناخبين التي تصوّت لهم عادة. الجواب هو أنه بخلاف الحكمة التقليدية، هناك ناخبون متأرجحون كُثر هناك، يتلقون المزيد من المعلومات من مصادر أكثر من ذي قبل، ويتفاعلون معها.

وفقاً لاستطلاع رأي أجرته سي-إن-إن CNN لناخبين عند خروجهم من صناديق الاقتراع، في الانتخابات الرئاسية سنوات 1996، 2000، و2004، قرّر بين خُمس وثلث الناخبين لمن سيصوتون في الشهر الأخير قبل اليوم الموعود. يدعم ذلك حقيقة أنه في

صيف 2004، تأرجح الناخبون من 8 نقاط لصالح كيري إلى 13 نقطة لصالح بوش، ومنحوا في النهاية الرئيس بوش نصراً بفارق 3 نقاط فقط.

بالفعل، في انتخابات 2004، على الرغم من أن المشاركة الإجمالية كانت أكبر، إلا أنها كانت أكبر من الجانبين، مما ألغى تأثير عوامل جذب كلتا القاعدتين. كان الناخبون المتأرجحون -نساء في منتصف العمر ولاتين- من أحدث الفرق لصالح جورج دبليو. بوش. لا يمكن إغفال تأثير النساء. في سنة 2004. شكلت النساء 54 % من الناخبين الأمريكيين، وهي أعلى نسبة في التاريخ. كان اهتمامهن بالسياسة وتأثيرهن فيها قد ازداد بثبات.

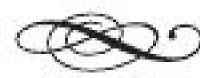
ربما تتذكر أنه في سنة 1996 كانت «أمهات كرة القدم» جزءاً من جمهور الناخبين المتأرجح الذي حسم الانتخابات. اليوم، تبقى تلك الأمهات في قلب الصوت المتأرجح، لكنهن أكبر سناً بنحو عقد، وقد ذهب أولادهن إلى الجامعات. يحصلن على معلوماتهن الآن من الإنترنت إضافة إلى التلفاز والمذياع، مما يجعلهن الناخبات الأكثر اطلاعاً في التاريخ. وبالرغم من أنه لم يكن لديهن كثير من الوقت عندما كان أطفالهن في 6 و8 من العمر، إلا أن الكثير منهن لديهن وقت الآن للتفكير في شأن ما سيحدث في أمريكة والعالم.

قوة الناخبين المتأرجحين مقابل القاعدة ليست ظاهرة خاصة بالولايات المتحدة. في المملكة المتحدة، هناك ذلك النوع نفسه من التغيير الذي يحدد الفرق بين حكومتي العمل والمحافظين. مرة أخرى، يغير الناخبون المتحررون من الالتزامات الحزبية مواقفهم بين الحزبين، وغالباً ما يكون ذلك بناءً على من يعتقدون أنه القائد الأفضل، وليس الحزب الذي يمتلك البرنامج الأفضل. وبعد العمل في أربع وعشرين حملة انتخابية ناجحة في كل أنحاء العالم، بدأت ألاحظ على نحو متزايد أنه يمكن الفوز بتأييد الناخبين عن طريق التلفاز، ووسائل الإعلام، والرسالة التي يتم توجيهها لهم - في كل مكان من كولومبيا، حيث لم يكن الرئيس الذي ذكرت سابقاً مستعداً لملاحقة أمراء الممنوعات،

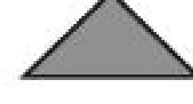
إلى تايلاند واليونان. في كل واحدة من تلك الحضارات، كانت الطرق التي اقترحتها متشابهة، على الرغم من أن الثقافة كانت مختلفة تماماً. كان كارل روف الذي اُعتبر إستراتيجياً عظيماً سنتي 2000 و2004، قد لاقى الفشل أخيراً لتغييره الإستراتيجيات بعد انتخابات التجديد النصفي. ينجم عن انتقال الناخبين بنسبة 2 % فقط من أحد الجانبين إلى الآخر فرق كبير.

غالباً، يبدو أن النزعات المجهرية التي يتم تحديدها تمزّق مجتمعنا إرباً، وتقوده في اتجاهين متناقضين في الوقت نفسه. لكن هذه النزعة -حاجة كل الأحزاب لأن تدرك أن مستقبلها يكمن في الفوز بالوسط- مختلفة. تضع هذه النزعة مكابح على المدى الذي يمكن لديمقراطيات أن تقطعه باتجاه أو بآخر.

التأثير كبير. الحركة التي ينبغي الانتباه لها هي في الواقع حركة الاتجاه الثالث عالمياً - انتصار التفكير العملي، والمستقل على أيديولوجية اليمين أو اليسار. كان تطور وسائل الإعلام والاتصالات قد دفع تلك النزعة قدماً إلى الأمام، ومنح ذلك الناخبين القدرة على الحكم على كفاية قادتهم وسياساتهم. على الرغم من أن الإنترنت بدا كما لو أنه أنتج المزيد من الحركات المجزّأة، إلا أن الوسط يبقى الجزء الحاسم من جمهور الناخبين. بمرور الوقت، هذا ما سيبعد كثيراً من الدول عن الحرب وإعادة توزيع الدخل المتطرفة، ويدفعها نحو المزيد من التكاتف، واعتماد الأسواق الحرة، والقيم التي تتغلب على توترات اليوم.



مهاجرون غير شرعيين مكافحون



إذا كانت هناك مجموعة واحدة من الناس في أمريكة لم تحظَ بما يكفي من الاهتمام، فستكون 12 مليون مهاجر غير شرعي في هذا البلد - وعادة لسبب وجيه. كما قال إدوارد ر. مور في كتابه الوثائقي الشهير لسنة 1960 حصاد العار: «المهاجرون ... لديهم القوة لقطاف فاكهتكم وخضراواتكم، [لكن] ليس لديهم القوة للتأثير في الهيئة التشريعية». لطالما التزم هؤلاء الصمت وبقوا في الظل. نتيجة لذلك، كانوا منسيين فعلاً في أمريكة.

لنتقدم بسرعة الآن إلى الأمام إلى ربيع 2006. دفع مشروع قانون قدّمه الجمهوري عن ويسكنسون جيمس سنسنبرنر، وأقرّه مجلس نواب الولايات المتحدة، العديد من المهاجرين الشرعيين وعائلاتهم إلى التحرك. كان مشروع القانون سيجعل الوجود في هذا البلد على نحو غير قانوني أو تقديم مساعدة -مثل طعام أو عناية طبية- لمن يفعل ذلك جريمة. خرج المهاجرون غير الشرعيين في أمريكة إلى الشوارع غاضبين جداً.

في وضح النهار، بقمصان بيضاء متماثلة، في 140 مدينة، وفي تسع وثلاثين ولاية على الأقل. من فينكس إلى فيلادلفيا، ومن بويزي إلى بيرمنغهام، سار مئات آلاف المهاجرين غير الشرعيين في مسيرات منظمة، أمام آلات تصوير التلفزة؛ للاحتجاج على مشروع القانون الذي أقره مجلس النواب، ودعوا بدلاً من ذلك إلى إقرار إصلاح أكثر تسامحاً مع المهاجرين لا يضيق وإنما يوسّع الطريق أمام حصولهم على الجنسية. في أتلانتا، مسقط رأس حركة الحقوق المدنية في أمريكة، حمل المتظاهرون لافتات كُتب عليها، «لدينا حلم، أيضاً». في الميسيسبي، غنّوا: «سوف ننتصر» بالإسبانية. في لوس أنجلوس، قيل: إن الحشد في آذار 2006 كان الأكبر في تاريخ المدينة، وربما في كل الولايات الغربية. (في إشارة إلى الجدار الأمني العازل على طول الحدود الذي دعم بعض المشرّعين بناءه، سأل الكوميدي كارلوس مينسيا: «إذا قمتم بتهجيرنا، فمن سيبني الجدار؟»).

في تلك اللحظة، كان الغرباء غير الشرعيين أمريكيين بكل ما تعنيه الكلمة – يستعملون النظام السياسي الديمقراطي لتحقيق غاياتهم. ربما لم يكن باستطاعتهم التصويت، وقد يتعرضون للترحيل في أي لحظة – لكنهم كانوا هناك، يصرخون مطالبين بحقوقهم، ويطلبون من المشرّعين الاستماع إليهم.

إنها علامة بارزة في التاريخ أنه في أمريكا اليوم، لم يشعر مئات الآلاف من المهاجرين غير الشرعيين الـ12 مليوناً بالأمان الكافي لتنظيم مسيرة فقط، وإنما وجدوا أنهم يشكلون قوة سياسية حقيقية. للمرة الأولى في التاريخ الأمريكي، ربما تكون احتياجات ورغبات غير المواطنين عنصراً حاسماً قد تقلب نتيجة انتخابات رئاسية.

ليست الهجرة نفسها هاجس أمريكة الأول. على الرغم من أن أعداداً كبيرة من الأمريكيين تابعت أخبار المسيرات، وصعدت الهجرة على قائمة القضايا التي يعدها الأمريكيون الأكثر أهمية، إلا أنها لا تزال تأتي بعد العراق والاقتصاد والإرهاب. وحتى قيامي بتأليف هذا الكتاب، لا يزال الكونغرس منشغلاً بخلافاته بشأن إقرار قانون جديد للهجرة.

لكن ما حدث فعلاً هو أن انفعالات المهاجرين غير الشرعيين قد ضربت على وتر حسّاس لدى مهاجرين شرعيين، الذين شعروا بأن النية خلف مشروع قانون سنسنبرنر كانت موجهة ضدهم، أيضاً. وقد أصاب ذلك وتراً حساساً لدى الأمريكيين بالولادة الذين لديهم علاقات وثيقة مع المهاجرون غير الشرعيين – مثل أولادهم.

(عندما سألت خبيراً في شؤون المهاجرين اللاتين عن عدد أولئك الأمريكيين بالولادة فيما آباؤهم مهاجرين غير شرعيين، قال: «الجميع عملياً»). فجأة، في سنة 2006، كانت مجموعة مهمة من الأمريكيين تتعرض للإهانة – قال بعضهم: إن الأمر كان شبيهاً بما حدث مع روزا باركس عندما طُلب منها الانتقال إلى مؤخرة الحافلة. وكانوا قد حوّلوا ذلك السخط إلى شعور بأنه يمكنهم، وينبغي لهم التأثير في سياسة الهجرة، وغيرها.

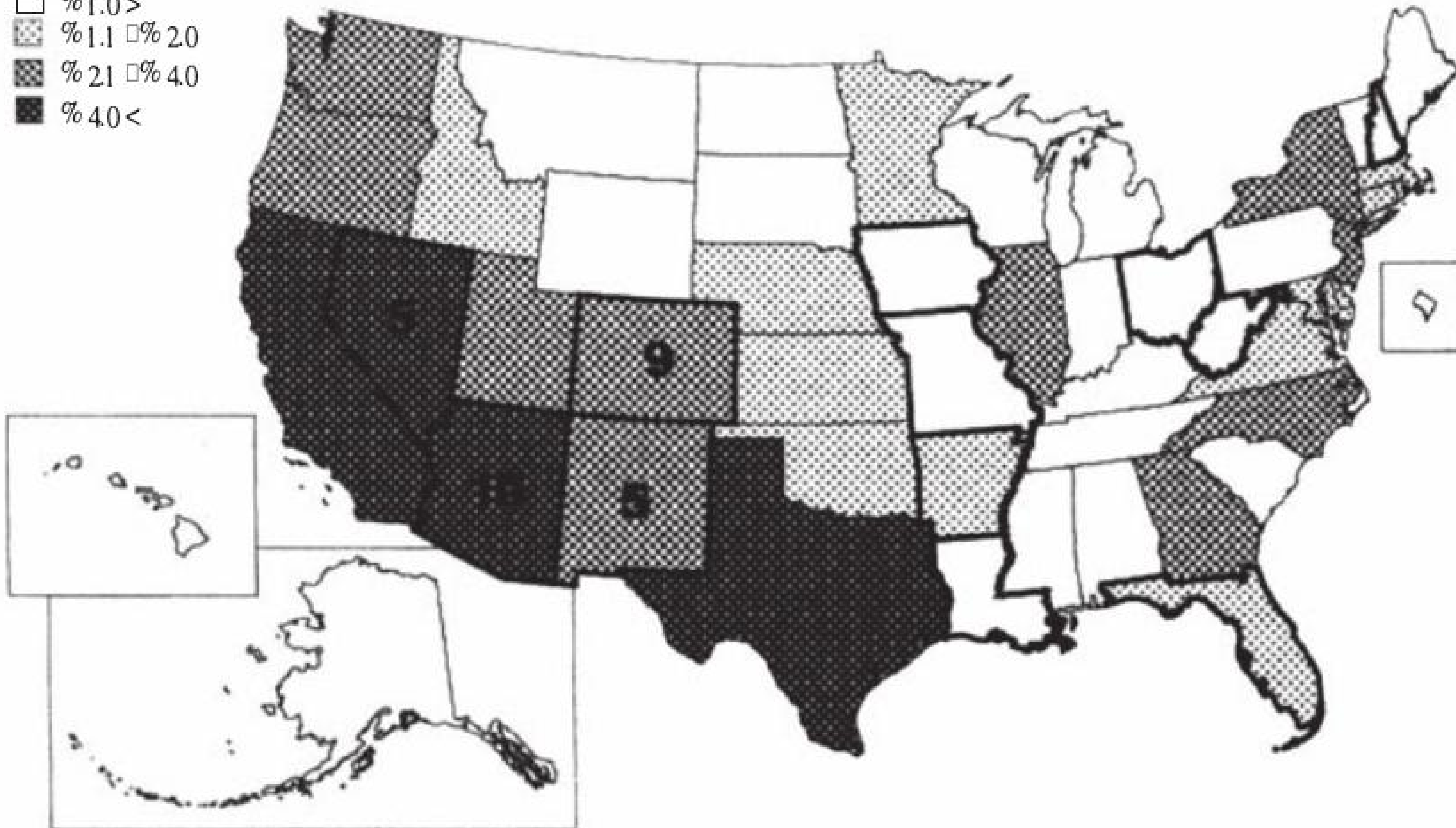
قد يكون عدد الأشخاص الذين يشعرون بتلك الطريقة كبيراً بما يكفي لتغيير نتيجة انتخابات رئاسية. لننظر إلى الأرقام.

في الانتخابات الرئاسية سنة 2004، كان يحق لأكثر من 16 مليون لاتيني بقليل التصويت، لكن 8 ملايين منهم فقط فعلوا ذلك. ذلك يترك على الأقل 8 ملايين ناخب أمريكي محتمل يمكن أن يشاركوا في انتخابات 2008، إذا شعروا بأن لديهم الحافز لذلك.

هل يمكن لـ8 ملايين ناخب تغيير نتيجة الانتخابات الرئاسية؟ بالتأكيد. في السنوات الخمسين الأخيرة، كان الهامش المعتاد للنصر في انتخابات عامة بالنسبة لرئيس يترشح للمرة الأولى نحو 4 ملايين ناخب. (حتى في ولايته الثانية، تغلب جورج دبليو. بوش على جون كيري بفارق 3 ملايين صوت فقط). إذا شارك 2 إلى 3 ملايين ناخب لاتيني إضافي في انتخابات 2008، يمكن أن يحدثوا فرقاً كبيراً، بالفعل. واللاتين هم القطاع الأسرع نمواً في جمهور الناخبين الأمريكيين. في سنة 1992، كانوا يشكلون 4 % من الناخبين، وقال استطلاع للرأي لدى الخروج من انتخابات سنة 2004: إنهم يشكلون 8 %. يدل ذلك على تضاعف قوتهم السياسية بمرور ثلاثة انتخابات فقط.

الولايات المتأرجحة الرئيسة وفقاً لعدد أصوات الهيئة الانتخابية سنة 2008 مع نسبة مهمة من المهاجرين غير الشرعيين



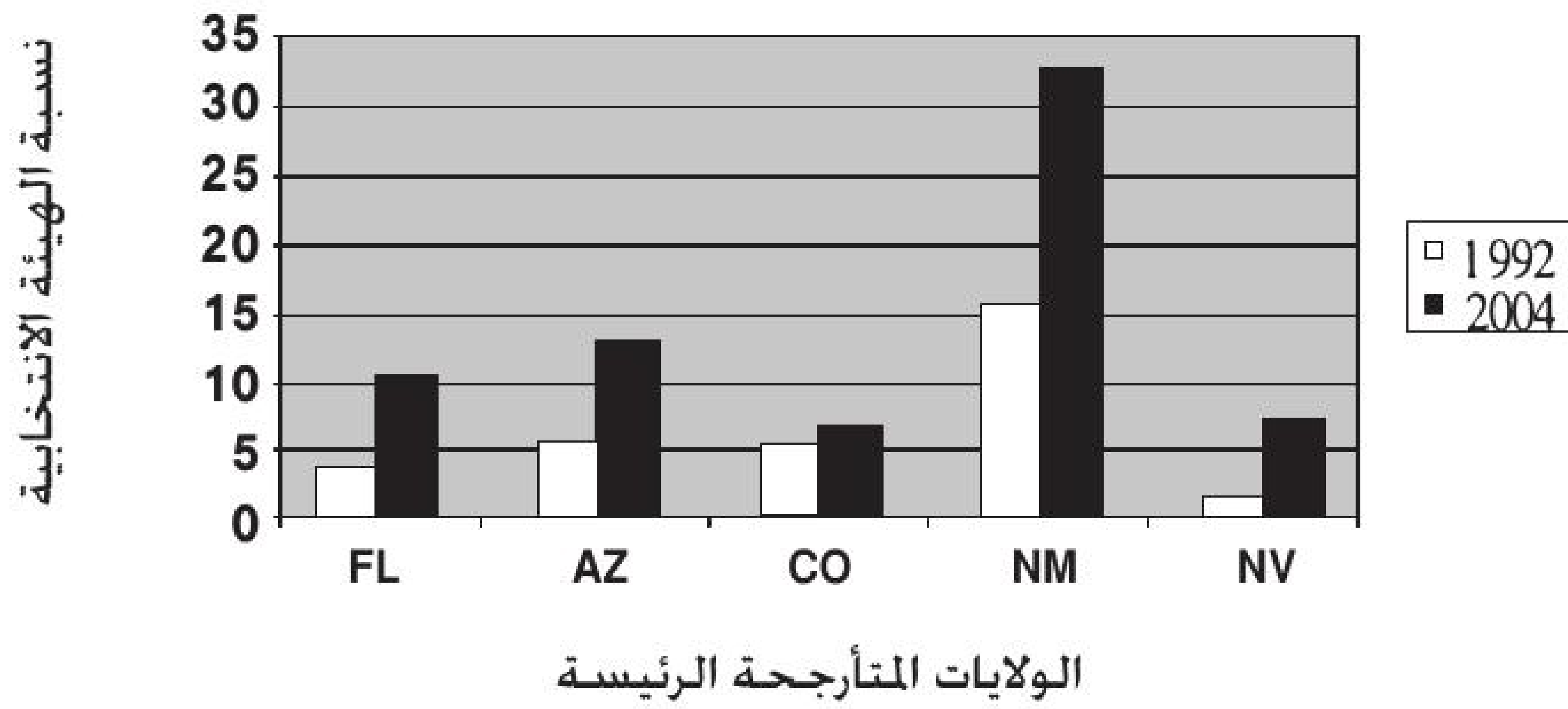


المصدر: تقديرات عدد السكان المهاجرين غير الشرعيين في الولايات المتحدة، مكتب إحصائيات الهجرة، 2000، 2005 .

في الواقع، إذا نظرت إلى نمو عدد الناخبين اللاتين في تلك الولايات المتأرجحة بين انتخابات سنتي 1992 و2000. فستجد الارتفاع جديراً بالملاحظة:

نسبة اللاتين في الهيئات الانتخابية للولايات المتأرجحة الرئيسة

سنة 1992 مقارنة بسنة 2004



المصدر: مكتب الإحصاء الأمريكي، 1993، 2005 .

لكن ليس التصويت الشعبي الذي يحدد من سيصبح رئيساً – إنه تصويت الهيئة الناخبة. هذا يعني أن الناخبين اللاتين لا يحتاجون إلى قلب توازن الهيئة الناخبة بالكامل – كل ما عليهم فعله هو الفوز بما يكفي من الولايات المتأرجحة التي يتمركزون فيها حالياً بنسب عالية. إذا خرج الناخبون اللاتين بكامل قوتهم في فلوريدا، ونيفادا، وأريزونا، ونيومكسيكو، وكولورادو –التي لها معاً 56 صوتاً انتخابياً– فإن مرشحهم (على افتراض أن لديهم واحداً فقط) سيفوز بالتأكيد. كانت هذه القوة الانتخابية تزداد ليس بالعدد فقط، وإنما في القدرة على التأثير في النتيجة النهائية أيضاً؛ لأنهم يستقرون في ولايات تتأرجح بين حزب وآخر.

ما هو احتمال أن يصوت اللاتين؟ ومن سيكون مرشحهم المفضل؟

يبدو أن اللاتين الغاضبين يصوتون بأعداد أكبر. وفقاً لدراسة قومية عن اللاتين سنة 2006، أجراها معهد بيو Pew اللاتيني، قال 75 %: إن الجدال بشأن الهجرة لسنة 2006 سيحث المزيد من اللاتين على التصويت في الانتخابات القادمة. (بالفعل، شكلوا 8 % من الهيئة الانتخابية لدخول مجلس النواب في انتخابات التجديد النصفي سنة

2006 - ارتفاعاً من 6 % في انتخابات التجديد النصفي سنة 2002). يظن 63 % أن المسيرات المؤيدة للهجرة في ربيع 2006 تشير إلى بداية حركة اجتماعية جديدة ودائمة. ويظن 45% أن النقاش جعل من التمييز ضد اللاتين أكثر من مشكلة – زادت من تلقاء نفسها حجم المشاركة.

ولصالح من سيصوتون؟ تاريخياً، كان اللاتين قد فضّلوا المرشح الديمقراطي للرئاسة، وحصل الرئيس جورج دبليو. بوش على أكبر حصة جمهورية من أصوات اللاتين سنة 2004. لكن ذلك لا يزال عند حدود 40 % فقط. لكن يبدو أن النقاش المتعلق بالهجرة سنة 2006 قد دفع الكثير من اللاتين للعودة إلى الديمقراطيين. في انتخابات التجديد النصفي سنة 2006، صوّتوا بنسبة 2 إلى 1 تقريباً للديمقراطيين، مما يجعل دعمهم لجورج دبليو. بوش طفرة.

من ناحية أخرى، فوز الديمقراطيين باللاتين أمر غير مؤكد. وفقاً لدراسة مركز بيو سنة 2004، تراجعت نسبة اللاتين الذين يعتقدون أن موقف الجمهوريين بشأن الهجرة أفضل من 25 % إلى 16 %، وهي نسبة منخفضة تماماً. لكن الديمقراطيين لم يستقطبوا هؤلاء الناس. بالفعل، قال 1 من كل 4 لاتينيين إن كلا الحزبين ليس جيداً فيما يتعلق بقضايا الهجرة - أكثر من ثلاثة أضعاف النسبة التي كانت تشعر بالطريقة نفسها قبل سنتين فقط.

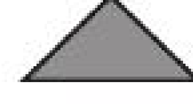
في الواقع، ربما تكون الاستقلالية المتزايدة للناخبين اللاتين النتيجة الأهم للنقاش الحاد بشأن الهجرة سنة 2006. وفقاً لاستطلاع رأي قام به معهد غالوب Gallup سنة 2006 عن «حقوق وعلاقات الأقليات»، 42 % من اللاتين ديمقراطيون و17 % منهم جمهوريون - لكن نسبة كبيرة تبلغ 40 % تقول: إنها مستقلة. على نحو مشابه، وجد استطلاع للرأي في تموز 2006 قامت به «شبكة الديمقراطيين الجدد» عن الناخبين المسجلين الذين يتكلمون الإسبانية أن 54 % منهم قالوا: إن النقاش المتعلق بالهجرة قد زاد اهتمامهم بالتصويت، لكن 41 % منهم قالوا: إنه لا تأثير لذلك النقاش في القرار المتعلق بالحزب الذي سيدعمونه على الأرجح.

هذا يعني أن الناخبين اللاتين سيكونون منفتحين سنة 2008 على مرشحين أقوياء يتكلمون عن العناية بأولوياتهم، ربما من أي حزب. وما هي أولوياتهم؟ إضافة إلى الهجرة نفسها، لديهم قضيتان رئيستان هما الرعاية الصحية والتعليم. ابتداءً من سنة 2005، كان ثلث المهاجرين يفتقر لضمان صحي - أعلى بمرتين ونصف المرة من معدل المواطنين المولودين في أمريكة. والمدارس العامة، المدارس العامة، المدارس العامة. وفقاً لمركز دراسات الهجرة، شكل المهاجرون عملياً كل الزيادة في عدد المسجلين في المدارس العامة في أمريكة منذ منتصف الثمانينيات.

فيما يستعرض المهاجرون غير الشرعيين نفوذهم السياسي، يصبح اللاتين الذين يصوتون -متأثرين بأقربائهم الناشطين سياسياً- أكثر استقلالية. بهذه الطريقة سيكونون قوة متنامية في السياسة ليس لأن أعدادهم تتزايد ويعيشون في ولايات متأرجحة فقط، وإنما لأنهم أظهروا أيضاً أنهم يتطلعون بازدياد إلى المرشحين، وليس إلى الحزب وحده. لهذا السبب، ربما يصبحون الكتلة الانتخابية الأكثر أهمية هنا. لم يكن جورج دبليو. بوش ليفوز مجدداً في انتخابات 2004 دون الظفر بنحو 40% من أصواتهم؛ وحصل الرئيس كلينتون، والسيناتور كلينتون الآن، على دعم قوي جداً من هذا المجتمع. يا له من خطأ شنيع ذلك الذي اقترفه بيت ويلسون في منتصف التسعينيات في كاليفورنيا!، والذي ارتكبه الجمهوريون في مجلس النواب مجدداً سنة 2006. يشكل الناخبون الذين يرغبون في إبعاد المهاجرين حالياً جزءاً من النظام السياسي، لكن الناخبين الذين يريدون أن تكون أمريكة وفية لإرث هجرتها يتم تنبيههم، واستقطابهم، وتحفيزهم الآن. لهذا ربما لا تستطيع القوة السياسية الأكثر أهمية والكتلة الناخبة الأقوى في الانتخابات القادمة حتى إن تصوّت — لكن أقرباءها يستطيعون ذلك. وقد ينتج عن ذلك كل الفرق.



صهاينة نصارى



يقال دائماً -ويُفترض غالباً-: إن صداقة أمريكة مع «إسرائيل» يحركها المجتمع اليهودي المسموع الصوت والمنظّم جيداً.

في الواقع، دعم «إسرائيل» بين الأمريكيين عامة قوي للغاية، وينظر 65 % من كل الأمريكيين نظرة إيجابية إلى الدولة العبرية. لكن إليك ما هو صارخ فعلاً: بمعايير الأعداد الكبيرة، يفوق عدد النصارى الذين يدعمون «إسرائيل» بفاعلية عدد اليهود الذين يفعلون ذلك.

يُقدّر عدد «الصهاينة النصارى»، كما يدعون – أولئك الذين يظنون أن إيمانهم النصراني نفسه يدعوهم لدعم حكم اليهود في «إسرائيل» – بنحو 20 مليون أمريكي. حتى إذا دعم كل يهودي في أمريكة«إسرائيل»، وهو ما لا يفعله الجميع، سيكون عددهم بالكاد 5 أو 6 ملايين.

وكذلك الأعداد النسبية من النصارى واليهود الذين يعملون من أجل «إسرائيل» جديرة بالملاحظة. في سنة 2006، اجتذبت منظمة جديدة تدعى نصارى موحدين من أجل «إسرائيل» 3500 مندوب إلى مؤتمرها الأول و«يوم الضغط» في واشنطن العاصمة. وفقاً لمدير المنظمة التنفيذي، ديفيد بروغ، تطلب الأمر من «لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية» خمسين سنة لجذب ذلك العدد من اليهود إلى واشنطن وحضور مؤتمر سياستها.

تدّعي «لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية»، مع خمسين سنة من التاريخ والسمعة بأنها أقوى جماعة ضغط في تلة الكابيتول، وبأن عدد أعضائها يصل إلى 100.000 شخص. على الرغم من أن «نصارى موحدين من أجل «إسرائيل»» ليست

لديها عضوية رسمية بعد، إلا أن رسائلها تصل إلى خمسة أضعاف ذلك العدد من الأمريكيين على الأقل.

بالتأكيد، تُعد «إسرائيل» ثمينة للنصارى في العالم لأنها؛ الأرض التي عاش فيها السيد المسيح (عليه السلام)، وتم تعذيبه، وتوفي عليها. لكن ما الذي يفسر نشاط النصارى الأمريكيين الدائم نحو الدولة العبرية الحديثة؟ ونظراً إلى شغف كثير من النصارى بـ«إسرائيل»، لماذا تستمر أسطورة أن الدعم الأمريكي لـ«إسرائيل» يحركه اليهود الأمريكيون على نحو أساسي؟

يعود جزء من السبب الذي يجعل النصارى الأمريكيين يحبون «إسرائيل» إلى السياسة: «إسرائيل» هي الديمقراطية الوحيدة في محيط ديكتاتوري نسبياً، وحليف إستراتيجي واقتصادي مقرّب من الولايات المتحدة. ابتداءً من 11 أيلول على وجه الخصوص، كان المزيد والمزيد من الأمريكيين يرون أن الولايات المتحدة و«إسرائيل» يشتركان ليس في القيم والمؤسسات الديمقراطية فقط، وإنما لديهما أعداء معينون أيضاً.

لكن ما يحول تعاطف النصارى مع «إسرائيل» إلى نشاط شغوف، مناصر لإسرائيل هو الإيمان نفسه. النصارى الذين يقرؤون الإنجيل حرفياً يعدون أن وعد الرب لإبراهيم (عليه السلام) في سفر التكوين -«سأبارك الذين يباركونك، وألعن الذين يلعنونك»- دعوة للعناية باليهود وأرض «إسرائيل». يقرؤون قول النبي إسحاق (عليه السلام): «لأجل جبل صهيون، لن أبقى صامتاً»، و«ارتاحوا أنتم يا شعبي» — ويسمعون نداءً مباشراً للعمل نيابة عن الدولة العبرية. إضافة إلى ذلك، يظن العديد من النصارى المتعصبين والإنجيليين أنه قبل عودة المسيح (عليه السلام) إلى الأرض، ينبغي أن يعود اليهود من كل البقاع الأخرى إلى «إسرائيل». في العقد الأخير، رعى نحو 600.000 نصراني هجرة 100.000 يهودي من روسية وإثيوبية إلى «إسرائيل».

لكن ينبغي أن تكون فرقة صغيرة فقط من الأمريكيين هي التي تطبّق مباشرة النصوص الإنجيلية القديمة في السياسة الحديثة - صحيح؟ لا. وفقاً لاستطلاع رأي سنة 2006

قام به مركز بيو Pew عن «الحياة الدينية والعامة»، أكثر من نصف الناس في جنوب أمريكة يعتقدون أن الرب منح الشعب اليهودي دولة «إسرائيل». (ليس أرض «إسرائيل» التاريخية، وإنما دولة «إسرائيل» المعاصرة). بين البروتستانت الإنجيليين البيض، كانت النسبة 69 %. بين البروتستانت السود، النسبة 60 %. كم عدد الأمريكيين اليهود الذين يظنون أن الرب كان قد منحهم دولة «إسرائيل»؟ ربما أقل من 2 من كل 10.

كل هذا يعني أن الدعم المتزايد في الولايات المتحدة لـ«إسرائيل» -حتى إذا كان هذا الدعم يتضاءل بين نُخب ثقافية معينة- يعود إلى النصارى الأمريكيين كما هو الحال لليهود الأمريكيين. بالفعل، عندما قام حزب الله بأسر جنديين إسرائيليين في تموز 2006، وهاجمت «إسرائيل» معاقل حزب الله في لبنان، كانت منظمة «نصارى موحدين من أجل «إسرائيل»» تعقد مؤتمرها الذي تم التخطيط له منذ وقت طويل في واشنطن العاصمة. ذلك الأسبوع، تقاطر 3500 نصراني من المنظمة إلى مكاتب المشرّعين لتأييد حق «إسرائيل» في شن حربها على عدو أمريكة و«إسرائيل» المشترك. كانت «لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية» هناك أيضاً، لكن الحضور الجدي والمفاجئ كان النصارى.

وتلك هي القوة الجديدة للصهاينة النصارى. بالرغم من أنهم كانوا موجودين منذ عصور -التمس النصارى الإنجيليون من حكومة الولايات المتحدة إنشاء ملاذ في الأرض المقدّسة لليهود المُضطَهدين منذ بداية القرن التاسع عشر- إلا أنهم أصبحوا الآن نشيطين وماهرين في السياسة الأمريكية. وقد ثاروا غضباً ضد التهديد الإسلامي المتعصب لأمريكة. كما قال المنظم الرئيس لمؤتمر «نصارى موحدين من أجل «إسرائيل»» في تموز 2006، القس جون هاجي: (للمرة الأولى في تاريخ النصرانية في أمريكة، تقاطر النصارى [إلى] الكونغرس لدعم «إسرائيل» بوصفهم نصارى).

لم يغب نفوذ الإنجيليين في السياسة الخارجية لأمريكة عن ذهن النصارى الذين لديهم وجهة نظر مختلفة. لم يكن كتاب جيمي كارتر سنة 2006 عن «إسرائيل» والفلسطينيين -الذي أثار عاصفة من المجتمع اليهودي ودفع الرئيس السابق للاعتذار

بجملتين على الأقل- موجهاً لليهود أو الجمهور العادي وإنما للصهاينة النصارى الذين يشكلون تلك النزعة. وفقاً لخبراء في العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية، وضع كارتر النصراني المتحرر ذلك الكتاب لتحدّي نظرائه المحافظين الذين تزداد قوتهم بشأن الموقف النصراني الصحيح من «إسرائيل».

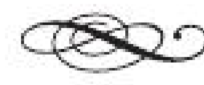
ويا للأسف! خليط من الدين والسياسة - مع كفاح النصارى فيما يظن معظم الناس أنه أزمة بين اليهود والمسلمين. وفي أثناء كفاحهم، يجد اليهود الأمريكيون والإنجيليون الأمريكيون أنفسهم شركاء في الأمر. تاريخياً، كانت المجموعتان على طرفي نقيض من معظم القضايا الاجتماعية الأهلية، من الإجهاض إلى زواج المثليين - مما دفع كلتيهما للاستغراب من متانة تحالفهما بشأن هذه القضية. إضافة إلى ذلك، العديد من اليهود، الذين يفهمون أن الرؤية النصرانية في «عودة المسيح مجدداً» لا تتضمن عتقاً للنصارى فقط وإنما اعتناق اليهود للنصرانية أيضاً، قلقون من أن يكون لدى شركائهم السياسيين جدول أعمال مخفي في أذهانهم.

يقول يهود آخرون: إن ذلك غير موجود. يقول بروغ، مدير (نصارى موحدين من أجل «إسرائيل»): إن الصهاينة النصارى «ليسوا أقل من الورثة اللاهوتيين لغير اليهود الذين سعوا لإنقاذ اليهود من المحرقة». مقارنة بالاختلافات بين النصارى واليهود من جهة وبعض المسلمين المتشددين من جهة أخرى، يقول: إن ما يفصل النصارى واليهود عن بعضهم «صغير جداً، بالفعل».

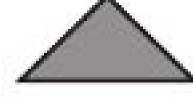
سيعني انبثاق الصهيونية النصرانية بالتأكيد نشاطاً أكبر في دعم «إسرائيل» من جانب النصارى في القاعدة الإنجيلية في أمريكة- نحو 40 مليون شخص على الأقل التي ستزداد قوتها السياسية. هل سيحول ذلك الدعم الأمريكي لـ«إسرائيل» إلى قضية جمهورية - وليس دعماً من الحزبين كما كانت عليه الحال في الماضي؟ هل سيصبح اليهود أنفسهم جمهوريين، بالرغم من انتسابهم منذ أمدٍ بعيد إلى الحزب الديمقراطي؟

أم هل تصبح «إسرائيل» أكثر أهمية للنصارى الإنجيليين من اليهود أنفسهم؟ تظهر دراسات عن طلاب الجامعات اليهود اليوم أن «إسرائيل» لا تستهويهم سواء عاطفياً أو سياسياً بالطريقة التي استهوت بها آباءهم وأجدادهم. إذا، في جيل أو اثنين، تفوّق النصارى في أمريكة الذين يدعمون «إسرائيل» على اليهود ليس بالعدد فقط وإنما بالقوة أيضاً. ولهذا إلى أي حد سيبدو دعم أمريكة لـ«إسرائيل» بعيداً عن التحالف الاقتصادي والسياسي، وقريباً من التنافس القديم بين النصرانية والإسلام على قلب القدس؟

في البداية، ربما يظن المرء أن (نصارى من أجل «إسرائيل») هم الأشخاص أنفسهم المحبون للسامية - غير اليهود الذين يسعون على نحو إيجابي نحو مواعدة والزواج بيهود. لكن في حين المحبون للسامية على نطاق واسع من الكاثوليك وسكان الشمال الشرقي، فإن الصهاينة النصارى على نطاق واسع إنجيليون ومن الجنوب. لا يهتم محبو السامية بـ«إسرائيل» خاصة، وإنما بالعثور على شريك يهودي. صهاينة نصارى على النقيض تماماً من ذلك - لا يهتمون البتة بمواعدة يهود، لكنهم شديدو الاهتمام بدولة «إسرائيل». هذه الظاهرة محيرة للكثير من الناس، لكن ربما تكون أكثر تعقيداً لليهود أنفسهم - الذين يشعرون أن مجتمعهم مهدد بالمعدلات العالية للتزاوج من أديان أخرى، لكنهم أقوى بالرغم من ذلك نتيجة الدعم المتزايد لدولة «إسرائيل».



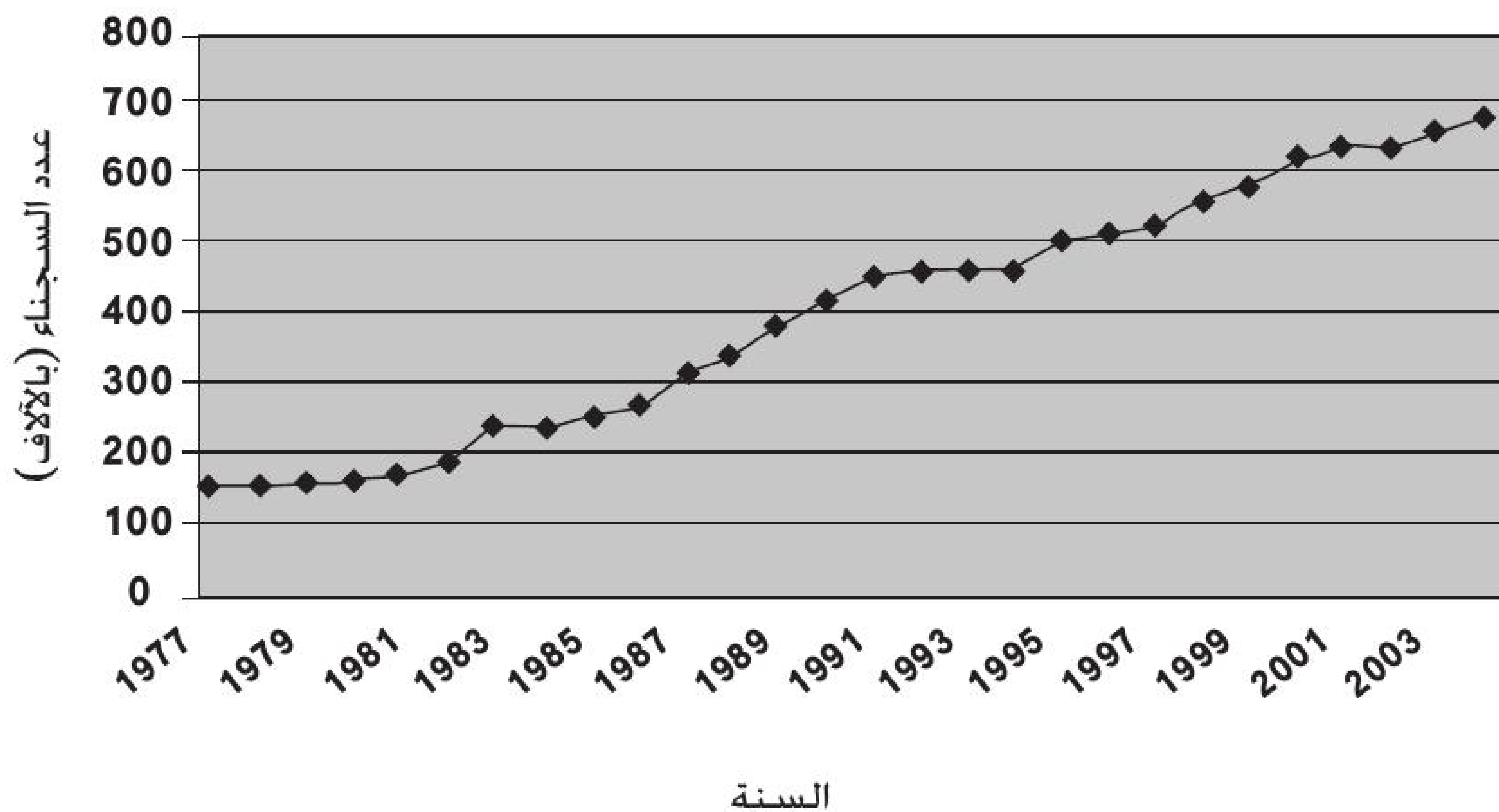
سجناء أُطلِق سراحهم حديثاً



هل تذكر الإشارة القديمة سنة 1973 «اعقد شريطاً أصفر حول شجرة سنديان قديمة؟». كان رجل قد خرج للتو من السجن تستقله حافلة في طريقه إلى المنزل، لكنه كان قد أخبر زوجته أنها إذا لم تكن ترغب في عودته، فسيفهم ذلك. قال: إنه سيبقى في الحافلة إن لم يرَ الإشارة: شريط أصفر معقود حول شجرة سنديان قديمة. ولبهجة كل من كان على متن الحافلة، رأى الرجل مئة شريط أصفر معقوداً حول الشجرة السعيدة.

إن كان هذا هو حقاً السيناريو لمعظم السجناء العائدين في أمريكة، ستشهد صناعة الشرائط الصفراء ازدهاراً كبيراً، فضلاً عن العناية بأشجار السنديان؛ لأنه في سنة 1973 عندما كان طوني أولاندو وداون يغنيان تلك الأغنية، كان هناك نحو 100.000 شخص يخرجون من السجن كل سنة. اليوم، كان ذلك العدد قد ازداد نحو 600 %.

إجمالي عدد السجناء الذين أُطلِق سراحهم
من سجون محلية واتحادية، 1977–2004



المصدر: مكتب إحصائيات العدل، وزارة العدل، نزلاء السجون في المدة 1977–2005

يدعى الـ650.000 أو نحو ذلك من السجناء السابقين «عائدين» – أشخاص يغادرون السجن أو الحبس، إما بفضل أشخاص آخرين أو عند انتهاء أحكامهم، ويعودون إلى المجتمع. 90 % منهم رجال (ارتفعت نسبة النساء من 8 إلى 10 % في التسعينيات). نصفهم تقريباً سود، وأكثر من ثلثهم بقليل بيض؛ ونحو 16 % لاتين. معدل أعمارهم 34.

سبب خروج عدد أكبر من الناس من السجون الآن هو أننا، في العقدين الماضيين، أرسلنا المزيد منهم إلى هناك.

بين سنتي 1972 و2004، ارتفع عدد نزلاء السجون في الولايات المتحدة من 330.000 إلى ما يزيد عن 2 مليون شخص. أضف إلى ذلك 5 ملايين شخص خاضعين للرقابة أو لإطلاق سراح مشروط، وسيكون لديك أكثر من 7 ملايين شخص في أمريكا خاضعين لسلطة المحاكم الجنائية. يشكل ذلك أكثر من 3 % من عدد السكان الراشدين، أو نحو 1 من كل 31 راشداً. هذا يساوي عدد سكان فيرجينيا كلهم.

في كاليفورنيا وحدها، ازداد عدد نزلاء السجون بأكثر من 500 % بين أوائل الثمانينيات والآن.

هذا لأنه في الثمانينيات وبداية التسعينيات، كانت أمريكا متشددة في مكافحة الجريمة – تفرض أحكاماً أطول بالسجن، التي ينبغي تنفيذها (هذا يعني حرية أقل لمجالس إطلاق السراح المشروط في تحديد المدة التي ينبغي على السجين قضاؤها فعلاً من حكم عشرين سنة سجن). أقرت خمسون ولاية قوانين تجعل من الأسهل محاكمة الأحداث بوصفهم راشدين.

نتيجة لذلك، تضاعف عدد النزلاء في السجون الأمريكية أكثر من خمس مرات. وفقاً لـ«المركز العالمي لدراسات السجون» التابع لكلية كينغز Kings في لندن، تسجن أمريكا الآن 700 شخص من كل 100.000 نسمة – تتفوق على كل الدول الأخرى التي تضمنتها الدراسة بما في ذلك روسية (680)، وجنوب إفريقيَّة (410)، وإنكلترة (135)، واليابان (50).

لكن بالرغم من كل هذا الحبس، إلا أننا لا نرمي المفتاح. أكثر من 90 % من السجناء يخرجون في وقت ما. وهكذا، في سنة 2006، غادر رقم قياسي يبلغ 650.000 شخص في أمريكة السجن ليعودوا إلى المجتمع.

ذلك أكثر من عدد سكان مدينة بالتيمور. إنه عملياً عدد سكان سان فرانسيسكو. يعادل تقريباً نصف من يتخرجون في الجامعات كل سنة.

يعرف الجميع كيف أن تأسيس أسترالية تم على نطاق واسع من قبل سجناء كانت تغص بهم سجون بريطانية في القرن التاسع عشر. لكن في أثناء ثمانين سنة تقريباً من تهجير السجناء، لم يتم إرسال سوى أقل من 165.000 مجرم إلى القارة الجديدة. اليوم في الولايات المتحدة، نطلق سراح نحو أربعة أضعاف الذين نرسلهم إلى السجن كل سنة. إذا كان بمقدور 150.000 منتهك للقانون المساعدة في تأسيس قارة، ففكّر فقط فيما يمكن لستة أضعاف ذلك العدد أن يفعلوه.

لكن يا للأسف! الحكاية هنا ليست بنّاءة للغاية، حتى الآن على الأقل. يكون السجين الذي يخرج حديثاً إلى المجتمع في أمريكة رجلاً منخفض الدخل لا يتمتع بتعليم كافٍ، والذي يذهب إلى السجن مع مشكلة ممنوعات ولا يحصل على أي معالجة لها. (يحصل 1 من كل 10 نزلاء على معالجة من الممنوعات، مقارنة بـ7 من كل 10 يحتاجون لذلك). يدخل ربع النزلاء نتيجة قيامهم باعتداءات عنيفة. لا يجد 25 % من السجناء العائدين شرائط صفراء في انتظارهم، ويتجهون إلى ملاجئ المشردين. العديد منهم مجانين.

لهذا ربما لا يكون مفاجئاً أن العديد من الذين يخرجون من السجون يفشلون. وفقاً لإحصائيات اتحادية، في أثناء ثلاث سنوات، سيتم اعتقال ثلثي الخارجين من السجون مجدداً، ويعود نصفهم تقريباً إلى خلف القضبان.

هذه ليست أزمة إنسانية فقط. تنفق أمريكة 60 مليار دولار سنوياً على ما يدعى نظام الإصلاح.

ما الذي ينبغي فعله؟ طوال عشر سنوات على الأقل، كان صانعو السياسة يدعون الاهتمام بالسجناء الذين يتم إطلاق سراحهم، وفي خطاب حالة الاتحاد سنة 2004،

أعلن الرئيس بوش عن مبادرة اتحادية صغيرة (لم يتم تخصيص أموال لها) لمساعدة الخارجين من السجون في العثور على وظائف، ومنازل، واستشارات. لكن هذه مشكلة تتعدى الحلول الاتحادية. وفقاً لدراسة في خمس مدن كبيرة، قال 65 % من أرباب العمل: إنهم لن يقدموا وظائف لسجين سابق. كانت عشرات المجموعات المهنية، بما في ذلك الذين يعتنون بالأظفار والحلاقين، قد حظرت انضمام السجناء السابقين إلى صفوفها. تحظر معظم المساكن العامة إقامتهم فيها أيضاً.

يمكن أن يشكل هؤلاء الناس قوة سياسية. تحرم كل ولاية تقريباً المدانين في السجن من حق التصويت، لكن نحو اثنتي عشرة ولاية تلغي حقوق تصويت المدانين على نحو دائم، حتى بعد انتهاء مدد حكمهم. في انتخابات 2004، كان نحو 5 ملايين شخص محرومين من التصويت بسبب إدانات إجرامية. كان هامش انتصار جورج دبليو. بوش على جون كيري بفارق 3 ملايين صوت فقط.

في سنة 2000، فاز آل غور بالتصويت الشعبي بفارق نصف مليون - لكن لو كان باستطاعة 400.000 مدان سابق في فلوريدة التصويت، كما استنتج الخبراء، لكان فاز بالرئاسة أيضاً.

الناس الذين يتحملون صدمة عودة المدانين من السجن وهم عائلاتهم، التي تصبح بالمناسبة أكثر تركيزاً عليهم. وجدت دراسة في أوهايو أن 3 % من أحياء كليفلاند كانت موطناً لـ20 % من سجناء الولاية السابقين. من يعتني بأشجار السنديان في تلك الأحياء؟ من يدعم الأشخاص الذين ربما تشكل التزامات الشريط الأصفر الخاصة بهم الفرق بين اندماج ناجح في المجتمع، والعودة إلى السجن.

هناك أيضاً الأولاد. في التسعينيات وحدها، ارتفع عدد الأولاد الذين أحد والديهما في السجن بأكثر من 100 % - من 900.000 إلى 2 مليون. الآن، نظراً لزيادة أعداد السجناء الذين يتم إطلاق سراحهم، سيكون لدينا كثير من أطفال السجناء السابقين - ونظراً إلى احتمال عودة هؤلاء إلى السجن مجدداً، يبدو أن عدد الأطفال الذين لديهم أب أو أم مسجونة سيرتفع على الأرجح.

نجعل الأشخاص الذين يرتكبون الجرائم يدفعون ثمنها، لكنهم يخرجون الآن مع إمكانيات منخفضة وعادات اجتماعية سيئة، ونحتاج إلى خطة تتضمن كلاً من المساعدة والإشراف.

سيقول مقدمو اقتراح التشدد مع الجريمة: إنها ليست مصادفة أنه مع عودة كل هؤلاء المساجين إلى المجتمع، فإن الجريمة –بعد خمس عشرة سنة من تراجع معدلاتها– تزداد. لكن الصلة تشير إلى مدى حاجتنا إلى إصلاح نظام السجون. كانت بعض الإحصائيات قد نسبت انخفاض الجريمة في التسعينيات إلى التشدد في مكافحتها قبل بضع سنوات، لكن على الأرجح أن الأمر كان مزيجاً من 100.000 شرطي وضعهم الرئيس كلينتون في الشوارع، وأساليب استخبارات الشرطة الجديدة، وأحكاماً أشد قسوة. على أي حال، ننتقل الآن من بلد حر يضم أكبر عدد من الناس في السجن لكل 100.000 إلى بلد حر يتمتع بأكبر نسبة إطلاق سراح سجناء لكل 100.000 نسمة.

إن لم نكتشف طريقة لتشغيل السجناء السابقين، ووضع التدريب على العمل في أعلى القائمة، فستكون هذه سلسلة فتّاكة للغاية. نتيجة عدم حصولهم على عمل، لن يجد المدانون الذين يتم إطلاق سراحهم من السجون خيارات كثيرة، ويعودون إلى ما يعرفونه على أفضل وجه، حتى إذا لم يكونوا بارعين فيه.

سجناء تم إطلاق سراحهم حديثاً نزعة مجهرية ينبغي أن تضعها الحكومة وقطاع الأعمال على السكة الصحيحة. لا يجدي إبعاد المزيد من المجرمين عن الشوارع نفعاً إلا إذا بقوا بعيدين عنها - لكن دون شراكة قوية بين القطاعين العام والخاص للوصول إلى المدانين العائدين إلى المجتمع، سنمر ببساطة عبر حلقة أخرى من الزج بالسجن وارتفاع معدل الجريمة، حالما يكون هؤلاء قد انتهوا من تنفيذ الأحكام التي صدرت في حقهم.

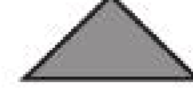


فصل 7

مراهقون



اضطراب معتدل



عندما لا تذهب سوى أقلية من الأمريكيين إلى الجامعة، لا يقلق الناس كثيراً بشأن «أنماط تعليم» الطلاب المختلفة، أو ما قد يكون في الواقع صعوبات في التعلم. إذا لم يكن التعبير اللفظي الدقيق يستهويك، يمكنك كسب عيشك بكثير من الطرق الأخرى.

لكن الوظائف مرتفعة الدخل الآن في أمريكة تتطلب شهادة جامعية -وتتطلب معظم الكليات تفكيراً عالي المستوى- وهناك فجأة اهتمام أكبر بمهارة الطلاب في قراءة، وتهجئة، وتفسير، وتذكر، وتنظيم المعلومات. ونتيجة لذلك، كانت هناك زيادة في عدد الشبان الذين لديهم صعوبات في التعلم، واضطرابات عصبية، وعدم المواظبة على الذهاب إلى المدرسة.

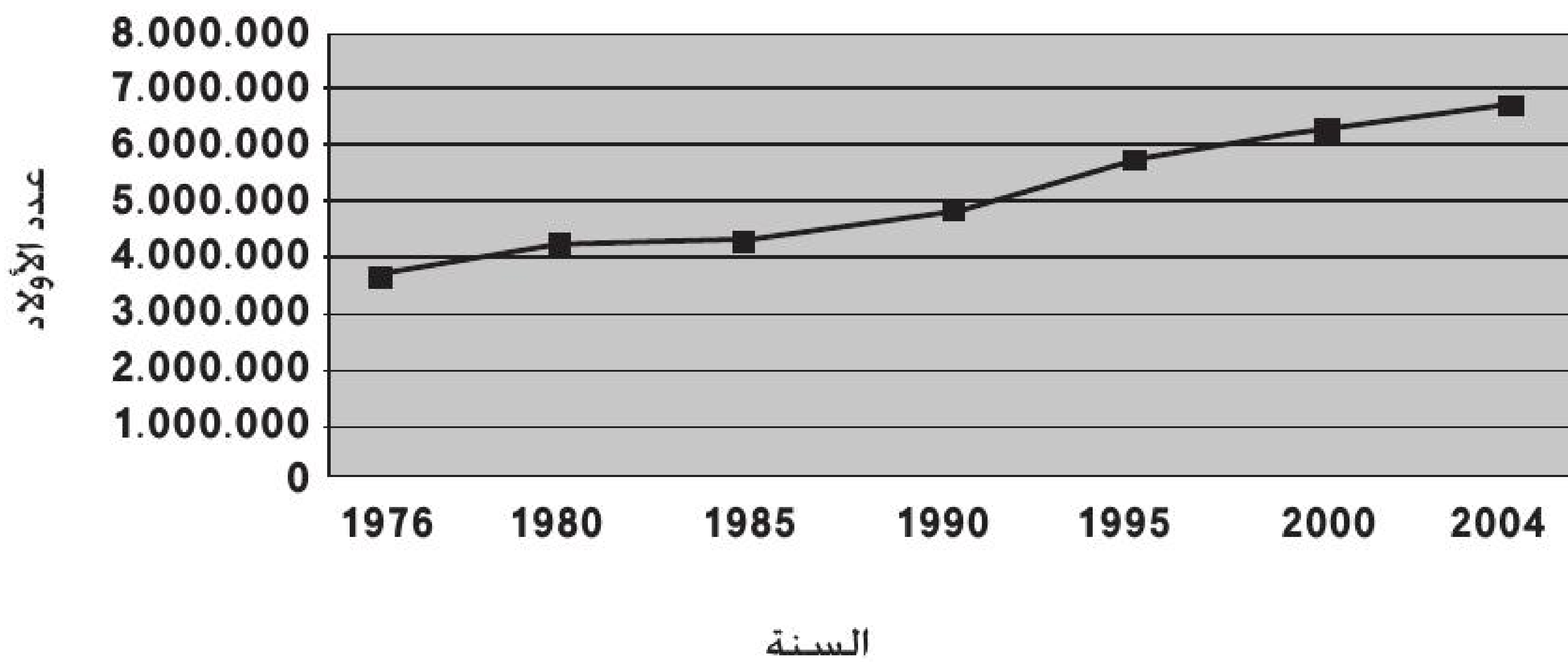
بالتأكيد، لا ينبغي الخلط بين اليافعين مع صعوبات في التعلم مع الأطفال الذين يعانون أمراضاً عقلية حادة، والذين يا للأسف ترتفع أعدادهم أيضاً. (كان التوحد لدى الأطفال قد ازداد تسعة أضعاف منذ سنة 1992. ارتفع عدد الأولاد الذين تتم معالجتهم بعقاقير للأمراض النفسية 138% بين سنتي 1997 و2000). لا، يعاني معظم الأطفال الذين لديهم صعوبات في التعلم اليوم من ظروف صعبة كانت ستمر على الأرجح دون أن يلاحظها أحد قبل جيل مضى، لكنها أصبحت الآن -بفضل التقدم في أبحاث تطور الطفل والتدقيق من جانب الأهل والمدارس- مكشوفة.

الفرق واضح منذ مرحلة الطفولة الأولى. الطفل الذي كان يتم اعتباره، قبل خمس وعشرين سنة، «سريع الغضب» سيتم تشخيص حالته الآن على الأرجح بأنها «اختلال حسّي في الاندماج»، وهي حالة تسبب اعتلالاً في الإدراك الحسي في دماغ الطفل، وتصبح الأضواء أكثر سطوعاً، والأصوات أكثر ضجيجاً، أو يشعر بأن الملابس تسبب له الحكة.

الطفل الذي كان يتم عدُّه، قبل خمسٍ وعشرين سنة، «غير رياضي»، قد يتم تشخيص حالته اليوم بأنها نقص في تطور القدرة العقلية على الانتقال من تصوّر الحركة البدنية إلى تنفيذها.

التصنيف الجديد للاضطرابات يتسع باستمرار. وبحلول الوقت الذي ينتقل فيه الأطفال إلى مرحلتي الطفولة الثانية والمراهقة، يزداد ببساطة عدد الذين يعانون مشكلاتٍ تتعلق بالقراءة، والكتابة، والكلام، والإصغاء، والحساب. في الثلاثين سنة الماضية، كان عدد الأطفال الذين تم تصنيفهم بموجب القانون الاتحادي بأنهم «أفراد يعانون صعوباتٍ في التعلم» قد ازداد 82 %.

عدد الأولاد بين 3-21 سنة مع صعوبات محددة في التعليم بموجب قانون أفراد يعانون من صعوبات تعليمية 1974-2004



تتضمن صعوبات محددة في التعليم مشكلات في التعبير اللفظي، والقدرة على الفهم، والتعبير الكتابي، ومهارات القراءة أو الحساب

المصدر: وزارة التعليم الأمريكية، المركز القومي لإحصائيات التعليم، 2006 .

لا أحد يعرف بالتأكيد إن كان المزيد من الاهتمام من قبلنا هو ما يجعلنا نجد المزيد من المشكلات المذكورة أعلاه. هناك على الأرجح عوامل بيئية وأخرى تسهم في ذلك. لكن ليس هناك شك أنه حالما نفحص، ونشخص، ونصنّف الأطفال بدقة أكبر، نرى المزيد من المشكلات.

ومن يشجع التدقيق في الأمر؟ الميسورون بالطبع. على الرغم من أن الأطفال الذين يعانون صعوباتٍ في التعلم ينتمون إلى طيف واسع من العائلات وفقاً للدخل الذي تحصل عليه، إلا أنهم عملياً أكثر ظهوراً في أعلى الطبقة الوسطى. (من غيرهم، بالمحصلة، سيقضي وقتاً طويلاً وينفق الكثير من المال ليجدوا أن أطفالهم عاديون؟).

لا يوجد في معظم مدارس النُّخبة المكلفة اليوم معلمون فقط، وإنما «مختصون في التعليم» يتابعون تطور كل طفل على حدة. تتضمن القراءة، والكتابة، والحساب اليوم أيضاً تركيزاً على الانتباه، والاندماج الحسّي، والحركة. النتيجة الغريبة أنه في مجتمعات الدخل المنخفض، غالباً ما تدل «خصائص معينة» على مستقبل أكاديمي زاهر؛ في حين في المجتمعات الميسورة، عدم وجود معالج مهني، أو مدرب نطق، أو مستشار اجتماعي - عاطفي في الوقت الذي يبلغ فيه الطفل 12 سنة يعد عملياً إشارة على إهمال الوالدين له.

انظر فقط إلى الشهادة الثانوية. بين سنتي 1990 و2005 وحدهما، تضاعف عدد الطلاب الذين تم منحهم وقتاً إضافياً للحصول على الشهادة الثانوية، إلى أكثر من 40.000 من بين 2 مليون طالب يخضعون للفحص في البلاد. ولا يمكنك الحصول على هذا الوقت بتقديم طلب عادي فحسب. ينبغي أن يكون لديك إثبات مؤكد عن الصعوبة التي تواجهها في التعليم من طبيب نفساني، إضافة إلى إثبات أنك كنت تلتزم بكل التعليمات التي أوصى بها ذلك الطبيب في اختبارات المدرسة الثانوية العادية. من يحصل على كل ذلك؟ يمكنك أن تخمّن أنها على نطاق واسع العائلات التي لديها الوقت والمال للمختصين، والتقويم، والمعالجة (ناهيك عن ذكر مهارات الدفاع المطلوبة للحصول على الوقت الإضافي).

وهكذا، ابتداءً من سنة 2005، يحصل أكثر من 40.000 طالب ثانوي على وقت إضافي لتقديم امتحان الشهادة. يساوي ذلك عددياً كل الطلاب الجدد الذين يلتحقون بجامعة ولاية أوهايو، وجامعة تكساس، وجامعة بنسلفانيا، وجامعة كارولينا الشمالية، وجامعة فيرجينيا، وجامعة أورال روبرتس، وفاندربلت، وتكساس إيه آند إم، وييل مجتمعة.

وحيث توجد وفرة، يوجد عمل. كان اهتمام الوالدين الشديد قد تحول إلى دروس خصوصية بعد المدرسة التي وصلت تكلفتها إلى 4 مليارات دولار سنوياً، بنسبة نمو تبلغ 15 %. كانت كل من مراكز تعليم سيلفان Sylvan (أكثر من 1000 الآن على امتداد البلاد) ومراكز تعليم سكور Score التي تمتلكها كابلان Kaplan قد بدأت تقديم دروس خاصة ليس لمراهقين يعانون صعوبات، وطلاب طموحين فقط، وإنما لأطفال في الرابعة من العمر يخشى أهلهم أن يتأخروا عن أقرانهم.

لو أنني كنت أعيش الآن في بلد بدأ للتو انطلاقته في حقل التعليم، كنت سأستثمر بشيء مشابه لمراكز تعليم سيلفان. بعد عقد من الآن، ستكون الدروس الخاصة بعد المدرسة، وتعليم الأطفال، في ذروة النشاط.

انتبه، بطبيعة الحال، إلى «تقسيم الاضطرابات». فيما قد يرى عامة الناس وصمة في إعاقات الأطفال المتعلقة بأي طريقة كانت بالدماغ، إلا أن الميسورين يحملونها بوصفها شارةَ شرفٍ، ويشرحون بإسهاب السبب الذي يجعل أولادهم متأخرين عن أقرانهم.

وانتبه من تأثير ذلك في الأطفال بوجه عام. مع وجود المزيد من الأطفال الميسورين الذين يتم إرسالهم إلى المختصين وتشخيص الاضطرابات التي يعانونها، ربما يكون «أفضل وألمع» ذلك المجتمع – الشبان الذين يحصلون على الأرجح على تعليم جيد ويذهبون إلى الجامعة- يحملون رسالة بأنهم يحتاجون إلى مساعدة خارجية كبيرة ليصبحوا «عاديين». حالياً، يشكل الأشخاص المولودون بعد سنة 1980 الجيل الأكثر حصولاً على الرعاية الطبية في التاريخ. بعد أن يصبح هؤلاء في الجامعة، تُظهر الدراسات أن قرابة 1 من كل 10 طلاب جامعيين يسعى للحصول على استشارة طبية ذهنية، ويلجأ 25 % منهم إلى الطب النفسي – ارتفاعاً من 9 % سنة 1994.

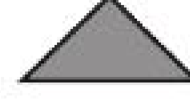
سيقول بعض القراء: إنني بالغت في التركيز على اضطرابات الطفولة. لكن انتشار حالات جديدة بدأ يظهر الآن. في سنة 2005، تم تعديل الكتيب الطبي الرئيس عن الصحة

الذهنية للرضّع -أي، أطفال بعمر 3□0 سنوات- ليتضمن نوعين جديدين من الاكتئاب، وخمسة أنواع جديدة من اضطرابات القلق، وستة أنواع جديدة من اضطرابات السلوك الغذائي. لهذا يبدأ الوالدان العمل باكراً.

تريح الأمريكيين فكرة أن أي عائق يواجه طفلهم ليس ذاتياً، وإنما نتيجة أذية خارجية سابقة ينبغي التغلب عليها. كان نظام الفحص قد أصبح شيئاً مثل لعبة، ويعرف الجميع الآن أن الدروس الخاصة تحقق فرقاً في العلامات - لهذا يكون أي والدين يستطيعان توفير وقت إضافي لولدهما يشاركان بتلك اللعبة بطريقة أو بأخرى. مهلاً، ما خطب ذلك الطفل؟ شيء ما - لكنه ليس خطيراً. تلك هي الإجابة التي يقدمها المزيد والمزيد من الأطفال لتفسير تراجع أدائهم.



حياكة اليافعين

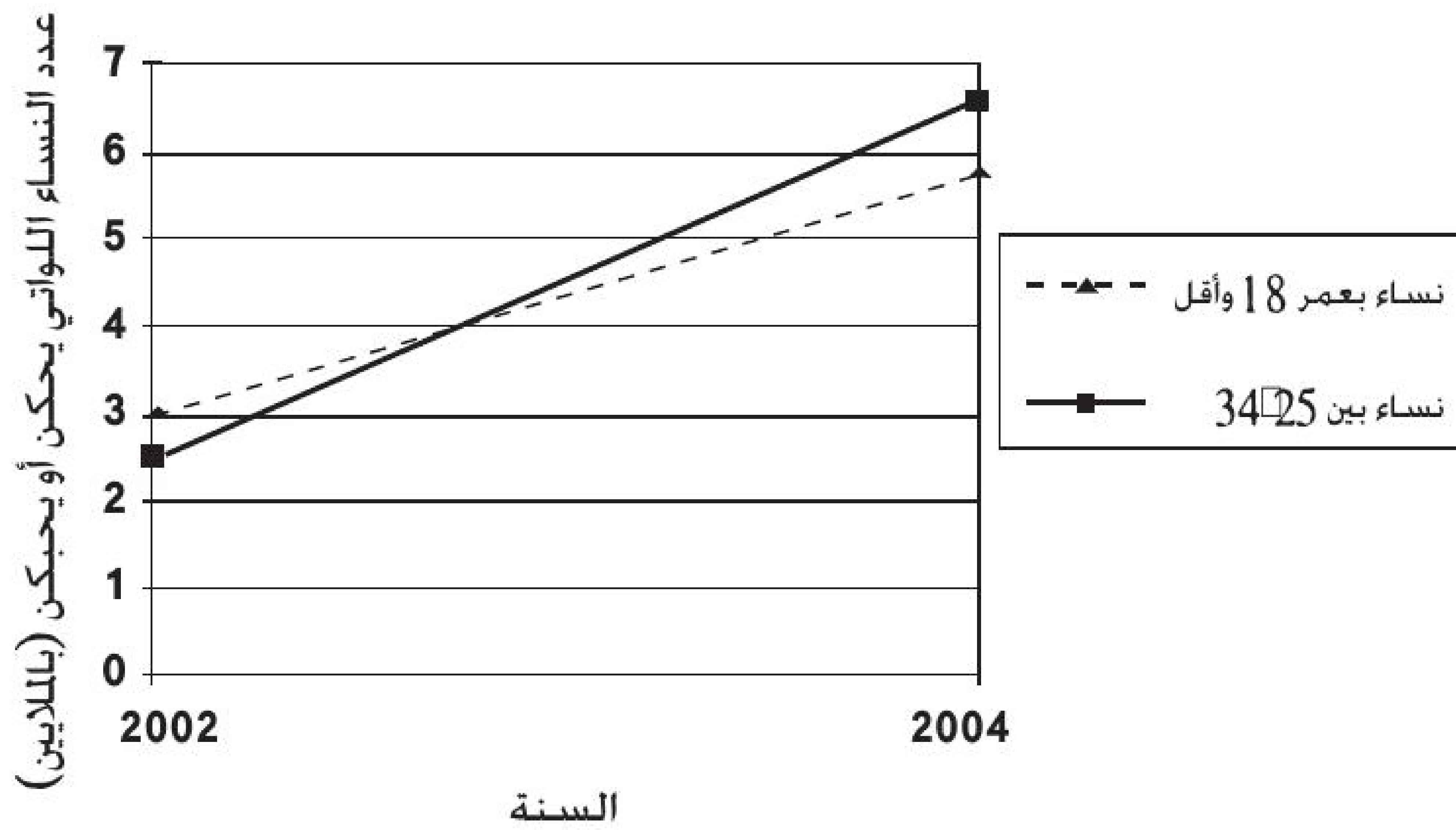


تستعد ابنتي التي تبلغ من العمر 4 سنوات للذهاب إلى رياض الأطفال، وكنت أبحث أخيراً في مواقع الإنترنت عن بعض أفضل المدارس الخاصة في واشنطن العاصمة. كانت إحداها تضع إعلاناً عن نشاط لا صفّي لطلاب الصف السابع عن الحياكة. حياكة؟ في القرن الحادي والعشرين؟ في عاصمة البلاد؟ هل يمزحون؟

يا للأسف! كنت أنا الذي لا يدري بما يجري حوله.

في بلد يمكنك فيه شراء كنزات وأوشحة من كمارت Kmart مقابل أقل من 15 دولاراً، لا يزال قرابة 20 مليون شخص في أمريكة يحيكون ملابسهم بأنفسهم. والمجموعة الأسرع نمواً من الأشخاص الذين يحيكون (باستعمال صنارتين) أو يحبكون (باستعمال إبرة واحدة معقوفة) تتألف من مراهقات وشابات في العشرينيات من أعمارهن.

يافعات يعرفن الحياكة، 2002–2004



المصدر: مجلس حرفة الغزل الأمريكي، 2006.

بالنسبة لنشاط يبلغ من العمر خمسة وعشرين قرناً، الحياكة مزدهرة جداً.

هذه النزعة، بالطبع، مقلوبة رأساً على عقب. عندما تفكر في الحياكة، يتبادر إلى ذهنك جدّات في كراسي متأرجحة؛ وعندما تفكر في مراهقات، تفكر في التقانة طوال الوقت. وبالرغم من ذلك يقمن بالأمر، مع نحو 6 ملايين راشدة في أمريكة، واللواتي يعملن على الحاسب وفي الحياكة، وتقودهن شخصيات شهيرات مثل جوليا روبرتس، وكاميرون دياز، وساره جيسيكا باركر.

بين ليلة وضحاها عملياً، انتقلت الحياكة من الأسمال إلى قمة الأناقة. هناك مدونات عن الحياكة، وحملات توزيع قمصان لـ«إعادة إحياء الحياكة» وغرزة في الخلف (وغرزة في الأمام) التي جذبت عشرات آلاف النساء في مدن على امتداد البلاد. قدمت شبكة سكربس هاورد التي تدعى «قم بذلك بنفسك» حياكة جميلة، وهي جولة أسبوعية عبر أشكال حياكة يتم تسويقها تحت أسماء «جديدة، قوية، رائعة». كانت فوغ Vogue للحياكة قد أطلقت مجلة لخياطين تحت 25 سنة. ظهر كتاب ديبي ستولر غرزة ودرزة: دليل الخياطة في قائمة أفضل الكتب حسب نيويورك تايمز سنة 2004 وقد بيع منها نحو 100.000 نسخة. بيع من الكتاب التكملة، صنارة الغرزة والدرزة: الإبرة السعيدة، 25.000 نسخة في أثناء شهرين من طرحه في الأسواق.

الخياطات اليافعات لسن زمرة معزولة عن العالم، مناهضة للتقانة. تنتسب آلاف الأعضاء في ماي - سبيس MySpace، موقع الشبكة الاجتماعية الشهير جداً، إلى مجموعات حياكة فرعية، مما يشير إلى أن مراهقات اليوم مرتاحات للتمتع بجانبين عالٍ ومنخفض التقانة - حسناً، متشابكين معاً.

حتى الصبية يشاركون في ذلك. يقدّر خبراء المهنة أن نحو 4 % من الذين يحيكون بالصنارة على مستوى البلاد رجال، مع صبية مراهقين يقومون بارتداء قبعات منزلية الصنع لاتقاء برد الصباح والتزلج على الثلج أو ركوب الأمواج. (إذا لم تكن كاميرون دياز مثلهم الأعلى، يمكنهم التطلع نحو لاعب كرة القدم الرائع روزي غرير، الذي من الواضح أنه يعمل بالحياكة والتطريز على الخط الجانبي بين أشواط المباراة. وفقاً لموقع

www.MenKnit.net، المفترض أن الفضل يعود للنساء في الحياكة، إلا أن الحقيقة أن الصيادين هم أول من صنع كنزات ثقيلة لارتدائها في أعالي البحار، وهناك الجنود الذين صنعوا على نطاق واسع جوارب دافئة في الحرب العالمية الثانية).

لكن إذا كنا نتشاجر حول إرث الحياكة، فمن الواضح أنها طريقة مثيرة أكثر مما كنا نعتقد. لهذا، من أسهم في ترويج إبر الحياكة مجدداً؟

بوجه عام، ربما يكون ارتفاع شأن الحياكة جزءاً من نزعة أكبر ظهرت بعد 9/11. ارتفعت شعبية الطهي، وكذلك لم شمل العائلة، وموضوعات تبسيط نمط الحياة. حصل الحرفيون بوجه عام على الكثير من الاهتمام (تضاعفت مبيعات آلات الخياطة بين سنتي 1999 و2005)، ويُقال: إن الحياكة خاصة -بغرزاتها المعتادة المنتظمة- تزيل الضغط وتخفف من ضغط الدم. يقسم المدخنون سابقاً إنها ساعدتهم في الإقلاع عن التدخين. يستعمل الناس عبارات مثل «المنطقة» لوصف تجربة الحياكة، ويدعونها «اليوغا الجديدة» و«التأمل الجديد».

إنها علاج، ويمكن أخذ قبعة إلى المنزل بعد الانتهاء منه.

لكن بالنسبة للشبان، فإن إغراء الحياكة أكبر حتى، وهي تجمع بين أفضل ما في عوالمهم. الحياكة شأن اجتماعي مثل ماي-سبيس، مع مجموعات تجتمع للقيام بذلك على نحو مشترك – والاستمتاع بالأحاديث التي رافقته طوال خمسة وعشرين قرناً. إنها صنعة تتعلق بمهارة القيام بها، مثل ألعاب الفيديو – مع فرصة التقدم نحو تحدٍّ أكثر صعوبة والشعور بالرضا التام بعد الانتهاء منه. وفي عالم المراهقين الذين يحاولون تمييز أنفسهم اليوم (يظهر بأوضح صوره عندما يذهب أحد هؤلاء إلى الجامعة)، يمكن أن تصبح الملابس والإكسسوارات المصنوعة يدوياً طريقة ذكية ومبدعة لإظهار هوية الشخص الفريدة.

فوق كل ذلك، من لا يرغب في علبة هاتف خليوي، أو لباس بحر، أو حزام غيتار مصمم بأناقة، تقوم أنت أو صديق لك بصناعته يدوياً؟

لكن هناك المزيد. مثل الراشدين الذين يحيكون لتخفيف الضغط، يتطلع المراهقون على نحو متزايد أيضاً إلى استراحة من الاتصال بالإنترنت 7/24 ومن كثافة الواجبات الجامعية. في بعض الحالات، يستغل الراشدون هذه النزعة لمصلحة الشبان، ويحثونهم على الحياكة بوصفها طريقة لتحسين انتباههم وتركيزهم، وتنشيط تفكيرهم الإبداعي، وتطوير مهاراتهم الحسابية. تدّعي بعض المواقع أن الحياكة تخفف من الإدمان. كانت مدارس والدورف Waldorf الخاصة قد جعلت الحياكة جزءاً من منهاجها الدراسي.

هذه قصة أخرى توضح كيف أن لكل فعل، هناك رد فعل - لكل حركة تقانة عالية، هناك حركة تقانة منخفضة يتبعها ملايين الناس. ويوضح ذلك فكرة أساسية هي أنه على الرغم من أن الناس لا يجدون وقتاً كافياً، إلا أن العديد منهم يبحثون عن طرق للتخفيف من عدم تركيزهم. وهذا هو اقتصاد الخدمات، ويريد الناس متعة ابتكار شيء بأنفسهم وأن يستطيعوا القول: «أنا صنعت ذلك».

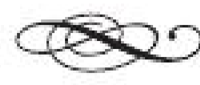
تأثيرات حياكة اليافعين كبيرة. في سوق الحرف نفسها، هناك على ما يبدو طلب متزايد على ألوان أكثر، وأشكال أفضل، و«غزل يُماشي الموضة»، يتداخل فيه الصوف، والفرو، وشرائط الزينة، وأكثر لمعاناً مما كانت تحيكه الجدّات الطاعنات في السن. وفقاً لمجلس حرفة الغزل، بين سنتي 2004 و2005 وحدهما، ارتفعت مشتريات الغزل 56 %.

ضمن عالم الأزياء، ينبغي أن نتوقع المزيد من الحياكة في المستقبل، والمزيد من الملابس الفاخرة المصنوعة يدوياً. أنا، من ناحيتي، لا أعرف إن كانوا يستطيعون حياكة لباس بحر بكيني - لكن لم أعرف أيضاً أنه كان يتم تنظيم «لقاءات» حياكة كل أسبوع في مدن على امتداد أمريكة إلا مؤخراً.

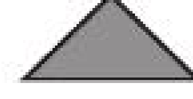
على أي حال، الأهمية الحقيقية لخياطين يافعين هي عدم وجود عدد محدد من الأشكال الفنية، ويولي العديد من الأطفال اليوم الأمر اهتماماً أكثر مما ندرك، وهم شغوفون بشأن ابتكار منتجات عملية ومفيدة تشير إلى وجودهم في العالم. يمكنهم استعمال الحواسيب جميعاً، لكنهم يحبون سماع صوت إبر الحياكة أيضاً.

بغض النظر عن السيدة ديفارج، التي جعلتها حياكتها لأكفان ضحايا الثورة الفرنسية واحدة من أشهر الخياطات (وأكثرهن شراً) في الإنتاج الأدبي. خياطو اليوم ليسوا كباراً في السن ولا «ماكرين» بالمعنى الشرير، وهم يصنعون غرزة تلو الأخرى؛ لأن ذلك عمل مسالم، وعملي، وبدني، ويحبونه.

يدل هذا أيضاً على أن المراهقين اليوم ينتقلون من هوس إلى آخر، ولا تزال هناك فسحة لكثير من المنتجات التي يمكن للمرء أن يصنعها بنفسه. أطلقت شركة نايكي Nike حملة «اصنع حذاءك الخفيف بنفسك»، مع قماش وألوان متكاملة. تعرض الشركات الآن طرقاً جديدة ليقوم الناس بتصميم أدوات تجميلهم، وخواتم خطوبتهم. لكن ماذا عن الأشخاص الذين يصنعون ربطات عنقهم؟ ماذا عن أدوات صنع سراويل الجينز حتى يستطيع الأطفال وضع فتحات في كل الأماكن الصحيحة؟ يقوم الناس بإجراء عمليات تجميل، ويطلبون قمصاناً خاصة بهم، والسوق مفتوح تماماً للخياطين، ولأفكار جديدة تسمح للناس بالاسترخاء والحصول على شيء يمكنهم استعماله بعد الانتهاء من صنعه.



المُثل العليا للمراهقين السود



ربما ليست هناك مجموعة في أمريكة أكثر محبة للتقليد من الفتيان المراهقين – وخاصة، الفتية المراهقين السود. في سنة 2002، وجد مركز كيسي Casey الصحفي في دراسة عن الأطفال والعائلات أن أكثر من 90 % من قصص الأخبار التي تغطي الشبان في أمريكة تركز على الجريمة، وإساءة المعاملة، والإهمال، مقارنة بأقل من 5 % تركز على موضوعات بنّاءة مثل العناية بالأطفال، أو ضمان الرعاية الصحية، أو تطوع الشبان. في وسائل الإعلام، يشكل المراهقون أخباراً سيئة.

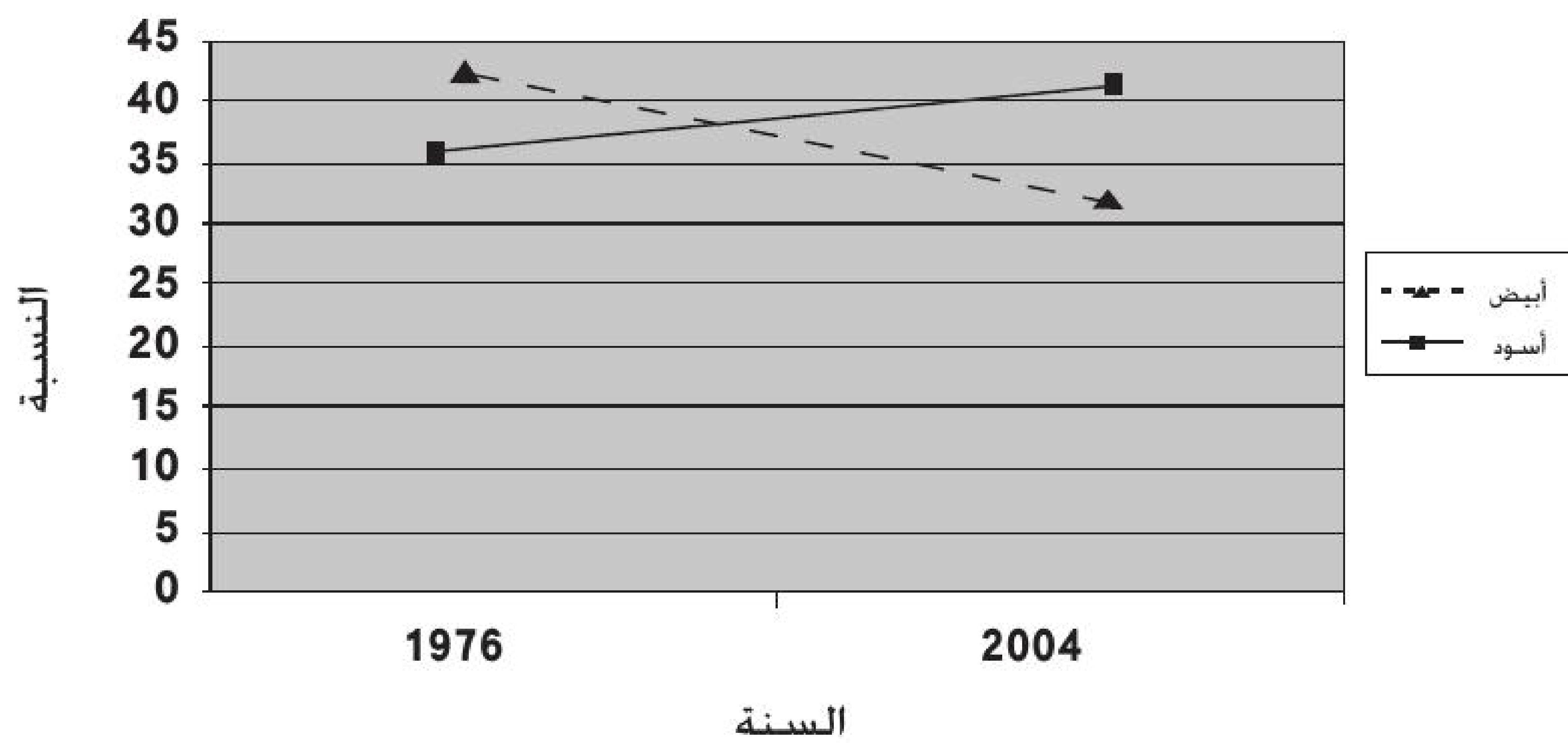
بالرغم من ذلك، الحقيقة هي أن هناك جيلاً جديداً – وينبغي أن تفسح الأنماط الجاهزة التي كانت سائدة في الخمسينيات والستينيات المجال أمام حقيقة العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. التقدم الذي حققه قطاع من المجتمع الأسود مذهل تماماً. بالرغم من أن عدة مئات آلاف من المراهقين السود يقعون في متاعب مع القانون كل سنة، هناك عدة مئات من الآلاف أيضاً ينتسبون إلى الجامعات ويخططون لمسيرتهم المهنية. الشبان السود هم المجموعة الأسرع نمواً بين خريجي الكليات، وعندما يحصلون على إجازاتهم الجامعية، غالباً ما تكون عروض عمل مغرية في انتظارهم. انبثاق هذه الطبقة الجديدة من السود الذين يحققون إنجازات مهمة يغير ثقافة أمريكة، يحطم أنماطاً جاهزة قديمة، ويمزق الحواجز العرقية في الوظائف وأروقة السلطة. لم يعد الأمر يتعلق بالطريقة التي يجنح بها الشبان السود نحو الطريق الخطأ، وإنما بالتزامهم بطريق صحيح. بالنسبة لنزعة مجهرية متزايدة عن الشبان السود، النظام يعمل.

ربما ما يدعم هذه الأخبار الجيدة هي الطبيعة المتمسكة بالقيم لهؤلاء الشبان. لدى مقارنتهم بناءً على المؤشرات الرئيسة الثلاثة للمواطنة الصالحة –الذهاب إلى الكنيسة،

التطوع، والتصويت- إما يتفوق السود على البيض أو يكون تمثيلهم أكبر من نسبتهم من عدد السكان.

فيما يتعلق بالذهاب إلى الكنيسة، تفوق المراهقون السود على نظرائهم البيض. في السبعينيات، كان أكثر من 4 من كل 10 مراهقين بيض يذهبون بانتظام إلى الكنيسة، مقارنة بثلث المراهقين السود فقط. في السنوات الثلاثين الأخيرة، انعكست النزعة تماماً. الآن، أكثر من 4 من كل 10 مراهقين سود يذهبون بانتظام إلى الكنيسة، مقارنة بأقل من ثلث المراهقين البيض.

نسبة الطلاب المراهقين الذين يذهبون إلى طقوس دينية مرة على الأقل في الأسبوع، وفقاً للعرق، 1976 مقارنة مع 2004



المصدر: نزعات الأطفال، 2004.

إضافة إلى ذلك، بين المراهقين سنة 2004، قال أكثر من نصف الطلاب السود (54 %): إن الدين يؤدي دوراً مهماً في حياتهم، مقارنة بنحو الربع فقط (27 %) من الطلاب البيض. على الرغم من أن الذهاب إلى الكنيسة ليس المقياس الوحيد للتدين، إلا أن دراسات أظهرت أن أخذ الدين على محمل الجد يرتبط بقوة مع انخفاض تناول الممنوعات والكحول، وتأخر النشاط الجنسي، ومواقف وسلوك الإيثار. يرتبط أيضاً مع انخفاض ارتكاب الجنح، والمجازفة، ومقدار أكبر من الرياضة والعناية الشخصية، ومتاعب أقل في المدرسة ومع الشرطة. نعم، نسبة تسرب السود من المدارس الثانوية أعلى

من البيض، لهذا لا يظهر بعضهم في دراسة المراهقين تلك. لكن التناقض الصارخ هنا يشير إلى أن الوقت قد حان لإعادة تقويم بعض الأنماط الجاهزة عن المراهقين.

على جبهة التطوع، على الرغم من أن معدلات التطوع بين السود كانت تقليدياً أقل من البيض، إلا أن عدد المتطوعين من المراهقين السود كان قد ارتفع بثبات في أثناء عشر السنوات الماضية، وتعادل الآن (وفي بعض السنوات الأخيرة كانت أعلى حتى من) معدلات البيض. عند توسيع المجموعة العمرية إلى 15-25، يصبح السود على الأرجح بين كل المجموعات العرقية/الإثنية التي تقول: إنها تظن أن بمقدورها إحداث فرق في مجتمعاتها. وعندما تنظر إلى الرجال فقط، يكون معدل التطوع في الواقع لدى الشبان السود (63 %) أعلى من البيض (57 %) أو اللاتين (48 %). في برنامج خدمة المجتمع الرائد سنة المدينة City Year، الذي يقوم عبره يافعون تتراوح أعمارهم بين 17-24 سنة بالخدمة سنة بعد الثانوية، يشكل السود 32 % من مجموع المتطوعين - هذا أكثر من ضعف نسبتهم من مجموع عدد السكان.

أخيراً، عندما يتعلق الأمر بالنشاط السياسي، والتصويت، والدراسات المدنية، يتفوق الشبان السود على نظرائهم أيضاً. وفقاً لدراسة سنة 2007 التي قام بها سيركل Circle، مركز المعلومات والأبحاث عن التعلم والاندماج المدني، حصل الأمريكيون-الأفارقة على أعلى نسبة بين الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين 15-25 في كل من التسجيل للتصويت والنشاط السياسي. يشكلون أيضاً المجموعة العرقية/الإثنية الوحيدة من الشبان التي كانت قد زادت من مشاركتها في انتخابات التجديد النصفي. الشبان السود هم أيضاً المجموعة التي تعدّ التصويت أمراً بالغ الأهمية؛ وبنسبة 72 %، هي أكبر داعم لاعتبار صفوف القوانين المدنية أو الحكومية ضرورة لازمة للتخرج من المدرسة الثانوية.

هذا النوع من الجهود المدنية والإسهامات الديمقراطية البنّاءة ليس ما يشتهر به الشبان السود عادة. يشكل المراهقون السود موضوعاً يسود بشأنه أنماط جاهزة سلفاً، ونتيجة لذلك، تتراجع فرصهم وينخفض الاستثمار المخصص لهم عن القيمة المرجوة.

بالرغم من عدم وجود دراسات شاملة عن خلفيات المُثل العليا للمراهقين السود، إلا أنهم على الأرجح يأتون من عائلات تثمّن أيضاً الدين، والتطوع، و/أو العمل الأهلي. (تقريباً نصف الراشدين السود - 46 %- يتطوعون عبر منظمات دينية، وهو معدل أعلى كثيراً من البيض أو اللاتين). ويعرف هؤلاء الشبان ما الذي يسعون إليه عبر قيامهم بتلك الأعمال الجيدة وما يتوقعونه بالمقابل منها. إنهم ينجذبون إلى الكنائس التي تمنح أدوار القيادة للشبان. عندما يتطوعون، ينجذبون إلى أنشطة مثل الإشراف والتدريس (بينما يتفوق عليهم المتطوعون البيض في أنشطة مثل «جمع الأموال» و«تقديم وسائل النقل»). سياسياً، هم عادة ديمقراطيون، لكن دراسة سنة 2002 قالت: إن أكثر من ثلث السود الذين تتراوح أعمارهم بين 18–25 يدعون أنفسهم مستقلين. القصد هو: معظم الشبان السود في أمريكة يتمتعون بالرصانة، وينخرطون في أعمال تفيد المجتمع، ومستقلون، ومستعدون لإحداث فرق إيجابي في حياة الناس.

هذه التطورات بين الشبان السود جزء من نزعة أكبر تصبح عبرها أفعال السود أفضل من ذي قبل في أمريكة. كانت معدلات التسرب من المدرسة الثانوية بين الشبان السود قد تراجعت من نحو 30 % في أواخر الستينيات إلى 10 % الآن. كان معدل تسجيل السود في الجامعات بين خريجي المدارس الثانوية أخيراً قد ارتفع إلى نحو الثلثين، من 45% فقط سنة 1972. بين سنتي 1976 و2004، تضاعف تقريباً عدد الرجال السود الذين يتخرجون في الجامعات كل سنة (وازداد عدد النساء السوداوات ثلاثة أضعاف تقريباً). ازداد عدد حملة شهادة الماجستير من السود أكثر من الضعف في تلك المدة، بينما لم يزدد عدد الذين حصلوا على شهادة الماجستير من البيض سوى 39 % فقط.

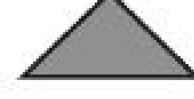
ومقارنة بخمسين سنة مضت، كان عدد عائلات السود التي تعيش برخاء قد ازداد على نحو كبير. تنتمي أكثر من 40 % من أسر السود إلى الطبقة الوسطى الآن، ارتفاعاً من نحو 20 % سنة 1960. يمتلك 42 % من السود منازلَ خاصة بهم، وارتفع ذلك الرقم بين المتزوجين السود إلى 75 % على الأقل. ارتفع عدد الشركات التي يمتلكها سود 45 % بين سنتي 1997 و2002. كان أداء بعضهم جيداً جداً، حتى إنهم قد يصبحون جمهوريين.

ما يعنيه هذا أن الطبقة الوسطى من السود ليست أكبر فقط مما قد يعتقده معظم الأمريكيين من مشاهدة أخبار المساء – لكن هناك أيضاً مجموعة جديدة من الشبان السود استطاعت تحقيق ثروة وتقود المجتمع بطرق مختلفة. بالفعل، معظم المراهقين السود في أمريكة -بمن في ذلك الفتيان- ينضمون إلى المدارس، ورعون نسبياً، ملتزمون بالديمقراطية الأمريكية، ويقومون بما ينبغي عليهم (أو أكثر) لجعل أمريكة أفضل. لا يشكل هؤلاء سوقاً حقيقية مستهدفة للتقانة والملابس والرياضة والترفيه فقط، وإنما هم أفراد مستعدون أيضاً للجامعات، والوظائف، والتطوع، وانتهاز الفرص القيادية عند كل مستوى.

صحيح أن الكثير من الشبان السود في أمريكة يكافحون، وينبغي لأمة مزدهرة مثل أمتنا أن تولي مقداراً كبيراً من العناية للتحديات التي يواجهها هؤلاء. لكن وسائل الإعلام والمسوّقين بحاجة لتصحيح بعض المفاهيم أيضاً، والتعريف بالمواطنة الرائعة التي يمثّلها معظم الشبان السود. يظهر السود الذين حققوا إنجازات ذات شأن حولنا، وتقدموا على نظرائهم البيض. إنها مسألة وقت فقط قبل أن تدفع هذه المجموعة الناجحة لإجراء تغيير جوهري في المجتمع الأسود. إنهم شهود على ما هو صحيح في أمريكة في وقت تبدو فيه الكثير من الأشياء خاطئة.



تجار المدرسة الثانوية



عندما كنت في عمر 13 سنة، بدأت أول عمل لي - بعت طوابع لهواة جمعها عبر البريد. بالإعلان في نيويورك تايمز، طوّرت قاعدة عملاء لطوابعي وكانت تلك تجربتي الأولى مع العمل. احتفظت بكتب خاصة لجمع الطوابع، واشتريتها جملة من مزادات، وبعتها تجزئة عبر البريد. لم أكن أطيق صبراً لتفقد صندوق بريدي بعد المدرسة في طريق عودتي إلى المنزل. لم يكن الكثير من أصدقائي يعملون في ذلك الوقت.

اليوم، جعلت الإنترنت وموقع إي-باي eBay التجارة بالنسبة للمراهقين أسهل من ذي قبل، والنظارات التي تشتريها من الموقع قد تكون من أحد تجار المدرسة الثانوية على الطرف الآخر. أكشاك بيع الليمون، وبطاقات المعايدة، ومجالسة الأطفال انتهت، إنه زمن المواقع الإلكترونية. في الواقع، وفقاً لبزنس ويك، ابتداء من سنة 2000، كان 8 % من كل المراهقين –أو نحو 1.6 مليون يافع في الولايات المتحدة - يجني أموالاً من الإنترنت.

بالتأكيد، كان بعضهم يبيع فقط بطاقات كرة القاعدة القديمة التي كان آباؤهم يحتفظون بها على إي-باي، أو يتخلصون من آلة تصوير عيد الميلاد التي كانت قد أصبحت عتيقة الطراز. لكن على نحو متزايد، يحول الأولاد نشاطهم المفضل – التفاعل إلكترونياً – إلى عمل جدّي. وجزء من السبب هو أنهم يستطيعون ذلك، وعندما تكون واجهتك للعالم موقعاً إلكترونياً أنيقاً – وكل تعاملاتك تتم عبر شبكة فاعلة وآمنة – من يحتاج لمعرفة أن وجهك الحقيقي يحتاج إلى المزيد من قوة الإقناع؟

هل تعرف أن www.ChocolateFarm.com، الشركة التي تتخذ من كولورادو مقراً لها ولديها نحو اثني عشر موظفاً وتقوم بعدّة آلاف عملية بيع في اليوم، تبيع منتجاتها «أبقار بنية»، و«خنازير في الطين»، و«سلاحف الجوز» التي حازت جوائز عديدة إلى محبي الشوكولا في كل أنحاء البلاد؟ بدأت المؤسسة والرئيس التنفيذي إليز ماكميلان

دراستها الجامعية سنة 2007. أطلقت الشركة عندما كان عمرها 10 سنوات، فيما تولى شقيقها إيفان، 13 سنة، إدارة الموقع الإلكتروني. أو خذ أناند-تيك.كوم AnandTech.com، موقع استعراض الأجهزة الرائد الذي يقدم لـ130.000 متصل بالموقع كل يوم أنباءً وتحليلات عن آلات التصوير الرقمية، وآلات تصوير الفيديو، وأجهزة حاسوبية أخرى. أطلق أناند شيمبي، من راليغ في كارولينا الشمالية، الشركة سنة 1997 عندما كان عمره 14 سنة.

حصلت بعض تلك الشركات على جوائز قيّمة. وفقاً لمجلة ينغبيز YoungBiz، جنى أفضل 100 رجل أعمال في أمريكة تتراوح أعمارهم بين 8-18 سنة 2001 أرباحاً إجمالية بلغت 7 مليارات دولار.

ويحب الأطفال اليوم هذه الأشياء. وفقاً لـ«إنجاز اليافعين»، قال أكثر من 7 من كل 10 مراهقين: إنهم مهتمون بأن يصبحوا رجال أعمال، ارتفاعاً من 64 % سنة 2004. قال النصف تقريباً: إن ذلك يعود إلى أن «لديهم فكرة رائعة يرغبون في رؤيتها تتحقق»؛ وقال ربع آخر: إن السبب يعود إلى رغبتهم «في جني أموال أكثر مما قد يحصلون عليه من العمل لدى شخص آخر». هؤلاء ليسوا مراهقي الأمس الذين يوزعون الصحف ويجالسون الأطفال؛ لكسب نقود يشاهدون بها أفلاماً (يمكنهم الآن تحميل الأفلام من الإنترنت، على أي حال). يريد أولاد اليوم إنشاء وإدارة عملهم الخاص بهم.

دعتهم مجلة ينغبيز YoungBiz «تجاراً ناشئين» -أو «تجاراً إلكترونيين ناشئين» إذا كانت جبهة أعمالهم الرئيسة هي الإنترنت- ويحظى تجار المدارس الثانوية هؤلاء باهتمام جدّي على المستوى القومي من وسائل الإعلام، ناهيك عن ذكر أساتذة الجامعات. يزداد عدد المعسكرات، البرامج الصيفية، الأنشطة غير الصفيَّة لتحفيز أعمال الشبان. في آب 2006، أطلقت «إدارة الأعمال الصغيرة» في الولايات المتحدة «خطّط لعملك الخاص» - مورد إلكتروني يهدف إلى مساعدة المراهقين على الانتقال بشركة ناشئة من الفكرة إلى تحقيق عائد. ربما يفكرون في اعتماد «لا تمنحه سمكة، علّمه الصيد» شعاراً لهم.

كان القطاع الصناعي قد انتبه إلى تلك النزعة أيضاً. تسعى شركات الإنترنت للحصول على خدمات موظفين شبان يمتلكون المهارة والحافز لأعمال تتطلب دواماً جزئياً. تنصح كثير من الكتب الجديدة الشبان بشأن طريقة جني أموال أكثر من آبائهم. كان قد بيع من والد ثري، والد فقير للمراهقين: أسرار بشأن المال - ما لا تتعلمه في المدرسة! أكثر من 50.000 نسخة في سنتين.

بالطبع، مبادرة عمل الشبان ليست جديدة. أسّس جيم كيسي سنة 1907 ما أصبح لاحقاً يو-بي-إس UPS وكان عمره 19 سنة آنذاك. أسّست باولا أورفاليا كينكو Kinko في السبعينيات بعد تخرجها في الجامعة. لكن هؤلاء الشبان انتظروا سنوات، إن لم يكن عقوداً، لرؤية شركاتهم تتطور. هذه الأيام، يبني المراهقون قاعدة عملائهم لتضم ملايين الأشخاص في أثناء شهور، أو يعرفون أن الوقت قد حان للانتقال إلى المرحلة اللاحقة. (مثل وظيفة اللغة الإنكليزية).

مع ازدهار رأسمالية المراهقين هذه، ربما يسأل المرء إن كان المراهقون هذه الأيام سيرغبون بالرغم من ذلك في الذهاب إلى الجامعة؟ حتى الآن، يحبون القيام بذلك؛ وتقول أغلبية ساحقة من المراهقين: إن الجامعة مهمة لإنشاء عمل. في الواقع، تأسيس عمل ناجح في أثناء الدراسة الثانوية غالباً ما يكون إحدى تلك القصص الرائعة المميزة التي يمكن لهؤلاء وضعها في طلب انتسابهم إلى إحدى الكليات. لكن ماذا عن كليات إدارة الأعمال؟ لأسبابها الخاصة -التي تتعلق بقدرتها على منح الخريجين رواتب مبدئية أعلى- أصبحت كليات إدارة الأعمال تجعل الانتساب إلى صفوفها يتطلب عمراً أكبر، على أي حال. بالنسبة لهذا الجيل الذي يبلغ من العمر 17 سنة، هل ستكون كليات إدارة الأعمال ذات فائدة عندما تصبح أعمارهم ضعف ذلك الرقم، ولديهم خبرة تجارية حقيقية؟

ربما لا يطيق تجار المدرسة الثانوية صبراً لشق طريقهم عبر شركات أشخاص آخرين. حالياً، هناك كثير من الكتب التي تقدم معلومات عن الفجوة بين الأجيال في العمل - حيث يرى مديرون تصل أعمارهم إلى 60 سنة موظفين في العشرينيات يبعثون برسائل بريد إلكتروني في أثناء الاجتماعات، وينظرون إليهم نظرة فوقية لتمردهم - بينما في الواقع

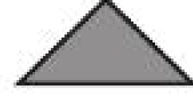
يستطيع الموظفون الشبان أداء أعمال متعددة بمهارة في الوقت نفسه. لكن عندما يجني الأولاد أموالاً باكراً -ليس بالتزامهم فقط، وإنما بإبداعهم أيضاً- هل سينتظرون، وهم في العشرينيات حتى يستطيعوا ارتقاء سلم الإدارة في شركاتهم؟

إحدى أكبر المشكلات التي يواجهها رجال الأعمال المراهقون هي أن القوانين موضوعة لحمايتهم - نتيجة لذلك، قلة من الناس ستقبل العمل معهم إذا عرفوا أعمارهم. كل ما يقوله المراهق تقريباً غير ملزم في معظم الولايات، لهذا يمكنهم التملّص من العقود بطرفة عين. ومن يرغب في أن يكون مسؤولاً عن مراهق والفواتير التي ينظّمها؟ ربما نحتاج إلى إجراء بعض التغييرات في القوانين الخاصة بمسؤولية المراهقين - إذا كان ممكناً معاملتهم بوصفهم راشدين فيما يتعلق بالجرائم التي يرتكبونها، لماذا لا تتم معاملتهم بوصفهم راشدين في العمل؟

عندما نتكلم الآن عن أن العالم مسطح، ينبغي أن نضيف «تجاراً مراهقين عالميين» إلى ذلك المزيج، وملايين الشركات الجديدة التي يمكنها الآن تقديم منتجاتها إلى السوق على أسس عالمية. قبل سنوات، أُصبت بالذهول لأنني استطعت وضع إعلان مبوّب في نيويورك تايمز. اليوم، يمكن لتاجر يدرس في المرحلة الثانوية في دوبوك الحصول على سلع من هونغ كونغ. ربما لا يكون لدى أمريكة كل المهندسين الذين تحتاج إليهم للفوز بمسابقات العلوم العالمية، لكن ينبغي أن نستفيد ونحتفل بالمراهقين الذين يجنون أموالاً. إنهم علامة على أن روح البلد الإبداعية لا تزال متقدة وفي حالة جيدة، وأن أمريكة تغذّي الابتكار عند أول فرصة سانحة بطرق أمريكية فريدة.



فتية قنّاصون



أعمل في تنظيم استطلاعات الرأي منذ ثلاثين سنة. مع كل استطلاع رأي أقرؤه، سواء كان يخص مرشحاً رئاسياً أو عميل شركة -هنا في الولايات المتحدة، أو في مكان آخر من العالم- أتعلم شيئاً جديداً عما يفكر فيه الناس. جزء من سبب محبتي لهذا العمل هو أنني اكتشف كل يوم طموحاً، أو أملاً، أو اهتماماً يشغل الناس، ويكون عليّ مساعدة عملائي في تشكيل منتجاتهم ورسائلهم بناءً على تلك المكتشفات.

لكن بعد ثلاثين سنة ومئات آلاف استطلاعات الرأي، لم يعد هناك كثير مما يمكن اعتباره جديداً. الأمور تثير فضولي، نعم، تشذّب فهمي لما يجري - بكل تأكيد. لكنها لحظة نادرة عندما يستوقفني استطلاع للرأي ويعيد تشكيل فهمي للأمور.

وقعت إحدى تلك اللحظات النادرة في كانون الأول 2006. أجرى صديقي وزميلي سيرجيو بندكسين، رئيس «بندكسين وشركاه» في ميامي وخبير بارز في أبحاث آراء اللاتين العامة، استطلاعاً عبر الهاتف لرأي 600 من سكان كاليفورنيا، تتراوح أعمارهم بين 16–22، وسألهم (بكل طيبة): «ماذا تعتقد أنك ستكون تفعل على الأرجح بعد عشر سنوات؟». كان سؤالاً غير محدد الإجابة، وهذا يعني أن المشتركين يمكنهم قول ما يرغبون (بدلاً من اختيارهم من ضمن قائمة من الإجابات المحتملة). كما هو متوقع، 70 % من الشبان قالوا: إنهم سيكونون يعملون، بعضهم في مهن محددة أو يديرون شركاتهم الخاصة. قال 12 %: إنهم سيكونون في الجامعة، وقال 12 % آخرون إنهم ستكون لديهم عائلات يهتمون بها. قال 1 % إنهم سيكونون في الجيش. وبعدها، على نحو مفاجئ وغير سار، قال 1 %: من الشبان المشتركين في الاستطلاع من كاليفورنيا: إنهم في أثناء عشر سنوات سيصبحون على الأرجح قنّاصين.

في سؤال غير محدد الإجابة، مقابل كل شخص يقول شيئاً على نحو عفوي، هناك عدّة أشخاص آخرين يفكرون فيه. لهذا كان ذلك مهماً حقاً: طموح جديد للجيل الأصغر سناً -ليس الكثير منهم، لكن ما يكفي ليشكل نسبة مئوية- بأن يصبح قنّاصاً.

ماذا تعتقد أنك ستكون تفعل على الأرجح بعد عشر سنوات؟	(إجابة غير محددة)
أعمل (وظيفة أو مهنة محددة)	37 %
أعمل (بوجه عام)	23 %
أدرس في الجامعة	12 %
متزوج مع عائلة / أطفال	12 %
أعمل (شركتي الخاصة)	8 %
الجيش (بوجه عام)	1 %
الجيش (قنّاص / رامٍ)	1 %
أخرى	6 %

استطلاع رأي أمريكة الجديدة، سكان كاليفورنيا بين 6 – 22 سنة، تشرين الثاني 2006

حسناً، ستقول: إنها 1 % فقط. هذا لا يعني شيئاً. لكن كما آمل وأعرض بين طيات هذا الكتاب، يمكن لنسبة 1 % من الناس وتستطيع إحداث فرق كبير، سواء في قطاع الأعمال أو السياسة أو المجتمع. وحقيقة أن 1 % من الشبان في كاليفورنيا ترغب، بحلول سنة 2016، في الانضمام إلى الجيش؛ ليصحبوا قنّاصين تحديداً، جديدة. في الماضي، ربما كانت مهنة قائد طائرة مقاتلة الأكثر جذباً بعد الانضمام إلى الجيش. هذه فكرة جديدة تماماً.

عندما يفكر كثير من الناس في أن يعملوا قنّاصين، تكون لديهم ميول إجرامية. خاصة لأولئك الذين يعيشون في منطقة واشنطن العاصمة، حيث من الصعب التفكير في «قنّاص» دون التفكير في رجلين قتلا عشوائياً، في أثناء ثلاثة وعشرين يوماً في تشرين الأول 2002، عشرة أشخاص بأسلحة نارية بعيدة المدى من سيارتهما. ومواقع القنص الإلكترونية

الرئيسة -نعم، هناك مواقع قنص إلكترونية (مثل www.sniperparadise.com، وwww.snipercountry.com)- لا تفعل الكثير لتحرير المرء من الأفكار الجاهزة سلفاً عن الأمر. يعرض أحدها، في قسم «اقتباسات وقصائد»: «منحني الرب السكينة لقبول أشياء لا يمكنني إطلاق النار عليها، والشجاعة لإطلاق النار على الأشياء التي يمكنني استهدافها، والحكمة لإخفاء الجثث».

لكن الحقيقية الفعلية هي: القنّاص أحد رماة النخبة. إنه جندي مشاة مدرب على إطلاق النار من موقع مخفي، ببندقية ذات دقة عالية بعيدة المدى عادة، وعلى هدف بشري لا يتوقع ذلك. في عالم الحرب، يمثّل القنّاص الضربة الجراحية الأخيرة - يسبب ضرراً كبيراً، بمعيار إزالة التهديد وإلهاء العدو، دون أن يتعرض بالمقابل لضرر كبير، يضطر للاشتباك مع العدو، أو ينكشف أمامه. وهو مختلف. كان مدرب قنّاصين في الجيش قد شرح مرة لمراسل صحفي من يوناتيد برس العالمية: «في حرب فيتنام، كان الجيش يطلق آلاف الرصاصات لتحقيق إصابة واحدة. كان القنّاصون يطلقون 1.3 رصاصة لتحقيق إصابة».

كانت أهمية القنّاصين قد ازدادت على نحو كبير في العمليات الحربية الحديثة. في العراق وأفغانستان، حيث لا تختبئ القوات المعادية للأمريكيين في الجحور وإنما بين المدنيين، يُطلب إلى الجيش الأمريكي أن يخوض معركة فاصلة. هنا في الوطن، مع تهديد الإرهاب لبعض من أكثر المدن ازدحاماً بالسكان، ينبغي أن تكون القوات المسلحة الأمريكية أكثر استعداداً لمواجهة التهديدات دون تعريض المدنيين للخطر. يُقال: إن كلية قنّاصي الجيش الأمريكي (نعم، لكل فرع من القوات المسلحة مكان للتدريب على عمليات القنص) تخطط لزيادة عدد المتدربين سنوياً ثلاثة أضعاف. بينما يصبح القتال في العراق أكثر شراسة، يتم التفكير أيضاً في تشكيل فصائل من القنّاصين.

أخبر جاك كوغلن، مؤلف الرامي: السيرة الذاتية لأفضل قنّاصي المارينز، أخبار صباح دالاس في سنة 2005 أن من يطمح لأن يصبح قنّاصاً هو «عادة فتى الريف، الفتى الذي يترعرع في تلال تينيسي أو تكساس أو شيئاً من هذا القبيل، والذي ينشأ على حب

الصيد». بالتأكيد، سيكون الصيد مفيداً. لكن في استطلاع كاليفورنية الذي أجراه بندكسين، كان كل الذين يطمحون لأن يصبحوا قنّاصين سوداً أو لاتينيين من سكان المدينة. هذه فئة جديدة بالكامل من الرماة ساكني المدن. (على الرغم من أن شيئاً واحداً لم يتغير - كان كل من يطمح بأن يصبح قنّاصاً صبياً).

ولماذا هذا الاهتمام الشديد؟ جزء من ذلك، دون شك، هو زيادة الاحترام للجيش وأجهزة تطبيق القانون في أمريكة. من مستوى منخفض في أثناء حرب فيتنام وبعدها، أصبح الأمريكيون يعدّون القوات المسلحة إحدى أكثر مؤسساتنا ثقة واحتراماً. في آذار 2007، حتى مع اعتبار 4 من كل 10 أمريكيين أن إرسال قوات إلى العراق قرار صحيح، إلا أن نسبة 84 % كانت تنظر بعين الرضا إلى الجنود الذين يقاتلون هناك (تغيير كبير عما كان الأمريكيون يعتقدونه عن الجنود في حرب غير شعبية أخرى، فيتنام).

في ضوء هذه الوطنية الجديدة، يمكن للرغبة في أن يصبح المرء قنّاصاً أن تكون وطنية أيضاً. وهؤلاء ليسوا أوفياء فقط - إنهم قلة، وباردو الأعصاب، ويقومون بعمل خاص. حتى يصبح قنّاصاً، لا ينبغي على جندي المشاة أن يكون شجاعاً فقط، وإنما صبوراً، يسيطر على أعصابه، وذكياً بما يكفي لإتقان صيغ رياضية معقدة مثل كيف تؤثر المسافة أو الريح على مسار الرصاصة. القنّاصون هم نخبة النخبة.

لكن يختلف هذا بالتأكيد عن الدور الذي يظن الأمريكيون عادة أنهم يؤدونه في الحرب - سواء كنت جون ماكين أو جون ف. كينيدي، القتال يعني الوجود على الخط الأمامي، واستعراض شجاعتك مباشرة أمام العدو الذي تستطيع رؤيته ويمكنه رؤيتك. اليوم، اختلف مفهوم أن تكون جندياً على الخط الأمامي، عندما يمكنك إلحاق المزيد من الضرر بالعدو والبقاء بأمان خلف الكواليس.

كان الجنرال جورج س. باتون قلقاً جداً بشأن جنوده على الخطوط الأمامية وذكّرهم بأن ما من جندي فاز بحرب البتة بالموت من أجل بلاده، وأنه يفوز بها بجعل جنود الطرف الآخر يموتون من أجل بلدهم. إلى حدٍ ما، تمثّل حركة القنّاصين قبولاً لتلك

الفلسفة؛ لأننا نحاول الآن خوض حروب بالتخفيف من الإصابات والمخاطر التي كانت تهدد الجنود في الماضي عندما كان القتل يتم على نطاق واسع. وتمثّل تغيراً في تعريف الشجاعة. لطالما شعر الناس بالاضطراب قليلاً من القنّاصين - هل يعملون وفقاً لقواعد؟ الآن، لا يرى هذا الجيل أنهم يعملون وفقاً لقواعد فقط، وإنما يعدّونهم أذكياء، وأكفياء، ومطلوبين بوصفهم مهنة.

هذا هو أيضاً الجيل الذي ترعرع مع الكثير من ألعاب فيديو الرماية. من عالم الحرب إلى نخبة القنّاصين إلى لعبة الجيش الأمريكي جيش أمريكة، الأولاد اليوم مرتاحون بتقفّي أثر العدو والقضاء عليه، على الشاشة على الأقل. ربما تكون تلك الألعاب مسؤولة عن الاهتمام المتجدد بالانضمام إلى القوات المسلحة، والجيش يدرك ذلك - ربما تكون تلك الألعاب قد أفادت بوصفها نوعاً من التدريب المبكر لجنود المستقبل في جيش معاصر.

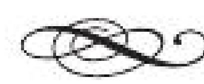
أخيراً، يتعلق ظهور الأهمية الإحصائية لفتيان يطمحون لأن يصبحوا قنّاصين بثقافة ما بعد 9/11 في أمريكة. أكثر مما كانت عليه الحال قبل عقود، أضحى الشبان اليوم مستعدين للقضاء على الأشرار. قبل 9/11، كان كثير من الناس في هذا البلد سيدعون ذلك النوع من المواقف «بدائية»، أو «ساذجة»، أو على الأقل «غير حسّاسة». لكن منذ 11 أيلول، وجد عددٌ متزايد منا أن فكرة وجود قنّاصين ماهرين لا يكلون ولا يملون إلى جانبنا تبعث على الاطمئنان. يمثل الشرطة، ورجال الإطفاء وعمال الإغاثة الآن أبطالنا بطرق لم تكن ظاهرة قبل عقود. ما تكلفة رصاصة عيار 1.3 من موقع غير ظاهر للعيان، وشرير على الأرض، عندما تعني استتباب الأمن في نفق قطار أو بناء أو مدينة مليئة بالأمريكيين؟ هذا ثمن بخس.

وإذا فكرت في الأمر، كان «اصطياد البشر» موجوداً تحت السطح في ثقافتنا بعض الوقت. كانت قصة ريتشارد كونيل القصيرة «اللعبة الأكثر خطورة»، التي يلاحق فيها صيادون فريسة بشرية، جزءاً من مناهج المدارس الإعدادية الأمريكية طوال قرون. وقدّمت عشرات الأفلام والعروض التلفازية، من الأخطبوط وجزيرة جيليغان لجيمس بوند إلى آل سمبسون إلى زينا الأميرة المحاربة، اصطياد البشر بطريقة أو بأخرى.

لهذا سواء كنت تعد الأمر مزعجاً أو بطولياً، القنص مادة أساسية. تحتشد عشرات شركات الأسلحة وصانعو معدات الرؤية الليلة لرعاية «أسابيع القنّاصين»، وهي مؤتمرات تستمر عدة أيام يجتمع فيها أفراد من الجيش وأجهزة تطبيق القانون من كل أنحاء العالم لتلقي محاضرات، ورؤية عروض، وإجراء تدريبات ومنافسات. ويجنّد ويدرّب الجيش الأمريكي بكثافة الآن هؤلاء المقاتلين ليخوضوا حروب المستقبل.

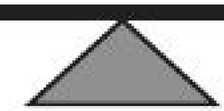
لهذا يستطيع 1 % - من الناس الذين يرغبون بكل تأكيد في أن يصبحوا قنّاصين - تغيير الطريقة التي ندير بها الحروب وتغيير نوع الجيش الذي نحتفظ به. إنها أيضاً رمز للطريقة التي يرغب الناس في هذا البلد توجيه ضرباتهم بها - التسلل خفية، والابتعاد عن الأماكن المكشوفة.

اسأل أي شخص في السياسة وسيوافقون - إنهم يواجهون «قنّاصين» كل يوم يحاولون العثور على زلّة، أو غلطة لعرضها على موقعي درودج Drudge أو يوتيوب YouTube. لم يكن هناك مثل هذا الانتقاد السياسي كما هو الأمر اليوم، ولذلك السبب وحده، ربما ليس مفاجئاً أن العديد من الشبان معجبون بالقنّاصين - سواء على الإنترنت، أو في السياسة، أو في الشرطة أو الجيش.

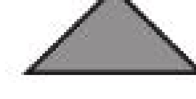


فصل 8

الطعام، والشراب، والحمية



أولاد نباتيون



في سابق العصر، كان عشاء العائلة الأمريكية التقليدي يتكون من اللحم والبطاطا. الأم تطهو والأب يبتهل، ويخشع لحظات. يقوم الأطفال بتناول كل ما في أطباقهم أو لا يحصلون على التحلية. يحصل فيدو (الكلب) على فتات الطعام.

هذه الأيام، ربما يكون الأب هو من يطهو، أو تكون الأم قد طلبت الطعام من الخارج. ربما يكون الأطفال قد توقفوا بالكاد عن ألعابهم الإلكترونية للجلوس إلى الطاولة. ربما يكون فيدو يرتدي مئزراً ويجلس على كرسي في غرفة الطعام. لكن من بين كل التغييرات التي طالت طاولة العشاء الأمريكية منذ الخمسينيات، ربما يكون أكثرها وضوحاً أن أطباق الأطفال لم تعد تحتوي لحماً.

نحو 1.5 مليون طفل في الولايات المتحدة تتراوح أعمارهم بين 8-18 نباتيون، ارتفاعاً من صفر عملياً قبل خمسين سنة مضت. ذلك المليون ونصف المليون طفل لا يتناولون البتة اللحم والدجاج والسمك. لا يتناول قرابة 3 ملايين آخرون اللحم فقط، ويبتعد 3 ملايين آخرون عن تناول الدجاج وحده. ثم هناك أيضاً عدد قليل من الأشخاص الذين يتناولون السمك فقط، ونباتيون يبتعدون عن كل الأطعمة ذات المنشأ الحيواني بما في ذلك البيض والحليب والجبن وأحياناً العسل. العديد منهم لا يرتدي الجلد.

بعض هؤلاء الأطفال نباتيون بتشجيع من آبائهم النباتيين - لكن أكثر فأكثر، يرفض الشبان الطعام الذي يحتوي لحماً من تلقاء أنفسهم. خاصة الفتيات. تقول نسبة كبيرة تبلغ 11% من الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين 13-15: إنهن لا يأكلن اللحم. على الرغم من أن «أطفال نباتيون» ينتشرون على امتداد البلاد، إلا أن الغرب الأوسط يتقدم على باقي البلاد بفارق 8% - لا بد أن ذلك مخيب لآمال كبرى شركات صناعة اللحوم في شيكاغو، ومدينة كانساس، وفورت ورث.

لماذا النباتي ظاهرة منتشرة؟ ألم تكن السبانغ من حظي بكل الأنباء السيئة في سنة 2006؟

جزء من السبب في ازدياد أعداد: «أطفال نباتيون» هو ارتفاع نسبة النباتيين بوجه عام، وتوافر بدائل كثيرة عن اللحم، ناهيك عن ذكر زيادة القبول الاجتماعي لذلك. هناك الآن نحو 11 مليون نباتي في الولايات المتحدة - ثلثهم إلى نصفهم لا يأكلون سوى الخضراوات فقط ارتفاعاً من 5 % في بداية التسعينيات. حتى بيرغر كنغ Burger King، من بين كل الأماكن، يقدّم فطائر نباتية. هذه الأيام، يستطيع الأطفال النباتيون تناول ما يحلو لهم بسهولة أكبر من شبان أجيال سابقة.

عامل آخر أسهم في ارتفاع أعداد: «أطفال نباتيون» هو ازدياد تساهل الآباء بوجه عام - والتركيز على أهمية الفرد، عند كل عمر، التي ترافق عملياً كل نزعة في هذا الكتاب. ربما كان طفل في الخمسينيات يخبر والديه أنه لا يرغب في تناول اللحم يستمع إلى محاضرة عن التغذية، والامتثال للأوامر، ثم يتم تهديده بحرمانه من العشاء. هذه الأيام، سيتم الاحتفال باستقلاليته وربما حساسيته تجاه الحيوانات أيضاً. بالفعل، حقيقة أن الأطفال يصبحون نباتيين من تلقاء أنفسهم لا تتعلق بشيء محسوس، أو حتى تساهل الآباء، وإنما بالتدفق الكبير المستمر للمعلومات التي يتلقاها الأطفال اليوم بشأن البيئة. بالتأكيد، كان لدينا «يوم الأرض» منذ سنة 1970، وكان كل حي عشت فيه ينظم أيام «تنظيف الحدائق». لكن ابنتي التي تبلغ من العمر 4 سنوات تعود إلى المنزل بعد المدرسة تغني «إعادة التصنيع، إعادة التصنيع» لفرير جاك. تكبر مع إحساس جديد شامل عما هو مقبول سياسياً - ويمكن للأطفال أن يرفعوا أصواتهم عالياً ودونما حرج ضمن أسرهم. لست مدخناً، لكن كل من يدخن يستمع إلى سيل من الانتقادات من أطفاله. لا أجرؤ حتى على وضع علب معدنية أو صحف في سلة نفايات عادية، وإلا سينظرون إلي منتقدين. ولا تُبلي صناعة اللحوم حسناً في المدارس، أيضاً. صيد الأسماك، والحيوانات، وتربية الدجاج ليست ضمن الموضوعات المفضّلة في المدارس.

في الواقع، إذا فكرت في الأمر، فالجدير في الملاحظة حقاً هو أن المزيد والمزيد من الأطفال يصبحون نباتيين — لكن الأطفال اليوم يقضون وقتاً مع الحيوانات أكبر من

ذي قبل. هل قضيت أي وقت أخيراً في قراءة كتب أطفال؟ بالكاد يوجد إنسان فيها. ولا أتكلم فقط عن الدببة الثلاثة والخنازير الصغيرة الثلاثة، بالرغم من أنها تشكل بداية جيدة. من الدببة، والقطط، والديدان في كتب ريتشارد سكاري إلى جورج الفضولي القرد إلى عائلة الخنازير في أوليفيا، ليس هناك عملياً أي شيء يحبه الأطفال وليس حيواناً. والتلفاز والأفلام ليست أفضل حالاً. من حيوانات أليفة مدهشة سنة 2006 لنيك الابن إلى فيلم السنة المميز أقدام سعيدة (مع البطاريق التي تغني)، كيف يمكن، بصراحة، حث الأطفال -حتى من قبل أكثر الوالدين اعتناءً بالتغذية- على تناول لحوم الحيوانات؟

يا للأسف! لا يمكن ذلك. ويقول خبراء التغذية على نحو متزايد: إن الحمية النباتية قد تكون جيدة للصغار، إذا لم تكن أفضل لهم. لهذا تستعد المدارس، والعائلات، وكل أنواع المطاعم لتقديم وجبات نباتية، وستتحسن النوعية والتشكيلة باطراد. كانت السَّلطات قد أصبحت الأطعمة الأسرع نمواً. لا تتفاجأ إذا كانت وجبة الطعام السريع القادمة هي تلك المشتقة من فول الصويا، وربما بعض الكرنب، أو قرنبيط كاجون (منطقة في لويزيانا). كانت الصناعة قد عملت كثيراً على تحضير أشكال مختلفة من الدجاج، لكن ينبغي عليها بذل جهد أكبر في حين يمكن فعله بالكوسا المقلية. إلى جانب السَّلطات، يبدو أن الصناعة تركز على متلازمة اللحوم والبطاطا، وتعتقد أن الأطفال لن يتناولوا الخضراوات إلا مرغمين. إنهم يخطئون في فهم النزعة - يحب كثير من الأطفال الآن الأطعمة التي يتم تحضيرها من الخضراوات فقط.

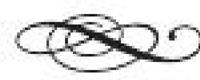
صناعة اللحوم قلقة للغاية مما يحدث، وقد أطلقت سنة 2003 هجوماً مضاداً. مستهدفاً الفتيات المراهقات اللواتي يقدن تلك النزعة، أطلق «مجلس لحوم البقر الطبيعية» حملة تحث على تناول اللحوم تحت عنوان رئيس هو: «الفتيات الحقيقيات يتناولن لحم البقر». في حال انتقلت نزعة: «أطفال نباتيون» إلى الراشدين، سيصبح مستقبل الصناعة في خطر.

قد يعني هذا أمريكة أكثر صحة، أيضاً. كانت إصابة الرجال النباتيين بأمراض القلب أقل بنسبة 37 % من الرجال غير النباتيين -ونسبة إصابة النباتيين من كلا الجنسين

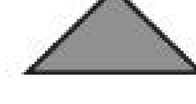
باضطرابات عقلية نصف ما هي عليه بالنسبة لغير النباتيين- حتى عندما تكون المتغيرات الأخرى في نمط المعيشة نفسها.

بالطبع، يمكن أن تكون الخضراوات خطيرة، أيضاً، كما رأينا في كارثة شطائر الذرة المقلية سنة 2006. نظراً لعدم وجود «مرحلة قتل» في إعداد الخضراوات -بخلاف إعداد اللحوم- ينبغي أن يبقى المنتجون، والوالدان، والأطفال النباتيون على حدٍ سواء حذرين في أنماط حياتهم الصحية. حتى الآن، لم يكن هناك حماس كبير لتعريض الطعام للإشعاعات، بالرغم من أنها طريقة مؤكدة لزيادة مدة تخزين المنتج والقضاء على الأمراض في الخضراوات. لكن بمواجهة مليارات الأنواع الجديدة من الخضراوات، ربما تلجأ الصناعة إلى تعريض المنتج للإشعاع بوصفه الطريقة الوحيدة لتقديم السبانخ والنوم في الليل.

ستكون المعركة للظفر ببطون أطفالنا حامية الوطيس. سيشترك فيها مربو الدواجن والمزارعون. وقد تكون هناك ردة فعل من الأطفال عندما يصبحون مراهقين، ويعدّون أنه قد تم حرمانهم من الاستمتاع باللحوم، ويعودون لتناولها بأعداد قياسية. لكن على الأرجح، ستستمر هذه النزعة، وسيرفض المزيد من الأطفال، وخاصة الفتيات، ثقافة أكل اللحوم، وسيترافق ذلك برغبة في اتباع نظام غذائي معين يناسب النباتيين. مع الأخذ في الحسبان التحول نحو الكحول الإيثلي والطلب المتزايد على الذرة والسيلولوز، لا تتفاجأ إن أصبح فول الصويا استثماراً رائعاً في السنوات القادمة.



عبء ثقيل



يعرف الجميع أن نسبة البدانة في أمريكة تزداد. في بداية الستينيات، كان معدل وزن الرجل 75 كيلوغراماً، ومعدل وزن المرأة 63 كيلوغراماً. معدل وزن الرجل الآن 86 كيلوغراماً، في حين يصل معدل وزن المرأة إلى ما يقارب ما كان سابقاً معدل وزن الرجل - 74.

في العقدين الأخيرين، كان عدد الأمريكيين الذين يعدون «بدينين» -أثقل بأربعة عشر كيلوغراماً أو أكثر من المعدل- قد تضاعف. ربما يكون أكثر بلاغة أن عدد الأشخاص الذين يعدون «بدينين على نحو مرضي» - لديهم 45 كيلوغراماً إضافية أو أكثر – قد تضاعف أربع مرات. اليوم في أمريكة، هناك ما يُقدّر بنحو 9 ملايين شخص بدين. ذلك أكثر من ضعف عدد الأمريكيين الذين يعانون من الزهايمر. إنه أكبر من سكان كارولينا الشمالية أو نيوجرسي. إنه عبء مذهل ينبغي حمله.

بالطبع، كنا قد سمعنا جميعاً أن بطوننا الضعيفة تغير الحياة الأمريكية. كان على صناعة الرعاية الصحية أن تقدم سيارات إسعاف أضخم، وكراسي مدولبة أكبر، وآلات تصوير شعاعية أعرض، وإبراً أطول. كان على خدمة النقل العام أن تتأقلم مع الوضع مع توسيع سلطة النقل في شيكاغو رسمياً لمقاعد حافلاتها، وقيام شركات الطيران بحجز مقعدين لبعض الأشخاص. تكثر الابتكارات التجارية، مثل قيام صانعي السيارات بتجربة مقاعد دوّارة مما يسهّل على البدينين الدخول والخروج من المركبة – وتوابيت أعرض بمقدار الثلثين.

بالتأكيد، تواجه بعض الصناعات ازدهاراً كبيراً. بينما تحاول بعض المتاجر المخصصة للنساء صغار القد إغلاق أبوابها، تقوم شركة لين بريانت **Lane Bryant**، الرائدة في

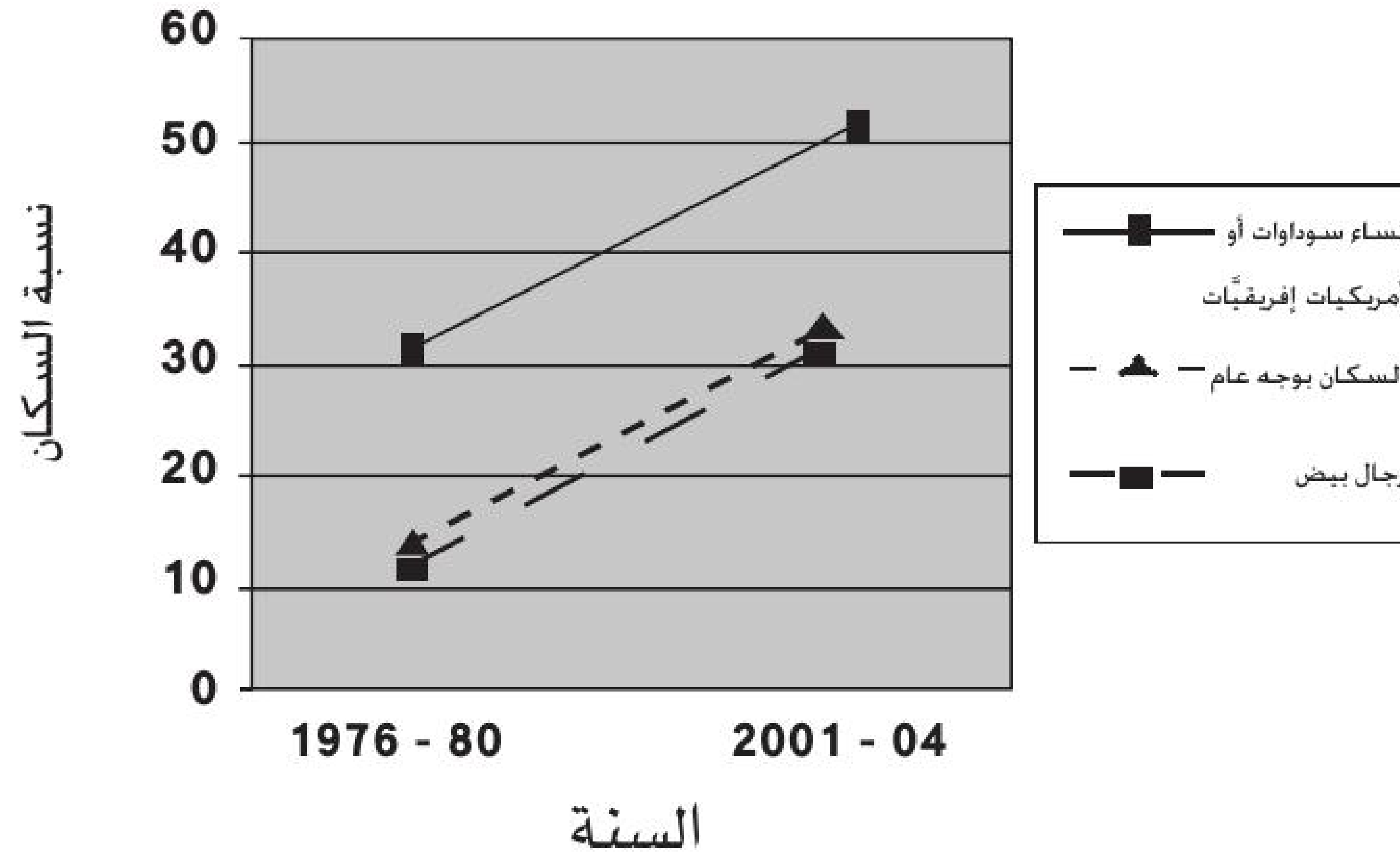
صناعة «ملابس كبيرة الحجم»، بافتتاح مئات المتاجر الجديدة. صناعة الطعام تزدهر، وسلاسل الوجبات السريعة خاصة. وكذلك، إلى درجة أقل، صناعة تخفيف الوزن. (بالرغم من أنه ليس واضحاً إن كانت كل من هذه الصناعات قد قامت بما ينبغي عليها. يوجد في ألاباما، الولاية مع واحدة من أعلى نسب البدانة في البلاد، 100 منفذ لبيع منتجات كنتاكي، ومتجر واحد لسلسلة جيني كريغز Jenny Craigs. يوجد في ولاية كنتاكي أيضاً ما يزيد عن 100 متجر كنتاكي، لكن أربعة متاجر جيني كريغز. هل يعرفون شيئاً لا نعرفه، أم أنهم لا ينتبهون لما يجري؟).

حتى السياسة العامة تدخلت في موضوع البدانة – كما ينبغي لها؛ لأن وزننا الزائد يكلف نحو 120 مليار دولار كل سنة. أضافت إدارة النقل الاتحادية أخيراً 4.5 كيلوغرامات لمعدل وزن كل راكب في احتساب حمولات شحن الطائرات. أعلنت إدارة الرعاية الصحية أنها ستتعامل مع البدانة بوصفها مرضاً، وهذا يعني تغطية تكاليف المزيد من جراحات التخفيف من الوزن. في سنة 2004، أطلقت إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية «خطة عمل لمواجهة مشكلة البدانة في البلاد»، وأعلنت أنها ستزيد عدد السعرات الحرارية في لصاقات الطعام، وتنشر المعلومات الخاصة بالتغذية في المطاعم، وتوفر أدوية أفضل للبدانة.

لكن مع كل هذا الاهتمام العام، لا يبدو أن أحداً يركز فعلاً على حقيقة أن البدانة المرضية ليست منتشرة على نحو متوازن، من ناحية ديمغرافية. بالرغم من أننا عموماً نصبح أكثر بدانة، إلا أن عبء البدانة المرضية يقع على نحو غير متوازن على عاتق مجموعة واحدة من الأمريكيين: النساء السوداوات. وفقاً لدراسة نُشرت سنة 2002 في صحيفة نقابة الأطباء الأمريكية، احتمال أن تصاب النساء عموماً ببدانة مرضية أكبر مرتين من احتمال إصابة الرجال بها، لكن تُصاب بها 1 من كل 6 نساء سوداوات بدينات - تقريباً أكبر بثلاثة أضعاف من معدل أي مجموعة فرعية أخرى من النساء أو الرجال. في الواقع، بالرغم من كل الكلام عن ازدياد البدانة، إلا أن سكان الولايات المتحدة عامة يختبرون الآن معدلات كانت النساء السوداوات قد اختبرنها قبل ثلاثين سنة، وقد ارتفعت معدلات البدانة لدى النساء السوداوات منذ ذلك الحين بمعدل الضعف تقريباً.

معدلات البدانة بين سكان أمريكيين محددين،

تتراوح أعمارهم بين 20-47، أواخر السبعينيات - أوائل الألفية الثالثة



المصدر: وزارة الصحة الأمريكية، 2006 .

إذا فكرت في الأمر، فسترى أن ذلك متغلغل في الثقافة الشعبية. ناقشت أوبرا وينفري، أشهر امرأة سوداء في أمريكة، بانتظام وعلانية التحديات التي واجهتها لتخفيف وزنها. (هل فعلت ذلك إيلين، أو كيتي؟). كانت إحدى أشهر فرق الرقص في الثمانينيات تدعى «طنّين من المتعة» - امرأتان سوداوان كان عملهما الأشهر بعنوان «إنها تمطر رجالاً» الذي تم تقديمه مراراً وتكراراً بنجاح طوال عقدين. والرجال، كما يبدو، لا يكتفون البتة. كان إيدي مورفي قد أسّس لنفسه مهنة ناجحة من أداء أدوار نساء سوداوات بدينات - من أفلام الأستاذ المختل إلى نوربيت Norbit سنة 2007، كان مورفي قد نسج حبكات كاملة على ما هو أكثر من المرح الواضح لحقيقة وجود مثل تلك النساء البدينات (أدى أدوارهن بنفسه، بالرغم من أنه رجل نحيل). قام مارتن لورنس بشيء مماثل في منزل ماما الكبير، ومنزل ماما الكبير 2. أنتج حتى تايلور بيري، مع فيلمه سنة 2005 مفكرة امرأة سوداء مجنونة، وفيلمه سنة 2006 لم شمل عائلة ماديا، أفلاماً أكثر جدّية لكنها بالرغم من ذلك حفلت بكثير من الرجال الذين ارتدوا ملابس نساء مثل العمّة ماديا البدينة.

لكن في الحياة الحقيقية، إليك ما يعنيه العبء غير المتكافئ. هناك ما يزيد قليلاً عن 18 مليون امرأة سوداء في أمريكة. إذا كانت 1 من كل 6 بدينات على نحو مرضي،

فهذا يعني أكثر من 3 ملايين امرأة سوداء يحملن وزناً إضافياً يقدّر بـ45 كيلوغراماً أو أكثر. وفقاً لدراسة صحيفة نقابة الأطباء الأمريكية سنة 2006، يتركز البدينون على نحو مرضي في الفئة العمرية 50-59، وهذا يعني أن أثقل النساء السوداوات وزناً في أوج نشاط عملهن ورعايتهن للأحفاد. وإليك أسوأ ما في الأمر. وفقاً لدراسة صحيفة نقابة الأطباء الأمريكية أيضاً، التي تابعت هذا الموضوع سبع سنوات، كان خطر موت النساء البدينات على نحو مرضي في منتصف العمر قد تضاعف تقريباً في أثناء مدة الدراسة مقارنة بنساء وزنهن طبيعي. يضع ذلك النساء السوداوات في منتصف العمر ضمن واحدة من أعلى مخاطر الوفيات في البلاد.

هل يمكنك تصوّر شناعة موت نحو 2 مليون امرأة سوداء في منتصف العمر في أمريكا؟ على الرغم من أن النساء السوداوات لا يشكلن سوى نحو 6 % من القوة العاملة في الولايات المتحدة، إلا أنهن يشكلن 7 % من كل العاملين المتعلمين في مجال الخدمات. يشكلن 23 % من صناعة الخدمات في أمريكة بوجه عام.

تربي جدّات سوداوات أو يساعدن في تربية 44 % من الأطفال السود في أمريكة- أكثر من ضعف معدل قيام الجدّات بتربية الأحفاد في أي مجموعة عرقية أخرى في أمريكة.

في سنة 2004، أخذت النساء السوداوات يصوّتن بمعدل 60 % - أعلى بمرتين من معدل تصويت النساء اللاتين، وأقل بقليل من معدل تصويت المرأة البيضاء. والجدّات السوداوات هن حجر الزاوية في كل مجتمع أسود في أمريكة- اسأل فقط أي واعظ، أو معلم، أو شخص ترعرع في إحدى تلك المجتمعات.

يصعب على المرء تفسير السبب الذي يجعل النساء السوداوات يحملن عبئاً أكبر مما يحمله الرجال السود، أو النساء غير السوداوات. وجدت دراسة سنة 2005 عن صحة النساء في مدينة نيويورك أن النساء السوداوات اللواتي يجنين أقل من 25.000 دولار سنوياً أكثر عرضة لزيادة الوزن. اقتبست نيويورك تايمز عن مسؤولي صحة قولهم إن «عدم الحصول على طعام جيد، رخص الوجبات السريعة والسلع المعالجة غير الصحية، إضافة إلى تأثيرات مجتمعية دقيقة، مثل الفرق في قبول صور الجسد بين مجموعات عرقية مختلفة، أسهمت كلها في زيادة البدانة المرضية بين النساء الأقل دخلاً ومن

مجموعات عرقية معينة». والأطعمة الجنوبية التقليدية التي تترعرع كثير من النساء عليها غنية بالدهون، والسعرات الحرارية.

فيما نركز على العديد من التحديات التي تواجه المجتمع الأسود مثل تحسين التعليم وتقديم فرص جديدة للشبان، تبقى هذه المشكلة الواضحة والمهمة إحصائياً دون حل، ومثل نار تحت الرماد، بالرغم من التكلفة البشرية والاجتماعية العالية. لم تأتِ «خطة العمل لمواجهة مشكلة البدانة في البلاد» على ذكر النساء السوداوات إلا لماماً. نقدم غالباً في هذا الكتاب نزعات إحصائية مخفية، إلا أن هذه موثقة جيداً من قبل الباحثين، لكن واضعي السياسات العامة لا يتصدون لها كما ينبغي. لهذا عندما تبدأ أمريكة التصدي لمشكلة البدانة، ينبغي أن تتأكد أن يشمل ذلك الجميع كجزء من هذا الجهد القومي لتحسين صحتنا وعافيتنا.

الصورة الدولية

أمريكة ليست وحيدة في اتساع قياس خصر مواطنيها. كان ازدياد الوزن قد أصبح مشكلة عالمية، حتى إن منظمة الصحة العالمية أطلقت اسماً على ما قد يصبح وباءً قريباً: «البدانة العالمية».

بالتأكيد، يبقى الجوع وسوء التغذية مشكلتين خطيرتين (وربما تقتلان بسرعة أكبر) في معظم بقاع العالم. لكن عند وضع الأرقام في سياقها الصحيح، نجد أن هناك نحو 1 مليار شخص في العالم يعانون من زيادة الوزن، مقارنة بنحو 800 مليون يعانون سوء التغذية.

يزيد عدد الأشخاص «البدينين» في العالم الآن في 300 مليون، ارتفاعاً من 200 مليون سنة 1995. تتوقع منظمة الصحة العالمية أنه في السنوات القليلة المقبلة، ستكون الأمراض المرتبطة بالبدانة مثل الأزمة القلبية، والجلطة، والسكري، وارتفاع ضغط الدم السبب الرئيس للوفاة في العالم.

الجدير بالملاحظة بشأن «البدانة العالمية» أنها لا تؤثر فقط في الدول المتقدمة. في الدول النامية، كما تقول صحيفة نيوانغلاند NewEngland الطبية، يوجد في نحو 60 % من الأسر التي تضم أفراداً تقل أوزانهم عن المعدل فرداً بديناً. بالفعل، ما عدا بلاد جنوب الصحراء الإفريقية، ليس هناك بلد في العالم لم يرتفع فيه مؤشر معدل كتلة البشر (مقياس بدانة أكثر دقة من الوزن) إلى مستويات تُنذر بظهور أمراض عضال.

- المكسيك، مثلاً، ثاني بلد على قائمة البدانة في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية التي تتألف من ثلاثين عضواً - فقط بعد جارتها إلى الشمال. وضمن السكان اللاتين الذين يعيشون على جانبي الحدود بين المكسيك والولايات المتحدة، يعاني 74 % من الرجال و70 % من النساء زيادة في الوزن أو البدانة. السكري الآن هو السبب الأول للوفيات في المكسيك، ارتفاعاً من المركز 35 سنة 1968. ذلك معدل أعلى من أي بلد كبير آخر في العالم.

- في الصين، منذ التسعينيات، كانت نسبة الرجال البدينين قد ارتفعت من 4 إلى 15 %. ارتفعت نسبة النساء البدينات من 10 إلى 20 %. بحلول سنة 2010، سيكون أكثر من نصف السكان المصابين بالسكري في العالم آسيويين.

وعودة إلى الولايات المتحدة، حيث تعاني النساء الأمريكيات-الإفريقيات من بدانة مرضية بمعدلات أعلى من أي مجموعة أخرى؛ لهذا دعونا ننظر إلى إفريقيَّة. معدلات سوء التغذية هناك أعلى من أي مكان آخر في العالم، لكن:

- تعاني أكثر من ثلث النساء الإفريقيات، وربع الرجال الأفارقة، زيادةً في الوزن، وتتوقع منظمة الصحة العالمية أن تلك الأرقام سترتفع إلى 41 و30 %، على الترتيب، في السنوات العشر القادمة.

- في جنوب إفريقيَّة، تعاني 56 % من النساء البدانة أو زيادة في الوزن، مقارنة بأكثر من 10 % بقليل من الذين تقل أوزانهم عن المعدل.

- في الكاميرون، وغامبية، ونيجيرية، يعاني نحو 35 % من السكان البدانة أو زيادة في الوزن.

بالتأكيد، لا يزال معدل الإصابة بمرض السكري عند نسبة 2 % في إفريقية، مقارنة بنحو 8 % في أوروبة وأمريكة الشمالية - لكن إفريقية ليست مؤهلة لتشخيصه باكراً أو معالجته بفاعلية. لهذا فيما قد يبدو السكري مرض «الإنسان الثري» الذي يحصل على تغذية جيدة، إلا أن تأثيراته قد تكون أسوأ إذا أصاب الفقراء.

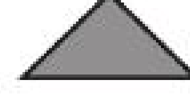
ما سبب انتشار البدانة على نحو كبير عالمياً؟ يقول الخبراء: إن الأمر كله يتعلق بتغيير أنماط الغذاء من تناول الخضراوات والحبوب إلى أطعمة معالجة ومشبعة بالدهون. عبر العالم، الطعام أرخص مما كان عليه من قبل، وخاصة الأطعمة المليئة بالسعرات الحرارية. وجباتنا وشطائرنا أكثر إشباعاً بالسكر والزيت الآن. يشرب المكسيكيون -ثاني بلد على قائمة البدانة في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، كما تذكر- كميات من الكولا مساوية لما يشربونه من الحليب.

وفيما كان الناس يمشون ويركبون دراجات هوائية، أضحت السيارات، أو على الأقل السكوتر، الآن متوافرة على نطاق واسع. كان السكن في المدن، والتلفاز، وأنماط العيش بخمول قد حولت الجميع إلى كسالى.

المفارقة أن البدانة علامة على الرخاء: الطعام رخيص، ويمكن لمعظم سكان العالم الحصول عليه. لكن عندما يكون في معظمه خالياً من السعرات الحرارية -يترافق ذلك مع انخفاض مستويات العمل اليدوي والتمرينات الرياضية- يتحول إلى خصور نحيلة، مع كل المشكلات التي تنجم عن ذلك.



التضور جوعاً لإطالة أمد الحياة



كما كنا قد ناقشنا للتو، أمريكة بدينة. معدل بدانة الأطفال يرتفع، ومعدل الإصابة بالسكري يرتفع، وعليهم أن يجعلوا مقاعدنا أعرض في الحافلات والطائرات. نعرف ذلك - إنها أزمة قومية.

لكن ربما لأن «أشخاصاً كبار الحجم» يحتشدون أمام ناظرينا، يصبح ممكناً ألا نهتم كثيراً بمجموعة من الأمريكيين الذين يعملون، فعلياً، على خفض أوزانهم - ليس بسبب الرغبة، أو المرض، أو الاحتجاج السياسي، وإنما في مسعى متعمد لإطالة أمد الحياة.

هؤلاء النحيلون بالآلاف ليسوا ممن يفتقد الشهية إلى ما تنتجه الحديقة (على الرغم من أن عدد هؤلاء، للأسف، يزداد). لا يسعون للوصول إلى وزن خاص لأجسادهم، وليسوا بالضرورة ممن لا يحبون الطعام.

ليس هؤلاء الناس من المثابرين على رياضة بناء الأجسام، والذين يتدربون كل يوم ويتباهون بأوزان المراهقين في سنواتهم الذهبية. (يقال: إن الأمريكيين بعمر +55 هم المجموعة الأسرع نمواً من أعضاء المراكز الرياضية).

لا، هؤلاء الذين يتناولون تفاحة على الإفطار، وخسّة على الغداء، ويسعون للعيش قرناً، مجموعة متميزة من الناس الذين يظنون -بناءً على دليل علمي مرموق- أن خفض السعرات الحرارية إلى مستويات التضور جوعاً تقريباً سيطيل حياتهم نحو عشر إلى عشرين سنة.

جنون؟ تم إثبات ذلك مراراً وتكراراً مع ثدييات أخرى. في الثلاثينيات، وجد عالم في مورنيل أن خفض السعرات الحرارية المخصصة للجرذان بنسبة 30 % يطيل حياتها بحدود 40 %، وينجم ذلك عن خفض نسبة الإصابة بالسرطان وأمراض أخرى مرتبطة بالتقدم في العمر. كانت تجارب مشابهة قد أظهرت التأثيرات نفسها لدى الفئران

والهامستر (حيوان من القوارض)والعناكب والديدان والأسماك والذباب والقردة والكلاب. وعندما تناولت كميات أقل، لم تعش تلك الحيوانات حياة أطول فقط - كانت أكثر صحة ونشاطاً حتى النهاية.

جاءت إحدى المؤشرات على أن «الحد من السعرات الحرارية» يعمل بالطريقة نفسها لدى البشر من تجربة «المحيط الحيوي 2» في التسعينيات، عندما قام ثمانية علماء بيولوجيا بحبس أنفسهم داخل حجرة محكمة الإغلاق لسنتين، ليكتشفوا فقط أن النظام البيئي الذي كان يُفترض أنه مستدام، لم ينتج ما يكفي من الطعام لإبقائهم على قيد الحياة. لكن بدلاً من التخلي عن التجربة، حثّهم طبيبهم روي ولفورد -الذي اكتشف بعد خمس عشرة سنة «حمية الحد من السعرات الحرارية»- على العيش عند مستويات الحد الأدنى للبقاء. عندما خرج العلماء من فقاعتهم، قال الأطباء: إن صحتهم أفضل مما كانت عليه عند دخولهم إليها.

ويبدو أن المزيد من الدراسات الحديثة تؤكد ذلك باستمرار. كان علماء قد اكتشفوا أن الناس الذين يتبعون حمية منخفضة السعرات الحرارية يتميزون بانخفاض ضغط الدم، ومستوى الكوليسترول، ودرجة حرارة الجسم (مما قد يؤخر التقدم في العمر أيضاً)، ومستويات انسداد الشرايين.

إليك ما يجذب الناس أيضاً. المجتمع الذي يضم أكبر نسبة ممن تجاوزت أعمارهم مئة عام في العالم - 34 لكل 100.000 نسمة، مقارنة بنحو 10 فقط لكل 100.000 في الولايات المتحدة- هو جزيرة أوكيناوا اليابانية. من الواضح أن سكان أوكيناوا يتمرنون كثيراً، لديهم أطعمة منخفضة السعرات الحرارية، ويتناولون كميات كبيرة من فول الصويا. لكن إضافة إلى ذلك، لديهم فلسفة حمية تدعى هارا هاشي بو، التي تعني «الأكل دون تخمة». بكلمات أخرى، يتناولون 80 % فقط من حد الشبع، أو 1800 سعرة حرارية يومياً - مقارنة بمعدل 2500 أو أكثر في أمريكة.

هل تعني أنني بدلاً من اللجوء إلى الحميات الشائعة -من منخفضة الدهون إلى منخفضة السعرات الحرارية إلى الخبز الأسمر إلى الأناناس ولحم الضأن فقط- ينبغي أن أتناول ... كميات أقل؟ ولن يجعلني ذلك أكثر نحولاً فقط، وإنما سيضيف سنوات أو عقوداً إلى حياتي ...؟

يظن المدافعون عن تخفيف السعرات الحرارية ذلك، ولا يتناول بعضهم أكثر من 1200 سعرة حرارية في اليوم. تتألف وجباتهم (الصغيرة) مما تتوقعه تماماً: فاكهة وخضراوات وجوز، وبذور القمح. وعلى الرغم من أن بعض الخبراء يحذّرون من أن الحد من السعرات الحرارية يسهم في هشاشة العظام أو مشكلات إنجاب، إلا أنه حتى أولئك الذين يشكّون في الادعاءات التي تقول: إن ذلك يطيل الحياة بنسبة 6 أو 7 % يعترفون أنها ربما تفعل ذلك بنسبة 2 %.

لكن هذا يعني عدم تناول الطعام. هل يفعل الناس ذلك حقاً؟ وفقاً لجمعية الحد من السعرات الحرارية التي تتخذ من كارولينا الشمالية مقراً لها، لا يشكل أنصار الحد من السعرات الحرارية لإطالة العمر سوى مجموعة صغيرة لا يتجاوز عددها بضعة آلاف. لكن نحو أربعين عضواً جديداً ينضمون إليهم كل شهر. وفي السنوات القليلة المقبلة، ستزيد أبحاث الحد من السعرات الحرارية المكثّفة التي تجري في معاهد الصحة القومية من الاهتمام بهذه الطريقة، خاصة إذا كانت النتائج جيدة.

يبدو أن الحد من السعرات الحرارية سينتشر في البلاد ليكون أتكنز Atkins، أو شاطئ الجنوب South Beach اللاحق. على الأقل، ظهرت تلك الحميات واحدة تلو الأخرى - ينبغي أن تقلل من أكل البطاطا، لكن يمكنك تناول المزيد من الزبدة. في طريقة الحد من السعرات الحرارية، القواعد هي: عملياً، لا تتناول شيئاً. نظراً لوفرة الطعام في أمريكة، يشبه ذلك إرسال فتى يبلغ من العمر 10 سنوات إلى متجر حلويات والطلب منه عدم تناول سوى حلوى هلامية.

لا، حالياً يشبه أولئك الذين يعملون على الحد من السعرات الحرارية التي يتناولونها مجتمع نخبة سرياً في ييل Yale - مجموعة صغيرة من الناس المقتنعين أن غذاءهم سيكون يوماً ما الصيغة المثالية للنجاح في الحياة. إنهم غارقون في قناعة أن بقيتنا يأكلون أنفسهم وصولاً إلى القبر - بالرغم من أنهم في الوقت نفسه يكافحون لرفض مباهج الطعام غير تلك التي تكفي لإبقائهم على قيد الحياة.

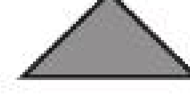
حتى إذا لم يستقطب المنهج البتة أكثر من عشرات آلاف الأنصار، قد تعيد الدعاية الكبيرة بشأنه صياغة الطريقة التي نفكر بها في طعامنا. إذا بدأنا فجأة التفكير في شأن الطعام بمعيار مدة الحياة بدلاً من عرض الخصر، ربما يشكل ذلك تحولاً جدّياً في نموذج الحياة. وربما يكون لذلك تأثيرات مهمة في الحياة المعاصرة. يؤخر الآن المزيد من الناس إنجاب الأولاد إلى ما بعد بلوغهم سن الـ40، وقد يسألون أنفسهم بكل جدّية: هل أحتاج إلى 500 سعرة حرارية إضافية في اليوم، أم أنني أريد العيش لأرى أحفادي؟

بالطبع، لن نتحول بسرعة من أمة تعيش على الوجبات السريعة إلى أمة لا تتناول الطعام. لن تظهر فجأة أقسام «لا طعام» في المطاعم، ولن يتحول جاك بلاك Jack Black وروزين بار Rosenne Barr بين ليلة وضحاها إلى كاليستا فلوكهارت Calista Flockhart وتويغي Twiggy. لكن إذا حوّل عددٌ كافٍ من الناس اهتمامهم نحو الطعام، فربما يؤدي ذلك إلى حدوث تغييرات في ثقافتنا. ربما تبذل المطاعم ومصنّعو الطعام جهوداً أكبر لإخبارنا عن عدد السعرات الحرارية التي نتناولها. ومن الناحية السياسية، ربما لا يطيق الأشخاص الذين يتناولون طعاماً منخفض السعرات الحرارية صبراً مع إسراف بقيتنا. إذا كانوا سيعيشون مدة أطول، فسيرغبون في تخصيص موارد أكثر للضمان الاجتماعي واحتياجات المسنين الأخرى - لن يستفيدوا من الرعاية الصحية التي يتم تقديمها لأشخاص يتناولون 2000 سعرة حرارية أو أكثر في اليوم.

وسيكون الأشخاص الأصحاء الذين لا يتناولون سوى كميات محدودة من السعرات الحرارية يومياً عملاء محتملين لشركات التأمين - ربما تكون حملة التوعية العامة عن ضرورة الحد من السعرات الحرارية لإطالة الحياة مجرد البداية، وقد تعرض شركات التأمين ضعف تعويض الوفاة لمن يصل عمره إلى 100 عام.

تدور الحمية وصورة الجسد في الحلقة نفسها، في ثقافات مختلفة بأوقات مختلفة، وتفضل إما الجسد الممتلئ أو الرشيق. لكن (مع الاستثناء المحتمل لخبراء الضمان الاجتماعي) الرغبة في حياة أطول تذهب باتجاه واحد فقط: صعوداً. إذا كان ممكناً فعلاً إثبات أنه فيما يخص البشر، أيضاً، يعمل خفض السعرات الحرارية على إطالة أمد الحياة، فربما يجعل ذلك الاكتشاف الطعام أقل استهلاكاً للمال.

المولعون بالكافيين



ربما تكون النزعة الأكثر وضوحاً في أمريكة هي الاستهلاك الكبير والمتزايد للمياه المعبأة في قوارير.

في بداية الثمانينيات، كانت فكرة الدفع للحصول على مياه معبأة، بدلاً من الحصول عليها مجاناً تماماً من الصنبور، تدفع للضحك. لكن هذه الأيام، لا ترى أحداً البتة تقريباً -من الرياضيين إلى الموظفين الإداريين إلى مديري الشركات- دون قوارير صغيرة من H_2O (الماء). ابتداءً من سنة 2004، استهلك الأمريكيون أكثر من ثلاثة وعشرين غالوناً (102 لتر) من المياه المعبأة لكل شخص سنوياً - تقريباً عشرة أضعاف كميات المياه التي شربناها سنة 1980. في سنة 2006 وحدها، ازدادت مبيعات داسني Dasani من كوكا-كولا وأكوافينا من بيبسي (كلتاهما، بالمناسبة، تأتي من مياه صنابير محلية) أكثر من 20%، مما وضعهما على قائمة أكثر 10 مشروبات استهلاكاً في الولايات المتحدة.

بإضافة بعض الفيتامينات، والمعادن، والنكهات، و/أو الأقراص الفوّارة إلى مائنا، وستصبح نسبة الاستهلاك أكبر. وفقاً لدراسات عن المستهلكين، يشرب الناس المياه المعبأة لأنهم يظنون أنها أنظف، وأكثر صحة، وأماناً من ماء الصنبور - وإذا أضافت شركات تعبئة المياه شيئاً «مفيداً» لها مثل الفيتامينات أو المعادن، نكون أكثر سعادة. وفقاً لاتحاد تسويق المشروبات، في سنة 2006، ارتفعت مبيعات المشروبات مع «إضافات مفيدة» ضعفين أو ثلاثة مقارنة بمبيعات المشروبات التقليدية.

لكن في حين يسعى بعضنا للحصول على نقاوة المياه المعبأة، إلا أن آخرين كانوا قد ذهبوا في الاتجاه المعاكس، ودفعوا المشروبات الغنية بالكافيين إلى مستويات جديدة من الأرباح. إنها مشروبات بنية وداكنة ومنبّهة ومصنّعة بالكامل التي تختلف كثيراً عن المياه بالطعم والتركيبة والتعبئة. ابتداءً من سنة 2007، كان نحو 6 من كل 10 أمريكيين يشرب

كوباً من القهوة كل يوم، ارتفاعاً من أقل من النصف قبل ثلاث سنوات. يشكل الذين يشربون القهوة في العمل نحو 1 من كل 4، ارتفاعاً من 1 فقط من كل 6 سنة 2003. نمت عائدات ستاربكس Starbucks وحدها من 1.7 مليار دولار سنة 1999 إلى 5.3 مليارات دولار سنة 2005.

يقول القائمون على محال القهوة: إن لديهم عملاء يافعين بأعمار 10 و11 سنة. حتى الكنائس أصبحت تغري الشبان بارتيادها بتقديمها أجواء شبيهة بمحال بيع القهوة – تكتمل مع تقديم القهوة نفسها.

وبالطبع، تحتل المشروبات الغازية قمة لائحة المشروبات المفضلة لدى الأمريكيين – بنسبة مذهلة وصلت إلى 52 غالوناً (231 لتراً) لكل شخص سنوياً. وفقاً لدراسة سنة 2005، المشروبات الغازية الآن هي المصدر الأساسي للسعرات الحرارية في غذاء الأمريكي العادي، وتشكل نحو 1 من كل 10 سعرات حرارية يتم استهلاكها. (في بداية التسعينيات، كان المصدر الرئيس للسعرات الحرارية الخبز الأبيض).

كانت حتى مبيعات الشاي قد تضاعفت أكثر من ثلاث مرات منذ بداية التسعينيات. ويطلق المبتكرون منتجات إفطار جديدة مليئة بالكافيين – مثل «الفطائر المحلاة» و«الكعك الدانمركي» – في حال كان هضم سعرات الإفطار الحرارية وقهوة الصباح في لقمتين صعباً. بالفعل، سيتخلى بعض الناس في أمريكة عن المظهر الاجتماعي، ونكهة القهوة أو الكولا – إذا استطاعوا الحصول على الكافيين مباشرة. حتى الآن، كانت المشروبات الأسرع نمواً سنة 2006 مشروبات الطاقة، مثل ريد بول Red Paul ومونستر Monster. تحتوي علبة الكولا المعدنية النموذجية (بحجم 340 مليلتراً) على 34 ملغراماً من الكافيين. تحتوي ريد بول على 80. روكستار Rockstar 120 ملغراماً. مشروب الطاقة الجديد «سينسورد» Censored – المعروف حتى أيار 2007 باسم كوكاين – 280.

في سنة 2006، ظهر نحو 200 نوع جديد من مشروبات الطاقة على رفوف البيع، ودفعت بالصناعة لتحقيق نمو بلغ 50 % ومبيعات بقرابة 4 مليارات دولار. من منتج مغمور تقريباً قبل سنتين، يحتل ريد بول الآن المرتبة السابعة على قائمة المشروبات التي

تحقق أعلى العائدات، أمام أوشين سبري Ocean Spray وخلف كرافت Kraft تماماً (تصنع كانتري تايم Country Time، كريستال لايت Crystal Light، وكول-إيد Cool-Aid، وكابري صن Capri Sun). من الواضح أن ريد بول هي ثالث أكبر مصدر لأرباح المشروبات في المتاجر عبر الولايات المتحدة.

ولا يظن أحد أن هذه النزعة ستتراجع. في سنة 2007، أطلقت كل من بيبسي وكوكا-كولا مشروبات تضم ثلاثة أضعاف كمية الكافيين الموجود في مشروباتها العادية.

نعم، حتى عندما كنت في الجامعة في السبعينيات، كان الطلاب يتناولون نو-دوز No-Dox للسهر في ليلة الامتحان. لكن نو-دوز لا يحتوي إلا على 100 ملغرام من الكافيين في كل حبة، على الأكثر. ما أهمية حبة تحتوي 100 ملغرام مقارنة بكوكايين (الشراب الذي ورد ذكره آنفاً)، الذي يحتوي ثلاثة أضعاف الكمية الموجودة في ذلك الدواء؟ بالفعل، يدفع الضغط الشديد لتحقيق إنجاز، المترافق مع الافتقار للحصافة وسهولة توافر الكافيين، بالمراهقين والشبان إلى الإفراط في استهلاك المشروبات الغنية بالكافيين. وفقاً لدراسة تم نشرها في تشرين الأول 2006 وكانت قد استمرت ثلاث سنوات عن مرضى خرجوا من مركز سموم شيكاغو، كان معدل عمر المدمنين على الكافيين -العديد منهم بحاجة إلى إدخاله المستشفى أو رعاية مكثّفة لعلاجه- 21 سنة.

لماذا هذا الهوس بالكافيين؟

جزء من ذلك، بالطبع، هو اليقظة 7/24 في الحياة الأمريكية. من تسوق وترفيه على مدار الساعة، إلى زملاء وعملاء من مختلف أنحاء العالم، الحياة في أمريكة اليوم نشاط لا راحة فيه. انخفض معدل نوم الأمريكيين كل ليلة حالياً 25 % عما كان عليه قبل 100 عام، ولهذا إلى حدٍ ما نحاول تعويض ذلك بتناول مشروبات غنية بالكافيين. يشعر طلاب اليوم، خاصة، أنهم يتعرضون لضغوط لتحقيق التفوق أكثر من أجيال سابقة - ومع السهر حتى أوقات متأخرة من الليل، المتاجر التي تعمل 24 ساعة في اليوم، وضعف الإشراف من قبل الوالدين، يصبح المزيد من هؤلاء مولعين بالكافيين.

سبب آخر لانتشار تلك المشروبات هو أن الطاقة موضوع أساسي في الثقافة الأمريكية. بالنسبة لمواطنين يعيشون وقتاً أطول من السابق، نثمّن النشاط، والحيوية، والقوة كما لم يفعل أحد من قبل. عضوية النوادي الرياضية ترتفع بسرعة، ولا سيما بين كبار السن. الجراحة التجميلية -لتجعلنا نبدو أصغر سناً، على الأقل- في ازدياد أيضاً. زاد استعمال الفياغرا، بين سنتي 1998 و2002، أكثر من 200 % بين الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 46 و55 – وأكثر من 300 % بين الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 18–45. هل أداء البشر العادي لم يعد كافياً هذه الأيام؟ يرغب الكثيرون منا في أن يصبحوا في قمة الرشاقة، والقوة مثل الرجل الخارق. وإذا كان ريد بول، أو أي مشروب مشابه، يمكنه تحقيق ذلك لنا -حتى إذا كنا في عمر 12 سنة، أو كان ذلك المشروب الثالث لنا في اليوم نفسه- سنتناوله.

التأثيرات الصحية لنزعة المولعين بالكافيين تدعو للقلق. معروف تماماً أن الكافيين، خاصة إذا تم تناوله بجرعات عالية، يمكن أن يسبب الأرق، والقلق، والصداع، ومشكلات في المعدة، واضطراب خفقان القلب، والبدانة – ولا سيما إذا تناول المرء مشروبات غازية مليئة بالسكر. السعي للحصول على طاقة خارقة، للمفارقة، يمكن أن يزعجنا.

الأمر أسوأ بالنسبة للأطفال، الذين ربما يكونون المجموعة الأسرع نمواً في استهلاك الكافيين. لا يصاب الأطفال الأمريكيون بالبدانة بمعدلات تدعو للقلق فحسب، وإنما يختبر كل طفل يشرب علبة واحدة من المشروبات الغازية التي تحتوي على كافيين التأثيرات نفسها مثل راشد يشرب أربعة فناجين من القهوة. على الرغم من أن التأثيرات الكاملة لمشروبات الطاقة مثل ريد بول لم يتم تحديدها بعد، إلا أن بعض الدول -مثل فرنسة، والنرويج، والدانمرك- حظرتها كلياً بسبب صلات مزعومة لها بحدوث وفيات مفاجئة.

بالطبع، سينهض بعضهم ليدافع عن تأثير الكافيين على الصحة. يمكنه جعل الرياضيين أكثر يقظة، خاصة إذا لم يكونوا ممن يتناوله بانتظام؛ وربما يكون العديد من السائقين الذين شعروا بالنعاس قد بقوا على قيد الحياة بفضل القهوة. كان الكافيين مرتبطاً بانخفاض معدلات الإصابة بالزهايمر والسكري وحصاة المرارة ومرض

باركنسون (الشلل الرعاشي)، وسرطان القولون. يقال أيضاً: إنه يدعم تأثير فيتامينات أخرى أو مواد تساعد على الشفاء (لهذا السبب توجد كميات كبيرة على نحو مدهش من الكافيين في مسكّنات الألم). تقول دراستنا: إن الكافيين يسهم في تنشيط خلايا الدماغ، مما يحسّن من ثم الذاكرة والقدرة على التعلم. تقول دراسة أخرى: إنه يعالج الصلع عند الذكور (بالرغم من أنك تحتاج إلى نحو ستين كوباً في اليوم لإنجاح الأمر، لهذا يعمل العلماء على مراهم يمكن دهنها على فروة الرأس).

يصبح الأمريكيون أكثر شغفاً بتناول المشروبات بوجه عام. لا تعرف كلياتنا الصغيرة المسكينة ما تفعله بكل تلك الإماهة والتجفاف المتزايدة. (منذ سنة 1980، كان معدل استهلاك الأمريكي للمشروبات قد ازداد 30 غالوناً (134 لتراً) سنوياً - كثّف ذلك من الضغط ليس على نظام الصرف الصحي الشخصي، وإنما على الصرف الصحي في البلاد ككل). لكن الأمريكيين لا يستهلكون المزيد من الكحول الذي تراجع منذ سنة 1980. إنهم يبحثون عن نوع مختلف جداً من المشروبات - مشروبات ترفع من معنوياتهم، ولا تلقي بها في الحضيض. في عالم 7/24 اليوم، ينبغي ألا يكون مفاجئاً أن المزيد من الناس يبحثون عن الكافيين. كيف سيتمكنون بخلاف ذلك من البقاء أيقاظاً ساعات أطول، أو القيام بعدة أشياء في الوقت نفسه؟ لهذا احتفظ بالمارتيني (مشروب كحولي) ووزّع مونستر (مشروب غازي) فقد حان الوقت لإنشاء مشارب كافيين، حيث يمكن للأمريكيين الذين يحبون المنبهات أن يتعارفوا ويتكلموا عن اهتمامهم المشترك - البقاء يقظين.

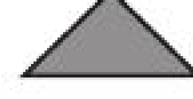


فصل 9

نمط العيش



زيادة الاهتمام



إنها حكمة تقليدية أن مدة اهتمام أمريكة تتقلص. قبل عقدين من الآن، قمنا بتقليص الإعلانات التلفازية من ستين إلى ثلاثين ثانية، ومن الواضح الآن أن المدة «الصحيحة» للإعلان على الإنترنت هي خمس عشرة ثانية. اختصرنا البرامج السياسية الرئاسية إلى لصاقات على مصادم السيارات. قمنا بتسريع المواعدة. عندما نبعث برسائل فورية إلى أصدقائنا، لا يمكننا حتى إزعاج أنفسنا بكتابة الكلمات كاملة.

إلى أي حدٍ يمكن أن تستعمل أمريكة الاختصار؟

لكن - تهمل دقيقة. (نعم، دقيقة كاملة). مقابل كل ثلاثاء مع موري، هناك رواية لتوم ولف. مقابل كل إعلان يتم تقديمه سريعاً في أثناء ثانيتين على شاشة حاسبك، هناك فقرة معلومات لثلاثين دقيقة معدّة بعناية لعرضها على تلفازك - صناعة وصل حجمها إلى أكثر من 90 مليار دولار سنوياً.

بعض الناس يعملون على موجة مختلفة تماماً. من الكتب إلى الأفلام إلى المنتجات إلى الأخبار، يريدون المزيد من العمق، المزيد من المعلومات، إجابات حقيقية عن المزيد من أسئلة الحياة. يريدون الجوهر، وليس الشكل أو الوميض. لهذا في حين يتقن العديد من المسوّقين والسياسيين التواصل الذي يستهدف «أمريكة الاختصار» - يجمعون كلمات رسائلهم في ثوانٍ معدودة يظنون أن جمهورهم سيمنحها لهم - يكون حكيماً أن يهتموا قليلاً بـ«أمريكة الإسهاب»، أو الناس الذين يولون الأشياء اهتماماً أكبر، أيضاً.

كيف نعرف أن أشخاصاً يهتمون أكثر موجودون؟

لننظر إلى الرياضة. يشترك نصف مليون أمريكي في الماراثون، أو سباقات لمسافات 26 ميلاً أو أكثر. يجرب نحو 200.000 شخص سباق الرجل الحديدي القاسي - ماراثون، إضافة إلى 2.4 ميل سباحة إضافة إلى 112 ميل ركوب دراجة. لا يبدو الأمر كمن يفوز

بسهولة بسباق 50 متراً جرياً. يشغل هؤلاء الأشخاص رؤوسهم (وأجسادهم) بشيء مدة أطول مما قد يتوقع المرء. إنهم ينغمسون فيه تماماً.

كانت الغولف، التي تستغرق كل جولة منها أربع ساعات على الأقل وهي لعبة تشغل الرأس والجسد أيضاً، قد نمت في السنوات العشرين الماضية إلى صناعة بـ62 مليار دولار، وتفوقت تماماً على صناعة «الترفيه والمغامرة والاستجمام». كان الاهتمام بلعبة كرة المضرب التي تتطلب حركة سريعة قد تراجع؛ لأن المزيد من الناس يرغبون في أشياء أبطأ، تستغرق المزيد من الوقت، وينشغلون بها مدة أطول، ضائعين في أفكارهم أو رياضتهم.

أو انظر إلى المطالعة. حتى عندما تشغل صفحة الإنترنت العادية نحو ستين ثانية من كل متصفح، كان عدد قرّاء مجلات فيها 13000 كلمة، مقالات مثل شهرية الأطلسي، قد ازداد إلى نحو نصف مليون، أو بمقدار النصف تقريباً منذ سنة 1980. بين سنتي 2002 و2005 وحدهما، زاد توزيع شؤون خارجية - كل الإصدار بكلمات دون صور - 13%.

المتعة الحقيقية في الأحاجي. من الواضح أن نحو 50 مليون أمريكي يهتمون بالكلمات المتقاطعة، وهذا يعني أي شيء من عشر دقائق إلى ثلاث ساعات من الانشغال بالمترادفات، والألفاظ، وتهجئة الكلمات. محبو الكلمات المتقاطعة موجودون خصوصاً على الساحلين الغربي والشرقي، حيث يظن الجميع أن الوقت من ذهب.

وبالطبع هناك سودوكو، لعبة التشويق الكبيرة التي ينبغي عليك فيها ملء مربعات في كل صف أو عمود من تسع خانات، التي يجب أن تضم جميعها أرقاماً من 1 إلى 9. في سنة 2003، لم يكن أحد عملياً قد سمع بسودوكو؛ في حين تملأ اللعبة الآن عدّة رفوف في معظم المكتبات الرئيسة، وتحقق مبيعات عالمية تزيد عن 250 مليون دولار.

سواء كانوا نصف مليون متسابق ماراثون أو قرّاء شهرية الأطلسي، أو 50 مليوناً من محبي الكلمات المتقاطعة، لا يشكل الأمريكيون الذين يهتمون كثيراً بأمر جماعة هامشية. في الواقع، برغم ما تكون قد تعلمته في كلية التسويق، إلا أن زيادة الاهتمام بالأشياء تمثّل حجر الزاوية الآن في أي عمل.

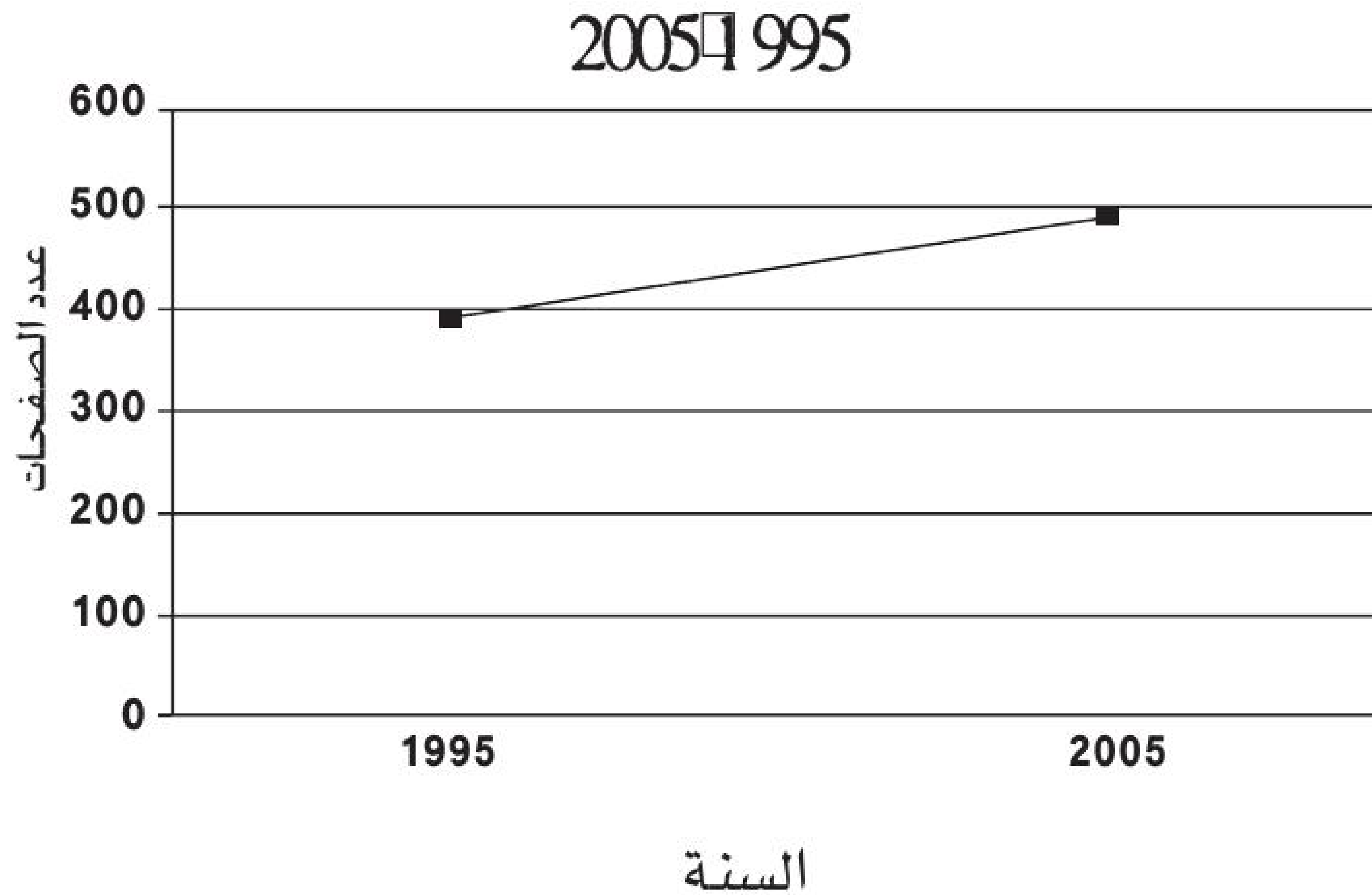
كان الفيلم الذي حقق أعلى إيرادات على الإطلاق في أمريكة هو تيتانك، الذي يمتد أكثر من ثلاث ساعات.

يجعلك 24، المسلسل التلفازي الذي حاز خمس جوائز إيمي Emmy سنة 2006، تتابعه موسماً كاملاً فقط؛ لتعرف ما يحدث في يوم واحد.

أثبتت هاري بوتر، سلسلة الكتب الأشهر على وجه الأرض، أننا لا نحب القصص الطويلة فقط، وإنما ننتظر في طوابير طويلة مثل أفعى اللورد فولدمورت للحصول على الإصدار المقبل. تحقق روايات طويلة، من توماس بينشون إلى جيمس ميشنر، مبيعات هائلة. تحظى مسلسلات روائية، من جون إبدايك John Updike إلى باتريشا كورنويل Patricia Cornwell، باهتمامنا عقوداً في كل مرة.

في الواقع، في سنة 2005، كانت أكثر الكتب مبيعاً في أمريكة، بالمعدل، تضم بين طياتها 100 صفحة أو أكثر مقارنة بما كانت عليه قبل سنوات. وحتى قبل سنة 1995، كانت الكتب الأكثر مبيعاً تتألف مما معدله 385 صفحة ثقيلة!

عدد صفحات الكتب الأكثر مبيعاً



المادة المفضلة لدي هي الخطابات السياسية. سيقول لك كل خبير فصاحة عامة على وجه الأرض: إن البلاغة في الإيجاز. كان «خطاب غيتسبورغ»، كما يقال، (على أمل أن

يجعلك تظن أنهم يظنون أنهم كانوا هناك) مؤلفاً من أقل من 300 كلمة ولم يستغرق من الرئيس لنكولن سوى أقل من ثلاث دقائق لإلقائه. لكن في سنة 1995، ألقى الرئيس كلينتون خطاب حالة اتحاد مؤلف من 9000 كلمة في ست وسبعين دقيقة - وكان واحداً من أطول الخطابات وأكثرها نجاحاً في التاريخ. كل سنة تقريباً، يزيد عدد الأمريكيين الذين يشاهدون خطاب حالة الاتحاد بمقدار الضعف عن الذين يتابعون المباراة النهائية لكأس العالم.

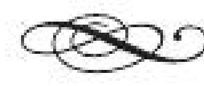
لهذا في حين يحاول العديد من السياسيين باستمرار وضع أفكار كبيرة في بعض الكلمات الصغيرة لعرض ما يرغبون فيه، أتقن الرئيس كلينتون فن القيام بحملات سياسية تعتمد القضايا المطروحة على الساحة. كان يأخذ القضايا والناخبين على محمل الجد، وبدلاً من إلقاء «خطابات دسمة» على مسامعهم (اشتهر بها جون كيري)، كان يشرح القضايا بأسلوب عميق ومفصّل. السيناتور هيلاري كلينتون من هذا النوع من السياسيين، كما كان، مع كل المتاعب الأخرى، ريتشارد نيكسون. لا شك في أن بعض الناخبين يعدون أن خطاباتهم مملة أو سمجة. لكن مرشحين مثل هؤلاء يقدمون عليها بدافع الاحترام الكبير للناس، والاقتناع، كما ذكرت في المقدمة، بما كان ف. و. كي قد قاله قبل خمسين سنة: «الناخبون ليسوا حمقى».

كما ذكرت في المقدمة، كان لكي تأثير كبير على الطريقة التي تعاملت بها مع استطلاعات الرأي والناخبين. درس بمنهجية السباقات الرئاسية في أمريكة وبيّن أن كلاً منها قد حُسم لأسباب وحقيقية، ومنطقية، وواقعية، وليس على أساس من يضع ربطة العنق الأفضل. يشكل تفكيره الأساس للكثير من الأعمال التي أقوم بها - أن الجانب المنطقي من الناس أكثر قوة في العديد من مناحي الحياة من الشجاعة فقط أو الجانب العاطفي. مقابل كل شخص يقرر ما سيفعله بطرفة عين، هناك شخص لا يقرر سوى بعد تفكير منطقي وجدّي. وعادة يكون النوع الأخير من الناخبين من يقرر عموماً نتيجة الانتخابات - الناخبون المتأرجحون الذين يمرون بعملية استنباط أحكام حصيفة، لا أحكام خاطفة.

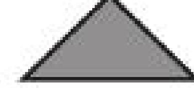
لا ينبغي التقليل من أهمية الأشخاص الذي يهتمون كثيراً بالناحية السياسية - أمريكة نفسها بلد تأسس وفقاً لوثائق فكرية تم التفكير فيها طويلاً وتجسّد أفكاراً قوية نالت نصيباً وافراً من النقاش قبل إقرارها. وفي معظم الدول الأخرى، عندما طبّقت وزملائي النموذج الأمريكي في الإعلان السياسي عن قضايا مختلفة، استطعنا التغلب ببراعة على الأساليب القديمة المتمثّلة في التجمعات وإقامة الحفلات الغنائية.

أخيراً، في عالم التجارة، انظر إلى بعض إعلانات العلامات التجارية «المزعجة» مثل مكانس ديسون Dyson الكهربائية. يبذل الرئيس التنفيذي جهداً كبيراً لشرح آلية عمل المكنسة التي ابتكرها، والتي انتزعت حصة الأغلبية في السوق من منافسيها.

لهذا توخّ الحذر قبل أن تقبل الحكمة التقليدية أن الأمريكيين لا يستطيعون التركيز على شيء، وأننا مشتتو الذهن عن السرد المستمر، وأن المنصب السياسي يذهب دائماً إلى مرشح يتقن الإيجاز في اللغة. في الواقع، سيستمع عدد كبير منا - غالباً صانعو القرار الأكثر اهتماماً - طالما كنت تتكلم، ونقرأ طالما كنت تكتب، وتتبعك طالما كنت مستعداً لشرح قضية ما. يوجز الناس أحياناً كلامهم ليس لأنهم مسوّقون أذكياء، وإنما لأنه ليس لديهم ما يقولونه.



آباء مهمَلون



استغرق الأمر من مسوّقي الوجبات السريعة سنتين -وتنمية بقيمة 200 مليار دولار في قوة شراء الأطفال المباشرة وغير المباشرة- ليدركوا أن التسويق للأطفال طريقة ذكية فعلاً لزيادة المبيعات. لم يكن القصد من شخصية رونالد مكدونالد، كما قد تتذكر، بحذائه الضخم الأحمر ووجه المهرج الأبله، جذب أشخاص يصطحبون عائلاتهم إلى مكدونالد لتناول العشاء.

نجحت تلك الإستراتيجية تماماً حتى منتصف التسعينيات، عندما بدأت الأمهات إيلاء المزيد من الاهتمام لما يأكله أطفالهن. عندها، بالرغم من حجج «وجبات سعيدة»، بدأت الأمهات يفرضن سلطانهن على أطفالهن فيما يتعلق بالوجبات السريعة. (في بريطانية، يدعون مثل تلك الأمهات «المكابح اليدوية الأنثوية» - أمهات لا يسمحن بهيمنة برامج الرياضة على التلفاز في بيوتهن).

تعثرت صناعة الوجبات السريعة، ودرست النزعة، وأعادت تركيز نشاطها على الأمهات هذه المرة - أضافت أطعمة مثل السلطة التي تجعلهن يشعرن بالارتياح عندما يتناولن الطعام مع أولادهن. إذا كان يبدو كثيراً أن حجم الإنفاق الذي يؤثر عليه أطفال يصل إلى 200 مليار دولار، فإن النساء يسيطرن على إنفاق نحو 7 تريليونات دولار.

وصل التركيز على الأم إلى ذروته لدى مكدونالد سنة 2004، مع مبادرة «أمهات مكدونالد» جديدة تعرض كل شيء من نشر معلومات إلكترونية مع موضوعات عن الأمومة، وصحة النساء، والتغذية، إلى مواقع مكدونالد التي تقدم «زوايا خاصة للأم» و«مواقف سيارات للأم». في سنة 2005، لخص مدير إحدى الشركات إستراتيجية أي صناعة ضخمة على أنها ببساطة «تتعلق بالأمهات».

بالفعل، المجموعة الوحيدة التي لا تزال تحظى بذلك المستوى من الاهتمام من مسوّقي الوجبات السريعة هي ما يدعوها محللو الصناعة «شبان جائعون» - ذكور تتراوح أعمارهم بين 18–34، يأكلون أكثر من أي شخص آخر ومعروفون بأنهم يتناولون كل ما يتم وضعه أمامهم. (كان «الحجم الكبير» مخصصاً لهم، وليس للأمهات).

لكن قبل الركون إلى إستراتيجية الشوكتين التي تخص أمهات متلهفات على عجلة من أمرهن وشباناً جائعين، ربما ترغب صناعة الوجبات السريعة في مراقبة النزعات الناشئة مجدداً.

في الواقع، في أحد اجتماعات الشركة أخيراً لمناقشة موضوع «الأمهات»، سألني مديرو مكدونالد عن النزعة الآتية التي ينبغي بهم التفكير فيها. ونظرت حولي إلى عرض إستراتيجية «أمهات مكدونالد»، وقلت: «الآباء».

منذ السبعينيات، كان الآباء يقضون المزيد من الوقت مع أطفالهم. وفقاً لدراسة قامت بها جامعة ميتشيغان سنة 1999، في أواخر السبعينيات، كان الوالد العادي في منزل يوجد فيه الوالدان يقضي زهاء ثلث الوقت الذي تقضيه الأم العادية مع الأطفال. مع بداية التسعينيات، كانت هذه النسبة قد قفزت إلى 43 %. بحلول سنة 1997، قضى الآباء الذين يعيشون في منزل الأسرة 65 % من الوقت الذي تقضيه الأمهات مع أطفالهن في أيام الأسبوع، و87 % منه في العطلات.

كانت نزعتان رئيستان قد أسهمتا في إطالة الوقت الذي يقضيه الأب في المنزل. أولاً، نظراً لخروج المزيد من الأمهات للعمل خارج المنزل، يكن متعبات عندما يعدن إلى البيت ويطلبن من الأب وضع الأطفال في أسرّتهن. يوم السبت، تقول كثير من السيدات ببساطة: «لقد حان دورك». النزعة الثانية هي ارتفاع معدل الطلاق، وهذا يعني أن المزيد والمزيد من الأطفال يقضون وقتاً منتظماً وحصرياً تحت سقف الأب.

هذا وقت تحقيق تفاعل حقيقي بين الأب والطفل، كما يقول الباحثون - هذا يعني تناول الوجبات معاً. لكن أين مبادرة «آباء مكدونالد»؟ من يستهدف المدربين المتطوعين؟

من يحتاج إلى مكان يصطحب إليه الأطفال بعد تمرين يوم السبت؟ من يتابع اللعبة في المطعم، بحيث لا يفقد أحد شيئاً في أثناء قضاء وقت جيد مع الأطفال والتخفيف عن الأم، التي تكون مرهقة من أسبوع عمل بدوام كامل؟

بخلاف السيد ساطور في اترك الأمر لقندس، الذي حظي باحترام كبير، لا يحظى الأب اليوم بأي من ذلك. يبدو الأمر كما لو أن المسوّقين يرون مجتمع اليوم مثل قبيلة في الأمازون، حيث تتخذ النساء كل القرارات ولا يفعل الرجال شيئاً سوى الموافقة عليها.

إذا كنت أباً يربي أولاداً، وربما يصطحبهم إلى اللعب في عطلة نهاية الأسبوع أو بعد المدرسة، فستكون موضع إهمال اليوم من قبل المسوّقين، مخططي السياسات العامة، والسياسيين. في سنة 1996، عندما ساعدت في تحديد «أمهات كرة القدم»، كان ذلك لأن النساء اللواتي لديهن أطفال يافعون يؤدين دوراً فريداً في السياسة، ويشكلن صوتاً متأرجحاً حاسماً. في انتخابات التجديد النصفي سنة 2006، كان الرجال المتزوجون في الواقع من يشكل كتلة الناخبين المتأرجحة. هناك وظائف صناعية اختفت، وظهرت نزعة جديدة هي «آباء المكاتب» لتصبح نموذجاً سائداً – ثقافة أفضل، يعملون في أنواع جديدة من الوظائف، وأكثر انخراطاً في الحياة العائلية. في الواقع، يعتني 4 ملايين أب اليوم بالأطفال، في حين تخرج نساؤهن للعمل وكسب قوت العائلة.

ينجم عن تغيير دور الآباء في العائلات فرص تسويق لم يتم استغلالها حتى الآن. لقي كتاب بيلي جول عن دور الآباء رواجاً كبيراً؛ لأنه كتاب واحد من بين مئات مخصصة للأطفال يركز على الأب. أين كتب أنا وأبي؟ يلقى التجاهل نفسه آباءٌ يشترون ملابس العودة إلى المدارس، أو هدايا العطلات لأطفالهم. (قم بالبحث على الإنترنت عن «آباء يشترون هدايا لأطفالهم»، وكل ما ستجده هو مواقع تساعد الأطفال على شراء الهدايا للآباء).

وسأجرؤ على القول: ماذا عن تسويق المنظّفات؟ أظهرت دراسة قامت بها جامعة كاليفورنيا في ريفيرسايد سنة 2003 أن الأطفال الذين يرتادون المدرسة ويقومون بأعمال

حول المنزل مع آبائهم يجدون سهولة أكبر في التواصل مع أقرانهم وتشكيل صداقات، ويكونون أقل عرضة للمتاعب في المدرسة أو الإصابة بالاكتئاب. ليس ذلك فقط، وإنما وفقاً لأحد أبحاث «مختبر الحب» للدكتور جون غوتمان في جامعة واشنطن، عندما تزداد إسهامات الرجال في الواجبات المنزلية، تجدهن زوجاتهم أكثر جاذبية. (يقول غوتمان: إن الزوجات يعددن إسهامات الرجال في أعمال المنزل علامة على الحب والاهتمام، ولهذا ينجذبن جنسياً إليهم).

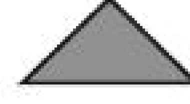
لكن من بين مئات الإعلانات التي يتم بثها سنوياً عن المنظّفات المنزلية، هل تستهدف أي منها الرجال - ناهيك عن الأب؟ عالم الرجل يتغير. يغير رجل عادي حفاضات أكثر، ويحظى بتقدير أقل من ذي قبل. وفي بعض أرجاء العالم، ينظم الآباء احتجاجات عنيفة لضمان زيارة أطفالهم. يقضي الرجال المزيد من الوقت مع الأطفال، لكن لا جادة ماديسون ولا وسائل الإعلام لاحظت ذلك، وتبقى فرص علاقة أنا-و-أبي غير مستغلة.

في السنوات الخمسين الماضية، شهدنا تغييراً كبيراً في قوة النساء في العمل والمنزل؛ لأن أغلبية النساء اليوم يعملن ويؤدين دوراً متزايد الأهمية في كل شيء من الانتخاب إلى شراء السيارة. في الوقت نفسه، في أثناء العقد أو العقدين الماضيين، كنا قد بدأنا أخيراً نرى الرجال يتأقلمون مع الحقائق الجديدة في الحياة — أصبحوا أكثر انخراطاً في العائلة، يتحملون مسؤولية أكبر، ويحاولون الاقتراب من أطفالهم سواء من داخل نواة العائلة أو بعد الطلاق.

ولهذا يحتاج الآباء إلى اهتمام التسويق، أيضاً. أنا أب، اسمعوني أصرخ.



الناطقون باللغة الأم

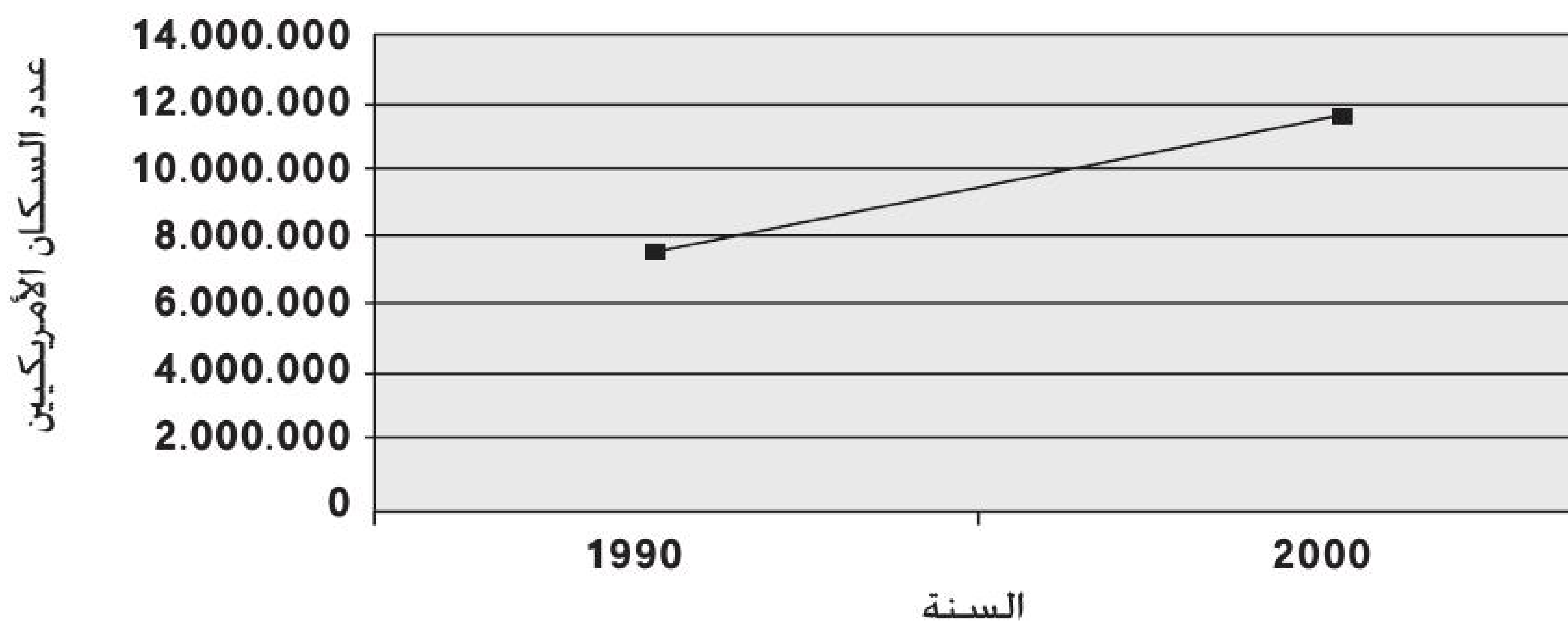


إحدى أشهر الأساطير الدائمة عن أمريكا أنها فرن صهر - مزيج كبير دافئ من كل الإثنيات والثقافات المختلفة التي كانت تفصلنا سابقاً، وتجعل كلاًّ منا الآن أمريكياً متجانساً، مقبولاً إلى حدٍ كبير.

كانت اللغة، بالطبع، المثال الرئيس - في أثناء جيل أو اثنين، يُتوقع من المهاجرين إلى أمريكة التخلي عن لغاتهم الأم الغيلية (الإنكليزية الإسكتلندية)، الصينية، أو الإيطالية لصالح إنكليزية -خالية من الأخطاء أخيراً- بلهجة أمريكية.

لكن المفارقة أنه في حقبة تسود فيها الإنكليزية بوصفها لغة تواصل بين أمم مختلفة، هناك عدد كبير من الناس في أمريكة لا يتقنون الإنكليزية، ويعيشون في أسر لا يتكلم أحد فيها الإنكليزية جيداً. تدعو الإحصائيات الأمريكية تلك الأسر «معزولة لغوياً»، وكان عدد الأشخاص الذين يعيشون فيها قد ارتفع كثيراً في السنوات الأخيرة - أكثر من 50 %، إلى قرابة 12 مليون نسمة.

عدد سكان الولايات المتحدة الذين يعيشون في أسر معزولة لغوياً، 1990-2000



المصدر: الإحصاء العام الرسمي في الولايات المتحدة. 2000 .

يشكل هؤلاء نحو 1 من كل 25 أسرة. يعادل ذلك تقريباً عدد سكان غواتيمالا. العدد الإجمالي في أمريكا اليوم للذين «لا يتكلمون» الإنكليزية البتة أو لا يتقنونها كما يجب قرابة 25 مليون شخص. هؤلاء أكثر من عدد سكان تايوان.

كو باسا – ما السبب؟

بالطبع، أحد أسباب ازدياد أعداد غير الناطقين بالإنكليزية في أمريكة هو الزيادة في أعداد المهاجرين. منذ سنة 1970، كان عدد المهاجرين الذين يعيشون في الولايات المتحدة قد تضاعف أكثر من ثلاث مرات، من نحو 9 ملايين إلى أكثر من 28 مليون شخص. تشكل تلك أعلى مستويات الهجرة منذ بداية القرن العشرين. لهذا ليس مفاجئاً أن نواجه –كما واجهنا سابقاً– ازدياداً في العزلة اللغوية، حتى إذا كان المهاجرون الجدد يتعلمون الإنكليزية بأسرع ما يمكن. (ووفقاً للعديد من الوثائق، يفعلون ذلك. في سنة 2006، كان 1.4 مليون راشد يتلقون دروساً تمولها الحكومة في اللغة الإنكليزية لـ«ناطقين بلغات أخرى»، وكانت هناك قوائم انتظار في أربع عشرة ولاية على الأقل).

لكن العوامل تشير إلى أن أعداد العزلة اللغوية قد لا تنخفض سريعاً. أولاً، الوظائف التي تجذب المهاجرين إلى أمريكة اليوم، بخلاف ما كان سائداً في عقود ماضية، هي تلك التي لا تتطلب مهارات كبيرة ولا يُقبل عليها الأمريكيون، ولهذا يأتي المهاجرون اليوم إلى أمريكة مع تدريب أقل على اللغة، وثقافة أقل، مما كان سائداً في الماضي. قبل سنة 1970، كان أقل من ثلث المهاجرين إلى أمريكة والمولودين في دول أخرى لا يتكلمون الإنكليزية «بفصاحة». في الثمانينيات، ارتفعت تلك النسبة إلى أكثر من 60 %.

ثانياً، يبدو أن أسطورة التحسن الكبير جيلاً بعد آخر لا تصمد الآن. وفقاً للإحصاء الأمريكي العام سنة 2000، تم تصنيف أكثر من ثلثي الأسر بأنها معزولة لغوياً، على الرغم من أن رب الأسرة لم يولد في بلد أجنبي؛ وإنما هنا في أمريكة.

ربما تكون الحقيقة الجديرة بالملاحظة على علاقة بالسبب الثالث، وهو أنه للمرة الأولى في أمريكة، يمكن عملياً التخلي عن التكلم باللغة الإنكليزية. في سابق العصر،

عندما جاء المهاجرون الأمريكيون بمجموعات صغيرة من أراضٍ مختلفة، كانت كل مجموعة تغرق أو تسبح، من الناحية اللغوية. اليوم، هناك أعداد كبيرة بما يكفي من المهاجرين الذين يتكلمون لغة واحدة -الإسبانية- وتبقى إمكانية التواصل بلغتك الأم عالية. يمكن للعمال الذين يتقاضون أجوراً منخفضة عملياً العمل، والتسوق، والمشاركة في أنشطة اجتماعية بالإسبانية، وهناك فرصة جيدة لأن يلتحق أطفالهم بالمدرسة دون أن يتكلموا الإنكليزية جيداً، أيضاً. انظر إلى يونفيجن Univision، وتيليموندو Telemondo، وسي-إن-إن CNN بالإسبانية، وبيبل People بالإسبانية، وستبدو الإنكليزية غير ضرورية البتة.

يمكنك رؤية هذا الموقف إذا دققت البيانات الصادرة بالإنكليزية والإسبانية. صحيح أن اللاتين يُظهرون دعماً شبه عام لتعليم الإنكليزية لأولاد المهاجرين، وأن أغلبية اللاتين على اختلاف دخلهم، وثقافتهم، وانتمائهم السياسي يقولون: إنه ينبغي على المهاجرين أن يتكلموا الإنكليزية ليكونوا جزءاً من المجتمع الأمريكي، إلا أن هناك أقلية كبيرة تنمو باطراد لا توافق على ذلك.

وفقاً لدراسة أعدّها معهد بيو Pew اللاتيني سنة 2006، أكثر من 4 من كل 10 مهاجرين لاتين يقولون: إن المهاجرين لا يحتاجون إلى تكلم الإنكليزية ليكونوا جزءاً من المجتمع الأمريكي. من بين اللاتين المولودين في بلادهم الأصلية، نسبة من يشعرون بذلك أكبر، وتصل إلى 46 %.

المدهش أكثر أيضاً، أنه بين اللاتين الشبان، أقل من النصف يظنون أن المهاجرين بحاجة لتكلم الإنكليزية ليكونوا جزءاً من المجتمع الأمريكي. في حين يقول 69 % من اللاتين كبار السن: إن المهاجرين بحاجة للإنكليزية ليكونوا جزءاً من أمريكة، يرى 48% فقط من اللاتين الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و29 أنهم بحاجة لذلك. قد يكون ممكناً الآن أن الشبان الذين يجيبون عن ذلك السؤال يتخذون موقفاً دفاعياً بشأن آبائهم وأجدادهم الذين لا يتكلمون الإنكليزية، لكنهم قدموا بالرغم من ذلك إسهاماتٍ كبيرة للمجتمع الأمريكي. ربما لا يشيرون إلى ظروفهم عندما يقولون: إن الإنكليزية ليست أمراً

جوهرياً لتكون أمريكياً. لكن بالنظر إلى الأعداد التي قدّمها الإحصاء العام عن مواطنين أمريكيين بالولادة وفي الوقت نفسه أرباب أسر معزولة لغوياً - ربما تكون هذه نزعة ينبغي مراقبتها.

كانت الفكرة القديمة أن الأمريكيين من الجيل الثاني يعملون ملاحين لآبائهم، وينتهزون كل فرص العالم الجديد، لكن ربما تكون هناك مجموعة صغيرة من مهاجري الجيل الثاني اليوم التي تحب أن تبقى متعلقة ببلدها القديم.

ما هي تأثيرات ذلك؟

بعضها كئيب. وفقاً لوزارة التعليم الأمريكية، تقل فرص الأشخاص الذين لا يجيدون الإنكليزية في الحصول على عمل، أو الاستمرار في عمل، ويزيد احتمال عملهم في قطاع لا يرغبون فيه. تعكس كل احتمالات ما يجنونه ذلك. وفقاً لبيانات الإحصاء العام، يزيد احتمال حصول الأسر المعزولة لغوياً على دخل أقل من 25.000 دولار بعشرة أضعاف عن احتمال حصولها على دخل يزيد عن 100.000 دولار.

يمثل الناطقون بغير الإنكليزية أيضاً تحدياً متزايداً للمستشفيات - تفيد تقارير 63% منها أنه يدخل إليها مرضى لا يجيدون الإنكليزية إما يومياً أو أسبوعياً (وبالنسبة لمستشفيات أكبر، تصل النسبة إلى 96 %). بغياب وسيلة منتظمة للترجمة، ينتهي الأمر بالمستشفيات بتقديم رعاية أولية سيئة، والإفراط في اختبارات التشخيص المكلفة وخدمة الإسعاف.

يرى آخرون بطانة فضية - كما هي حقيقة أن سوق الناطقين بالإسبانية تتسع على نحو لم يسبق له مثيل. تتفوق محطات التلفزة الناطقة بالإسبانية على القنوات الناطقة بالإنكليزية في عدة مدن أمريكية رئيسة. انتشرت الإذاعات الناطقة بالإسبانية تماماً في لوس أنجلوس، وميامي، وشيكاغو، ونيويورك منذ عشر سنوات تقريباً - ابتداءً من سنة 2005، تتفوق أيضاً على المحطات الناطقة بالإنكليزية في أسواق أصغر مثل دالاس، وفينكس، وسان دييغو. وتزداد شعبيتها كثيراً في أماكن مثل ديز موينز، وتولزا، وأوماها.

لهذا في حين تبلغ قوة شراء اللاتين في الولايات المتحدة نحو 700 مليار دولار، تترك العديد من الشركات الأمريكية نقاشات الاندماج لعلماء الاجتماع وتعلن بالإسبانية. في بداية الألفية الثالثة، عندما كانت معظم الشركات تخفّض ميزانياتها الإعلانية، كانت العديد منها تحافظ على أو تزيد الإنفاق باللغة الإسبانية.

فيما يخص السياسة، إذا أراد الأمريكيون إغلاق الفجوة اللغوية، ينبغي أن نلتزم تعليم الإنكليزية لكل من يرغب في ذلك. حالياً، تدعم الحكومة دروس اللغة الإنكليزية كيفما اتفق - تنفق تكساس، التي تضم ثالث أعلى نسبة مهاجرين في البلاد، الحد الأدنى المطلوب من الحكومة الاتحادية، في حين تنفق كونيكتيكت، مع معدل المهاجرين المتوسط فيها، سبعة أضعاف ذلك الحد. وإذا تغاضينا عن عدد الصفوف، فسنحتاج على الأرجح لابتكار طرق إبداعية، مرنة لتعليم الإنكليزية؛ لأن العديد من المهاجرين يأتون من خلفيات تعليمية سيئة، يعملون في عدة وظائف، ساعاتٍ طويلة، ويربون أطفالاً.

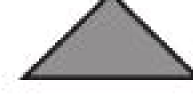
وبمناسبة الحديث عن الأطفال، سنضيّع فرصة كبيرة إذا لم نركز على دعم اللغة للمهاجرين اليافعين؛ لأن القدرة على تعلم لغة أجنبية تتراجع بحدّة بعد سن 12. (يبدو أن رغبة خصوم الهجرة بحرمان أطفال المهاجرين غير الشرعيين من التعليم العام تنطوي على مفارقة بهذا الصدد).

لكن الأكثر أهمية، لنتجاوز أسطورة فرن الصهر. الحقيقة هي أننا مثل برج بابل، نتواصل على نحو جدير بالملاحظة نظراً لحقيقة أن سكان الولايات المتحدة يتكلمون اليوم أكثر من 300 لغة. (ومن يقول: إن ذلك كثير؟ إنه العدد نفسه تقريباً عند تأسيس أمريكة. وعدد السكان قد أصبح الآن أكبر بستين ضعفاً). القصد هو أننا طالما نفهم بعضنا - ولا أحد (ليس حتى الرئيس بوش، الذي انتقد ذلك) يسيئ فهم «راية النجوم اللامعة» التي تم إغناؤها بالإسبانية في مسيرات الهجرة سنة 2006 - سنكون نبلي حسناً.

حيّوا الاختلاف.



حيارى الجنس



منذ ثورة مساواة المرأة بالرجل في السبعينيات، كنا قد رأينا الكثير من الرجال الذين يقيمون بـ«أعمال نساء»، ونساء يقمن بـ «أعمال رجال». كانت أعداد الممرضين الرجال قد تضاعفت منذ بداية الثمانينيات. كذلك الرجال الذين يخدمون في المنازل ابتداءً من سنة 2001. من جانب آخر، هناك ست عشرة امرأة في مجلس الشيوخ الأمريكي ابتداءً من سنة 2007 - أكثر بستة عشر ضعفاً من عددهن سنة 1981. منذ سنة 1972، كان عدد النساء في القوات المسلحة العاملة قد ارتفع من 2 إلى 14%.

إضافة إلى هذا النوع من «دمج الجنسين» في العمل، كنا قد سمعنا أخيراً الكثير أيضاً عن «الجنس الثالث» - رجال أسوياء يشترون ملابسهم (الأنيقة)، ويستعملون الكولونيا، ومراهم العناية بالجلد؛ ويقومون حتى بالعناية بالأظفار، والتشميع، والجراحة التجميلية. وبالطبع، نساء يلعبن اللكروس (لعبة)، يقدن سيارات سباق، ويرفعن أثقالاً على نحو تنافسي.

لكن اليوم في أمريكة، هناك عدد متزايد من الناس الذين لا «يعبرون خط الجنس» فقط عندما يتعلق الأمر بالوظائف والهوايات - إنهم يرفضون وجود الخط نفسه. بالنسبة لهم، نظام التصنيف الجنسي الثنائي اعتباطي، ومحدود، وحتى ظالم. إنه يفشل في تحديد المنطقة الرمادية بين الذكر والأنثى التي يقولون: إنها تصفهم بدقة أكبر، وكل شخص آخر كما يجادلون، أيضاً.

يرغب بعضهم في التخلي عن كلمات مثل «صبي» و«فتاة»، والبدء باستعمال أخرى مثل «صاب» و«فاتة»، وربما «ها» بدلاً من هو وهي، أو «لاه» مكان له أو لها.

أسماء هذه المجموعة تتطور بسرعة مثل الحركة نفسها. حياديو الجنس إحداها، وكذلك «الجنس الثالث»، و«عديمو الجنس». ضمن المجتمع الأسود، هم «خليطو الجنس».

ضمن مجتمع الأمريكيين الأصليين، هم «الروح التوءم» - مجموعة لطالما كانت تحظى باحترام خاص. ربما لا يزال الأسلوب اللاتيني قديم الطراز يعبر ببلاغة عن الظاهرة بكلمات مثل «المخنّث» أو «الخنثى».

التعبير الأكثر تداولاً هو «حيارى الجنس»، الذي يشير إلى أشخاص لا يتناسب جنسهم البيولوجي (الذي ولدوا به) مع هويتهم الجنسية (إحساسهم «الداخلي» بأنهم ذكور أو إناث). يرمز إليهم بالحرف «م» في حين أصبح لصاقة «مزدوجي الجنس»، وينضمون إلى السحاقيات، واللوطيين، والمخنّثين.

تضم مظلة حيارى الجنس:

- متغيري الجنس، الذين قاموا بإجراء عمليات لتغيير جنسهم و/أو يتناولون هرمونات الجنس الآخر.
- «المخنّثين» 1 من كل 4500 طفل يولد مع أعضاء جنسية غير متمايزة. (فاز جيفري يوجينديز بجائزة بوليتزر Pulitzer سنة 2002 عن روايته الجنس الوسيط التي كانت عن أحد هؤلاء الأشخاص).
- أطفالاً تحت عمر 5 سنوات يُظهرون ميلاً فطرياً قوياً لارتداء ملابس الجنس الآخر - ويشكلون حركة كبيرة جديدة في المدارس والمجتمعات.
- أولئك الذين يرفضون ببساطة، لمجموعة من الأسباب الشخصية، والسياسية، و/أو الجمالية، تصنيف الذكر/الأنثى.

لا أحد واثق تماماً كم يبلغ عدد «حيارى الجنس». تقدّر «الجمعية المهنية العالمية لصحة حيارى الجنس» أن 1 من كل 12.000 ذكر، وزهاء 1 من كل 30.000 أنثى حيارى جنس - مما ينعكس إلى زهاء 17.500 شخص في أمريكة.

بالرغم من ذلك، هذه النزعة تزداد. في سنة 2005، أدت نجمة ربات منزل يائسات Desperate Housewives فيليستي هوفمان دور البطولة في الفيلم الذي تم ترشيحه لنيل جائزة الأوسكار عبر أمريكة Transamerica، الذي يقدم رجلاً تحول إلى امرأة،

وعرف أن لديه/لديها ابناً هارباً. في السنة نفسها، أنتجت قناة صن - دانس Sundance عبر الأجيال TransGeneration، وهو برنامج وثائقي كان عنوان إحدى حلقاته «أربعة طلاب جامعيين لا يكتفون بمقرراتهم فقط». في سنة 2006، أصبح «كلهم أبنائي» أول مسلسل أمريكي معاصر يقدّم قصة عن تغيير الجنس - مع إعلان زارف، نجم موسيقا الروك الذي أدى دوره جيفري كارلسون، لصديقته بيانكا أنه في الواقع زو، المرأة التي كان يشعر أنه هي منذ وقت طويل.

لكن بالنسبة لمثل تلك المجموعة الصغيرة، سمة «حيارى الجنس» جديرة بالملاحظة. ارتفاعاً من صفر سنة 1995، هناك الآن أربع وسبعون كلية وجامعة -ضمنها كلية آيفي Ivy، وجامعات عامة، وكليات خاصة بالسود تاريخياً، وكليات مجتمع- تحظر التمييز ليس على أساس الجنس والأصل الجنسي فقط، وإنما على أساس الهوية والتعبير الجنسي أيضاً. يشمل ذلك أكثر من 1 مليون طالب جامعي في أمريكة محميين الآن من أحد أشكال التمييز التي لم يكن أحد، قبل عقد مضى، قد سمع بها أساساً.

كانت أربع عشرة كلية وجامعة - بما فيها ديوك Duke، كلية كاليفورنيا العامة التطبيقية، وتوفتس Tufts، وأنتيوك Antioch - قد غيرت كل أجناس الطلاب الرسمية ليختاروا من بين «ذكر»، «أنثى»، أو «تحديد ذاتي».

في سنة 2006، أعلنت جامعة أريزونا أنها تسمح للطلاب باستعمال غرف التواليت التي تناسب هويتهم الجنسية. طلبت مدرسة لوس أنجلوس الموحدة أن تتم مخاطبة الطلاب بـ«الاسم والضمير الذي يناسب هويتهم الجنسية».

النظرية الأحدث في التعليم هي إسكان الطلاب من الجنسين معاً، والذي ينتج عنه غرف متداخلة. عندما ارتفعت أعداد الطالبات اللواتي يلتحقن بالجامعات في الستينيات والسبعينيات، الشيء الوحيد الذي كان ينبغي التأكد منه هو الحصول على رفيق سكن من الجنس نفسه. لا أكثر. في سنة 2003، كانت جامعة ويسليان Wesleyan أول من يسمح رسمياً بالسكن المختلط؛ ومنذ ذلك الحين، تبعتها براون Brown، وجامعة بنسلفانيا وعدّة جامعات أخرى. هل تذكر ويل وغريس. يمكن الآن لصديقين مقرّبين، رجل شاذ

وامرأة سويّة أن يشتركا في الغرفة نفسها ضمن الحرم الجامعي. (ربما تفكر أن الثنائي السوي سيحاولان البقاء معاً وفقاً لهذه الترتيبات، لكن حتى الآن، لا أحد يفعل ذلك. من الواضح أن التزام السكن في أثناء السنة الدراسية أطول مما يمكن لأي ثنائي أن يحافظ عليه سراً).

كانت قضايا حيارى الجنس قد تجاوزت المدارس والجامعات إلى أماكن العمل وهيئات الولايات التشريعية. كانت أكثر من 100 شركة كبيرة، بما فيها شيفرون-تكساكو، وإرنست ويونغ، وميريل لنش، قد أضافت الهوية الجنسية إلى سياساتها الخاصة بعدم التمييز. حظرت ثماني ولايات، إضافة إلى مجموعة كبيرة من البلديات التي تضم مجتمعة أكثر من 30 % من الأمريكيين، التمييز على أساس الهوية الجنسية. في كانون الأول 2006، أوقفت مدينة نيويورك سياسة قبل تطبيقها بقليل كانت ستسمح للناس بتغيير الجنس المدون على شهادات ميلادهم، حتى إذا لم يقوموا بإجراء عملية تغيير للجنس.

في سنة 2004، وافقت اللجنة الأولمبية الدولية على السماح لحيارى الجنس بالمنافسة ضمن جنسهم الجديد، بعد سنتين على الأقل من إجرائهم لعملية تغيير الجنس.

على الرغم من أن حيارى الجنس قلائل، إلا أن بعضهم يقول: إنهم الموجة المقبلة من حركة الحقوق المدنية. كم من الوقت سيمر قبل أن يضع الإحصاء العام في الولايات المتحدة، أيضاً، خانة ثالثة غير ذكر وأنثى - كما كانت عليه الحال سنة 2000 عندما سمح لنا باختيار أعراق «متعددة»؟ كم سيمر من وقت قبل أن يعد سؤال طفل عن جنسه في طلب الانتساب إلى المدرسة أمراً فظاً أو غير قانوني؟

إذا نحّينا الحكايات جانباً، فحيارى الجنس هم النسخة المتطرفة من نزعة كانت قد أصبحت مقبولة على نحو متزايد منذ سنوات. بالتأكيد، لا يتناول سوى القليل من الناس هرمونات الجنس الآخر، أو يرتدون ملابس أزواجهم، لكن منذ السبعينيات كانت هناك ضبابية فيما يتعلق بالخط بين «الذكر» و«الأنثى»، وفيما يتعلق بالعادات، والأذواق،

والأزياء. والمسوّقون يعملون عليها. كانت دار الأزياء بلو كولت Blue Cult قد أنتجت أخيراً نوعاً من الجينز يناسب كلاً من الرجال والنساء. يبيع صانعو العطور الرئيسون مثل كالفن كلين Calvin Klein وغاب Gap عطوراً مشتركة أو «محيَّرة. الموضة السائدة حالياً هي «جينز الحبيب» - منخفض الخصر، مشدود بإحكام على المؤخرة، لكن أكثر راحة عند الساقين.

أسماء محيَّرة -مثل كاميرون، وهايدن، وماديسون وكوين- شائعة مجدداً بطرق لم نرها منذ قرون.

بالنسبة لي، لا علاقة للسبب الرئيس في إثارة «حيارى الجنس» للاهتمام بالخط الضبابي الفاصل بين الجنسين - كان الدمج بين الجنسين موجوداً منذ مدة طويلة، بالطبع، منذ اتحد هرمز (إله التجارة) وأفروديت (إلهة الحب) بكلمة. المثير للاهتمام بالنسبة لي بشأن «حيارى الجنس» هو أنهم ربما يكونون الورثة الإيديولوجيين لمبدأ - وثورة- مساواة المرأة بالرجل القاضي بأنه لا ينبغي أن يكون الجنس عند الولادة قدراً محتوماً. لا تحمل شابات اليوم هذا العبء: تظن بعضهن أن «مساواة المرأة بالرجل» تعني التخلي عن أنوثتهن، وقد رفضت الشابات العاملات منذ وقت طويل البذّلات الزرقاء التي كانت أمهاتهن يرتدينها للعمل وفضّلن القمصان القصيرة والسراويل المرقطة مثل جلد النمر. لكن حيارى الجنس، إلى جانب العدد الجدير بالملاحظة من حلفائهم، كانوا قد أعادوا توظيف هذه الفكرة، وطوّروا المبدأ القائل: إن الهوية لا تتعلق بالمورثات وإنما بكينونة المرء الداخلية.

احذروا يا واضعي السياسات العامة، أيها المهندسون، وأصحاب دور الأزياء - لن يكون الأمر سهلاً كما كان مع الصبيان والبنات من قبل.

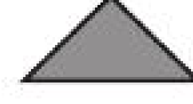


فصل 10

المال والطبقة



مشترو منزل ثانٍ



تجلب «منازل ثانية» في أمريكة إلى الأذهان شاليهات فخمة على الشاطئ، أو مزارع ضخمة في تكساس.

مشترو منازل ثانية، كما يبدو، لديهم مال إضافي، الكثير من وقت الفراغ، ويتوقون إلى الوفرة ليس في منزل واحد، بل في اثنين. كانت منتجعات حصرية قد أطلقت حتى عملاً جديداً لقضاء وقت في منزل ثانٍ، يتطلب الدخول إليه ربع مليون دولار.

لكن الحقيقة هي أن الأشخاص ذوي الدخل المتوسط هم المجموعة الأسرع نمواً من مشتري المنزل الثاني. ارتفعت مبيعات المنازل الثانية سنة 2005، ووصلت إلى مستوى قياسي بلغ 40 % من مبيعات كل المباني السكنية. ولم يكن ذلك لأن أوبرا وينفري أرادت ضيعة أخرى بعدّة مئات ملايين الدولارات في آسبن أو لأن آل كينيدي اشتروا «مجمّعاً سكنياً» آخر. وفقاً لتقرير الاتحاد القومي للسماسرة سنة 2005، يجني مشترو منزل العطلة النموذجي 71.000 دولارٍ فقط. وسطي دخل مشتري المنازل للاستثمار هو 85.000 دولار. وسطي سعر شراء المنازل الثانية أقل من 200.000 دولار.

تشكل المنازل الثانية هوس الطبقة الوسطى.

كيف حدث ذلك؟

أولاً: أصبح شراء منزل ثانٍ أكثر سهولة سنة 1997، عندما أقر مجلس النواب خفضاً على الضرائب لمن يريد بيع منزله الأول بهدف امتلاك منزلين. يمكن لأفراد الطبقة الوسطى الذين أصبحت أعشاشهم خاوية (من الأولاد) بيع منزل العائلة وشراء منزلين أصغر منه بدلاً من ذلك.

ثانياً: بالنسبة للعديد من الأمريكيين، زادت أحداث 9/11 من إغراء امتلاك منزل بعيد يمكن للناس اللجوء إليه، أو الاختباء عند الضرورة.

ثالثاً: نظراً لانخفاض الثقة بسوق الأسهم، بدأت العقارات تبدو جيدة. من بين 3.34 مليون منزل ثانٍ تم شراؤها سنة 2005، 2 مليون منها بغرض الاستثمار.

رابعاً: بدأ الناس شراء منازل ثانية بسبب العمل - إما لأن عملاءهم بعيدون جداً؛ لأنهم يخدمون عملاء في أماكن متعددة؛ أو لأن أزواجهم يسكنون في مدينة مختلفة. فيما كان الزوجان يحزمان أمتعتهما وينتقلان إذا حصل أحدهما على وظيفة في مدينة جديدة، تشير التقديرات الآن إلى وجود أكثر من 1.5 مليون زوج وزوجة يمتلكان منزلين للاحتفاظ بعمليهما.

وبالطبع، كانت التقانة قد جعلت عمل الناس من مواقع متعددة أمراً ممكناً - مع حاسب محمول، وهاتف خليوي، وبلاك-بيري (مفكرة إلكترونية)، يمكن للمرء البقاء على اتصال مع عملائه (وموظفيه، ورؤسائه) من شرفة خشبية كما من مكتبه الخاص.

لكن ربما يكون أكبر سبب يدفع الناس لشراء منازل ثانية هو العائلة. سواء كان زوج وزوجة من فلوريدا يشتريان شقة في فيلادلفيا؛ حتى يستطيعا زيارة ابنهما في بن بسهولة، أو الجدّين في شيكاغو اللذين يشتريان منزلاً في السافانا؛ حتى يستطيعا جمع أحفادهما من هوستون، وآشفيل، وميامي في عطلات نهاية الأسبوع - تبدو العائلة قوة محركة وراء زيادة شراء المنازل الثانية من قبل الطبقة الوسطى. في دراسة سنة 2005 عن مالكي منزلين، قالت أغلبية هؤلاء: إن هدفها في الحياة هو سعادة العائلة/أن يكون والداً صالحاً؛ وقالت الأغلبية نفسها: إن أكبر أزمة تواجه أمريكة في ذلك الوقت هي تفكك العائلة. (كان ذلك تقريباً ضعف عدد من قالوا: إن أكبر أزمة تواجه أمريكة هي الإرهاب، أو الحرب في العراق).

كان العيش في منازل ثانية قد أصبح منتشراً لدرجة ظهور تعبير جديد عن الناس الذين ينتقلون جيئة وذهاباً بينهما: الجوّالون.

وفقاً لموقع www.splitter.com (أنشأته شركة دبليو-سي-آي WCI التي تبني منازل)، الجوّالون هم «أشخاص يمتلكون منزلين على الأقل ويقضون وقتهم بينهما للاستجمام، تحقيق توازن في حياة العمل، أو التواصل مع العائلة والأصدقاء». بينما تغير عصافير الثلج سُكناها مرة أو مرتين في السنة كحد أقصى، ينتقل الجوّالون جيئة وذهاباً بمعدل خمس مرات في السنة، ويسافر بعضهم العدد نفسه من المرات كل شهر.

هناك حتى جوالون خارقون - أشخاص يقسمون وقتهم بين ثلاثة منازل أو أكثر. لكن قبل أن تفكر في أوبرا وآل كينيدي مجدداً، لاحظ أنه وفقاً لدراسة الاتحاد القومي للسماسرة، فإن ثلث مشتري المنازل الثانية حالياً يقولون: إنهم سيشترون على الأرجح منزلاً آخر، إضافة إلى المنزلين اللذين يمتلكانهما حالياً، في أثناء السنتين المقبلتين - يعطي هذا معنى جديداً لعبارة «أراهن أنك لا تستطيع تناول واحدة فقط».

لا يشكل هذا سوقاً ناشئة لبناة منازل العطلات فقط، وشركات الأثاث، وإنما احتمال نمو كبير لاقتصاديات المنازل الثانية. سيدفع معظم الناس الذين يستمتعون بقضاء وقت مع العائلة/في العطلة أموالاً لعمال محليين لقص أعشاب حدائقهم، وتنظيف منازلهم، وتفقّد أملاكهم عندما يكونون بعيدين. وفقاً لدراسة دبليو-سي-آي، يدفع الجوّالون لمجتمعاتهم الجديدة أكثر بكثير مما يأخذونه منها - لا يستفيدون من المدارس، لكنهم يدفعون فواتير الهاتف، والكابل، والتلفاز، ومرافق الاستجمام المحلية، وينفقون نحو 2000 دولار كل سنة على إصلاح، وتحسين، وتجديد منازلهم.

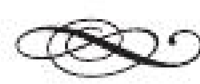
كقضية سياسية، ارتفاع مشتريات الطبقة الوسطى لمنازل ثانية يعني أن تخفيض رهن المنزل الثاني ليس «حكراً على الثري» كما يبدو للوهلة الأولى. تخيل سياسياً طموحاً يحاول زيادة شعبيته. إنه يبحث عن قضايا جديدة لجذب ناخبين من الطبقة الوسطى، ويدعو لإلغاء تخفيض رهن المنزل الثاني؛ لأنه يفترض أن ذلك لن يفيد سوى الأثرياء. لدهشته، يتلقى توبيخاً شديداً من أشخاص عاديين، يرسلون له 5 ملايين رسالة شكوى بالبريد. الناس شغوفون بمنازلهم، بما في ذلك الثانية. هناك الكثير من الإمكانيات في

تنظيم مشتري المنازل الثانية -لديهم احتياجات مثل دفع الفواتير، وتسهيلات مصرفية، وتأمين- ولديهم احتياجات سياسية مثل معدلات فائدة منخفضة وتخمين عالٍ للمنازل.

على المستوى الاجتماعي، تمثّل نزعة مشتري المنزل الثاني أيضاً رفضاً لفلسفة التسعينيات في وضع المدخرات في سوق الأسهم بدلاً من المنزل. الآن، تذهب تلك المدخرات إلى منازلكم. سيجعل هذا التحول السيولة أقل في أيدي الأمريكيين، الضمان الاجتماعي أكثر اتكالاً مجدداً على قيم العقارات، وربما يروج للاحتفاظ بالمزيد من المدخرات. بخلاف سوق الأسهم، يعتمد سوق العقارات على نحو كامل تقريباً على قوة القطاع ليحقق النجاح.

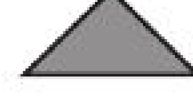
إضافة إلى ذلك، مع قيام ملايين الأمريكيين من الطبقة الوسطى بوضع مدخراتهم في العقارات، هناك فجأة اهتمام جديد وكبير فيما قد يفعله الاحتياطي الاتحادي (المصرف المركزي). ما عدا النُّخب التجارية والحكومية، هل كان أحد يهتم بمن يشغل منصب مدير الاحتياطي الاتحادي، وما تعنيه تصريحاته المبهمة؟ هناك الآن ملايين الناس العاديين الذين يعتمد استقرارهم المالي على رفع أو خفض نسبة الفائدة ربع نقطة. إذا أخطأ الاحتياطي الاتحادي في الأمر، يمكن أن يتوقع السياسيون أن ينصب عليهم غضب شديد نتيجة تلك الأرباع الجديدة. إنها مجموعة جديدة بالكامل من الناس التي تركز على شيء ما، ومستعدة للصراخ عالياً إذا شعرت بأن قضية الفائدة هذه تهددها. وإذا لم يكن الاحتياطي الاتحادي حريصاً، يمكن أن يرفع معدلات الفائدة ويدفع بالكثير من أفراد الطبقة الوسطى للإفلاس بعد أن يكونوا قد اشتروا منازل ثانية ديناً، لكنهم أصبحوا لا يستطيعون تسديد قسطين عقاريين.

كان «الحلم الأمريكي» سيارتين في كل مرآب. أصبح الآن مرآبين لكل سيارة.



ماري بوبنز المعاصرة

مربيات بثقافة جامعية



مع خروج المزيد من الأمهات للعمل، شهدت صناعة رعاية الطفل ازدهاراً كبيراً. كان الطلب على المربيات قد ازداد على نحو كبير، وتضاعف تقريباً في الخمس عشرة سنة الماضية. أسهم ذلك في ارتفاع الأجور، وزيادة المنافسة، وأوجد طبقة جديدة من المربيات: المربية المثقفة جيداً غالباً ما تأتي من عائلات تضم الكثير من الأولاد وتفتقر إلى خصوصية ذلك النوع من الأسر، تشرف تلك المربية المثقفة جيداً على الطفل على نحو كامل في حين تخرج الأم للعمل، ربما تحت مراقبة آلة تصوير.

كان دور المربيات في الطبقة العليا قد تغير من مساعدة الوالدة، عندما كانت الأم في المنزل؛ إلى تقديم الرعاية الأساسية في أثناء اليوم (حتى الانتهاء من أعمال ما قبل الذهاب إلى المدرسة) ورعاية الأطفال بعد الظهر. حتى في أكبر العائلات، تختار النساء العودة إلى العمل، ويزيد ذلك من الطلب على نوع جديد من المربيات.

جاءنا نظام المربية الرسمي في الواقع من أوروبة، لكن الأمريكيين كانوا قد هلّلوا للفكرة، خاصة في الثقافة الشعبية، طوال عقود. لا يزال ماري بوبنز، فيلم سنة 1964 عن مربية تدخل إلى بلدة وترشد الأولاد إلى السحر الموجود حولهم، العمل الذي حاز أكبر عدد من جوائز الأوسكار حتى الآن في تاريخ ديزني. في خريف 2006، تم تقويمه بأنه العمل الفني الذي درّ لبرودواي Broadway أرباحاً بعدّة ملايين دولار.

صوت الموسيقا، الذي تترك فيه ماريا ديرها للعناية بسبعة أطفال صعبي المراس لأرملة نمساوية، أحد أشهر الأفلام الأمريكية في كل الأوقات.

في التسعينيات، لاقى مسلسل المربية - من بطولة فران دريشر التي أدت دور الحبيبة المترددة/مندوبة مبيعات مواد التجميل وانتهى بها الأمر إلى أن تعتني بأطفال منتج بريطاني ثري يعمل في برودواي - نجاحاً كبيراً، وتم عرضه أخيراً في أربع قارات.

وجذب برنامجي المربية سنة 2005 - المربية المنقذة من فوكس Fox والمربية الخارقة من إيه-بي-سي ABC - أعاد كلاهما التأكيد على الصورة النمطية بأن الآباء البريطانيين يعرفون عن تربية الأولاد أكثر بكثير من الآباء الأمريكيين غير المحظوظين - ملايين المشاهدين كل أسبوع.

تحظى مربيات الثقافة الشعبية تلك بالكثير من الاحترام من قبل أرباب عملهن، ويعدون على الأغلب أنداداً لهم عاطفياً وفكرياً. بالفعل، ينتهي الأمر بكل من ماريا في صوت الموسيقا وفران في المربية إلى الزواج برجلين قاما بتوظيفهما تقدم الحبكة فكرة أن المربيات مهمات وحنونات مثل أمهات.

بالطبع في الحياة الحقيقية، لا يتم توقير المربيات دائماً بالطريقة نفسها. وفقاً لاتحاد العمال في المنازل، المجموعة التي تتخذ من مدينة نيويورك مقراً لها، معظم الذين يعملون في المنازل من ذوي الدخل المنخفض، لم يحظوا بتعليم جيد، أو كليهما. معظمهم مهاجرون غير شرعيين ويعتنون بأطفال أشخاص آخرين؛ لأن عملهم في المنازل على نحو غير رسمي يساعدهم على الاختفاء من رادار سلطات الهجرة.

لا شيء جديد بشأن حقيقة أنه ربما تكون هناك فجوة بين الثقافة الشعبية والواقع. الجديد هو أنه بعد كل تلك السنوات، اقتربت الحقيقة في الواقع من الخيال. على نحو متزايد، تختار أمريكيات تخرّجن في الجامعة، من طبقة عالية، ويمكنهن التنافس في أماكن أخرى البقاء في منزل مع أطفال أشخاص آخرين. لم يتم تنظيم هذه الصناعة بعد كما ينبغي ولهذا ليس هناك بيانات دقيقة عنها. لكن هناك شيئين: الأول، هناك رغبة عارمة من جانب الوالدين الموسرين للحصول على خدمات مربيات يحملن شهادة جامعية. الثاني، هناك اهتمام متزايد من جانب الخريجات الجامعيات للمساعدة في

تربية أطفال الموسرين. سينجبن أطفالهن لاحقاً، لهذا مدة عملهن قد ازدادت بالفعل في أثناء سنوات ما بعد الجامعة، عندما كن سابقاً يعتنين بأطفالهن. المفارقة هي أن تلك المربيات يؤخرن إنشاء عائلاتهن من أجل الاعتناء بأطفال عائلات أخرى.

من وجهة نظر الوالدين، حسناً، ليس هناك الكثير مما لا يرغب الوالدان الموسران القيام به للمساعدة في نقل أطفالهم إلى مرحلة البلوغ، من العمل الجاد لإلحاقهم بمدارس خاصة، دفع أموال لتغطية تكلفة الدروس الخاصة بتجاوز الامتحانات، والتدريب الشاق لتحقيق أفضل إنجاز رياضي. هناك نحو 25 مليون أم أمريكية في القوة العاملة الآن، مقارنة بـ13 مليوناً فقط سنة 1970. هناك نحو 1 مليون أسرة توظّف مربية الآن، وتحصل معظمهن على أجور عالية. إذا كنت والداً من طبقة مترفة وتستطيع إحضار شخص يناقش شكسبير مع آشلي الصغيرة في حين تقوم بإعداد شطيرة زبدة الفستق والحلوى - حسناً، من لا يريد ذلك؟

كان الطلب قد زاد من الأجور. في سنة 2005، كان معدل راتب المربية 590 دولاراً في الأسبوع، أو 532 دولاراً لمن تسكن في المنزل نفسه. يقال: إن المربيات اللواتي يحملن شهادة جامعية يجنين من 20 إلى 60 % أكثر. لهذا بالنسبة لخريجة جامعية، يعادل ذلك راتباً سنوياً يصل إلى نحو 43.000 دولار - يزيد عن معدل 22.000 دولار الذي تجنيه الإناث بين 18–24 سنة خريجات المدرسة الثانوية. راتب أكبر، ضغط أقل.

إضافة إلى ذلك، من وجهة نظر المربية، يمكن لرعاية طفل في المنزل أن تكون طريقة رائعة استعداداً لوظيفة في التعليم، تنمية قدرات الطفل، أو الأبحاث الخاصة بالطفل. أو، سأجرؤ على القول: إنجاب أطفال. نظراً لانخفاض عدد النساء الأمريكيات اللواتي يتزوجن، وتلك اللواتي يؤخرن إنجاب الأطفال مراراً وتكراراً، ربما يجد الأشخاص الذين يحبون الأطفال فعلاً أن وجود المربية يمنحهم وقتاً يمكنهم الاستمتاع فيه.

وأخيراً، في حين يتزايد الطلب والعرض لمربيات يحملن شهادات جامعية، تصبح أنظمة التواصل بين الطرفين أكثر كفاية. ما كان يتم تناقله شفاهاً، الحظ السعيد، البحث في الجوار أصبح الآن صناعة على نطاق الأمة بكل معنى الكلمة. في سنة 1987،

كان هناك خمس وأربعون وكالة مربيات في أمريكة. بحلول سنة 2000، كان هناك أكثر من 900. ومع مواقع الدردشة، والبيانات الإلكترونية، وأنظمة التوافق المتقنة، لم يعد هناك عملياً سبب ليتقوقع الإنسان على نفسه ويخفي قدراته. هل تريدين قضاء سنتين في سان فرانسيسكو قبل أن تقرري إن كنت ترغبين في الانضمام إلى كلية إدارة الأعمال هناك؟ جدي لنفسك عائلة محلية لطيفة وجالسي الأطفال.

تبين أنه ربما يكون هناك نمو في هذا العمل، ضمن العائلة نفسها. ربما لا يرغب الوالدان اللذان يستمتعان بوجود راشدة حنونة على نحو دائم في منزلهما بالتخلي عن خدماتها لأن الأطفال كبروا. يمكن لخريجات الجامعات اللواتي لا يرغبن في ارتياد كلية إدارة الأعمال أن يتحولن إلى «العناية» بالوالدين، يعملن مساعداتٍ شخصيات لهما، يقمن بإجراء ترتيبات سفرهما، ودفع الفواتير، والقيام بالأبحاث، وتجديد المنزل، وواجبات منزلية أخرى. ربما تنتقل إحداهن من هناك للعمل في شركة الأم أو الأب. إنها ليست مجموعة سيئة من الخيارات.

ربما –مثل زوجة روبن وليامز الثانية– تنتقل إحداهن من مربية إلى مساعدة شخصية إلى زوجة ومنتجة في هوليوود. ذلك مجرد احتمال.

ازدياد عدد المربيات اللواتي يحملن شهادة جامعية يعني عدّة أشياء: أولاً، المربيات لديهن احتياجات. بغض النظر عن مكان يقفن فيه في أثناء اشتراك الوالدين في لعبة ما – اذهب إلى أي نشاط رياضي لأطفال من طبقة مترفة قبل انتسابهم إلى المدرسة وسترى الوالدين يقفان وحدهما برشاقة على الخط الجانبي، والمربيات حاملات الشهادات الجامعية يتحركن بصعوبة في الوسط. لكن على نطاق أوسع، تحتاج المربيات إلى مجتمع. طريقة للاشتراك في كل من موضوعات رعاية الأطفال والتعامل مع غضب المديرين. شيء مثل غرفة دردشة تتسع لتضم مفكرات مربية، إحدى الروايات الأكثر مبيعاً سنة 2002 (والفيلم المنتظر سنة 2007) التي تقدم طالبة في نيويورك تعمل مربية لدى عائلة مترفة في نيويورك.

أرباب العمل لديهم احتياجات. ربما يمعن الوالدان اللذان يظنان أنهما اكتشفا منجم ذهب في مربية يمكنها مساعدة أطفالهما في التفاضل والتكامل، والتفكير في أثناء بضع سنوات، عندما يريان (أ) أن حياتهما الخاصة تُعرض على الشاشة الكبيرة، أو (ب) أن من كانت تعمل لديهما تقود حركة ضد إساءة المعاملة، والأجور المنخفضة، و/أو المبالغة في التوقعات من قبل الوالدين. متى، حقاً، سنشهد ولادة اتحاد للمربيات؟

ثالثاً: فكر في المربيات الأخريات. كما يمكن لماري بوبنز معاصرة أن تهدد حرية رب عملها نسبياً، يمكنها أن تشكل تهديداً أكبر حتى للمهاجرات اللواتي يحصلن على دخل منخفض ويعتبرن أن عمل المربية خاص بهن. بناءً على اجتهادهن الخاص، ربما تبدأ هذه المجموعة إما المطالبة بأن تخضع المربية لمنهاج «إدارة الأسرة» أو مناهج أخرى لتطوير عملها، للحفاظ على قيمتها العالية بالنسبة لرب عملها باستمرار - أو ربما يتحولن إلى شكل أقل جذباً من مقدمات الرعاية: كبار السن. من وجهة نظر اقتصادية ورعاية صحية، سيكون ذلك في الواقع تطوراً مرحباً به. وفقاً لتقرير من مؤتمر البيت الأبيض عن التقدم في العمر سنة 2005، تحتاج أمريكا إلى 1.3 مليون شخص إضافي يعملون في تقديم الرعاية لمن يحتاجونها، بما في ذلك التمريض ومقدِّمو العناية في المنزل، بحلول سنة 2010. ربما سيأتي هؤلاء من صفوف المربيات.

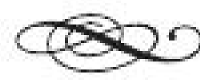
إليك فكرة أخرى. إذا كان صحيحاً أنه عندما يتعلق الأمر بالمربيات، تستند الثقافة الشعبية إلى الحقيقة، ربما نرغب أيضاً بأن نراقب بعناية الرجال الذين يعملون في هذا المضمار، المعروفين أحياناً باسم «المربّين». حالياً، لا يشغل الرجال سوى نحو 1% فقط من كل مواقع رعاية الأطفال الأهلية. لكن عند النظر في الثقافة الشعبية، ستظن أنها كانت مهنة تتساوى أعداد العاملين فيها من الجنسين. كانت زهاء تسع برامج رئيسة على الأقل في السنوات الأخيرة قد قدّمت مربّين - بما فيها أصدقاء، آلي مكبيل، موري براون، ونعم، المربية.

لهذا المربّون قادمون. رواتب المربيات تزداد، ووصمة قيام الرجال بـ«عمل النساء» تتآكل، وترغب المزيد من الأمهات في وجود رجل على نحو دائم مع أطفالهن؛ وكان ازدياد أعداد

الأطفال البدينين قد زاد من الطلب على مقدمي عناية يركزون على «الرياضة». الجو مناسب للمربّين. وفقاً للموقع الإلكتروني البريطاني www.celebrity.com، لدى برتني سبيرز حالياً مربٍّ رجل (على الرغم من أن أم الرجل تصر على أنه حارس شخصي).

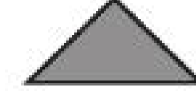
مع تراجع الوظائف الصناعية، التوقع بأن النساء سيعملن خارج المنزل، وانتساب أغلبية الأمريكيين إلى الجامعات، تصبح المربيات مع شهادات جامعية في متناول اليد فجأة، ويتوافقن مع الرغبات الجديدة في جزء من الأم بالحصول على مربية تعكس شخصيتها ونمط حياتها. هناك تكافؤ فرص في مجال «رعاية الطفل» الذي يحظى بدور متزايد الأهمية في حياة الأسرة الأمريكية، ويشير ارتفاع أعداد الذين يتخرجون في الجامعات إلى أننا سنرى الكثير من الوظائف التي لم تكن تتطلب مهارات عالية في السابق تشغلها طبقة جديدة من العاملين. (اسأل فقط معالج التدليك، أو مصفف الشعر، أو مضيفة الطيران عن اسم ناديها الخاص، أو عن تخصصها).

وبالطبع، احذر -وتأكد أن تحظى بعقد عدم إفشاء أسرار- وإلا ربما يتم الكشف عن نزاعات وعيوب عائلتك الخاصة للعالم، عبر قلم ماكر لمربيتك في وقت ما / خريجة الفنون في هارفرد.



أصحاب ملايين خجولون

أمريكيون يعيشون أقل من مستواهم



يحتل أصحاب الملايين مكانة خاصة في مخيلتنا. حظي برنامج ألعاب من يرغب في أن يصبح مليونيراً بأعلى نسبة متابعة من الجمهور. نشأنا على كتب ريتشي ريتش الهزلية، وثورستون هاول الثالث في جزيرة غيليان، وجي. آر. إيفنغ في دالاس. طوال إحدى عشرة سنة مذهلة، راقبت أمريكة أنماط حياة الأثرياء والمشاهير، والذي عرض لنا روبن ليتش عبره، أسبوعاً بعد آخر، المشاهير من أصحاب الملايين ينفقون بسخاء على السيارات، والمنازل، وأمور أخرى تتطلب الكثير من المال.

وعلى الرغم من أن بعضاً من أثرياء اليوم -مثل بيل غيتس ووارن بوفيه- ينفقون أموالاً على أعمال الخير، إلا أن آخرين -مثل باريس هيلتون- يعيشون حياة مترفة لا يمكننا تغطية تكاليفها وتذهلنا في الوقت نفسه.

لكن ربما نتيجة لذلك، لدينا نوع من التصوّر المسبق بشأن الأثرياء الأمريكيين. وفقاً لدراسات حديثة، يظن معظم الأمريكيين أن هناك أصحاب ملايين في أمريكة أكثر مما يعرفون - بنحو 4 أضعاف. أظهرت دراسة تمت في أواخر التسعينيات - عندما كانت نحو 4 % فقط من الأسر تمتلك أصولاً تتجاوز قيمتها مليون دولار - أن العامة يعتقدون أن 15 % من الأسر ثرية. (اليوم، هناك 9 ملايين شخص في أمريكة يمتلك ثروة تبلغ 1 مليون دولار أو أكثر، ما عدا منازلهم).

على نحو مشابه، يسيء معظم الناس الظن في الحالة التي يبدو عليها المليونير. في حالة السيد هاول -وربما الأب واربوكس، أو مونتغمري بيرنز في آل سمبسون- في الأذهان، يتخيلون قصوراً فخمة، وسيارات مع سائقين، وساعات غالية الثمن، وربما قليلاً من لهجة بريطانية ثقيلة. يظنون أن معظم الأثرياء ورثوا ثرواتهم، أو حصلوا عليها في ظروف خاصة جداً، بما في ذلك مدارس ابتدائية خاصة وجامعات النخبة.

لكن في الواقع، وفقاً لمؤلفي أحد أفضل الكتب مبيعاً المليونير الجار: الأسرار المذهلة لأثرياء أمريكة، يذهب المليونير العادي في أمريكة إلى مدرسة عامة، ويقود سيارة أمريكية (ليس موديل السنة)، ولا يحصل على أي إرث.

تبدو لهجته على الأرجح بسيطة مثل حذائه الرخيص.

وليس مهتماً كثيراً بأن يخبرك عن المال الذي يمتلكه. معظم أصحاب الملايين لا يموتون في سيارة فخمة. إنها نقيض ما يؤمنون به. كان على شركات السيارات الفخمة أن تتحول إلى سيارات الدفع الرباعي.

وفقاً لدراسة وتحليل أعدته هاريس إنتراكتيف Harris Interactive سنة 2003، هناك في الواقع ستة أنواع مختلفة من أصحاب الملايين - وأكبر مجموعة هي الأكثر هدوءاً. إليك المجموعات الست:

1. «سادة الصفقات» (تذكر غودرن جيكو في فيلم ول ستريت).
2. «محبو الإيثار» (فكر في بروس وين، الوجه العام لباتمان).
3. «الناجحون سراً» (مثل «المواطن» تشارلز فوستر كين).
4. «محبو المنزلة الرفيعة» (سكارليت أوهارا).
5. «المدّخرون القانعون» (أوليفر ويندل دوغلاس في غرين إيكرز).
6. «الورثة الأثرياء» (دودلي مور آرثر).

على الرغم من أن المعروف عن «الثري حقاً» هو أنه إما طموح ومستبد (مثل جيكو) أو ضيق الأفق ومدلل (مثل آرثر) - تبين أن هذين النوعين من أصحاب الملايين يمثلان في الواقع أصغر مجموعتين لا تشكلان سوى أقل من ربع كل الأثرياء الأمريكيين.

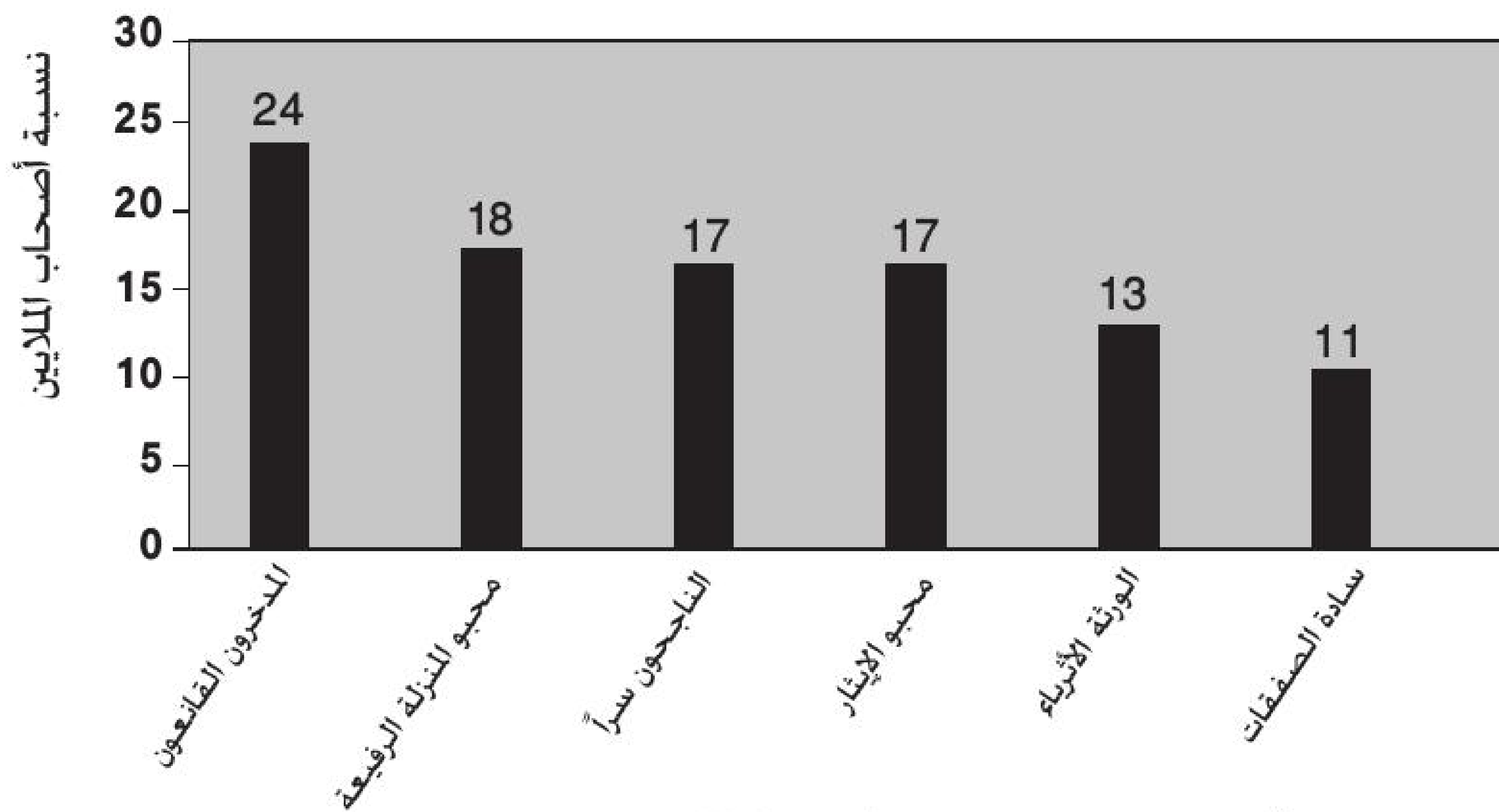
المجموعة الأكبر، حتى الآن، هي «المدّخرون القانعون»، ويكون أصحاب الملايين أولئك قد عملوا بجد، وادّخروا المال، ويعيشون أقل مما تسمح لهم به إمكانياتهم المادية. عندما يكون لديهم خيار، يختارون فورد وليس مرسيدس، ولا يطمحون إلى الربح المادي، وإنما عيش حياة طويلة وصحية؛ ولا يسرفون في صرف المال. وفقاً لمؤلفي المليونير الجار، أغلبية أصحاب الملايين الأمريكيين ليسوا ورثة أو نجوم أفلام؛ وتضم صفوفهم مقاولين،

وصيدلانيين، ومكافحي أوبئة. يضعون ساعات رخيصة ويقودون سيارات مستعملة. يصبحون أثرياء بالاستثمار جيداً والاقتصاد في مصاريفهم - وبعد أن أصبحوا أثرياء الآن، لا يزالون يعيشون بالطريقة نفسها.

إحدى أكبر المجموعات اللاحقة من أصحاب الملايين هي «الناجحون سراً» - أولئك الذين لا يتوقعون الحصول على ثرواتهم، ويخافون أن يخسروها في أي لحظة. هؤلاء هم أشخاص لا زالوا يتسوقون من تارغيت **Target** ويقلقون من أن يكتشف الناس أن لديهم مالاً. معاً، يشكل «المدّخرون القانعون» و«الناجحون سراً» ما يزيد على 40 % من أثرياء أمريكة. (لكن إذا كنت تستطيع اختيار شريك للعشاء، فاذهب مع أحد «المدّخرين القانعين». ربما سيختار أوليف غاردن **Olive Garden** بدلاً من فور سيزنس **Four Seasons**، لكنه على الأقل لن يجادلك بشأن الفاتورة).

ما أهمية أصحاب ملايين خجولين في أمريكة- والأثرياء عموماً الذين يعيشون أقل مما تسمح لهم إمكانياتهم المادية؟

أصحاب الملايين في أمريكة، 2003



المصدر: دراسة فينكس/هاريس إنتراكتيف عن الأثرياء، 2003.

أولاً، يدل وجودهم على أنه نادراً ما يدّعي أحد الفوز بـ«صراع الطبقات» في السياسة الأمريكية. (انظر، مثلاً، آل غور، سنة 2000). يبقى الوعد بالأخذ من الأثرياء لمنح «الفقراء» ضعيفاً؛ لأن العديد من الأمريكيين يعتقدون أنهم، أيضاً، يمكن أن يصبحوا من

أصحاب الملايين. لغة الصراع الطبقي الموجهة لأشخاص كانوا قد عملوا بجد للوصول إلى ما هم عليه طريقة غير محببة البتة لمخاطبة الناخبين الأمريكيين. الأمر مختلف تماماً في بريطانية، حيث يُعتقد أن الامتياز هو سبب النجاح، لكن في أمريكة، الفرص المتساوية واحدة من القيم التي نعتز بها.

لأصحاب الملايين غير الظاهرين تأثيرات معينة على ضريبة العقارات، المعروفة لمعارضيها باسم «ضريبة الموت». ابتداءً من سنة 2006، أي عقار يساوي أكثر من 2 مليون دولار يخضع، عند وفاة مالكه، لضريبة تصل إلى 46 % من المبلغ الذي يتجاوز 2 مليون. يظهر نقاش حاد بانتظام في مجلس النواب فيما يتعلق بهذه الضريبة، وحجم الإعفاء، وغيرها. على الرغم من أن مجموعة صغيرة فقط من الأمريكيين تتأثر مباشرة بهذه الضريبة، إلا أن المعارضة لها كانت دائماً أكبر مما هو متوقع، وربما يكون لدى هذه المجموعة سبب لذلك: لا يريد أصحاب الملايين الخجولون التباهي بثرواتهم، وإنما الاحتفاظ بها.

أخيراً، على الرغم من أن أصحاب ملايين خجولين لا يشكلون بكل وضوح سوقاً مستهدفة جيدة للمجوهرات المكلفة، أو ملابس المصممين، أو السيارات الفخمة، إلا أن هناك ثلاثة أماكن يضعون فيها أموالهم.

أولاً: يستثمرون، ويفعل العديد منهم ذلك بمساعدة من خبراء الخدمات المالية. يحترمون الناس والإستراتيجيات التي تجعل أموالهم تجدي نفعاً لهم، وسيفعل المخططون الماليون ودور السمسرة حسناً بالبحث عن عملاء ليس في النوادي الريفية فقط وإنما في أماكن أكثر شعبية. يرعى تشارلز شواب منافسات الغولف، لكن أصحاب الملايين هؤلاء يقضون كثيراً من الوقت في العمل ليتم العثور عليهم هناك. سيوجدون على الأرجح في ستابلز Staples وكوستكو Costco بحثاً عن صفقة جيدة.

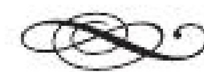
ثانياً: يدفع أصحاب الملايين الخجولون لتسجيل أبنائهم في مدارس الخاصة. وفقاً لمؤلفي المليونير الجار، 17% فقط من أصحاب الملايين ذهبوا إلى مدرسة خاصة،

لكن أكثر من نصفهم يرسلون أولادهم إلى إحدى تلك المدارس. هذا تغيير كبير في عائلات تمتلك ثروة. لا يدل ذلك على هروب كثير من العائلات الناجحة من مدارس أمريكة العامة فقط، وإنما يشير إلى نمو كبير في الطلب على التعليم الأساسي الخاص - يُبرز ذلك كل أنواع الإستراتيجيات غير المتوقعة بين والديّ الطفل الذي يذهب إلى مدرسة خاصة، بما في ذلك إبقاء الأطفال فيها سنة لزيادة قدرتهم على المنافسة.

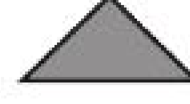
ثالثاً: يتبرع أصحاب ملايين خجولون للأعمال الخيرية. إلى جانب «محبي الإيثار»، و«مدّخرين قانعين» هم الأكثر كرماً بين أصحاب الملايين، ويرون أن جزءاً من دورهم الجوهري يتمثّل في مساعدة آخرين أقل حظاً. لهذا كما يجب على المسوّقين البحث جيداً عن عملاء محتملين، ينبغي أن تبحث المنظمات الخيرية جيداً عن ممولين محتملين. وفي تلك الحالة، إذا وصلت إلى أموال أصحاب الملايين الخجولين، ربما تجد لمنظمتك غير الربحية هبة كبيرة من ذلك الشخص المتواضع، المقتصد في إنفاقه، الذي يرتدي بذلة عمرها عشرون سنة، ويقول: إنه معجب بعملك.

القصد أنه ربما لا يكون ريتشي ريتش يسكن بجوارك، لكنَّ مليونيراً آخر لا تعرفه يفعل ذلك. وبهدوء كبير، يبحث عن خبراء في الخدمات المالية، ومدارس، ومنظمات خيرية تأخذ في الحسبان عمله، وانضباطه، وقيمة كل دولار على نحو جدّي.

تقترب أمريكة من احتضان 10 ملايين مليونير، وصحيح أن مليون دولار، عند مستوى معين، ليست كما كانت من قبل. (تذكر د. إيفل (شرير) في قوى أوستن: رجل الغموض العالمي الذي يخطط للحصول على فدية من العالم مقدارها «مليون دولار» - فقط ليذكّره الرجل الثاني في منظمته أن ذلك غير كافٍ البتة. يعلن: «حسناً إذاً، نطالب بفدية للعالم قدرها مئة مليار دولار!»). لكن بأي مقياس، مليون دولار إنجاز رائع - وأولئك الذين يشعرون بالخجل منه يقدمون لـ«طبقتهم» أكثر مما يفعل أصحاب المليارات المتبجحين.



الطبقة الوسطى والإفلاس

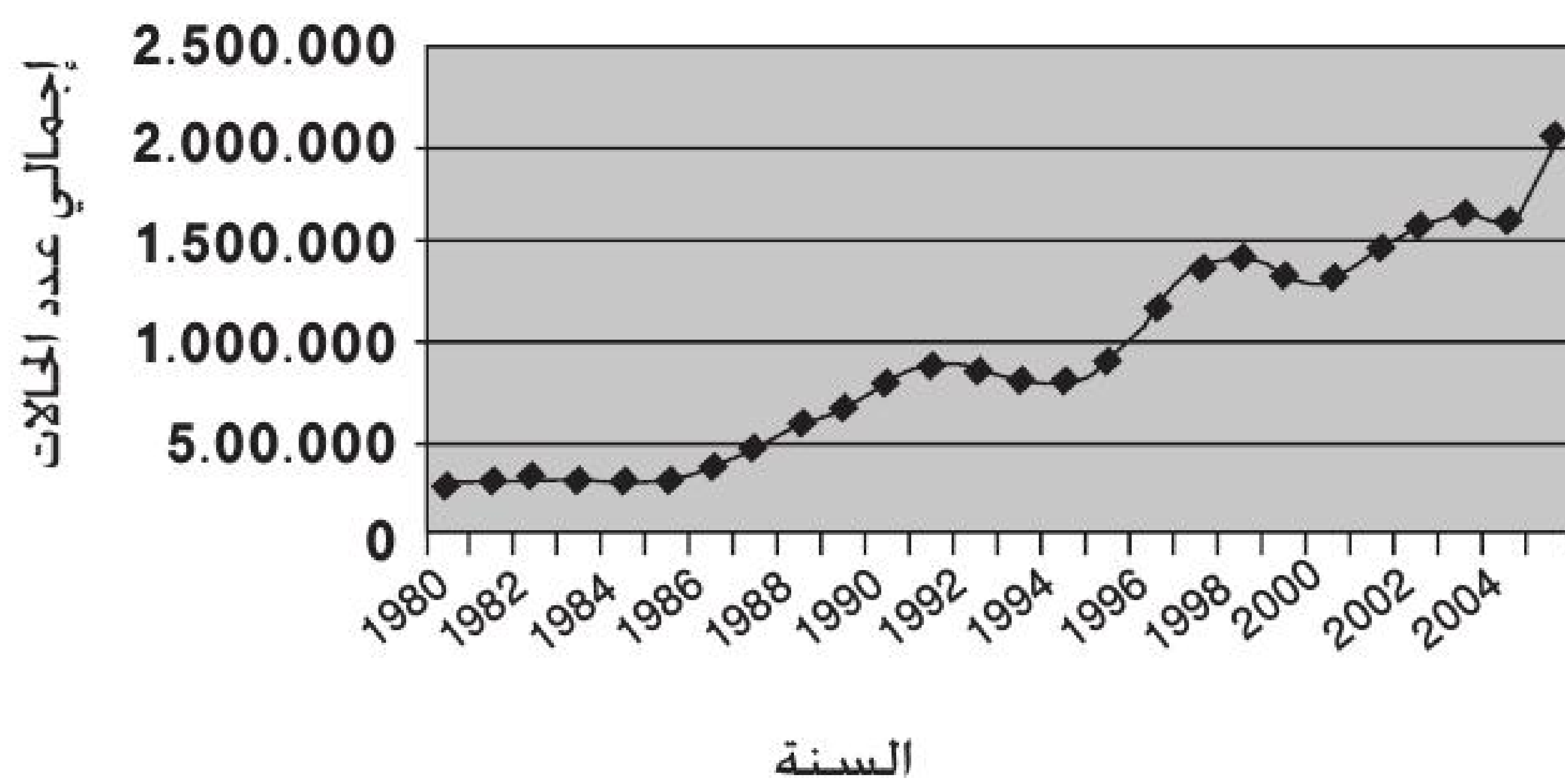


في فرنسة، كانوا يعرضون الشخص عارياً في الشارع إذا استولوا على عقاره. في إنكلترة، ديكنز، كان يضعونه في سجن مخصص للمدينين - أفضل من الحكم عليه بالموت، وهو شيء كان باستطاعتهم فعله أيضاً. في إيطالية القرن السادس عشر (كما تشير مسرحية شكسبير تاجر البندقية) - كانوا يستطيعون فعلاً اقتطاع رطل من اللحم. في أمريكة الاستعمارية، كانوا يقومون بكي راحة الكف بحرف «لـ» علامة على «لص»، وهكذا يبتعد الجميع في المستقبل عن العمل معك.

آه، كان ذلك في أيام سابقة سيئة عندما يتجاوز إنفاق المرء رصيده. اليوم في أمريكة، أصبح الإفلاس -الذي لا يزال أمراً معيباً- مثل أداة لإدارة المرء أمواله. في الخمس والعشرين سنة الماضية، كانت حالات الإفلاس الشخصي في الولايات المتحدة قد ارتفعت 350 %، من 1.2 لكل 1000 شخص سنة 1980 إلى قرابة 5.4 لكل 1000 شخص سنة 2004. لوضع الأمر في سياقه التاريخي، ذلك أكبر بثمانين مرة من معدل سنة 1920، عندما كان 6 من كل 100.000 شخص يعلنون الإفلاس.

إجمالي حالات الإفلاس الشخصي في الولايات المتحدة

1980–2005



المصدر: معهد الإفلاس الأمريكي، 2005.

بأرقام مجردة، تبدو موجة الإفلاس على الشكل الآتي. في سنة 1985، قام أقل من 350.000 شخص في أمريكة بطلب الحماية نتيجة الإفلاس الشخصي. في سنة 2005، ارتفع العدد إلى 2 مليون.

كما كانت أستاذة القانون في هارفرد إليزابيث وارين قد لاحظت، كان أولئك أمريكيين أكثر من المصابين بالسرطان. كان عدد الأشخاص الذين أعلنوا إفلاسهم في أمريكة سنة 2005 أكثر من الذين يتخرجون في الجامعات.

وكل ذلك فيما الاقتصاد يشهد نمواً.

لا نتكلم الآن هنا عن إفلاس الشركات الحميد الذي يتم تنظيمه «بدقة»، كما يفعل دونالد ترومب من وقت إلى آخر. الإفلاس الشخصي بسيط للغاية، ويمثّل النقطة التي تزيد فيها فواتير بطاقة ائتمانك، ودفعات رهنك العقاري، وديونك الطبية دخلك، بحيث لا تستطيع فعل أي شيء دون تدخّل المحكمة.

في بعض أجزاء البلد، الإفلاس عملياً طريقة حياة. في تينيسي، إنديانا، وأوهايو، أكثر من 10 من كل 1000 شخص يعلنون الإفلاس. (في ماساشوستس، أقل من ثلاثة يفعلون ذلك).

لكن من هم المفلسون في أمريكة، حقاً؟ هناك افتراض شائع أنهم الذين يتهرّبون من دفع الديون – المنفقون ببذخ الذين يشترون أجهزة تلفاز ستين بوصة وسيارات رياضية، ثم يدركون أنهم لا يستطيعون دفع الفواتير. كان العديد من واضعي السياسات قد ادّعوا أن السبب في ازدياد حالات الإفلاس في أمريكة هو أنه لم يعد هناك حياء كافٍ في الإنفاق بإسراف.

لكن وفقاً للأستاذة وارين، الشخص الذي يعلن إفلاسه يشبه إلى حدٍ بعيد «ملكة الرخاء» في الثمانينيات – سياسات مقنعة، لكنها في الواقع غير صحيحة.

الشخص المفلس النموذجي رب أسرة أبيض من الطبقة الوسطى ولديه أولاد ويعمل بدوام كامل. تقريباً نصف الذين يعلنون إفلاسهم متزوجون. إنهم أفضل تعليماً قليلاً من مستوى السكان بوجه عام. عانى جميعهم تقريباً من حادثة شخصية مروّعة، مثل فقدان العمل، أو الطلاق، أو مشكلة صحية خطيرة. (بين أولئك الذين عانوا مشكلة صحية خطيرة،

كان ثلاثة أرباعهم يتمتعون بتأمين صحي عندما بدأت المشكلة). المجموعة الأسرع نمواً من المفلسين هي المديرون الذين يتحملون نفقات صحية متزايدة لا يغطيها التأمين، لكن يقومون برعاية شبان في العشرين من العمر، والذين ترتفع تكاليف تعليمهم باستمرار.

كان الإفلاس قد أصبح حدثاً خاصاً بالطبقة الوسطى في أمريكة.

ولماذا هذا العدد الكبير؟ غالباً ما يكون السبب في ازدياد حالات الإفلاس هو سهولة الاقتراض. في سنة 1970، كانت 51 % من العائلات فقط قد استعملت بطاقات الائتمان من قبل، في حين يستعملها الآن أكثر من 80 %. ولا ينبغي أن يكون لديك سجل اقتراض جيد للحصول على بطاقة ائتمان - في التسعينيات، كان معدل الإقراض الذي ينطوي على مخاطرة (لأشخاص مع سجل سيئ في الاقتراض) قد نما على نحو أسرع من صناعة الإقراض عموماً. يشتكي المقرضون من المتهربين من دفع ديونهم، لكن الحقيقة أنهم يجنون فائدة ورسوم تأخير من عملاء يعانون مشكلات أكثر مما يخسرونه من عدم دفع الديون المستحقة لهم. ومع إقراض أسهل تحصل تجاوزات أسهل.

سبب آخر شائع هو معدل ادخار أمريكة السحيق - في سنة 2005، ادّخرنا بمعدل سلبي - للمرة الأولى منذ الكساد الكبير.

أخيراً، يقول العديد من الخبراء: إن الإفلاس في ازدياد؛ لأن الوصمة المتعلقة به في تراجع. في حين تجعل قوانين جديدة الإفلاس أسهل (وهو ما كان سائداً حتى سنة 2005)، وتسهم في إفلاس المزيد من الأشخاص، يعرف الكثير من الناس شخصاً نجح الأمر معه تماماً. ربما يكون هذا المسوّغ خيالاً أكثر منه حقيقة، على أي حال. كان اقتصاديون قد برهنوا على أن وصمة الإفلاس، في الواقع، حية ومتقدة؛ ويقول ثلاثة أرباع المفلسين: إنهم عانوا من اكتئاب بعد إعلان إفلاسهم.

وفقاً للأستاذة وارين، على أي حال، ما يجري حقاً في هذا المضمار هو ارتفاع تكلفة الانتماء إلى الطبقة الوسطى. كانت المدارس العامة الجيدة قد أضحت نادرة بما يكفي في الأحياء التي تخدمها، وهناك حرب مزايدة لا سابق لها على المساكن، وكان الرهن العقاري قد وصل إلى مستوى لم يسبق له مثيل. أضف إلى ذلك ارتفاع تكاليف الرعاية

الصحية، ورسوم الجامعات التي تزيد عن معدل التضخم، وسيكون لديك طبقة وسطى مكبّلة اليدين. وعلى الرغم من أن دخل الأسرة ربما يكون في طريقه للارتفاع، إلا أن ما يتبقى منه في طريقه للانخفاض.

هذا يعني أنه عند حدوث أزمة، لن يكون هناك أي مخفف للصدمات. في عائلة نموذجية من الطبقة الوسطى، تعمل الأم حالياً، لهذا لا يمكنها العمل لتحقيق دخل للطوارئ. تنتقل العائلة إلى أرخص منزل يمكنها شراؤه في مقاطعة تكون فيها تكلفة التعليم أقل ما يمكن. في الطبقة الوسطى اليوم، المولون واثقون تماماً أنه إذا أصاب العائلة أزمة مثل خسارة عمل، أو طلاق، أو مرض، فإنها ستواجه وقتاً عصيباً.

ما الذي يعنيه ذلك لأمريكا؟

المفارقة أن بعض حالات الإفلاس متجذرة في أنباء جيدة. عندما ينجح المرض في قتلنا أخيراً، لا نتلقى فواتير طبية فلكية باستمرار. عندما لا تكون الجامعة إلا للنخبة، لا يغرق معظم الناس في قروض التعليم. عندما لا يمكن لأي شخص الاقتراض، لن يتخلف أحد عن أداء واجباته.

في الواقع، يعد خيار الإفلاس الموقر إحدى الدعائم الصحية لاقتصادنا. في حين ينتاب القلق الولايات المتحدة من الديون الشخصية، يضغط بعضهم في أوروبة واليابان لتوفير المزيد من خيارات الإفلاس لزيادة المخاطر والفرص التجارية. الفشل منتج التجريب، والمخاطرة. لو أننا لم نحاول البتة الوصول إلى القمر، لما وقعت حادثة مكوك الفضاء كولومبيا. أو، كما قال الرئيس التنفيذي للخطوط الجوية الشرقية Eastern Airlines المفلسة الآن: «رأسمالية دون إفلاس مثل نصرانية دون جهنم».

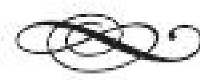
لكن حتى إذا عكس الإفلاس، عند مستوى ما، تقدم المجتمع بوجه عام، يتطلب الاندفاع الحالي للأمريكيين نحو الدمار المالي انتباهاً كبيراً. على نطاق واسع، يعكس الإفلاس المشكلة في نظامنا التعليمي، وإذا لم تكن سوى بعض المقاطعات جيدة بهذا الشأن، فإن ذلك يدفع الناس إلى زيادة الإنفاق على المنازل فيها لمنح أطفالهم تعليماً

معقولاً، وفي نظام الرعاية الصحية، سيكون حتى المؤمَّن عليه عرضة للخطر إذا تعرض لوعكة صحية خطيرة.

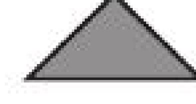
وعلى مستوى مباشر، حقيقة وجود 2 مليون شخص وصلوا إلى نقطة الانهيار تعني أن هناك سوقاً نامية لاستشارات الديون، والدروس المالية، والتدريب على إدارة المال. لماذا لا نسمح لفتاة يبلغ عمرها 16 سنة بالقيادة على الطريق دون شهادة سياقة، لكننا نمنحها بعد سنتين بطاقة ائتمان دون إجراء اختبار مالي؟ لا تعلّم أي مدرسة تقريباً في أمريكة شيئاً عن إدارة الأموال الشخصية، وبالرغم من ذلك يحمل 1 من كل 3 طلاب ثانوية بطاقة ائتمان.

لهذا إذا كنت تمثّل إحدى تلك الشركات التي لديها الكثير من الديون التي لا يمكن سدادها، توخَّ الحذر. سيتعرض عملك لنكسة شديدة إذا استمرت تلك النزعات، وسيكون لديك الكثير من العقارات في العقود القادمة. سنرى على الأرجح احتمالات أقل للإثراء بسرعة مع العقارات - وبدلاً من ذلك المزيد من «الطرق للخروج من تحت الأنقاض» والتخلص من كل تلك المنازل التي اشتريتها. طالما كان بمقدورك الاحتفاظ بمنزل في فلوريدا في حالة إفلاسك، ستبقى تلك الولاية مغناطيساً قوياً للمفلسين.

إذا استمرت حالات الإفلاس الشخصي في الارتفاع بالمعدلات الحالية، فسيكون هناك زهاء 8 ملايين شخص مفلس بحلول سنة 2025. على الرغم من أن بناء هذا البلد قام على مبدأ أن الفرص للجميع، إلا أن أمريكة كانت قد رأت بدلاً من ذلك في السنوات القليلة الماضية انكماش الطبقة الوسطى واتساع طبقة المفلسين. وهذا تحدٍّ كبير خطير لنا جميعاً في المستقبل.



القطاع غير الربحي



ليس هناك بلد في العالم أكثر ارتباطاً بالأسواق الحرة، والرأسمالية، والقطاع الخاص من الولايات المتحدة. إنها «أرض الفرص». «أسمال للأثرياء» هي شعارنا القومي. أرني النقود!

أولئك الذين يستطيعون، يجنون الكثير؛ وأولئك الذين لا يستطيعون ينظمونها. أو، كما قال رونالد ريغان (وما قد أقوله، في لحظة موالاة، والذي يشكل فلسفة للحزب الجمهوري): «أفضل العقول ليست في الحكومة. لو أنها هناك، لكانت الشركات وظّفتها مباشرة».

أنا شخصياً لا أوافق على ذلك، بالطبع. بالرغم من أنني كنت قد قضيت كل مسيرتي المهنية في القطاع الخاص، إلا أن زملاء مقرّبين، وعملاء رائعين يقومون بأعمال حكومية ويحققون نتائج مذهلة. لكن أخيراً، كان التوتر بين القطاعين العام والخاص قد أصبح أقل حدّة وظهوراً. منذ السبعينيات، لم تحقق الأعمال سواء في الحكومة أو الشركات نمواً يذكر، بمعايير استقطاب موظفين. ما حقق نمواً، بطبيعة الحال، هو القطاع «الثالث» - الذي يدعى أيضاً القطاع المستقل أو القطاع غير الربحي. مقارنة بنسب نمو العمالة الباهتة في قطاعي الشركات والحكومة بمعدل 1.8 و1.6 %، على الترتيب، بين سنتي 1977 و2001، نمت العمالة في القطاع غير الربحي 2.5 %.

إليك ما يعنيه ذلك في مجال الوظائف الحقيقية. في سنة 1977، كان 6 ملايين شخص يعملون في القطاع غير الربحي. بحلول سنة 2001، كان الرقم قد ارتفع إلى أكثر من الضعف، ووصل إلى 12.5 مليوناً.

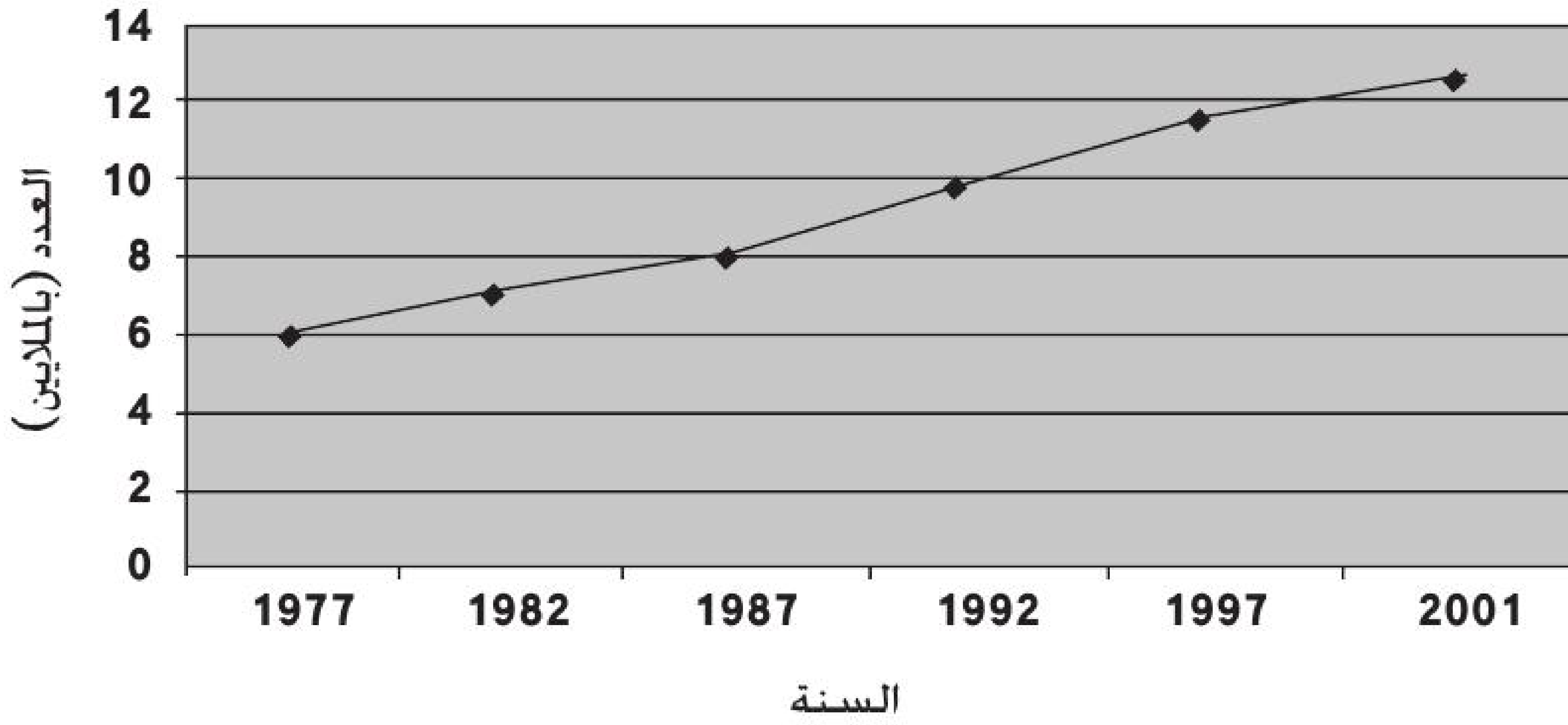
مع 12.5 مليون موظف، لا يزال القطاع غير الربحي الأصغر بين الثلاثة، لكنه حتى الآن الأسرع نمواً. والعمل ضمن القطاع غير الربحي متنوع جداً الآن، ومجزٍ على نحو

نسبي، حتى إنك تستطيع إرساء دعائم مسيرة مهنية جيدة في أمريكة دون أن تلتحق بمؤسسة حكومية أو تنضم إلى شركة خاصة.

نتيجة لذلك، كان هناك ارتفاع ملحوظ في الطبقة غير الربحية. أشخاص يقضون حياتهم المهنية دون التفكير في المساهمين والأرباح أو مكافأة نهاية السنة؛ أشخاص يطمحون لتعويض يزداد تدريجياً، وليس أُسّياً أشخاصاً لا تمثل عبارة «أرني المال» سوى مشهد غريب في فيلم كرة قدم من التسعينيات.

عدد الموظفين في القطاع غير الربحي

1977–2001



المصدر: القطاع المستقل، الكتاب السنوي، 2001.

ما سبب هذا الازدياد في عدد المنظمات غير الربحية؟

أولاً، كانت أموال المانحين قد جعلته ممكناً. أعداد فاحشي الثراء في العالم يزداد - كان هناك زهاء 700 بليونير سنة 2005، مقارنة بـ423 سنة 1996 - وهم عرضة لضغط كبير للتبرع بسخاء. (كذلك فوائد التخفيضات الضريبية). وهكذا بين سنتي 1993 و2003، كان عدد المؤسسات الخيرية في أمريكة قد تضاعف تقريباً، وازدادت أصولها بأكثر من 150 % لتصل إلى 476 مليار دولار. في المقابل، ارتفع عدد المنظمات غير الربحية المسجلة إلى نحو 1.5 مليون.

نتيجة لذلك، يمكن أن يصبح العمل غير الربحي ثرياً ومتنوعاً - من المستشفيات إلى التعليم العالي، من المتاحف إلى المساجد، من برامج محاربة الفقر إلى جهود دعم

البيئة. «غير ربحي» لا تعني بالضرورة «دون تمويل». على الرغم من أن الرواتب المبدئية للعمل في المنظمات غير الربحية تنحو لأن تكون أقل بـ10 % من الرواتب الحكومية وأقل بـ20 % من الشركات الخاصة، وجدت دراسة في بنسلفانيا سنة 2006 أن معدل راتب الموظف في المنظمات غير الربحية في تلك الولاية كان أقل بـ5 % فقط من معدل الراتب في القطاع الخاص (641 دولاراً/أسبوعياً مقابل 679) . وعلى مستوى الرؤساء التنفيذيين في المنظمات غير الربحية، يمكن للمرء أن يجني جيداً: بين سنتي 2004 و2005، ارتفع متوسط التعويض للرؤساء التنفيذيين في المنظمات غير الربحية - 327.575 دولاراً - بسرعة أكبر من رواتب رؤساء أفضل 500 شركة في البلاد. في سنة 2007، كان الرئيس السابق لاتحاد عمال الزنك يحصل على قرابة 1 مليون دولار حتى عرف مجلس النواب بالأمر.

ثانياً، ربما يكون القطاع غير الربحي ينمو على نحو كبير بسبب تراجع القطاع الخاص. ولا أعني فقط كارثتي إيرنون Ernon وورلدكوم WorldCom أخيراً، أو حتى مارثا ستيوارت. منذ سنة 1981، كانت نسبة الأمريكيين الذين يظنون أنه ينبغي كبح جماح الشركات قد ارتفعت من 18 إلى 34 %. بين سنتي 2001 و2006 وحدهما، ازدادت نسبة الأمريكيين الذين يقولون: إن نفوذ الشركات ينبغي أن يكون أقل في هذا البلد من 1 من كل 2 إلى قرابة 2 من كل 3. والحكومة ليست محبوبة أكثر أيضاً. كانت الثقة بالحكومة لمعالجة مشكلات أمريكة قد تراجعت من 70 % في بداية السبعينيات إلى 50% الآن. لهذا، على الرغم من أن المنظمات غير الربحية تعاني هي الأخرى من مشكلاتها الخاصة التي تتعلق بثقة العامة بها، إلا أنها تُعتبر على نطاق واسع الأقل خطورة وجشعاً، وأكثر نفعاً من كلا القطاعين.

سبب آخر لارتفاع عدد المنظمات غير الربحية هو أن القطاع غير الربحي نفسه يتطور، وبدأ معالجة مشكلات اجتماعية كانت من اختصاص الحكومة، بنوع من الابتكار والانضباط الذي لطالما كان سمة الشركات الخاصة. في أيام سابقة، كانت المنظمات غير الربحية تعني أساساً مطابخ الحساء ومراكز التعليم، وربما تجلب إلى الأذهان الصليب الأحمر. الآن، يعمل عدد متزايد من المنظمات غير الربحية، التي تمثل حركة تدعى «العمل

الاجتماعي»، وفقاً لخطط إنجاز منضبطة، ومعايير صارمة، ومشروعات طموحة ينبغي تنفيذها. يدعم تلك المنظمات ممولون يعملون عبر مقاربة تدعى «الإيثار التجاري»، وهو استثمار يأخذ شكل الرأسمال التجاري في القطاع الخاص. نتيجة لذلك، تُحدث المنظمات غير الربحية في كل أرجاء العالم فرقاً حقيقياً، بسرعة - بالطريقة نفسها تقريباً التي تحقق فيها الشركات التجارية الناشئة النجاح بسرعة أو تفشل. وتعمل تلك المنظمات على قضايا مثل تغيير نظرة منخفضي الدخل للجامعات الأمريكية، إلى نشر مراحيض عامة في إفريقيَّة، إلى توسيع الإقراض الصغير في الهند. نظراً للمثالية والحس التجاري لدى شبان اليوم - هل من المستغرب أن ينجذب المزيد منهم إلى هذا القطاع؟ تدعم البيانات هذا الرأي: وفقاً لاستطلاع رأي قام به مركز هاريس Harris سنة 2006، تنتاب الأمريكيين في عمر 65 سنة وأكثر مشاعر فاترة تجاه المنظمات غير الربحية - لكن مشاعر أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين 18–39 إيجابية على نطاق واسع.

المنظمات غير الربحية تثير الاهتمام.

لهذا دعنا نلقِ نظرة أقرب على تأثيرات هذا القطاع المتنامي. إحداها أنه طالما أن هذا القطاع ينمو ويجذب إليه المزيد من الموهوبين، ربما سيحتاج إلى تنظيم أفضل من ناحية المساواة بين الجنسين. على الرغم من أن النساء يشكّلن زهاء 70 % من القوة العاملة في القطاع غير الربحي -وأغلبية المديرين التنفيذيين فيه- إلا أن الرجال لا زالوا يحصلون على نصيب الأسد من المال، ويشغلون أكثر من نصف عدد المواقع الأولى في المنظمات التي تتجاوز ميزانياتها 5 ملايين دولار. ويظهر ذلك التفاوت حتى عندما تكون المناصب نفسها: وفقاً لدراسة سنة 2006 عن أكبر المنظمات غير الربحية في البلاد، يحصل الرجال على رواتب أعلى بنسبة 50 % من النساء حتى في المنصب نفسه. من الواضح أن العديد من النساء يحببن العمل غير الربحي، ربما لأنه ينطوي على أبعاد أخلاقية ومريح للعائلة، و/أو يعززه الدخل الكبير الذي يجنيه الزوج. لكن خاصة في قطاع يستقطب أشخاصاً يريدون إصلاح العالم، ليس من الجائز أن تستمر فجوات الرواتب تلك مدة أطول.

تحدٍّ آخر يواجه القطاع غير الربحي المتطور هو معدل دوران رأس المال. في حين يتطور القطاع غير الربحي، يصل معدل دوران رساميله سنوياً إلى 3.1 %، وهو أعلى من معدل القطاع الخاص (2.7 %) أو القطاع العام (1 %). إذا أراد القطاع غير الربحي الحفاظ على النمو الذي يتخيله قادته، وتتطلبه احتياجاته، فسيكون عليه الاستثمار في أفضل أنظمة الموارد البشرية الموجودة للحصول على موظفين والحفاظ عليهم - ناهيك عن ذكر أن تكون الرواتب المبدئية جيدة بما يكفي ليستطيع الموظفون الشبان سداد قروض تعليمهم.

توقع تمحيصاً حكومياً أكبر أيضاً. بينما تنمو موارد القطاع غير الربحي وموظفوه وتأثيره -خاصة نمو القطاع غير الربحي السياسي- توقع أن يتم تخصيص المزيد من الموارد لتفقّد إن كانت كل منظمات 501 المنضوية تحت جناحه تعمل لـ«الصالح العام» وتستحق إعفاءها من الضرائب.

القصد أن القطاعات بدأت تتشوش. عندما تتصدى مؤسسات كثيرة لمهمة إصلاح المدارس الثانوية في أمريكة، أو معالجة أزمة الإيدز في إفريقيَّة - أو عندما يلاحظ أحد أذكياء المنظمات غير الربحية شيئاً مغموراً، لكنه ذو قيمة عالية ويتّبع خطة عمل متقنة لإعادته إلى وضعه الصحيح باستعمال قوى السوق - يبدو التمايز العام/الخاص/غير الربحي مهماً بوصفه قضية قانونية فقط. يمكن أن يكون العمل الحقيقي متشابهاً للغاية.

في حين كان يتم اعتبار القطاع غير الربحي نوعاً من الموقع الخلفي لعالم الأعمال، وقريباً فقيراً للقطاع العام الهائل، أصبح الآن وعلى نحو متزايد مقصداً بوصفه ملاذاً أول. ليست المواهب وحدها التي تتجه إلى هناك -تجعل القطاعات الأخرى تواجه وقتاً عصيباً فيما يخص الموظفين- لكن بمزجها لانضباط الشركات وعطف الحكومة، ربما يصل القطاع غير الربحي إلى مستوى يصبح فيه محط أنظار الآخرين. يدّعي المؤلف جيم كولينز، في تكملة كتابه الأكثر مبيعاً من حسن إلى أحسن بعنوان من حسن إلى أحسن والقطاعات الاجتماعية، أن الجيل الآتي من القادة في أمريكة سيكونون أولئك

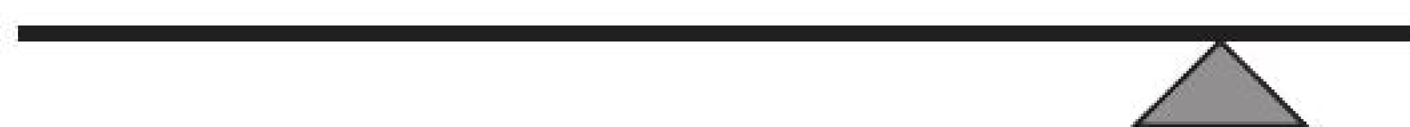
الذين يتمتعون بالقدرة على حل مشكلات اجتماعية ومهارات تجارية حقيقية. يبدو ذلك المزيج من المهارات مناسباً تماماً للعديد من المنظمات غير الربحية حالياً.

وهكذا، سيكون لدى الملايين من الشبان الذي يقلقون من المنافسة الاقتصادية العالمية في عالم الشركات، ولا يثقون بالخدمات الحكومية، ونمط عيش بديل - حياة مهنية في المنظمات غير الربحية. نتيجة لذلك، سيختار المزيد منهم القيام بأعمال لا تفيدهم فقط، وإنما تفيد آخرين أيضاً.

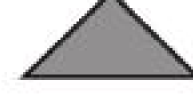


فصل 11

المظاهر والأزياء



الوشم



ما هو الشكل الفني الذي كان يشير، في أوقات مختلفة من التاريخ، إلى الملَكية والولاء والإجرام والانتساب إلى الرابطة العاجية (اتحاد جامعات في شرق الولايات المتحدة معروفة بمستواها الأكاديمي الممتاز)؟ نعم، الوشم، أو فن رسم أشكال دائمة على جلدك باستعمال إبر ساخنة، ومؤلمة. من الكلمة التاهيتية تاتو، وتعني «ترك علامة»، كان الوشم مستعملاً عبر تاريخ البشرية لتحديد المكانة الاجتماعية والقيام بطقوس دينية ووضع رموز دائمة على القراصنة والجواسيس، وإعلان استقلال الشبان.

وكان ما بدأ في الولايات بوصفه جزءاً من حركة الهيبي (لا تعترف بالعادات والتقاليد الاجتماعية وتعبر عن ذلك بمظاهر شاذة) وعصابات الدراجات النارية، قد أصبح شائعاً – بالنسبة للشبان، وأصبح الحصول على وشم شائعاً جداً مثل ثقب الأذنين. كان الوشم قد أصبح موضة.

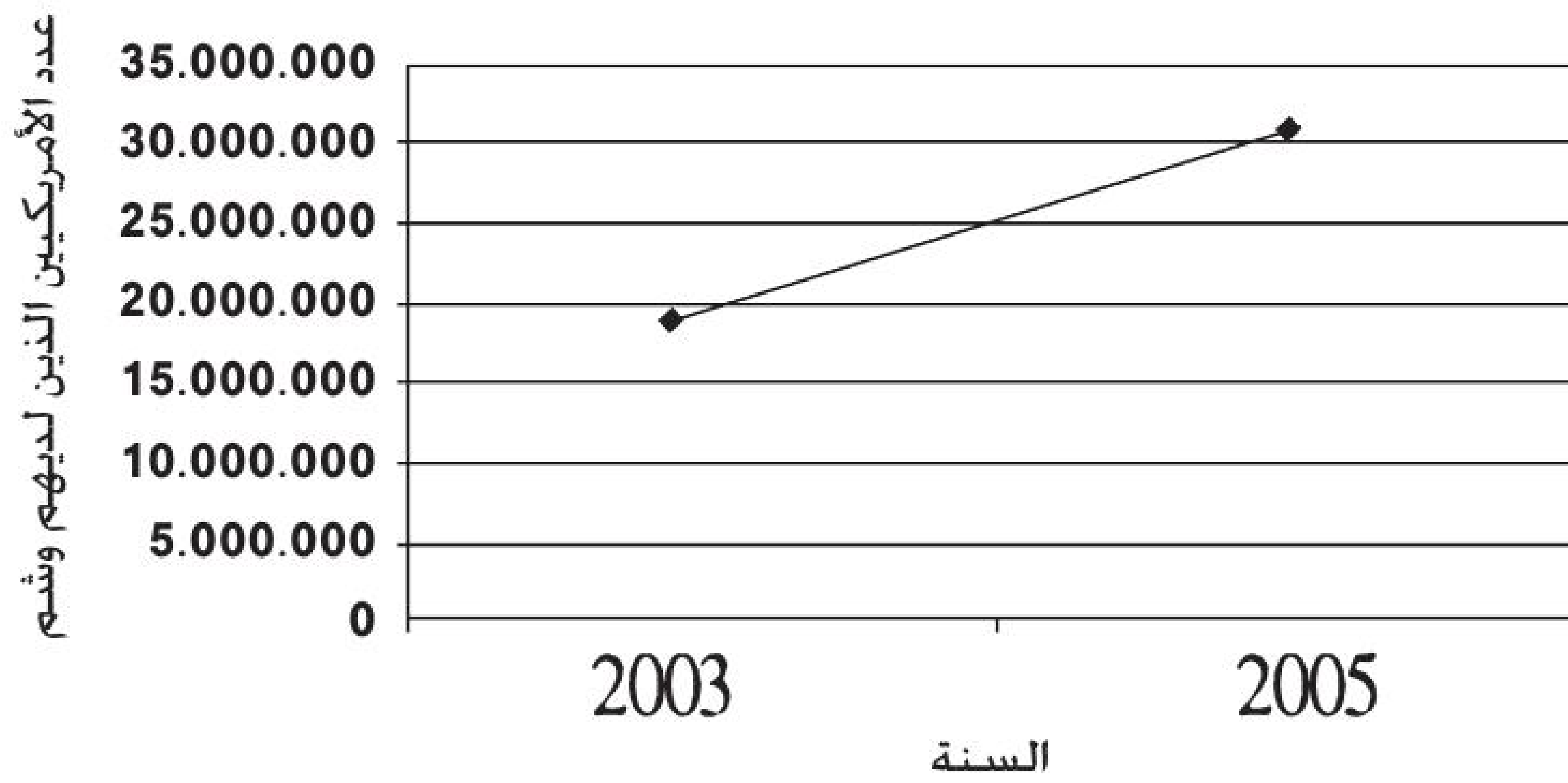
كان الشعر مرة علامة على التمرد وتميّز الشخصية في مواجهة والدين ومجتمع خائف مما يجري. يبدو الآن أن الشعر قد أصبح قصيراً، مع انتشار الصلع بين الرجال أكثر من الشعر الطويل. كان الفن على الجسد قد أصبح الطريقة التي يحب المزيد منا استعمالها للتعبير عن تميّز شخصيته، في أمريكة وحول العالم. وبخلاف الشعر الذي يمكن للجميع رؤيته بنظرة خاطفة، الوشم مخفي عادة ويكون جزءاً من شخصيتنا الخاصة، ولا يتم الكشف عنه إلا للذين يُسمح لهم برؤية الصورة الداخلية كاملة، أو أولئك الذين يشاركوننا غرفنا المغلقة.

لهذا في حالة كنت لا تزال تربط الوشم براكبي الدراجات والبحارة والمجرمين، أو أشخاص آخرين، ينبغي أن تتخلى عن تلك النظرة، ويُفضّل أن يكون ذلك قبل أن تعود ابنتك ذات العشرين ربيعاً –التي تدرس في الجامعة وينتظرها عمل رائع– إلى المنزل

في عيد الشكر مع وردة حمراء، أو ربما رمز صيني عن العفة، مطبوعاً على ردفها. وفقاً لاستطلاع رأي أجراه مركز هاريس Harris سنة 2003، أكثر من 1 من كل 3 أمريكيين تتراوح أعمارهم بين 29-25 سنة لديهم وشم. لدى ربع طلاب الجامعات تقريباً وشم. (نحو 13 % تقريباً من الأمريكيين الذين تتراوح أعمارهم بين 24-18 لديهم وشم وثقب في الجسد، دون حساب النساء اللواتي يثقبن آذانهن).

العدد التقريبي للأمريكيين الذين لديهم وشم

بأعمار بين 49-18، 2006-2003



المصدر: صحيفة الأكاديمية الأمريكية لأمراض الجلد. الإحصاء العام في الولايات المتحدة. 2003-2006.

بوجه عام، ابتداءً من سنة 2006، أكثر من 30 مليون أمريكي -أو قرابة 1 من كل 4 راشدين- لديهم وشم، ارتفاعاً من أقل من 20 مليوناً بقليل قبل ثلاث سنوات.

ظاهرة الوشم هذه ليست محصورة بالولايات المتحدة فقط. يصطف أشخاص في بريطانية وأسترالية واليابان لوشم أجسادهم. زهاء 8 % من المراهقين الكنديين لديهم وشم، وفقاً لدراسة أُجريت سنة 2000، و 61 % من هؤلاء المراهقين فتيات.

وهكذا، في حين كان الوشم سابقاً علامة على المنزلة الوضيعة، أصبح الآن طقساً للجميع. الفتيان يفعلون ذلك؛ الفتيات يفعلن ذلك؛ والناس الذين يضعون اللآلئ يفعلون ذلك. بالفعل، في استطلاع هاريس، تتألف المجموعة الأفضل دخلاً بين الأمريكيين الذين يضعون وشماً (22 %) من أشخاص يجنون أكثر من 75.000 دولار. بالمقارنة،

عرّض 8% فقط من الناس الذين يجنون بين 15.000–25.000 دولار أجسادهم لفرشاة الرسم الكهربائية. بكلمات أخرى، كنت أكثر ثراء هذه الأيام، كلما كان احتمال حصولك على وشم أكبر.

جزء من الإغراء هو، دون شك، التمرد. صورة يابانية تدل على الحياة أكثر، لنقل، مما يمثّله والدان ضيِّقا الأفق. رياضي صغير أو رمز ثقافي يريد تقديم هوية خاصة به، أو أن يجعل حرفياً من نفسه «علامة تجارية» لأنداده. مثل لفائف التبغ في السبعينيات أو سيارات معدّلة في الخمسينيات، الوشم اليوم طريقة مبتكرة لكنها ليست خطيرة جداً يقوم في أثنائها أولاد الطبقة الوسطى بإظهار الجانب الحماسي منهم.

لكن الوشم ليس شيئاً يدل على التحرر والتمرد فقط. بالنسبة لأشخاص أكثر تحفظاً، يمثّل الوشم أيضاً الانضباط والولاء. هل هناك طريقة لإظهار المُثل المحافظة الجوهرية التي تعبر عن الديمومة والالتزام أفضل من دمج فكرة (أو شخص) في شخصيتك؟ وفقاً لاستطلاع هاريس، 14% من الجمهوريين في الولايات المتحدة لديهم وشم. على الرغم من أن تلك نسبة أقل بقليل مما لدى الديمقراطيين، إلا أنها بالرغم من ذلك تعني أن زهاء 7 ملايين جمهوري لديهم وشم يجولون في أنحاء أمريكة.

لماذا الوشم؟ وفقاً لاستطلاع هاريس، يقول واحد من كل ثلاثة أمريكيين: إنه يجعلهم يشعرون بأنهم أكثر إثارة، بما في ذلك نحو نصف النساء اللواتي لديهن وشم. يقول واحد من كل أربعة لديهم وشم: إنه يجعلهم يشعرون بأنهم أكثر جاذبية.

وهناك الكثير من المشاهير الذين لديهم وشم. لدى نجمة السينما أنجلينا جولي اثنا عشر وشماً على الأقل، بما في ذلك تنين في أعلى ذراعها الأيسر (الذي كان عليه «بيلي بوب»، حتى انفصلا وقامت بإزالة اسمه بالليزر). ظهر نجم الراب 50 سنتاً مغطى بأكمله بالوشوم. تحمل بريتني سبيرز وشومَ جنّية وزهرة الربيع وفراشة والرمز الصيني لـ«الغموض» وثلاثة حروف عبرية على قدميها وبطنها وعنقها. وشم نجم كرة القدم ديفيد بيكهام أسماء زوجته وولديه على ذراعه وظهره.

وحتى لا ننسى هؤلاء الجمهوريين، يقال: إن وزير الخارجية الأسبق جورج شولتز كان لديه وشم نمر على أذنه من الخلف - ادّعاء رفض أن يؤكده أو ينفيه.

لكن بينما ينتقل عملاء الوشم من المجرمين إلى طالبات الجامعة، من المحرومين إلى الأثرياء، ما هي التأثيرات المحتملة بالنسبة لأمريكة؟

أولاً: ربما يرغب فنانو الوشم في فعل ما تفعله كل خدمة يتسع نطاقها - ينتقلون إلى مستوى أعلى، يضعون أنظمة وقواعد مناسبة، يزيدون الأسعار، يحدّثون التصميمات والرسوم، ويقومون بإنشاء مؤسسات قومية، ويختارون بعض المشاهير؛ ليتحدثوا باسمهم. (تستطيع جولي أو بيكهام وحدهما بيع ملايين نقوش الوشم على التلفاز). هناك الآن تقديرات تشير إلى وجود من 4000 إلى 15.000 دار وشم في الولايات المتحدة، ارتفاعاً من 300 قبل عشرين سنة فقط. هذه سوق محتملة بمليارات الدولارات - إنه «الفن على الجسد»، ويشهد طلباً متزايداً - ومع ذلك لا تزال تقدمه متاجر عائلية تبيع بطاقات قصور وتنانين. أين مكدونالدز McDonald's من الوشم - مع العلامة التجارية الموحدة، وضمانات الأمان، والإعلان القومي؟ (وأين لو سيرك Le Cirque، مع نخبة الفنانين لنخبة العملاء؟). إن دفع هذا العمل إلى مستوى أعلى قد يضاعف حجم السوق بين ليلة وضحاها.

انظر إلى التغييرات في السياسات الرسمية، أيضاً. على الرغم من أن خفر السواحل الأمريكي لا يزال يرفض ضم شخص لديه وشم ظاهر، أو ما يغطي أكثر من 25 % من ذراعه أو ساقه، غيّر الجيش سياسته سنة 2006 وسمح بوشم اليدين أو العنق طالما أن الوشم لم يكن «متطرفاً، بذيئاً، مثيراً أو عنصرياً».

هل يخرق ذلك التقييد «التعديل الأول»؟ كما كان الشعر الطويل غير مرغوب سابقاً، ألا يعد الوشم دستورياً غير مقبول، أيضاً؟ هل لا يزال اليوم الذي سيكون على المحكمة العليا التدخل فيه بشأن الوشم بعيداً أيضاً؟ (هل سيقوم أي شخص يترافع لإنقاذ موكله بالكشف عن سر شخصي تحت الأثواب السوداء؟). تخيل تأثير قانون يقضي بأن الوشم جزء من حقوقنا غير القابلة للتصرف.

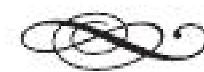
تسمح غوغل Google وياهو Yahoo! لموظفيهما بالوشم. وكذلك تفعل فورد Ford وويلز فارغو Wells Fargo. لا تزال هناك شركات تحظر على موظفيها الوشم - مثل ستاربكس Starbucks، ومكدونالدز McDonald's، وبلوكبستر Blockbuster، والعديد من أقسام الشرطة في البلاد - لكنها قد تغير سياساتها قريباً؛ لأن حظر الفن على الجسد ربما يحرمها من العديد من المواهب الشابة.

وربما تحتاج الحكومة الاتحادية إلى القيام بعمل ما، أيضاً. حتى اليوم، لم تضع هيئة الأغذية والأدوية ختم موافقتها على أي صبغة أو حبر للوشم، لكن إن ارتفعت أعداد الوشوم في أمريكة كثيراً، ربما تقرر الوكالة أنها بحاجة للتدخل.

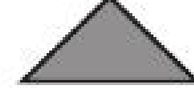
بالطبع، المثير للدهشة بشأن الأشخاص الذين يضعون الوشم أنهم في مسعاهم لإظهار ميزة صغيرة -الجانب السيئ من الفتى والفتاة- ينتهي بهم الأمر في الواقع بالانضمام إلى حشد كبير. آه بالتأكيد، النمر الآسيوي على أعلى الكتف. لقد كنت هناك، أرسم ذلك بالحبر.

السؤال هو ما النزعة المقبلة، إذا كان ثقب الأذن قد أصبح شيئاً محافظاً، الوشم شائع، وثقب الجسد غير ذي أهمية. هل سيصبح الجسد مساحة للإعلان؟ إذا كنت تستطيع حمل الفن، فلماذا لا تصبح لوحة إعلانية؟ ماذا عن 10 دولارات بالساعة مقابل التجوال على شاطئ مع وشم «اشترِ نظارات شمسية؟».

ربما لم تتطور صناعة الوشم إلى المستوى الآتي؛ لأن الناس يعتقدون أنها موضة زائلة - مثل الطوق الخشبي. لكن على الأرجح، فإن استعمال أجسادنا لعرض بيانات سياسية وجنسية ورومانسية وودّية ظهر ليبقى، وستتطور التقانة لتساعد في إزالة الوشوم، ورسم وشوم ثلاثية الأبعاد، ووشم متوهجة. إضافة إلى ذلك، يحب الناس الذين يضعون وشماً التواصل مع أشخاص آخرين يحملون وشوماً أيضاً - مع ازدياد أعداد هؤلاء، يبدو أن الأرقام سترتفع بمرور الوقت.



الفوضى والترتيب



لطالما عدّت أمريكة نفسها بلداً يثمّن الترتيب. لم تكن البتة بلداً يتمسك بالشكليات - لكنها بلد تسمع فيه «أبعد أغراضك» كل يوم في عشرات ملايين المنازل.

الترتيب هوس يغذي صناعة بـ6 مليارات دولار من منتجات تنظيم المنزل، مثل سلال البلاستيك وخزائن الملفات. ننفق 3 مليارات دولار زيادة على ذلك في محاولة لتنظيم خزائن ملابسنا. كل رأس سنة جديدة، نعقد العزم على «تخفيف الفوضى» بقوة عزمنا نفسها على تخفيف الوزن.

وعندما لا تدفعنا أمهاتنا لنكون أكثر ترتيباً، يتولى الدين زمام الأمور. يقال: إن «النظافة بعد الإيمان» حكمة عبرية من القرن الثاني. يعدنا الإنجيل بوجودنا «40 يوماً في المطهر». في الإسلام، يقال: إن «النظافة والترتيب شطر الإيمان». وجدت دراسة حديثة أن ثلثينا يشعر بالذنب أو الخجل من الفوضى التي يعيش فيها.

لكن بالرغم من الضغط التجاري، والثقافي، والديني لـ«تنظيف أفعالنا»، هناك مجموعة متنامية من الأمريكيين الذين لا يريدون، أو لا يفعلون، أو لا يستطيعون. ولا يعزى السبب إلى أنهم يحبون الفوضى، أو يعتقدون أنها عامل عتق أو إلهام. إنهم غارقون في الفوضى، ونظراً لحجم الأشياء في حياتهم، كانوا قد قرروا ببساطة ألا شيء يستحق الترتيب، والتصنيف، والفرز.

وعلى الرغم من أن فلسفتي الشخصية هي إبقاء كل شيء مرتباً بأناقة، إلا أنني تبنيت مقاربة نفعية فيما يتعلق بالتصنيف والترتيب. إذا كنت ستنظر إلى شيء ما مرة واحدة على الأغلب، هذا إذا نظرت إليه أصلاً، فلا تضعه في ملف. مثلاً، في سنة 2006، قم برمي كل الفواتير في سلة -«فواتير 2006»- ولا تزعج نفسك بإنشاء ملف لكل نوع

مختلف من الفواتير. إذا احتجت يوماً للعثور على شيء، فاقض بعض الوقت في تصنيفها كلها. إنه نظامي الخاص لإبعاد نفسي عن الغرق في تصنيفٍ غير ذي جدوى، حتى لو كان كل شيء تقريباً موجوداً اليوم إلكترونياً. لكن المزيد من الناس يتبنون فلسفة أبسط حتى -تخلى عن كل شيء واستسلم لما يحدث لك- ودع الفوضى تبدأ.

في ربيع 2007، أجرينا استطلاعاً سريعاً للرأي لاكتشاف من هم الفوضويون في أمريكا، وإلى أي حدٍ هم كذلك مقارنة بجميع من سواهم. عرّفنا «فوضوي» بأنه شخص يقول عن نفسه أو نفسها: إنه «فوضوي جداً»، أو من يقول: إن آخرين سيدعونه أو يدعونها فوضوية، أو أي شخص يقول: إن الفوضى قد عملت على إبطاء حياته أو التخفيف من جودتها. كانت نسبة مثل هؤلاء الفوضويين في أمريكا نحو 1 من كل 10. من بين 200 مليون راشد في أمريكا، هذا يعني 20 مليون شخص.

أغلبية الفوضويين ليست، كما تكون قد تخيلت، ذكوراً. يفوق عدد الرجال عدد النساء، لكن بنسبة 55 إلى 45 %. وليس الفوضويون كسالى أو غير ناجحين. أكثر من 2 من كل 3 منهم موظفون بدوام كامل، ومن بين أولئك الذين لديهم أولاد، معظمهم لديهم أطفال تحت سن الخامسة. قاموا على الأرجح أكثر من غير الفوضويين بإنهاء دراستهم الجامعية و/أو الثانوية. نسبة من يجني منهم أكثر من 100.000 دولار سنوياً أعلى بمرتين من غير الفوضويين. ونسبة من يعرّفون عن أنفسهم بأنهم متحررون أعلى بمرتين تقريباً من نسبة غير الفوضويين (37 مقابل 19 %)، مع نسبة جديرة بالملاحظة تبلغ 47% من الفوضويين يقولون: إنهم ديمقراطيون.

يقوم أقل من 1 من كل 4 بترتيب أسرّتهم على نحو يومي. يترك أكثر من 1 من كل 3 أطباقاً متسخة في المغسلة أكثر من يوم. يترك نحو 15% أطباقاً متسخة في حجرته الخاصة، أو غرفة المعيشة، أو غرفة النوم مدة أطول من يوم. عندما يخلعون ملابسهم في الليل، يرمي نحو 4 من كل 10 ثيابهم على الأرض. يترك واحد من كل 3 طاولة المطبخ دون تنظيف أكثر من أسبوع، إن لم يكن مدة أطول.

في سنة 2007، نشر خبيرا العمل غيريك أبراهامسون وديفيد إتش. فريدمان فوضى كاملة، كتاب يشرح وضع الفوضويين. قالا: إن مكاتب فوضوية ترتبط بالحكمة، والخبرة، ورواتب أعلى (يتوافق هذا مع نتائج استطلاعنا، على الأقل لمن يجني أكثر من 100.000 دولار). قالا: إن الفوضى تسمح بظهور سجايا ضرورية لتحقيق الإبداع - مثل الارتجال، والقدرة على التكيّف، وموهبة اكتشاف الحلول. (لو أن ألكسندر فليمنغ لم يكن فوضوياً بما فيه الكفاية ليترك أطباق مختبرات متسخة حول مكتبه، لما كان قد اكتشف البنسلين). قالا أيضاً: إن الفوضويين يصبحون آباءً أفضل - يركزون على الحنان والاهتمام بالعائلة، بدلاً من جلب الدمى وطاولات القهوة.

أشار بعضهم أيضاً إلى أن النظافة تقتلنا. بدأ الأطباء الآن إعادة النظر في «فرضية العادات الصحية» - فكرة أن سبب الارتفاع الحاد للإصابات بالربو والحساسية هو عدم التعرض لجراثيم معينة. يقال: إن مبيضات الكلور التي تمحو آثار كل ما يسكبه المرء على الملابس، تسمم مئات الأطفال سنوياً، وقد تكون لها علاقة بسرطان الثدي لدى النساء ومشكلات العقم عند الرجال. كان قد تم ربط المبيدات، العلاج لكل مشكلات المروج الخضراء، بفقدان الذاكرة القصير المدى، وعدم تناسق حركة اليد مع العين، وضعف موهبة الرسم عند الأطفال. فجأة، تصبح الأشياء المتسخة سليمة، إن لم تكن صحّية تماماً. ربما يكون معارضو المطهّرات على حق.

لكن استطلاعنا وجد أن معظم الفضوليين لا يقبولون الفوضى التي يستسلمون لها. لا يهتمون بإثبات أن الفوضى ليست فوضى، بقدر ما يهتمون بإدارة تجربتهم الخاصة معها. قال أكثر من ثلثي الفوضويين إنهم يتمنّون لو كانوا أكثر ترتيباً (ولم يتمنَّ أحد أن يكون أكثر فوضى). وافق ثلثا الفوضويين: على أن الترتيب يساعد الناس في السيطرة على حياتهم. لا يدافع أي من الفوضويين تقريباً عن الفوضى، ويقول أقل من 1 من كل 4: إنها تساعدهم على الإبداع. بالفعل، قال أكثر من نصف الفوضويين إنهم لا يستطيعون العيش في فوضى - قرابة عدد غير الفوضويين: الذين قالوا ذلك. لا تحاول هذه المجموعة تغيير وضعها الفوضوي، وإنما إدارة فوضاها فقط.

عندما سُئل الناس: لماذا تغرق منازلهم في فوضى؟ قال كل من الفوضويين وغير الفوضويين: إن الأمر لا يتعلق بالاعتداد بالنفس واللامبالاة، أو حتى ضغط الوقت. ألقوا باللائمة على وجود عدد كبير من الأشياء. يشكل امتلاك الكثير، والقليل من الأماكن لتخزينها فيه، أكثر من نصف السبب الذي يجعل فوضويي أمريكا يعانون الأمرّين.

ما هو أهم سبب يجعل منزلك متسخاً أو غارقاً في الفوضى؟	الجميع	الفوضويون
هناك الكثير من الأشياء	29	33
ليس لدي وقت لإبقائه نظيفاً مرتباً	18	22
ليست هناك مساحة تخزين كافية	17	18
لا يتسخ منزلي أو يغرق في الفوضى	22	16
أنا/نحن لا نهتم إن كان غارقاً في الفوضى	4	8
تساعدني الفوضى على الإبداع	1	2
لا أعرف	7	2

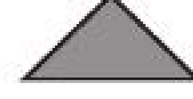
وهكذا، هذه نزعة عن الوفرة في أمريكا- مما يجعلها أقل ارتباطاً بالكسل، وأكثر شبهاً بالبدانة. لدينا فائض من الممتلكات، كما لدينا فائض من الطعام. لهذا يزداد عدد الفوضويين بين الأثرياء. كلما كان ما نستطيع شراءه أكثر اشترينا أكثر فعلاً - ونجني، ونكسب، ونجمع، ونحتفظ بكل ذلك. وعلى الرغم من أن العديد من الناس يخرجون وينفقون على المزيد من الأشياء التي تساعدهم على تنظيم أشياء أخرى، إلا أن الفوضوي يعيش ببساطة وسط ذلك، ويسمح للفوضى أن تصبح بيئته الطبيعية، بدلاً من غسل طبق وجوربين متسخين في كل مرة.

تأثيرات هذه الظاهرة مهمة. أولاً، إذا كنت تعيش مع فوضوي، فتوقف عن إزعاجه. قال 76 % من الفوضويين: إنهم يكرهون أن يزعجهم أحد بشأن وضعهم الفوضوي - مثلما لا يحب البدينون عادة سماع شكاوى أزواجهم (أو تناول كميات أقل من الطعام نتيجة لذلك). الفوضويون ليسوا منفتحين للإقناع المنطقي في هذا المجال، وتنتابهم مشاعر سيئة بما يكفي عن أنفسهم من ذلك.

وإذا أظهرنا جميعاً بعض التساهل، فربما ستصبح الحياة أكثر متعة. نحن في عصر الآباء فيه أكثر تساهلاً، والتعبير عن النفس أكثر وضوحاً، والخيارات الشخصية أكثر اتساعاً. ربما لا يكون الترتيب شيئاً من الماضي، لكن بالنسبة لـ1 من كل 10 أمريكيين، إنه مجرد أحد تلك المُثل التي لا يمكن تحقيقها؛ نظراً لضغط العمل والمسؤوليات. يشكل الفشل في الوصول إلى المستوى المتوقع لمعايير الترتيب الحديثة، كما أظهر استطلاعنا، مشكلة «الطبقة المخملية». كلما كنت أكثر ثراءً، وتعليماً، وانشغالاً، زاد احتمال أن تكون أحد أعضاء طبقة متنامية من الأمريكيين الفوضويين.



محبو الجراحة



أجرت صديقة لي خجولة جداً أخيراً جراحة تجميلية، وقد وجدت أن نتائجها رائعة ولا تسبب أي ألم. لأسابيع بعد ذلك، أذهلت الجميع بسؤالها لهم: «ماذا ينبغي أن أفعل أيضاً؟ هل أحتاج إلى عملية للأنف؟ هل ينبغي أن أشتري بعض السليكون؟».

لو أنها أجرت أياً منهما، لكانت حصلت على الكثير من الأصدقاء. كانت «الإجراءات التجميلية»، على اختلاف أنواعها، قد أصبحت شائعة في أمريكة أخيراً، حتى إنه مع شفط الدهون، والليزك (تصحيح عيوب البصر بالليزر)وتصحيح الأنف وتصغير المعدة -والإجراء المفضّل، زرع رموش العين- أضحى من النادر أن تجد أمريكياً لم يتطوع للاستلقاء تحت المبضع.

ما كان يعد سراً لطيفاً لامرأة بيضاء، ثرية، متقدمة في السن قد انتشر الآن إلى الجميع - بما في ذلك أشخاص يافعون، متوسطو الدخل وليسوا من العرق الأبيض. في سنة 2005، قال 41 % من الجرّاحين الذين جرى استطلاع آرائهم: إنهم يعالجون مراهقين. اعتبر 1 فقط من كل 8 أشخاص أن الجراحة التجميلية تتطلب دخلاً أكثر من 90.000 دولار؛ واعتبرت أكبر مجموعة (41 %) أنها تتطلب دخلاً بين 31.000 و60.000 دولار. ومن سنة 1999 وحتى 2001، ازداد عدد الأمريكيين - الأفارقة، الأمريكيين - الآسيويين، وأولئك من أصل لاتيني الذين يسعون لإجراء جراحة تجميل وترميم للوجه بنسبة تفوق 200 %.

آه، والرجال. من 12 مليون عملية تجميل تم إجراؤها سنة 2004، أكثر من 1 مليون كانت لرجال. (في سنة 2005. كانت هناك زيادة بنسبة 417 % في عدد الرجال الذين

أجروا عمليات «تقشير جلد» – هذا يعني إزالة الطبقة الخارجية من الجلد بالليزر وتسخين الكولاجين الموجود أسفل تلك الطبقة لتجديد الجلد). قبل عشر سنوات، لم يكن ليتم القبض البتة على رجل فوق طاولة جرّاح تجميل. الآن، يحاول الرجال البقاء في المنافسة ضمن العمل بالظهور أكثر شباباً وحيوية، ويحاولون مجاراة زوجاتهم الشابات دائماً.

في الواقع، قال 1 من كل 3 جرّاحين جرى استطلاع آرائهم: إنهم يرون الأزواج والزوجات يأتون معاً لإجراء تعديلات تجميلية معاً. قال خُمس الجرّاحين: إن الأمهات والبنات يأتين معاً – قالوا: إن العمليات الأكثر رواجاً هي شد الوجه للأم وتكبير الصدر للابنة. العائلة التي «تتضامن» معاً تقوم بإجراء العمليات معاً.

ما كان سابقاً سراً للسيدات يتغامزن عليه (إذا بقيت رموشهن تطرف)، أضحى الآن شيئاً علنياً يسعى إليه الجميع. كانت تقانات جديدة قد جعلت الأمر في منتهى السهولة. يمكنك إجراء عملية في يوم، أو في أثناء استراحة الغداء لبعضها، وبخلاف أيام سابقة كان المرء يحصل فيها على «إجازة طويلة»، لم يعد هناك اليوم أي مدة نقاهة عملياً. تكلف الكثير من الإجراءات أقل من سعر حاسب محمول جيد. ما الذي لن تحبه في الأمر؟

لا شيء، كما هو واضح. منذ سنة 1997، كان هناك ارتفاع بنسبة 444 % في الولايات المتحدة بعدد الإجراءات التجميلية، سواء كانت شد الوجه، أو تكبير الصدر، أو ترميم الجلد، أو حقن الدهون (في الشفتين). أنفق الأمريكيون نحو 12.4 مليار دولار على الإجراءات التجميلية سنة 2005 – المبلغ نفسه تقريباً الذي أنفقناه على الرشاقة والتمارين الرياضية. لماذا تعمل لجعل جسدك أكثر رشاقة إن كنت تستطيع جعله أفضل بالمال؟

لكن إليك ما يثير الاهتمام فعلاً، والقلق أيضاً. على الرغم من أن عدد الإجراءات التجميلية كان قد ارتفع على نحو كبير، إلا أن عدد الأشخاص الذين يقومون بها لم يرتفع إلا بمعدل أبطأ. بكلمات أخرى، يقوم الأشخاص أنفسهم في أمريكة بأكثر من جراحة تجميلية واحدة.

هؤلاء ليسوا أشخاصاً مدمنين على الألم، والذين يلجؤون إلى الجراحة بالطريقة نفسها التي يخضع بها الناس للفوضى. هناك أشخاص، يُدعون أحياناً «عبيد المشرط»، يقومون بإجراء عشرات الجراحات التجميلية، ويفكرون باستمرار في أن العملية المقبلة ستصلح مشكلة مستعصية في حياتهم. إذا لم يوقفهم الأطباء عند حدٍ معين، فقد ينتهي بهم الأمر بأن يبدوا غير مألوفين، وحتى غريبين. (مايكل جاكسون، أي أحد آخر؟).

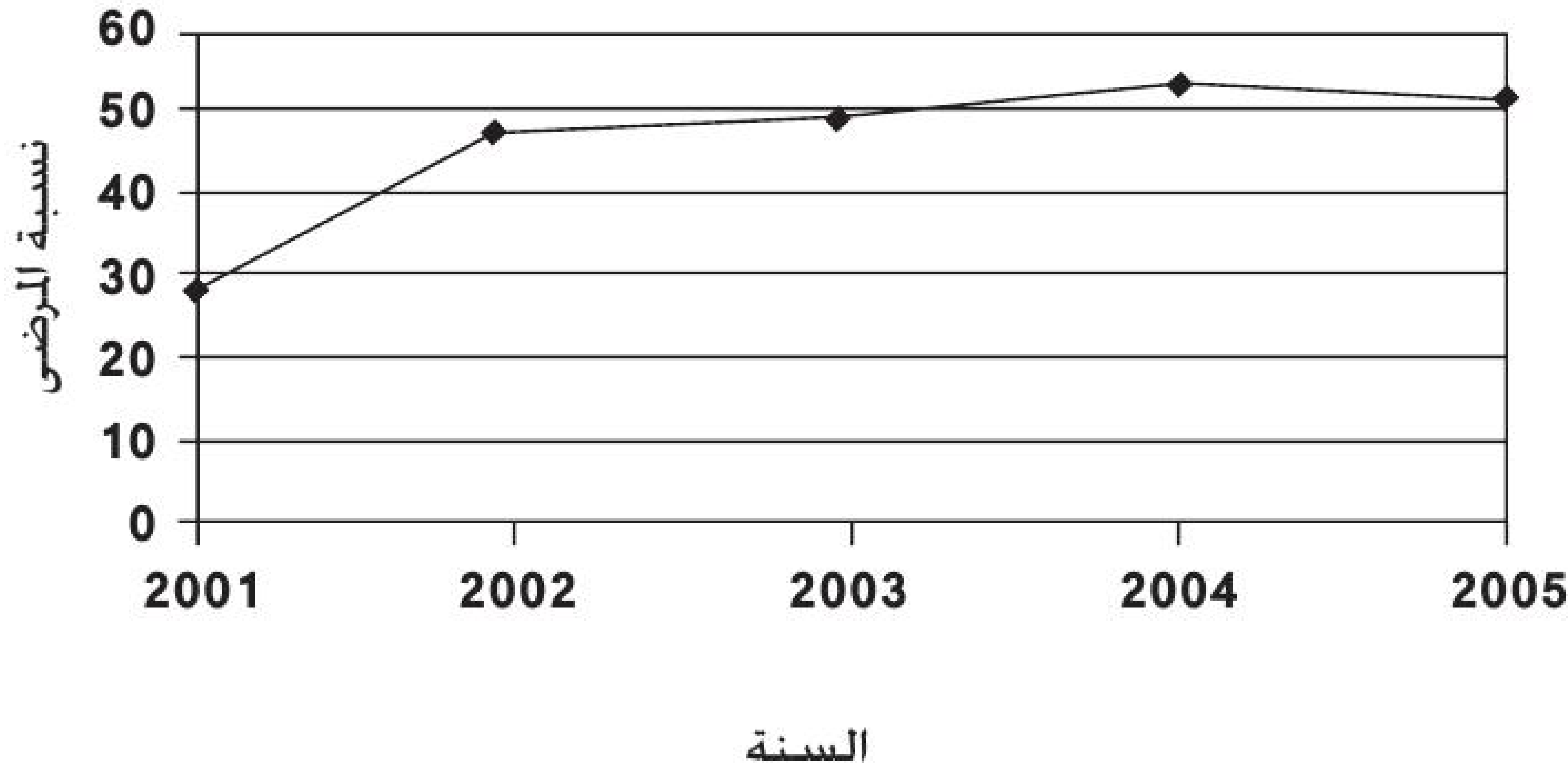
لكن إلى جانب «عبيد المشرط» المرضى بالتأكيد، هناك مجموعة متنامية من الأمريكيين العاديين الأصحاء الذين يجربون إجراءً تجميلياً واحداً أو اثنين، ويقررون أنهم أصبحوا رائعين وينبغي عليهم إجراء بعض العمليات الأخرى.

في سنة 2005، قام أكثر من نصف مرضى جرّاحي الوجه بإجراء أكثر من عملية واحدة - ارتفاعاً من 28 % سنة 2001.

صحيح، يعكس هذا الارتفاع الكبير استعمالاً أكبر لتداخلات جديدة تدعو إلى معالجة مستمرة، مثل البوتكس Botox ومواد التقشير الكيميائية. لكن هؤلاء أشخاص لا يعملون إلا على الوجه فقط. لو أن المعدل كان يصل إلى نصف الأشخاص الذين يقومون بأي إجراء تجميلي، أو، لنقل، على مدى ثلاث سنوات بدلاً من واحدة، سيكون لدينا أكثر من 2 مليون شخص في أمريكة كانوا قد أجروا عملاً تجميلياً اختيارياً على نحو متكرر على أجسادهم.

يريد بعضهم في المهنة أن يحدث ذلك بالتأكيد. تحذّر النقابة الأمريكية للأمراض الجلدية من القيام بعدّة إجراءات مرة واحدة، إلا أن الكثير من المواقع الإلكترونية، التي يتحول إليها الأمريكي العادي، تروّج للفكرة. تدّعي أنه طالما كانت مدة الشفاء الكلية أقصر، والتوقف عن العمل أقصر، والتكلفة أدنى، وليس هناك خطر إضافي بالتخدير مدة أطول - لماذا إذاً لا تقومين بإجراء عملية تكبير الصدر، وفي الوقت نفسه رفعهما، أو شد الوجه وجلد البطن معاً؟ عصفوران بحجر واحد صفقة جيدة، كما يبدو، بغض النظر عن ماهية الصناعة.

نسبة مرضى الجراحة التجميلية الذين يقومون بعدة عمليات للوجه في السنة نفسها، 2001–2005



المصدر: الأكاديمية الأمريكية لجراحة ترميم وتجميل الوجه. 2006.

وتصادق الثقافة الشعبية على الأمر. في برنامج على محطة إيه-بي-سي ABC سنة 2002 بعنوان التحول الجذري، يمكن للأمريكيين تحقيق «حلم حياتهم وأساطير الحكايات الخيالية»، عندما تظهر فرق من جرّاحي التجميل، وأطباء الأسنان، وأطباء الجلد، وجرّاحي الليزر، و«مختصي رشاقة» في حياتهم لإصلاح كل ما لم تتمكن الطبيعة من إصلاحه.

يعكس توسع الجراحة التجميلية في أمريكة نظرياً هوساً منفلتاً من عقاله بالشباب. حتى عندما تتقدم أمريكة في العمر، لا يزال لدى الناجحين بعمر +60، وهم الجيل الأكثر عدداً رغبة في أن يظهروا ويشعروا مثل أبناء الثلاثين. وتقول ثقافتنا: «عليك بذلك». كما كنا قد رأينا في أماكن أخرى من هذا الكتاب، يعيش الأمريكيون في حقبة حرية الإرادة. أصبح الناس أكثر استعداداً وقدرة من قبل لمواعدة من يرغبون، والتصويت كيفما يشعرون، وإنجاب أطفال وقتما يشاؤون، وعبادة الإله الذي يريدون، دون الأخذ في الحسبان أي قيود سواء بيولوجية أو ثقافية كانت تثقل كاهل آبائهم وأجدادهم. من يهتم لما كنت أبدو عليه؟ من يهتم لما يبدو عليه ابن الخمسين «على نحو طبيعي»؟ سأستفيد من المعلومات والموارد والخبراء المتوافرين، وأعيد تشكيل جسدي كما أشاء.

ستكون هناك نتائج لذلك. كان الصحفي في نيويورك تايمز ماورين دود قد استغرق في تأملاته قائلاً: «ماذا يحدث وراثياً عندما ينجذب رجل قام بتصحيح أنفه، وتكبير

ذقنه، وإرجاع أذنيه إلى الخلف إلى امرأة وسّعت عينيها وكبّرت شفتيها وشدّت وجهها؟ وأنجبا طفلاً ونظرا إلى بعضهما وتأوها:«يا إلهي، من أين جاء هذا الطفل البشع؟». جراحة تجميلية للأطفال، بالطبع.

وهناك Catch-22 في هوليوود. لا يمكن لأحد أداء دور كبير اليوم دون وجه ناعم تماماً؛ لهذا يتسابق الجميع للحصول على بوتكس. لكن مع وجوه معدلة تجميلياً، لا يمكن لأحد فعلاً إظهار أي مشاعر حقيقية على وجهه. هل انتهى أمر الشخصيات متوسطة العمر في الأفلام؟ من الآن فصاعداً، هل ستكون كل شخصية في فيلم جديد تحت سن 25؟ حتى إذا كنت تؤدي أدوار شخصيات عمرها 40 سنة؟

وماذا عن مهنة الطب عموماً؟ حالياً، الجراحة التجميلية اختصاص صغير نسبياً بين الأطباء المجازين. لكن على نحو متزايد، يدرك الأطباء الذين يتدربون على الطب العام، وحتى في اختصاص الطوارئ، أن «عمل الجمال الطبي» - مع عدد قليل من حالات الطوارئ فيه، وصفر استدعاء في الليل، والاستقلالية عن شركات التأمين، والدفع في اليوم نفسه، وانخفاض تكاليف عدم الرضا عن النتائج - مكان رائع للوجود فيه. على الأقل، بالنسبة لهم. لسوء الحظ، هناك حالياً نقص كبير في الأطباء ضمن الأفق المنظور، مقارنة بالاحتياجات الطبية المتوقعة للمتقدمين في العمر. إذا تحول المزيد من الأطباء لخدمة الأصحاء بدلاً من مداواة المرضى، فسيصبح الوضع أسوأ.

بالرغم من ذلك، توقع ازدهار «الطب التجميلي»، ونوع من التسابق بين الأطباء على من يتخصص به. (هل يستطيع أطباء النسائية القيام بتقشير الوجه حقاً؟). انظر أيضاً إلى الدعاوى القضائية التي يرفعها مرضى يحصلون على حواجب جديدة من أطباء يتبين لاحقاً أنهم في الواقع مختصون في الطب الداخلي.

ربما لا يعيش الناس إلى الأبد. لكن بالنسبة للعديد منهم، مظهر العيش للأبد كافٍ، وهم مستعدون للقيام بجراحة بعد أخرى لجعل تلك حقيقة. في حين هدف معظم الناس هو تفادي الأطباء، يشعر «محبو الجراحة» بالعكس تماماً - يخضعون لأحدث وأفضل عمل جراحي لمنحهم مظهر الشباب. ربما سينتج عن هذه النزعة جيل من النرجسيين. أو ربما ينجم عنها جيل واثق من نفسه في التغلب على حظه العاثر عندما يتعلق الأمر بالمظهر.

الصورة الدولية

يبدو الأمريكيون وحيدين، عالمياً، في أثناء اندفاعهم نحو جرّاحي التجميل لإجراء شدٍّ لجلد البطن أو تصحيح للأنف. وفقاً لدراسة قام بها إيه-سي-نلسن ACNielsen في تشرين الثاني 2006، 80 % من الناس في إحدى وأربعين دولة قالوا: إن الجراحة التجميلية «ليست خياراً». تقطّب آسية جبينها على ذلك بنسبة أعلى، وبلغ معدل عدم قبولها 86 %.

يشير ذلك، على أي حال، إلى أن هناك أشخاصاً حول العالم سيودّون الانتظار مع الأمريكيين في عيادات جرّاحي التجميل.

- قال عدد كبير من السكان في روسية (48 %)، واليونان (37 %)، وجمهوريات البلطيق (35 %)، أيرلندا (31 %)، وتركيا (29 %) إنهم «سيفكرون في الجراحة التجميلية عندما يكبرون». كان التشيك والألمان والنرويجيون والهنغاريون ضد ذلك على نطاق واسع.
- على الرغم من أن معظم الدول ضمن قائمة أكثر 10 تفكيراً بالجراحة التجميلية أوروبية، إلا أن كوريا نأت بنفسها جانباً عن النزعة الآسيوية بالتعبير عن الاهتمام بمعدل 28 %. على الرغم من أن الكثير من الآسيويين لا يوافقون على الجراحة التجميلية (94 % في هونغ كونغ، 92 % في أندونيسية)، إلا أن هناك 1200 جرّاح تجميل في كوريا، وهي أعلى نسبة إلى عدد السكان في العالم. (للمقارنة، لا يوجد في كاليفورنيا سوى نحو 900).

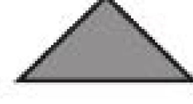
كما هي الحال في الولايات المتحدة، يزداد عدد الرجال الذين يحبون الجراحة في العالم. يحتشد أثرياء إيرانيون لإجراء عمليات تصحيح أنف، ويسعى رجال أكراد سراً لإخفاء معالم الشيخوخة وزرع الشعر، ويتقاطر رجال كوريون لإجراء عمليات من كل الأنواع.

أظهرت إحدى الدراسات عن رجال كوريا الجنوبية الذين تتراوح أعمارهم بين 25–37 أن 86 % منهم يظنون أنه إذا كان مظهرهم جيداً وجسدهم رشيقاً، فسيكونون أكثر منافسة في سوق العمل. كان زهاء 56 % منهم غير راضين عن أجسادهم.

الجانب العالمي الآخر لارتفاع عدد العمليات هو أن المزيد من الناس يصعدون على متن طائرات ويشتركون في «سياحة الجراحة التجميلية» – من أجل الحصول على أسعار أفضل لعملياتهم. تتضمن المقاصد المفضّلة فنزويلا والبرازيل وجمهورية الدومينيكان وكولومبيا والإكوادور والمكسيك وتايلاند، وجنوب إفريقيَّة.



أجسام صغيرة، نفوذ كبير



ليس هناك نقص في الوثائق - بما فيها الواردة في هذا الكتاب- بشأن أن أمريكة تصبح أكبر. الرجال أطول قامة بنحو ثلاث بوصات، بالمعدل، مما كانوا عليه قبل قرن. كل من الرجال والنساء أثقل وزناً بخمسة وعشرين رطلاً (11 كيلوغراماً تقريباً)، بالمعدل، مما كانوا عليه قبل أربعين سنة. كما قال بيتر غابرييل في أغنيته الرائجة «زمن كبير»، تصبح سياراتنا ومنازلنا وعيوننا وأفواهنا أكبر وأكبر وأكبر. إنها أكبر كثيراً من الحياة نفسها.

لكن على الرغم من أن الكثير في أمريكة مدهش، إلا أن هناك مجموعة كبيرة من النساء صغيرات القوام اللواتي يؤكدن أن الحجم لا يهم. أو بخلاف ذلك، إنه مهم حقاً (إذا كان يتعلق بهن) - ولا يسمحن بأن يشكل قوامهن الجسدي الصغير عائقاً أمامهن.

إنهن «صغيرات القد القويات» في أمريكة.

لفتت تلك النساء نظر أمريكة لهن في أيار 2006، عندما نقلت نيويورك تايمز أن ثلاثة من أكبر الأسواق المركزية -نيمان ماركوس Neiman Marcus، ساكس Saks، وبلومنغيدل Bloomingdale- قد قلّصت كثيراً أو ألغت الأقسام المخصصة لصغيرات القد.

ارتفع الاحتجاج والصراخ، من ارتفاع 152 سم عن الأرض. من هيوستن إلى أورلاندو إلى فيلادلفيا إلى فيرسنو، اندفعت صغيرات الحجم للتعبير عن آرائهن، وقلقهن. مع نهاية حزيران، كانت ساكس قد غيرت رأيها، وأعاد بعض مصممو الأزياء، الذين كانوا قد أغلقوا خطوط الإنتاج المخصصة لصغيرات الحجم استجابة لقرارات الأسواق المركزية، الإنتاج مجدداً.

كان واضحاً أن «نساء صغيرات الحجم» يشكلن «عملاً كبيراً».

لدى التفكير فيما حدث، يبدو أن تلك الأسواق المركزية كانت قد اتخذت قراراً منطقياً. في حين كانت الأحجام الكبيرة تشكل صناعة متنامية بوجه عام - ارتفعت 11 % إلى 10 مليارات دولار سنة 2005، مع توسيع سلاسل متاجر مثل ذا غاب The Gap وآن تايلور Ann Taylor لخطوط إنتاجها - انخفضت نسبة الحجم كثيراً في مبيعات الأسواق المركزية. أراد تجار التجزئة إفساح المجال للحقائب والأحذية والجينز التي كانت مبيعاتها أفضل.

لكن السيدات صغيرات الحجم في أمريكة أَبَيْنَ ذلك.

تبين أن معظم المحتجات اللواتي رفعن عقيرتهن عالياً من متسوقات النخبة (كانت تلك ساكس ونيمان ماركوس، بالمحصلة) وأنهن عميلات منذ عقود، مما يعني أنهن أصبحن أكبر سناً. بالفعل، توقعت بعض القصص الإخبارية أن أحد الأسباب التي دفعت تلك المتاجر للتراجع عن قرار إلغاء أقسام صغيرات الحجم كان خشيتها من خسارة علاقتها مع سيدات أكبر سناً، وأكثر إلحاحاً - بالتحديد أولئك اللواتي يخرجن يتأرجحن من ثقل الأكياس التي يحملنها.

لكن عن وضع ذلك جانباً، يوحي احتجاج نساء صغيرات الحجم سنة 2006 بشيء عن نساء قصيرات في أمريكة.

لكن حتى مع ازدياد طول الأمريكيين، إلا أن عدد النساء صغيرات الحجم لم يكن أكبر مما هو عليه اليوم.

في صناعة الملابس، «صغيرة» تعني ثياباً لنساء بطول 162 سم وأقل. إضافة إلى «ناشئات» (مراهقات)، «آنسات» (نساء يبدأ طولهن مع 165 سم)، و«أحجام كبيرة» (أحجام 14 28)، تُكمل «صغيرة» فضاء الملابس النسائية. إضافة إلى ردنين أقصر، ملابس صغيرة تعني عادة أيضاً كتفين أضيق، إبطين أعلى، أزراراً أصغر، ومسافة أقصر من الخصر إلى الردف. إذا كان طولك 155 سم، وحاولت ارتداء ملابس آنسات، فلن تجدي نفسك تشدّين السراويل وترفعين الردنين فقط، وإنما تشتكين من البطانة

الداخلية المتهدلة وحشوتي الكتفين الكبيرتين مثل ملابس لاعبي كرة القدم. سيكون الأمر محرجاً.

ما سبب ارتفاع أعداد سيدات صغيرات الحجم؟

جزء منه هو أن نساء اليوم يعشن مدة أطول. كانت فتاة أمريكية ولدت سنة 1900 تتوقع العيش 43 سنة فقط؛ في حين يمكن لفتاة أمريكية ولدت سنة 2000 أن تعيش حتى 80 سنة. في حين يتقدم السكان في العمر، تحمل المزيد من النساء في أمريكة مورثة حقبة أبكر، عندما كان الناس أقصر طولاً. أدّى ذلك إلى ازدياد أعداد النساء صغيرات الحجم.

ثانياً: كل ذلك التقدم في العمر يعني مقداراً معقولاً من الانكماش. ابتداءً من عمر 50. تبدأ الغضاريف التي تفصل بين فقرات عمودنا الفقري في الترقق، ونفقد بعضاً من طولنا. في عمر 80، نفقد ما معدله بوصة ونصف (نحو 4 سم). ناهيك عن ذكر الانكماش الناجم عن هشاشة العظام وتمزق الأنسجة، وتغييرات في وضعية الجلوس، وتقوس الساقين، والترقق المتزايد لعظام الردفين والركبتين - كل تلك الأمور شائعة مع التقدم في العمر. يمكن أن تؤثر بعض من تلك الأعراض متساوقة في قياس«آنسة» طوال عمرها فتجعلها «صغيرة الحجم».

لكن الأكثر أهمية أن أغلبية المهاجرات في أمريكة أقصر طولاً، بالمعدل، من السكان المولودين فيها. كانت الهولنديات، اللواتي يُعددن أطول النساء على الأرض، الأطول بين المهاجرات إلى أمريكة في ثمانينيات القرن التاسع عشر. كانت السويديات والنرويجيات أيضاً الأطول في بداية القرن العشرين. في النصف الأخير من القرن الماضي، كانت الأغلبية الساحقة من المهاجرات إلى أمريكة من اللاتينيات والآسيويات، اللواتي كن أقصر ببوصتين أو ثلاث من معدل المرأة الأمريكية. على الرغم من أن أعدادهن لم تكن كبيرة بما يكفي لإنقاص معدل الطول في أمريكة، إلا أنهن، يدفعن - مع أكثر من 1 مليون كل سنة - قياس الحجم الصغير إلى مستوى جديد.

ستظن أن ازدياد أعداد صغيرات الحجم سيدفع مصنّعي الملابس إلى إنتاج أشياء مخصصة لهن. لكن عموماً، يلاحق مصنّعو الملابس نزعة البدانة، ويحاولون تقديم ما

تحتاجه الفتيات الممتلئات والرجال طويلو القامة ذوو الأجساد الضخمة. افتتحت سلسلة لين براينت Lane Bryant خمسة وسبعين متجراً جديداً في تموز 2006 وحده. من يرتدي ملابس صغيرة؟

إليك التأثير المهم الآخر لصغر الحجم والابتعاد عن الاهتمام. كانت «صغيرات الحجم» قد ألقين الضوء على حقيقة جديرة بالملاحظة هي أن مصنّعي الملابس لا يعرفون حقاً حجم أي منا. تم وضع القياسات النموذجية التي يستعملها مصنّعو الملابس في أمريكا- مثل نظام 6□8□10□12 الذي تعتقد معظم النساء أنه نشأ في زمن غابر - في الخمسينيات، كيفما اتفق، ولسكان أصغر حجماً بكثير، وأكثر تجانساً مما هي عليه أمريكة الآن.

استمر الأمر على تلك الحال لغاية سنة 2004 عندما وحّدت وزارة التجارة جهودها مع التجار لإعادة تحديد المقاسات في أمريكة- وضعت الوزارة 10.000 متطوع يرتدي ملابس داخلية في خزانة يغمرها ضوء أبيض وسجلت مئات مقاييس الجسد الدقيقة في أقل من دقيقة. لكن حتى الآن، لم تعلن شيئاً، ويقول خبراء: إنه من غير المرجح قيام ثورة فيما يتعلق بملابس أمريكة اليومية في أي وقت قريب.

ما كشف عنه الباحثون هو أن جسد المرأة الأمريكية النموذجي كان مثل ساعة رملية، وأصبح الآن مثل إجاصة. أضحى الردفان الآن أعرض من الكتفين. نحن طوال، قصار، وكل المقاسات بينهما - كما يقول شارع سمسم دائماً. لكن نتيجة لذلك، هناك حقاً سوق لا يبدو ظاهراً للعين المجردة.

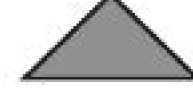
على الرغم من أن التصميمات النموذجية ربما لا تناسب أحداً سوى صاحبة القد الميّاس، إلا أن بقيتنا ربما كانوا قد تعلموا شيئاً من «نساء صغيرات الحجم». ربما حان الوقت لنندفع جميعاً إلى جادة نيويورك السابعة، أردافنا بارزة وأكتافنا ضيقة. تقول نصف النساء الأمريكيات: إن الأزياء الحالية لا تناسبهن، وإنهن عندما يجدن ملابس يحببنها، لا يعثرن على قياسهن. سواء كان الناس يصبحون أقصر أو أطول قامة، سيحبون جميعاً الحصول على ملابس تناسبهم. وصانعو الملابس الذين سيقدمون تلك الثياب سيتمتعون بميزة تنافسية كبيرة بالتأكيد.

فصل 12

التقانة



محبو تقانة اجتماعيون



لمحبي التقانة شخصية متأصلة في أمريكة، مثل لاعب الجامعة والهتّافة والمراهق والمتمرد.

لكن شيئاً غريباً حدث على غرار ستار تريك Star Trek (مسلسل). انتقلت التقانة من كونها شيئاً خاصاً بالانطوائيين إلى شيء يعمل عليه المنفتحون. على الرغم من أن الفكرة السائدة التي لا تزال تخيّم على محبي التقانة - الناس الذين يستعملونها باستمرار، يعرفون خفاياها، ويسارعون لشراء أحدث أدواتها - أنهم «فاشلون» اجتماعياً، إلا أن الحقيقة أن أشد المتحمسين لاستعمال التقانة في أمريكة هم أيضاً الأكثر اندماجاً اجتماعياً في أمريكة.

الشغوفون كما نعرفهم لم يختفوا جميعاً البتة، وربما يكونون قد أصبحوا مناهضين للتقانة - يسعون للسلوان في ابتعادهم عن الآخرين وانفصالهم عنهم. في سابق الأوان، كان العمل مع التقانة يقدم منفذاً لأشخاص لامعين، لكنهم ليسوا اجتماعيين والذين يجدون الراحة في آلات تستجيب لهم بطرق لا يفعلها البشر. الآن، تؤدي التقانة دوراً معاكساً. ومع أدوات تشغيل الموسيقا الجديدة مثل زون Zune من مايكروسوفت التي أضحت متوافرة الآن للجميع، حتى الفن المنعزل في الإصغاء إلى موسيقاك الخاصة عبر سمّاعات على وشك أن يصبح جزءاً من مجموعة اجتماعية. كانت الاستعمالات الاجتماعية للتقانة، مع تأكيدها الجديد على«التواصل» قد فاقت الأهداف الشخصية غير الاجتماعية التي كانت التقانة تخدمها.

تأثيرات تسويق التقانة مذهلة. في حين كانت شركات التقانة معتادة على توجيه منتجاتها لأشخاص وحيدين منعزلين، أضحت تبيعها الآن -مثل حواسيب شخصية أو هواتف خليوية- بالمتعة والطريقة الاجتماعية نفسها التي ترافق بيع سيارة. كان يُعدّ

خبير التقانة فيما مضى مترفعاً من الناحية الاجتماعية. أصبح الآن محور تنظيم اجتماع الأصدقاء، والحفلات، والحياة الاجتماعية للعائلة.

إليك الإثبات. في استطلاع حديث للرأي، قمنا بتغطية بعض أسئلة اختبار الشخصية التي قام بها مركز مايرز-بريغز Myers–Briggs بأسئلة عن عادات، ومواقف وما يفضله الناس بشأن الحواسيب الشخصية، والهواتف الخليوية، والأدوات المحمولة باليد مثل بلاك-بيري BlackBerry، وأدوات تشغيل الموسيقا المحمولة. إذا كانت الصور النمطية القديمة عن المهوّس بشيء صحيحة، فسيكون الأكثر تفانياً بالتعلّم هو الأكثر انطوائية، وبعداً عن الأنشطة الاجتماعية، صحيح؟

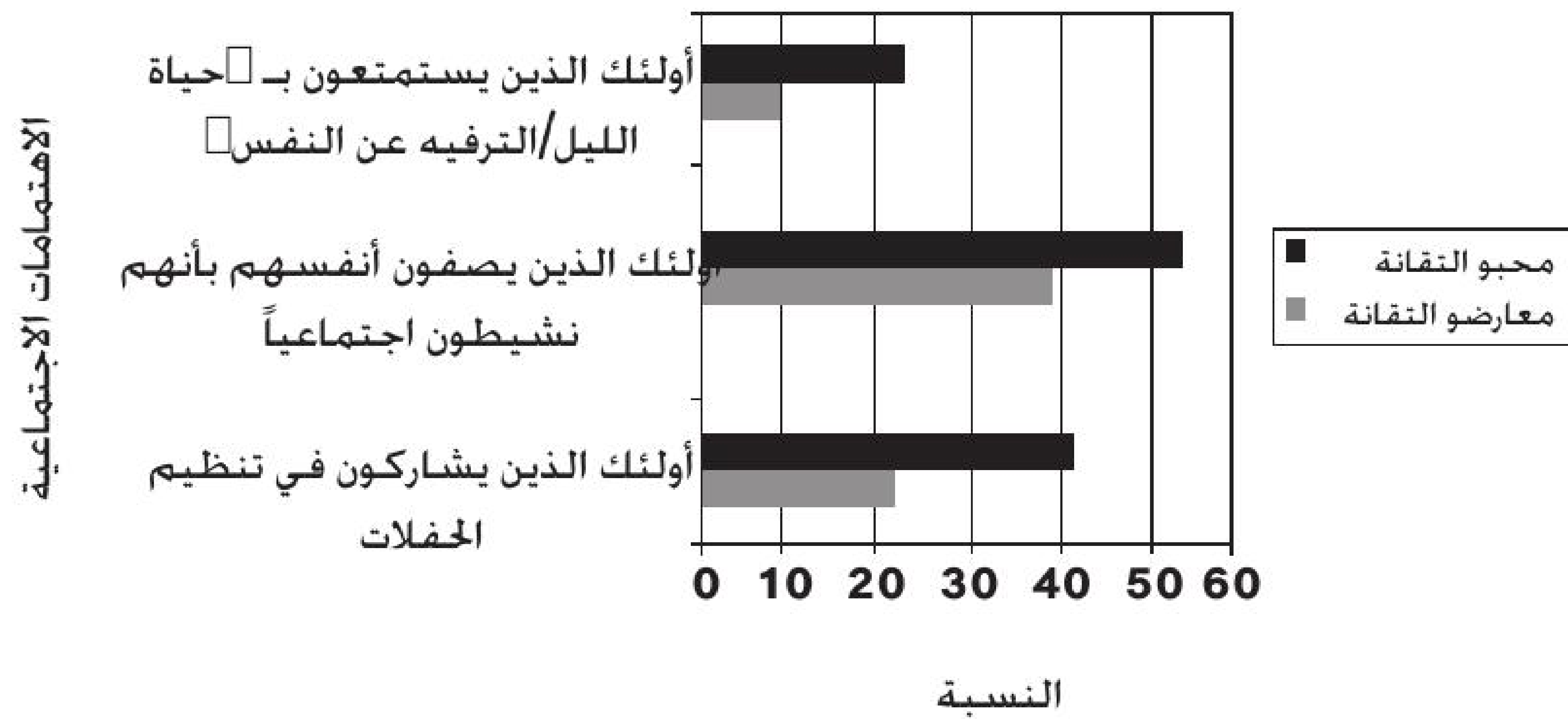
في الواقع، العكس صحيح. على الرغم من أن 49 % من السكان الراشدين في الولايات المتحدة «منفتحون» (حددهم مركز مايرز-بريغز بأنهم أشخاص يستمدون طاقتهم من العالم والناس من حولهم)، إلا أن قرابة 60 % من مستخدمي التقانة الأكثر حماساً منفتحون. إنهم أشخاص يقرؤون عن التطورات في الإلكترونيات الاستهلاكية والأدوات الرقمية؛ والذين يصفهم أصدقاؤهم بأنهم متابعون لأحدث التقانات ويمتلكون معرفة جيدة عن برامج الحاسب؛ والذين يتطلعون قدماً للحصول على نسخ جديدة من أنظمة التشغيل. لكن هؤلاء هم أيضاً الأشخاص الأكثر انشغالاً بالعائلة، والعمل، والمدرسة، ويعيشون نمط الحياة الأكثر نشاطاً وتفاعلاً. يذهبون إلى دور العرض، يتمرنون ويمارسون رياضة في الهواء الطلق، ويستمعون إلى أحدث المقطوعات الموسيقية التي يمكن تحميلها عن الإنترنت عبر أجهزة آي-تونز iTunes أكثر مما يفعله أولئك الموجودون على الطرف الآخر من الطيف الذين يترددون كثيراً في استعمال التقانة. بنسبة تفوق 2 إلى 1، يعد محبو التقانة أن «حياة الليل/الترفيه عن النفس» وجه من وجوه الترفيه أكثر مما يعدّها «معارضو التقانة» ذلك.

إنهم المستخدمون المترددون -أولئك الذين يشترون ويستخدمون التقانة فقط عندما يضطرون لذلك- الذين يتبين أنهم انطوائيون، بهامش كبير يبلغ 57 إلى 43 %. هؤلاء الناس ليسوا أقل اهتماماً بالتقانة فقط، وإنما أقل اهتماماً أيضاً بالرياضة والأخبار

والمجلات والأزياء، ويكونون أكثر تحفّظاً وحذراً طوال الوقت. الأشخاص الذين يبتعدون عن الحياة الاجتماعية يبتعدون الآن أيضاً عن الحواسيب - المفارقة أنهم يرتبطون بالأذهان بالترفيه عن النفس.

الاهتمامات الاجتماعية لـ«محبي التقانة»

مقارنة بـ «مستخدمي التقانة المترددين»



المصدر PSB, 2005.

في الواقع، انقلبت الصورة النمطية للمهوّس بشيء ما رأساً على عقب عندما سُئل الناس عن عاداتهم الاجتماعية. ثلاثة وخمسون في المئة من مستخدمي التقانة «بكثافة» و«حماسة» يعدون أنفسهم ناشطين اجتماعياً، مقارنة بـ39 % فقط من مستخدمي التقانة المترددين. يقول ثمانية وأربعون في المئة من مستخدمي التقانة المتحمسين: إنهم يستطيعون «التكلم بسهولة إلى أيٍ كان طالما كانوا بحاجة لذلك»، مقارنة بنحو 40 % فقط من مستخدمي التقانة المترددين.

وعندما يتعلق الأمر بإحياء حفلة، يصبح التناقض أكثر وضوحاً. يحب واحد وأربعون في المئة من مستخدمي التقانة على نحو مكثّف «الاشتراك في تنظيم» الحفلات، مقارنة بـ 24 % فقط من المترددين.

ما كان يعد ملاذاً للحمقى اجتماعياً أصبح الآن بوابة للطموحين اجتماعياً.

ربما لا تبدو هذه الظاهرة واضحة، كما هي الحال في تبني المنفتحين اجتماعياً التقانة على نحو برنامج تبادل الرسائل الفورية من أمريكة-أونلاين AOL، أو فيسبوك.كوم

facebook.com، الذي يسمح لطلاب الثانوية والجامعة بالتواصل، وتبادل الصور، والرسائل بين بعضهم. كان فيسبوك.كوم قد اتسع ليضم أكثر من 8 ملايين مشترك، وفقاً لكوم-سكور comScore، ويعد واحداً من أكثر المواقع ازدحاماً في الولايات المتحدة. الأكثر شعبية أيضاً هو الموقع الاجتماعي الإلكتروني ماي-سبيس MySpeace، الذي تم اعتباره الموقع الإلكتروني رقم واحد في الولايات المتحدة في تموز 2006 من قبل شركة مراقبة الإنترنت هيتوايز Hitwise.

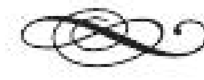
إذا كانت الصورة النمطية القديمة أن محبي التقانة لا أصدقاء لهم، يبدو واضحاً الآن أن هؤلاء لديهم عدد كبير، وغير معقول من الأصدقاء. الشخص الأكثر شعبية على ماي-سبيس هي «تيلا تكيلا»، التي قام بزيارة صفحتها، ابتداء من ربيع 2006، أكثر من ربع مليار زائر. ظهرت تيلا نيوجين (تحولت إلى تكيلا) المغنية، مصممة الأزياء، عارضة الأزياء الساحرة، والشخصية الشهيرة الجديدة منذ عهد قريب على إم-إس-إن-ب-سي MSNBC في برنامج توكر كارلسون. عندما سألها عن الوقت الذي تقضيه على ماي-سبيس، ترد على الأصدقاء إلكترونياً، ردت تيلا: «أقضي نحو أربع وعشرين ساعة يومياً هناك، على الأكثر».

لهذا إذا كنت تبحث عن نشاط اجتماعي اليوم، ينبغي أن تكون مهوّساً بشيء ما. من مواقع المواعدة الإلكترونية إلى رسائل الهاتف الخليوي القصيرة، يتفاعل الناس اجتماعياً اليوم عبر كلمات مطبوعة. أو، بدقة أكبر، اختصارات مطبوعة. «ض ع» تعني «الضحك عالياً»، و«س» تعني «سلام».

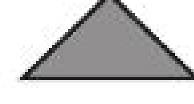
تفتح هذه الواقعية الجديدة الطريق لكم كبير من الإصدارات في «حياة التقانة». التقانة بوصفها رابطاً اجتماعياً قصة مختلفة جداً عن تلك التي نراها في كتب الحواسيب الشخصية أو مجلات التقانة الرزينة مثل ويرد Wired. الشبكة مكان رائع لاستعراض الآراء بشأن المنتجات، لكن ليس الناس -تيك إيدشن Tech Edition (التي لا تزال قيد الإصدار)- تقدم أكثر عشرة ألحان رواجاً على هواتف المشاهير الخليوية، وكيف يقومون

بتنظيم حفلات يدعون إليها أشخاصاً معينين، أو ما نوع ميكرفون البلوتووث المخفي الذي كان توم كروز يضعه عندما شوهد آخر مرة.

سيتغلغل هذا التغير الكبير في دور التقانة إلى حيث قد تكون فائدته أكبر - مدارسنا. على الرغم من أن استخدام التقانة كان قد أصبح اجتماعياً للغاية، إلا أن بناء التقانة لا يزال يتطلب الكثير. في سنة 2004. خرّجت أمريكة نحو 5000 من حملة الدكتوراه في علم النفس، وأقل من 1000 في علوم الحاسب. النتيجة أنه ينبغي على شركات التقانة الأمريكية الاستعانة بالمزيد من المواهب من الخارج؛ لأنه ببساطة لا يوجد ما يكفي من الأمريكيين لملء وظائف التقانة العالية. لكن في حين يصبح المزيد من الناشطين اجتماعياً المهوّسين بالتقانة آباء، ربما يشجعون أبناءهم على العودة إلى أساسيات المعارض العملية ومنافسات تصميم المواقع الإلكترونية. يتم إقامة بعض مسابقات تصنيع الرجال الآليين حالياً. لكن يكون مثيراً أن يتمكن المرء من القول: إن «ابني ملك الإنترنت» أو «ابنتي عبقرية حواسيب» كما يقول بعضهم اليوم: إن «ابني طبيب» أو «محامٍ». عندها فقط، عندما ينشأ عن هذا الجيل الناشط اجتماعياً المهوّس بالتقانة جيل لاحق، ستظهر إمكانيات الدراسة واستخدام التقانة كاملة.



مخرّبو الآلات الجدد



هل أردت يوماً تحطيم حاسبك برميه على الجدار؟

إن كان السبب أنه لم يقم ببعض الإجراءات المتقدمة -مثل تحميل برنامج باور-بوينت PowerPoint بسعة 2 ميغابايت، أو تحميل صورك الرقمية دون تعديل - ربما لا تكون عندها «مخرّب آلات جديد». مجرد مستخدم عادي للحواسيب الشخصية لا يمكنك تحمّل خلل فني لم يكن أحد يسمع به قبل عشر سنوات.

لكن إذا كنت قد اتخذت موقفاً واعياً ضد الأدوات والأجهزة، ترفض استخدام الإنترنت؛ خوفاً من انتهاك خصوصيتك، أو لا تقبل بمواعدة شخص لأنه/لأنها يحمل بلاك-بيري - ربما تصبح مؤهلاً لذلك.

كان «مخرّبو الآلات»، بالطبع، مجموعة ظهرت في بداية القرن التاسع عشر من العمال الإنكليز الذين حطّموا آلات النسيج؛ احتجاجاً على التغييرات -خاصة فقدانهم لوظائفهم- التي أحدثتها الثورة الصناعية. لم يفوزوا، لكن التاريخ عدّهم أعضاء في «المقاومة» - أشخاص قاتلوا لصالح الفن ضد الأتمتة، لصالح البشرية ضد الإنتاجية.

اليوم، قمنا بتقليص الآلات إلى رقاقات مصغّرة وتخزين إبداعاتنا على مخدّمات، لكن «ثورة المعلومات» كانت قد أنتجت معارضين بالطريقة نفسها تماماً. إنهم لا يقومون بتحطيم الهواتف الخليوية لأشخاص آخرين (بعد)، لكن بطرقهم الخاصة الصغيرة، يقولون: «لا» فحسب.

ينبغي تمييز «مخرّبو الآلات» الجدد عن أولئك الأمريكيين الذين يفتقرون للحواسيب أو الاتصال بالإنترنت بسبب العمر، أو الجغرافيا، أو الدخل. وفقاً لدراسة قام بها مركز بيو Pew سنة 2003 عن الإنترنت والحياة الأمريكية، هناك نحو 70 مليون شخص (من

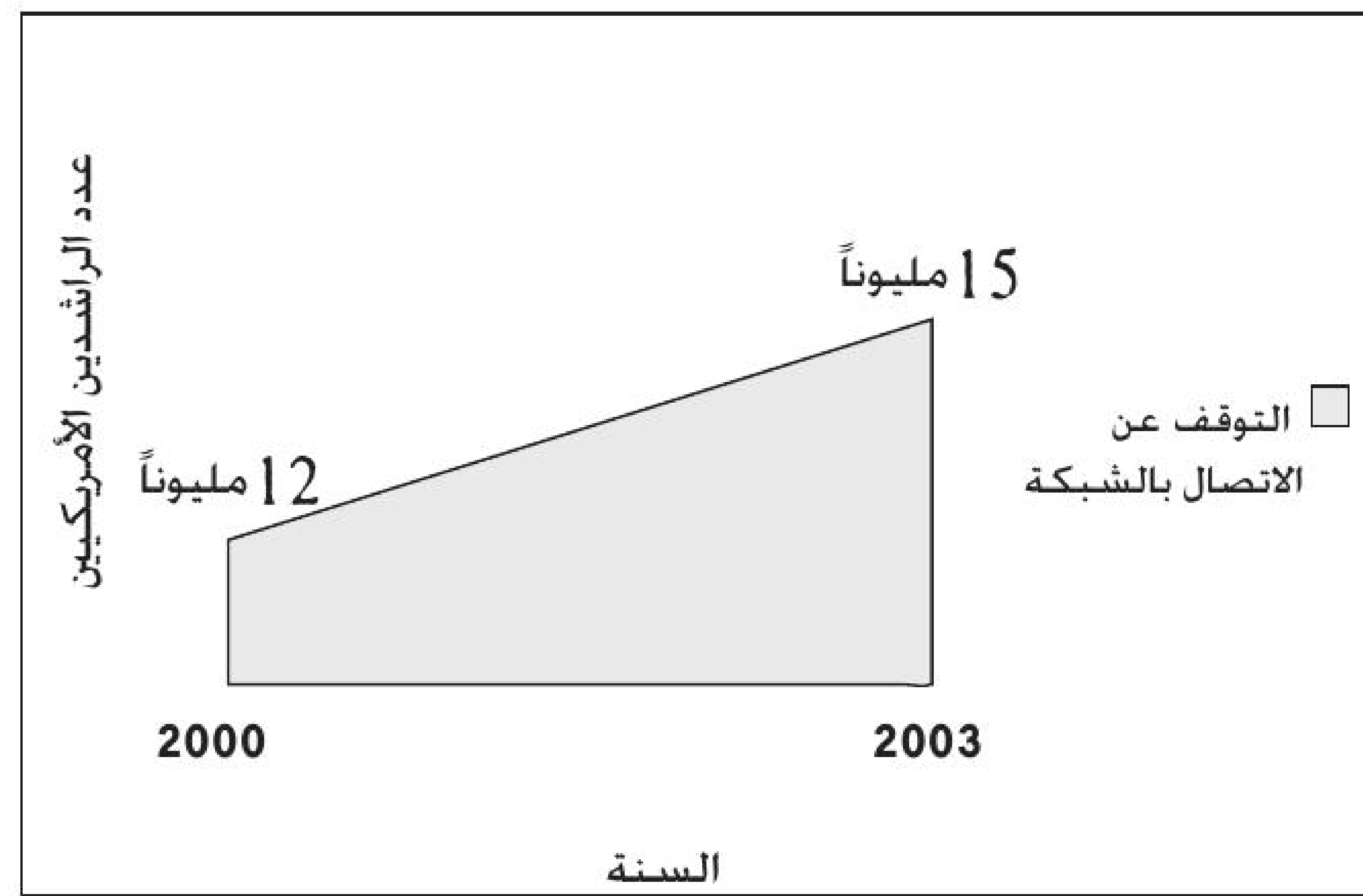
سكان أمريكة البالغ عددهم 300 مليون) يرفضون التقانة - أشخاص لا يستخدمون الحواسيب البتة. لكن أغلبية هؤلاء أثرياء متقدمون في العمر ومديرون بارزون يجدون أن التقانة مخيفة للغاية؛ أمريكيون يعيشون في الأرياف ليس لديهم حتى حواسيب بالمعدل نفسه الذي توجد به في المدن القريبة؛ وأمريكيون منخفضو الدخل لا يزالون يجدونها مكلفة للغاية.

سينخفض عدد الرافضين للتقانة هؤلاء، كما يفترض؛ لأنها ستصبح أرخص والحصول عليها أسهل.

لكن «مخرّبي آلات جدد» ليسوا أشخاصاً يفتقرون للتقانة بسبب البيئة أو الظروف. لديهم كل فرص التقانة المتوافرة، لكنهم بالرغم من ذلك يقولون: «لا».

في سنة 2000، وفقاً لمركز بيو، 13 % من الناس الذين قالوا: إنهم لا يستخدمون الإنترنت كانوا قد اختبروها، لكنهم أقلعوا عن ذلك. بحلول سنة 2002 - بينما كان معظم الناس في البلاد ينتهز فرصة الاتصال بالشبكة - كان عدد الأشخاص الذين لا يتصلون بالإنترنت قد ارتفع إلى 17%. يشكل ذلك نحو 15 مليون أمريكي كانوا يستعملون الشبكة، وتوقفوا عن ذلك.

أشخاص توقفوا عن استعمال الإنترنت، 2000-2003



المصدر: مشروع بيو Pew عن الإنترنت والحياة الأمريكية. نسبة السكان الذين توقفوا نهائياً عن استعمال الإنترنت. 2005 إحصاء الولايات المتحدة. 2006 .

قال 8 من كل 10 أشخاص: إنهم يعرفون مكاناً عاماً مناسباً يمكنهم الذهاب إليه لاستخدام الإنترنت (مثل مكتبة عامة)، وأن القيام بذلك سيكون سهلاً «جداً أو «نوعاً ما». لكنهم لا يرغبون في ذلك.

من هم «مخرّبو الآلات الجدد» هؤلاء؟

تبين أنهم من سلالة مميزة. وفقاً لدراسة بيو، على الرغم من أن معظم من لا يستعملون الإنترنت أكبر سناً، قرويون، ومنخفضو الدخل، إلا أن الأشخاص الذين يرفضون الإنترنت بقوة يافعون، يسكنون المدن، وموظفون. قال 1 من كل 4: إنهم توقفوا عن استخدام الإنترنت؛ لأنهم لم يحبونها، لم تكن مثيرة للاهتمام أو مفيدة، أو لم تكن خياراً جيداً عندما احتاجوا إليها.

يشكل هؤلاء الناس الجانب الآخر من «محبي التقانة الاجتماعيين» الذين وصفتهم آنفاً. بخلاف أولئك الأشخاص الاجتماعيين الذين يستخدمون التقانة لتطوير اتصالهم بالعالم، «مخرّبو الآلات الجدد» أكثر تشاؤماً، وتهكماً، ووحدة. وفقاً لدراسة بيو، نحو نصف المستائين من الطريقة التي تجري بها الأمور في البلاد اليوم، وأكثر من 60 % ممن جرى استطلاع آرائهم يقولون: إن المرء لا يستطيع أن يكون شديد الحرص في التعامل مع الناس. يظن أكثر من النصف أن معظم الناس سيستغلون الآخرين إذا سنحت لهم الفرصة. يقول ضعف عدد الذين توقفوا عن استخدام الإنترنت: إنه ليس لديهم عملياً أي شخص يستطيعون طلب المساعدة منه عندما يحتاجون إليها.

ينحو مستخدمو الإنترنت للاعتقاد أنهم يسيطرون على حياتهم. لا يعد «مخرّبو الآلات الجدد» ذلك صحيحاً. في الواقع، يرفض بعض «مخرّبو الآلات الجدد» التقانة لأنهم يأملون في أن يساعدهم ذلك في السيطرة على حياتهم. من وجهة نظرهم، التقانة التي كان يفترض أن تجعل حياتهم أسهل لم تجعلهم سوى أكثر انشغالاً وعرضة لضغوط كبيرة. بغض النظر عن الوقت الذي نوفره بالتواصل المباشر، نبدو دائماً بحاجة للمزيد من الوقت لإجراء المزيد من الاتصالات. هل يعمل الأمريكيون أقل، أو يأخذون إجازات

أكثر، بعد أن أصبحت التقانة والاتصالات الآن (على نحو أكبر من ذي قبل) في متناول أيدينا؟ بالكاد. نعمل حتى أكثر عندما نكون في إجازة.

إذاً، يبين «مخرّبو الآلات الجدد» احتجاجهم على ما يجري بطريقتهم الخاصة. لقد تعبوا من قيام أصدقاء بالتوقف عن متابعة أحاديث شخصية للرد على رسائل بريد إلكتروني تأتيهم من أشخاص آخرين. لقد تعبوا من مجيء أولادهم إلى المنزل من المدرسة وذهابهم، وعيونهم جاحظة، إلى شاشات حواسيبهم. لقد تعبوا من أجهزة بلاك-بيري على طاولة عشائهم، سائقون يستعملون هواتف خليوية وأجهزة آي-بود التي تمنع الناس، حتى من ملاحظة أن أشخاصاً آخرين يحاولون التكلم إليهم.

إنهم يقومون بهجوم مضاد، مع أقلامهم ودفاترهم وبطاقات فهارسهم وقصاصات أوراق في جيوب تضم كل قوائم ما ينبغي القيام به. ربما يكونون أقل اندفاعاً من «محبي التقانة الاجتماعيين»، لكنهم يدافعون بثبات عن التزام قديم الطراز بضرورة النظر إلى الناس في عيونهم وإلقاء التحية عليهم - وليس مجرد رسالة قصيرة فقط، «كيف حالك»؟. وربما يحرز هؤلاء تقدماً. ابتداءً من سنة 2007، بدا أن الخطة التي طال انتظارها للسماح للركاب باستعمال هواتفهم الخليوية على متن الطائرات لن يكتب لها النجاح. بغض النظر عن المخاوف المتعلقة بتشويش الهواتف على أجهزة ملاحة الطائرة والاتصال الأرضي، تبين أن الناس لا يرغبون في سماع أشخاص آخرين يثرثرون عبر هواتفهم الخليوية في الجو. وجدت دراسة قامت بها يو-إس-أيه توداي USA Today أن 7 تقريباً من كل 10 أمريكيين يفضلون الإبقاء على حظر استعمال الهواتف الخليوية في الطائرة.

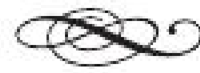
في الجيل السابق، في حين كان معظم الناس منجذبين إلى التلفاز، قال بعض الناس: لا. (والدة جانيب رينو لم تسمح البتة لأطفالها الأربعة بمشاهدة التلفاز، وقالت: إنه سيفسد عقولهم). في هذا الجيل، يتخذ الناس موقفاً ضد الإنترنت.

وكذلك هناك تأثيرات تجارية. من ناحية، ربما يكون لموقفهم القوي انعكاس بطرق أقل تأثيراً على أغلبية الناس الذين يحبون التقانة. حتى أكثر الناس استخداماً للهواتف

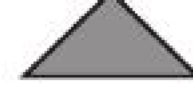
الخليوية والحواسيب الشخصية يتساءلون من وقت إلى آخر إن كنا فعلاً بحاجة لكل تلك الميزات الإضافية؟ في مرحلة ما، نرغب فقط في أشياء تفي بالغرض.

لكن بالنسبة لـ«مخرّبي الآلات الجدد» أنفسهم، أيضاً، هناك بعض الفرص التسويقية الحقيقية. إنهم لا يحبون الوجبات السريعة ويريدون طعاماً مطهياً ببطء ووجبات متنوعة، في المنزل وخارجه. لا يريدون سيارات كبيرة جداً، وإنما مركبات هادئة. إذا كانت ستظهر بثور على أصابعهم، يرغبون في أن تكون من الحياكة والبستنة، وليس من نظم رسائل صغيرة على بلاك-بيري. ينبغي أن تكون صناعات اليوغا، والتدليك، والمنتجعات المعدنية على أتم الاستعداد لهؤلاء الناس. وكذلك دور النشر، والمهنيون، والحركات الدينية. هؤلاء أمريكيون ليسوا على عجلة من أمرهم، ويبحثون عن طرق لا تعتمد التقانة لقضاء وقتهم وإنفاق أموالهم.

بالطبع، المهارة في العثور عليهم - بخلاف أي شخص آخر، لن يكونوا على الشبكة.



إناث التقانة



كشفنا آنفاً فكرة أن محبي الحواسيب والأجهزة عالية التقانة هم من النوع غير الاجتماعي. في الواقع، أظهرت الأبحاث أنه بخلاف أوقات سابقة، محبو التقانة بين أكثر الناس نشاطاً اجتماعياً في العالم.

لكن مجموعة فرعية من هؤلاء الناس -المجهولون ضمن المجهولين- تتألف من إناث التقانة: نساء وفتيات لا يستخدمن التقانة فقط، وإنما يدفعن، ويشكلن، ويقررن أغلبية مشتريات الإلكترونيات الاستهلاكية في أمريكة.

هل كنت تعرف، مثلاً، من التصميم الجميل لـ«حاسبك المحمول» الذي يزن 3.6 كيلوغرامات أن النساء يتفوقن على الرجال في الإنفاق على التقانة بنسبة 3 إلى 2؟ نعم - كل إعلانات التقانة تلك التي تظهر على محطات تبث على مدار 24 ساعة تستهدف قطاعاً واحداً من العملاء المبكرين، لكن متسوّقات كلير Claire هن من يتهافتن لشراء الهواتف الخليوية وأجهزة آي-بود.

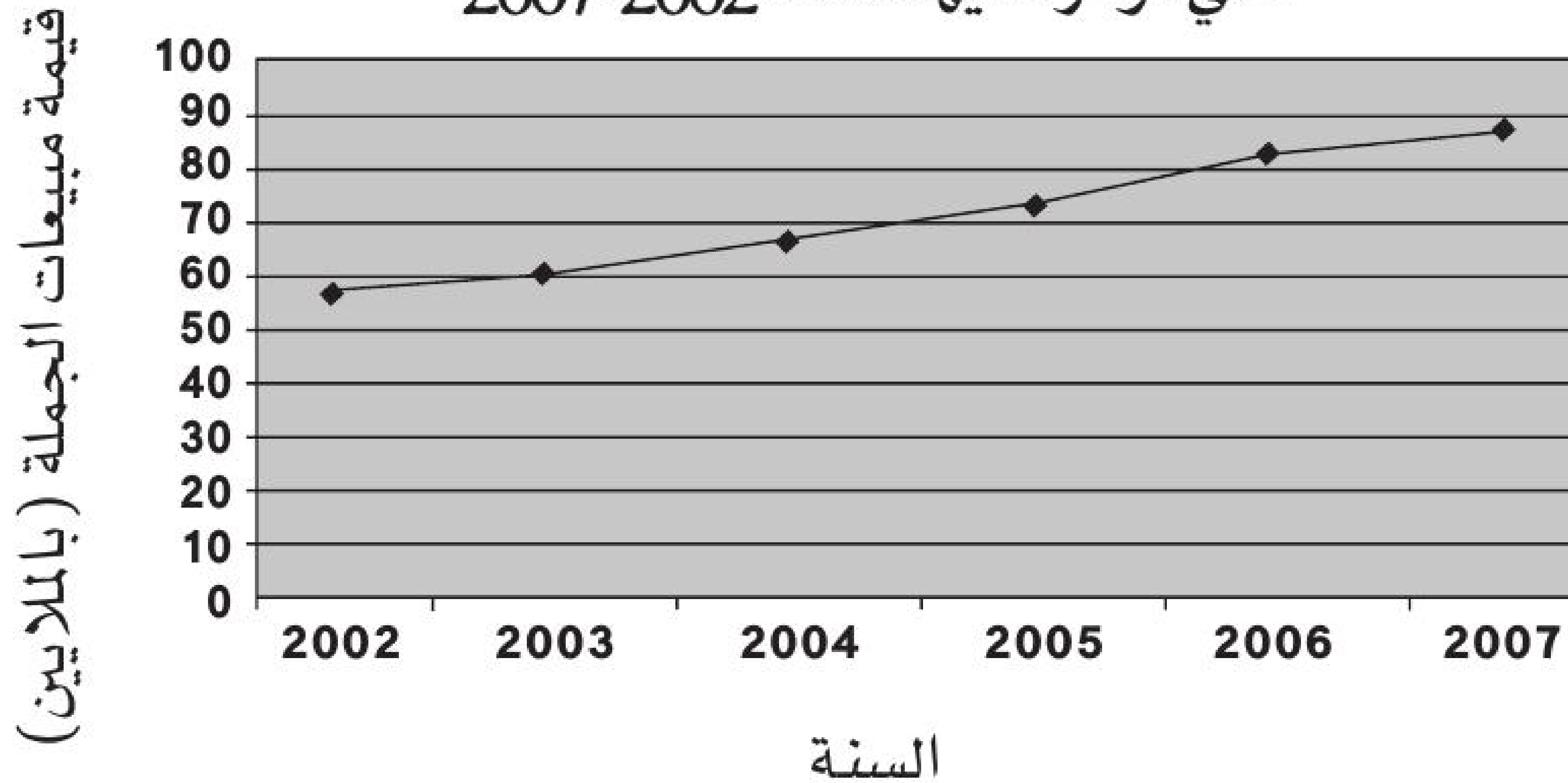
هل كنت تعرف أن أحزمة حمل أجهزة بلاك-بيري اليوم لا تختلف كثيراً عن أحزمة أجهزة النداء التي كانت سائدة قبل خمس عشرة سنة، وأن النساء يؤثرن على نحو 57 % من مشتريات التقانة، أو في سنة 2006، نحو 90 مليار دولار من مبيعات الإلكترونيات الاستهلاكية؟

مثل نساء يشترين سيارات، اللواتي سنناقش وضعهن مستقبلاً، هذه ليست نزعة غير ظاهرة للعيان. إنها ليست توقعاً عن «عالم جديد شجاع»، حيث ينبغي، في يوم ما مستقبلي تصميم التجارة والأجهزة الإلكترونية مع إبقاء مثل هؤلاء العملاء في الأذهان. عندما يتعلق الأمر بشراء منتجات تقانة، تسيطر النساء على الأمر. تشكل النساء أغلبية

في كليات القانون، والجامعات، وكذلك عدد الناخبين. وتقود النساء الآن نزعة التقانة العالية في البلاد.

خاصة الفتيات. وفقاً لـ«نقابة الإلكترونيات الاستهلاكية»، تستعمل الفتيات أكثر من الفتيان الهواتف الخليوية (88 إلى 83 %)، آلات التصوير الرقمية (54 إلى 50 %)، أجهزة المذياع عبر الأقمار الاصطناعية (24 إلى 18%)، وتسجيلات دي-في-دي DVD (21 إلى 19 %). تستعمل الفتيات والفتيان التلفاز، والفيديو، والحواسيب الشخصية بالنسب نفسها تقريباً. الجهازان الوحيدان اللذان يتأخر الفتيات في استعمالهما عن الفتيان هما الخاصة بتشغيل الموسيقا إم-بي3، MB3 وألعاب الفيديو - بالرغم من أنه حتى فيما يتعلق بهذين الجهازين، قطعت ننتيندو Nintendo خطوات واسعة مع جهازها وي Wii سنة 2006، الذي تم تصميمه مع التفكير في الفتيات (وكذلك الفتيان)، وفاقت مبيعاته توقعات المحللين.

قيمة (مبيعات جملة) مشتريات الإلكترونيات الاستهلاكية التي تؤثر عليها نساء، 2002-2007



المصدر: نقابة الإلكترونيات الاستهلاكية، 2007.

أتذكر جيداً أنه في سنة 1976 كان المعهد العلمي في هارفرد مكاناً يعمل فيه الذكور أساساً، ولا يزال عدد الفتيات اللواتي يدرسن الرياضيات والعلوم على نحو أكاديمي قليلاً. لكن الفتيات أصبحن مستخدِمات رئيسات للتقانة. بالمحصلة، الاستخدام الأساسي للكثير من التقانة اليوم هو الاتصالات، والفتيات يحببن التواصل مع أصدقائهن.

وبالرغم من ذلك، إذا دخلت إلى بست باي Best Buy، قابلت رجال المبيعات بقمصانهم الزرقاء، أو غيك سكواد Geek Squad الفخمة، هل تشعر أنهم يركزون على الإناث؟ هل ستصنّف أي امرأة راديو شاك Radio Shack بين الأسواق التي تحب أن تتسوق منها؟ هذه الأسواق تُبعد عملياً العميلات. متاجر آبل Apple الجديدة مع ألوانها الهادئة أكثر ترحيباً بوجه عام، لكن لم يفتتح أحد متجر تقانة كبيراً مخصصاً للفتيات فقط.

لأكون عادلاً، تعرف تلك الأسواق أن القطار يفوتها. كان بست باي قد بدأت للتو عملية تستغرق عدّة سنوات للتخفيف من الأضواء، والموسيقا في متاجرها، وتوظيف مستشاري تسوق شخصيين لهذا السبب بالذات. إنها تعيد تدريب موظفيها حتى يتمكّنوا - إضافة إلى تقديم المعلومات الفنية - من سؤال العملاء عن الطريقة التي يرغبون في أن تندمج فيها التقانة في حياتهم. توظّف حتى راديو شاك الآن مديري متاجر من النساء، وتنوي رفع عددهن إلى 1 000، من أصل 7000 متجر تديرها. لكن، كما هي حال وكالات بيع السيارات، سيكون التغيير بطيئاً. لا تزال نحو 75 % من النساء يقلن إنهن: عرضة للإهمال، أو الإزعاج من قبل فريق المبيعات في متاجر الإلكترونيات. قالت 40 % منهن: إنه تتم معاملتهن على نحو أفضل إذا كن بصحبة رجل.

لكن الحقيقة هي أن لـ«إناث التقانة» تأثيرات على الصناعة أعمق بكثير من مجرد المبيعات والتسويق. أولاً، تحتاج النساء إلى عدم تجاهلهن. كانت هناك تقارير على نطاق واسع أنه عندما تم إنتاج أنظمة مؤتمرات الفيديو الحديثة، الحسّاسة للصوت، نسي القائمون عليها حساب مدى صوت النساء. كان واضحاً أن آلة التصوير لا تسمع أصوات النساء.

لكن تلك كانت خطوة أولى فقط. عندما يتعلق الأمر بفائدة منتج وتصميمه في دراسة بعد أخرى، تعبّر النساء عن أولويات، وخيارات، واهتمامات مختلفة، فيما يتعلق بالتقانة. يرغبن في أن تكون أدواتهن أخف وزناً، وفاعلة - ليست سريعة فحسب.

وفقاً لشركة إلكترونيات رئيسة واحدة على الأقل، ما ترغب النساء به تحديداً هو لوحات مفاتيح لا تسبب كسر الأظفار، سمّاعات لا تفسد الزينة، وهواتف خليوية يمكن

العثور عليها بسهولة أكبر في محافظ مليئة بالأشياء، وعاتمة. بالمحصلة، إذا كانت النساء لا يستطعن وضع أجهزة المساعدة الرقمية PDA في أحزمتهن مثل الرجال - أو لا يرغبن في ذلك؛ خوفاً من اكتشاف - بعد سنوات من الآن - أن الهواتف الخليوية تسبب الضرر للمبيضين - عندها، حباً بالله، امنحوهن طريقة للعثور على هواتفهن عندما ترن داخل محافظهن دون أن يعملن على إخراج كل محتوياتها أو يتجاهلن المكالمات.

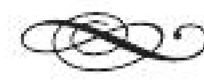
عندما يتعلق الأمر بإلكترونيات المنزل، تريد النساء منتجات تشكل جزءاً من غرفة الجلوس، وغرفة النوم، والمطبخ. من هنا جاءت الشعبية الكبيرة بين النساء لأجهزة التلفاز المسطحة الشاشة، رقيقة ورفيعة وأنيقة ولا تأخذ حيزاً كبيراً لدرجة أن تستحوذ مباراة كرة القدم على المشهد كاملاً بعد ظهيرة يوم الأحد. أنتجت شارب Sharp أخيراً نوعاً جديداً من الشاشات المسطّحة دعتها آكوس Aquos، التي أعلنت عنها ليس في القنوات الرياضية وأوقات ذروة البث التلفازي فقط، وإنما عبر شبكتي لايفتايم Lifetime وفوود Food أيضاً.

لكن من الواضح -وهذا هو الجزء من السوق الذي لا يلقى عناية كافية- أن الفتيات والنساء منفتحات للغاية على التقانة مثل الأزياء. تنفد الهواتف الخليوية مع «إضافات» ماسية بسرعة من رفوف الأسواق. وكذلك الهواتف المرصعة بالجواهر التي ينتجها كبار المصممين في عالم أزياء النساء. نعم، هناك بعض حقائب الحواسيب المحمولة الآن من أقمشة محبوكة وخياطة أنيقة تضم جيوباً جانبية خاصة لمعدّات الزينة — لكننا لم نقترب من استكشاف الحد الأقصى للأدوات وإضافاتها كلمسة شخصية. اسأل أي امرأة معاصرة ما إذا كانت تفضل فقدان هاتفها الخليوي أو آخر زوج من أحذيتها؟ يمثّل الهاتف الخليوي مركز فضاء المرأة من الأصدقاء والعائلة. وبالرغم من ذلك، عندما يتعلق الأمر بدمج هذا الجزء من شخصيتها مع الأزياء، هل أفضل ما يمكن لشركات التقانة فعله هو تقديم لوحة مفاتيح سوداء أو زرقاء؟

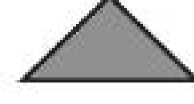
اقتصاد ستاربكس يدخل مجال التقانة - واقتصاد فورد المتمثل في حواسيب شخصية ومحمولة بلون واحد في طريقه للخروج. كانت سوني Sony إحدى الشركات التي

بدأت إنتاج حواسيب محمولة متعددة الألوان. قدمت آبل Apple أجهزة آي-بود بنقوش مختلفة. تتأقلم ديل Dell مع التغييرات في تصميم التقانة. بدأت أجهزة الهاتف الخليوي تلمع أكثر من ذي قبل.

لكن السؤال «ماذا تريد النساء؟» ربما يكون الأكثر أهمية لمصممي التقانة في السنوات القادمة. هل سيبدو برنامج ويندوز (النوافذ) Windows للنساء مختلفاً تماماً عن ويندوز فيستا Vista؟ قبل الانتباه إلى مشكلاتها الأخرى، قدمت صناعة التبغ نموذجاً للتمييز بين الرجل والمرأة - أنواعاً مختلفة من المنتج نفسه تناسب سوقي الرجل والمرأة. هل كانت لفائف تبغ فيرجينيا سليمز Virginia Slims مختلفة حقاً عن مارلبورو Marlboro؟ صناعة التقانة تتغير، لكنها كانت مارلبورو وقتاً طويلاً وليس هناك بعد تمييز في هذا المجال. مثل نساء يشترين سيارات، كان هذا القطاع من السوق قد نما على الرغم من الصناعة - وقريباً، سيخرج شخص ما ويقدم شيئاً بطريقة مختلفة تماماً، ويحظى ليس بحصة من السوق فقط، وإنما بأكبر وأسرع قطاع نمو في سوق التقانة. إذا كنتِ إحدى «إناث التقانة»، فاعلمي أنكِ لست وحدك - أنت تنتظرين فقط أن يسمعك شخص ما هناك.



أمهات يشترين سيارات



كانت إعلانات السيارات في المعرض الكبير سنة 2005 مكثّفة للغاية. من بين الإعلانات التسعة المختلفة عن السيارات، كانت سبعاً منها تركز على السرعة، وإمكانية السير على طرقات جبلية وعرة، و/أو المتانة. أظهر إعلان هوندا Honda لسيارة «رجد» Rugged جديدة رجالاً يضعون أحزمة الأمان ويرتدون ملابس رياضية. قدّم إعلان فورد موستانغ Ford Mustang، «متجمد في فارغو»، رجل تجمد حتى الموت في مقعد السائق؛ لأنه لم ينتظر أن يصبح الطقس دافئاً حتى يقود سيارته المكشوفة، وينتهي بصوت رجل عميق يقول: «نجعلك أشد صلابة».

في الواقع، من بين كل إعلانات السيارات التسعة التي تم عرضها في أثناء المعرض، لم يكن هناك حوار البتة في ستة منها، ولم يظهر أشخاص البتة في ثلاثة منها. في الإعلان الذي ضم في الواقع حواراً وامرأة، كان الأب يطارد ابنته الهاربة ليقول لها: إنه لا بأس من ذهابها بتلك الطريقة طالما أنها ستأخذ سيارة أمها.

كان لدى ديترويت (أو بالأحرى، شيكاغو، حيث تم صناعة الإعلان عن ديترويت) ما يجعل الرجال يلتصقون بها.

النساء - ليس كثيراً.

كان الأمر سيكون رائعاً لو أن الرجال وحدهم شاهدوا معرض السيارات (في الواقع، شاهدته 55 مليون امرأة)، أو أن الرجال وحدهم من يشتري السيارات. لكن تلك ليست الحال بالتأكيد. لا ترتفع أعداد النساء اللواتي يشترين سيارات فقط، وإنما يشكلن أغلبية مشتري السيارات في أمريكة اليوم. ومع ازدياد عدد النساء اللواتي يعشن مع أزواج، فإن ذلك العدد سيزداد حتماً.

وبالرغم من ذلك، كما في قصة التقانة في الفصل السابق، معظم إعلانات السيارات تستهدف الرجال، سواء في أثناء المعرض أو خارجه - ولا يزال الشعور بأن من يشتري السيارات هم الرجال، حتى إن 70 % من النساء يقلن: إنهن يخفن من صالات عرض المركبات. لا يزال مصنّعو السيارات يظنون، خطأً، أن الرجال هم وحدهم من يتولى زمام الأمور.

قبل خمسين سنة، أطلقت دودج Dodge لا فيم La Femme، أول سيارة أمريكية تستهدف بوضوح النساء. كانت السيارة وردية اللون، وجاءت مع غطاء للمطر، حقيبة كتف جلدية وصندوق زينة وقدّاحة وأحمر شفاه وعلبة لفائف تبغ. تم تسويقها على أنها سيارة لـ«صاحبة الجلالة، المرأة الأمريكية المعاصرة»، لكنها لم تحقق النجاح المطلوب. لكن ذلك لم يكن لأن دودج افتقرت للموهبة في التعامل مع أذواق النساء - لم تقم فقط بالبحث التسويقي الصحيح.

كما يعرف منتجو إعلانات معرض السيارات جيداً، ينجذب الرجال الذين يتسوقون سيارات إلى القوة والرفاهية. لكن ذلك ليس صحيحاً فيما يخص النساء اللواتي أثبتن مراراً وتكراراً أنهن أكثر اهتماماً عندما يتعلق الأمر بالسيارات بسعرها، وخدمتها، وأمانها. وفقاً لبيانات «سجل كيلي بلو» سنة 2005 الذي يوثق من يقومون بتسجيل سيارات جديدة وفقاً للجنس، كان معدل القوة الحصانية لأكثر خمسة أنواع من السيارات التي يشتريها رجال 367. كان معدل القوة الحصانية لأكثر خمسة أنواع من السيارات التي تشتريها نساء 172.

يبدو هذا منطقياً، نظراً للطريقة التي ربما يستخدم بها الرجال والنساء سياراتهم. إذا كانت «أمهات كرة القدم» يحملن الأطفال، البقالة، ومعدات الرياضة طوال اليوم، فربما لن يهتممن كثيراً بالانتقال من سرعة 0 إلى 60 في أقل من 5 ثوانٍ، في حين سينصبّ اهتمامهن على أطفالهن وسلامة الحمولة، وصيانة السيارة أقل ما يمكن.

بالفعل، في أول سيارة قامت نساء حصراً بتصميمها وتسويقها، فولفو 2004. كان انخفاض معدل الصيانة أولوية قصوى. في التصميم التجريبي الذي انبثق عن ذلك، لم تكن هناك حاجة لتغيير الزيت سوى كل 31.000 ميل. لم يكن الوصول إلى المحرك

سهلاً -لن يستطيع السائقون إصلاحه، بالمحصلة- وإنما مجرد فتحات مناسبة لعمل الميكانيكي. يمكن إعادة تعبئة قارورة ماء مسح الزجاج الأمامي عبر ثقب صغير خلف خزان الوقود. لم يكن هناك غطاء لفتحة الوقود، وإنما مجرد صمّام كروي الشكل مع فتحة لملء الخزان. عندما يحين وقت الفحص، تبعث السيارة آلياً رسالة لاسلكية إلى مركز خدمة محلي، والذي يبلّغ السائق بدوره. وكان المحرك -الذي يعمل على نحو هجين على الوقود والكهرباء، مع نسبة انبعاث غازات منخفضة- صديقاً للبيئة.

من الواضح أن تلك هي الأولويات الأمريكية التي تشتري السيارة في القرن الحادي والعشرين. إنها أقل اهتماماً بإطارات سيارات الدفع الرباعي التي ترتفع إلى صدرها، وتعد بأن تحملها بقوة ومتانة على طرقات جبلية وعرة. (ليس أن تلك السيارات لا تهمهن - تشكل النساء أيضاً القطاع الأسرع نمواً بين مشتري سيارات الدفع الرباعي والشاحنات المغلقة، ويشترين 45 % من كل الشاحنات المغلقة ومثلها تقريباً من الشاحنات الصغيرة). لكن الحملات الإعلانية عن سيارات الدفع الرباعي التي تركز فقط على تسلق الجبال، بدلاً من فائدتها للعائلة، لن تثير على الأرجح اهتمام النساء.

مصنّعو السيارات، أخذوا عِلماً. لم تظهر نساء يشترين سيارات فقط، وإنما يشكل القوة المهيمنة في هذا المجال أيضاً. كانت سيارات مكشوفة وردية اللون، مع أغطية للمطر، منتجاً خاطئاً، مع أن الفكرة صحيحة. تريد النساء سيارات أكثر أماناً وثباتاً من طراز بونتياك جي6 مكشوفة، وسوزوكي فورنزا، وفولكسفاغن الخنفساء الجديدة؛ فيما يريد الرجال سيارات أقوى وأسرع مثل بورشه 911 ببابين، وميتسوبيشي لانسر إيفليوشن، وفورد جي-تي.

حتى أنواع السيارات مختلفة بين الرجال والنساء: أكثر خمسة أنواع مفضلة لدى النساء هي بونتياك، وهيونداي، وتويوتا، وفولكسفاغن، وسوزوكي. أكثر خمسة أنواع مفضلة لدى الرجال هي دودج، ولنكولن، وجاغوار، وبورشه، وإنفنتي.

ينبغي أن يبدّل امتلاك النساء لقوة أغلبية في شراء المركبات من الصناعة. يجب تصميم السيارات مثل مركبة فولفو التجريبية، وتسويقها مثل الأدوات المنزلية. لكنها ليست كذلك حتى الآن، بالرغم من حقيقة أن قوة النساء ليست شيئاً متوقعاً، وإنما أمر واقع.

عندما تقوم الصناعة بالمزيد من الأبحاث، ربما ستجد أنها إذا اهتمت أكثر بالنساء، فإن صناعة السيارات بوجه عام -من تصميم المركبة إلى خدمتها وصيانتها - ستصبح أقوى. كما قال رئيس جيفي لوب Jiffy Lube: «أي شيء نفعله لجذب مستهلكين نساء مقبول مباشرة لدى المستهلكين الرجال». وقال رئيس فولفو عندما عرضت الشركة السيارة التجريبية التي صممتها وسوّقتها نساء سنة 2004: «تعلّمنا أننا إذا حققنا توقعات النساء، فسنكون قد تجاوزنا توقعات الرجال».

لهذا ربما حان الوقت لشركتي فورد وجنرال موتورز للتوقف عن تقليد اليابانيين، والبدء بتقليد آن تايلور Ann Taylor أو إيستي لاودر Estee Lauder. تريد النساء سيارات أكثر أماناً، صيانتها سهلة مع عناصر تصميم جميلة. ويرغبن في وجود بائعات أيضاً. تحاول فورد تزويد سيارتها ميركوري بما تحتاج إليه النساء - لكن إضافة إلى «النموذج الناطق»، لست واثقاً أنني رأيت تغييرات تم إدخالها عبر النظام من التصميم إلى صالة العرض.

تعاني صناعة السيارات الأمريكية من مشكلات - يعزى السبب في العديد منها إلى ظروف خارجة عن إرادتها، مثل النقص الشديد في العمالة، ورواتب التقاعد العالية. في أثناء عملي مع بيل فورد، خرجنا بفكرة أنه حتى تستعيد الصناعة عافيتها، ينبغي على مصنّعي السيارات الأمريكيين الاهتمام أكثر بالابتكار لتحقيق نمو أفضل. قول هذا أسهل من فعله، لكن في حالة «نساء يشترين سيارات» الجديدة، لا ينبغي أن يكون صعباً جداً التركيز على أن تكون السيارة، وطريقة بيعها، أكثر متعة.

في الكثير من الأمور الآن، تشكل النساء أغلبية، لكن الرجال والنظام بطيئون في إدراك ذلك. تشكل النساء أغلبية الطلاب في الجامعات وفي المدارس الثانوية. النساء أغلبية الناخبين. يُضاف إلى تلك القائمة، بالرغم من ألا أحد يقر بذلك، أن النساء يشكلن أغلبية مشتري السيارات. ربما تكون تلك الحقيقية التي غفل عنها الجميع في أمريكا حتى الآن.

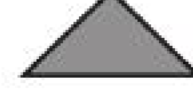


فصل 13

الفراغ والترفيه



أمهات الرماية بالقوس؟



أمريكة مولعة بالرياضة. أكثر من 260 مليوناً منا يمارسون على الأقل لعبة، ارتفاعاً من 235 مليوناً قبل عشر سنوات. لدينا قرابة أربع وعشرين قناة رياضة، مقارنة بواحدة فقط هي إي-إس-بي-إن ESPN سنة 1979. نضع لاعبي كرة السلة على قائمة «الرجال الأكثر جاذبية». ننتخب أبطال كمال الأجسام والمصارعين المحترفين حكاماً لبعض أكبر ولاياتنا. نرسل لاعبي كرة القدم إلى مجلس النواب.

اسأل أي شخص - الرياضة في أمريكة تعني الأربع الكبرى: كرة القدم (الأمريكية)، كرة القاعدة، وكرة السلة، والهوكي على الجليد. وفي حياتنا الخاصة، تعني السباحة، والبولينغ، وصيد السمك، وركوب الدراجات الهوائية.

لهذا إليك ما هو مذهل حقاً. في السنوات الخمس والعشرين الماضية، ما عدا كرة القدم، كان الاهتمام بالأربع الكبرى يتراجع. كرة القاعدة هي في الواقع الرياضة المفضلة لـ 11% فقط من السكان - ولم تكن عملياً «تسلية أمريكة» الأولى منذ السبعينيات. وصلت نسبة متابعة كرة السلة على التلفاز إلى أدنى مستوياتها على الإطلاق في موسم 2005-2006. وصلت مشاهدة الهوكي إلى الحضيض لدرجة أن إي-إس-بي-إن أوقفت في سنة 2005 بث المباريات على الهواء مباشرة.

وبمعايير الرياضة التي نقوم بها، عدد من يشاركون منا في رياضات «منتظمة» مثل السباحة، وصيد السمك، وركوب الدراجات الهوائية، وكرة السلة يتراجع أيضاً. وكذلك كرة القاعدة، كرة المضرب، الكرة الطائرة، التزلج على الجليد.

إذاً، ما الذي يفعله كل رياضيو أمريكة الجدد؟

الرياضة -مثل الموسيقا والأفلام- تتجه نحو مقاصد جديدة. لم يعد هناك ذلك الهياج الكبير الذي يرافق مباريات دوري كرة القاعدة، ولكننا لا نحب الرياضة أقل، وإنما نحب رياضات معينة أكثر.

منذ سنة 1995 كان «اتحاد السلع الرياضية القومي» يتابع عدد الأطفال والراشدين الأمريكيين الذين يشاركون في رياضات متنوعة. بالمقارنة بين سنتي 1995 و2005، يمكننا أن نرى أنه في حين تتراجع بعض الرياضات القديمة مثل كرة القاعدة، والسباحة، وكرة المضرب، والكرة الطائرة -بمعدل 13 %- تتقدم رياضات تتطلب جهداً فردياً أكبر، لم يكن أحد قد سمع بها قبل عشرين سنة.

التغير في المشاركات الرياضية، 1995 – 2005 (الرياضة المحددة)

	المشاركون 1995 (بالملايين)	المشاركون 2005 (بالملايين)	نسبة النمو%
التزلج على مزلاج خشبي	4.5	12.0	166.7
قوارب الكاياك/الطوف	3.5	7.6	117.1
التزلج على الثلج	2.8	6.0	114.3
رمي السهام	4.9	6.8	38.8
ركوب الدراجات الهوائية الجبلية	6.7	9.2	37.3
التخييم في البراري	10.2	13.3	30.4
الصيد (قوس وسهام)	5.3	6.6	24.5
كرة القدم	12	14.1	17.5
الغولف	24	24.7	2.9
كرة السلة	30.1	29.9	-0.7
صيد السمك	44.2	43.3	-2.0
السباحة	61.5	58	-5.7
كرة القاعدة	15.7	14.6	-7.0
كرة المضرب	12.6	11.1	-11.9
ركوب الدراجات الهوائية	56.3	43.1	-23.4
كرة الطائرة	18	13.2	-26.7
مزالج العجلات	23.9	13.1	-45.2

المصدر: اتحاد السلع الرياضية القومي، 2006.

كما ترى من الجدول السابق، الرياضة الأسرع نمواً في أمريكا أثناء السنوات العشر الأخيرة كانت التزلج على مزلاج خشبي، التي يمارسها الآن أكثر من 12 مليون شخص. يساوي ذلك تقريباً العدد نفسه من الأمريكيين الذين كانوا قد لعبوا الكرة اللينة أو كرة القاعدة.

كانت الرياضة اللاحقة ركوب قوارب الكاياك/الطوف، مع ما يزيد على 7 ملايين شخص – ثم التزلج على الثلج. لم يكن أحد قد سمع بالتزلج على الثلج قبل سنة 1980، ويمارس الآن 6 ملايين شخص هذه اللعبة. يشكل المتزلجون على الثلج نحو 1 من كل 3 نزلاء في منتجعات الجليد.

إحدى الرياضات الأخرى الأسرع نمواً في أمريكة هي ركوب الدراجات الهوائية الجبلية، مع 9 ملايين مشترك؛ ورمي السهام، مع قرابة 7 ملايين؛ والتخييم، مع 13 مليون؛ و –تخيل هذا– الصيد بقوس وسهام، مع نحو 7 ملايين.

في السنوات العشر الأخيرة –منذ خطرت لنا فكرة «أمهات كرة القدم»– كانت رماية السهام قد نمت أكثر من ضعف معدل كرة القدم. مرحباً، أمهات الرماية بالقوس؟

وعلى الرغم من أن الاهتمام بالرياضة منتشر بين أبناء الثلاثين والأربعين سنة فقط، إلا أنه أكثر وضوحاً بين المراهقين. يشكل مشاهدو دوري كرة القدم المراهقين تحت 18 سنة 10% من السوق، مقارنة بنحو 13% في التسعينيات، وقد تراجع عدد المراهقين الذين يلعبون كرة القدم، وكرة السلة، وكرة القاعدة، وهوكي الجليد نحو 23% في المدة نفسها. لكن إليك ما يفعله هؤلاء. منذ منتصف التسعينيات، ازداد عدد فرق اللكروس في المدارس الثانوية من 800 إلى أكثر من 2300. ازدادت عضوية الشبان في اتحاد المبارزة بالسيف الأمريكي إلى أكثر من الضعف، ووصل العدد إلى نحو 8000. منذ سنة 1990، نمت أعداد الشبان في اتحاد الرقص الأمريكي، والذي ينظم مسابقات رقص تنافسية، نحو 7 أضعاف.

ويمكن أن تراهن أن النمو في عدد الأشخاص الذين يمارسون التزلج على مزالج خشبية أو الثلج لم يأتِ ممن تجاوزت أعمارهم الأربعين في أمريكة.

ما يجري هنا هو أن الرياضات الكبيرة، بالنسبة لبعض الناس، أضحت أكبر من اللازم، في حين تفسح الرياضات الصغيرة المجال لهؤلاء باللعب والتنفس والتواصل مع آخرين.

في السنوات العشر الأخيرة، أصبحت مشاهدة الرياضات الكبيرة ولعبها أمراً شاقاً على نحو متزايد. أكثر فأكثر، يتم النظر إلى الأربع الكبرى على أنها تشاركية – مع إستادات إينرون Enron (سابقاً) الضخمة، والإعلانات المبهرجة من الجدار إلى الجدار، ورواتب اللاعبين الكبيرة جداً. كان مهاجمون ومدافعون قد أفسدوا مباريات ومواسم كاملة. أثارت فضائح الهرمونات الكثير من الكآبة بشأن تلك الرياضات. بالطبع، لا يزال هناك الكثير من المتحمسين، لكن الأربع الكبرى تواجه تسرباً خطيراً إلى أنشطة جديدة.

وربما يكون على صلة بذلك أن مشاركة المراهقين تصبح أكثر كثافة أيضاً. يظهر الأطفال في عيادات الطب الرياضي للعلاج من إصابات مختلفة وأربطة ممزقة على نحو كبير. يتناول طلاب يتنافسون على نحو كبير عقاقير منشّطة، ويدعون الأولاد العاديين الذين لا يريدون سوى القليل من التمارين وبناء الفريق ينتظرون على الخط. ناهيك عن ذكر الآباء المهوّسين على الخطوط الجانبية، مثل «أب هوكي ماساشوستس» الذي دخل في عراك مع أب طفل آخر عمره 10 سنوات في سنة 2000 وأوسعه ضرباً حتى الموت.

في الخلفية – بدأت اللكروس، المبارزة بالسيف، والرقص تبدو مثيرة للاهتمام. آباء أكثر دماثة. فرصة أكبر ليلعب المزيد من الأبناء، ويتألقوا في ذلك. ناهيك عن ذكر بعض التميّز لهؤلاء اللاعبين الجامعيين. يتجه عدد قليل فقط من النجوم نحو الكليات التي لديها أفضل فرق كرة السلة – لكن ما هي الجامعة التي لا يمكنها تمييز نفسها ضمن بطولة الناشئين القومية في الاستكشاف؟

التحول في الرياضة مثال ممتاز عن الطريقة التي ينفصل بها المزيد والمزيد من الناس عن الحشد الكبير لتحقيق رضا ذاتي أكبر. في حين كانت الرياضة الطريقة التي تجتمع بها المدرسة كلها –ولاحقاً، المدينة كلها– لتحية أفضل رجال المجتمع في معركتهم ضد منافسيهم، يقول عدد متزايد من الناس اليوم: حظاً طيباً في اللعبة، لكنني سأذهب لركوب قارب الكاياك.

الملاحظ أن أياً من الرياضات الأسرع نمواً في أمريكة- التزلج على مزلاج، ركوب قارب الكاياك، التزلج على الثلج، رمي السهام، التخييم، ركوب الدراجات الهوائية الجبلية، أو الصيد بقوس وسهام - تعتمد أساساً على عمل الفريق. بالتأكيد، مثل كل الرياضات العظيمة، تتطلب مثابرة، وقوة، وسرعة بديهة - لكن رياضات اليوم الأسرع نمواً تعتمد أساساً على المهارة الفردية والقوة الداخلية، وليس على القوانين، والصافرات، والأزياء الموحدة، والملاعب الجميلة.

الرياضة في أمريكة بعيدة عن التراجع. إنها تتحول فقط من طقس اجتماعي إلى نشاط فردي. ما كان سابقاً حدثاً يستقطبنا جميعاً إليه -مثل نسخة حديثة من مشاهدة الأسود تمزق الناس إرباً في الكولسيوم (المدرج الروماني)- قد أصبح العكس الآن. تساعدنا الرياضة الآن على الابتعاد - غالباً وحدنا إلى الجبال، أو الغابات، أو المياه.

انظر إلى برامج الرياضة الأنيقة، وأبطالها. انظر إليها ملياً لتكتشف ليس «أمهات الرماية بالقوس» فقط، وإنما سياسيون يتزلجون على مزالج خشبية أيضاً.

كنت سألقي دعابة أنه على غرار المهوّسين بكرة القدم، ينبغي أن تبحث أيضاً عن المهوّسين بصيد السمك - لكنهم موجودون فعلاً. قم باختيار صناراتك، وخمّن ما ستلتقطه.

وإذا كان ممكناً أن يضم الأولمبياد ألعاباً جديدة، فسيفعل ذلك بالتأكيد. عندما بدأت الألعاب الأولمبية الحديثة سنة 1896، كانت هناك ثلاث وأربعون لعبة. الآن، بين الألعاب الأولمبية الشتوية والصيفية، هناك 385 لعبة. هل ستكون البوكر اللعبة المقبلة؟ لا تضحك. جذبت بطولة العالم للبوكر سنة 2005 جمهوراً كبيراً. لكن مع أولمبياد 2008، ترقّب الرقص في القاعات.

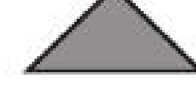
أخيراً، انتظر المزيد من الرياضات الجديدة في الأفلام. منذ سنة 2003 وحدها، تضمنت أشهر الأفلام الأمريكية الحائزة على جائزة الأوسكار طفل المليون دولار (ملاكمة)، والمرشح لجائزة الأوسكار بسكويت البحارة (سباق خيول). لكن سأكون صادقاً. كانت الملاكمة وسباق الخيول الرياضتين المفضلتين في أمريكة قبل خمسين سنة،

ولم تعد إحداهما تظهر على قائمة المشاهدة أو الممارسة الآن. في فيلم سنة 2005 رجل الطقس، كان نيكولاس كيج -شخصية تلفازية في شيكاغو- رامي سهام. غريب، صحيح؟ لكنه يدل على شيء ما.

تتجه النزعة المتنامية في الرياضة في أمريكة نحو الفردية، والهدوء، والطبيعة. لا عجب أنه في سنة 2006، تفوق تايغر وودز لاعب الغولف على مايكل جوردان نجم كرة السلة بوصفه أشهر رجل رياضي في أمريكةبعد خمس عشرة سنة من تحقيقه للبطولات. لا تزال البطولة الوطنية الحدث الأكبر للرياضة والتلفاز في أمريكة، لكن هناك مجموعة صغيرة يزداد عددها وتبتعد عن الرياضات التقليدية، لتتجه نحو رياضات بديلة أخرى.



الفن الإباحي



تتضمن بعض النزعات في هذا الكتاب مجموعة صغيرة تشكل سوقاً كبيراً. تتضمن هذه النزعة عدداً كبيراً من الناس الذين يشتركون في أنشطة لا تبدو، بالرغم من تواترها المتكرر، ظاهرة للعيان.

ليس هناك موضوع أكثر عزلة في أمريكة من الفن الإباحي. هذا الفن مذموم من قادة دينيين (عادة إلى اليمين) وأنصار مساواة المرأة بالرجل (عادة إلى اليسار)، ويثير امتعاضاً أكبر من أي تسلية أخرى في أمريكة. لكن في السنوات الأخيرة، كانت الإنترنت قد جعلت الحصول على الفن الإباحي سهلاً، حتى أضحى الملايين من الأمريكيين المحترمين بخلاف ذلك يستعملونها بوتيرة مدهشة. ربما تكون مبيعات المجلات قد تراجعت، لكن الإباحية على الإنترنت استفادت من الوضع القائم.

يزور نحو 40 مليون راشد في الولايات المتحدة بانتظام مواقع الإنترنت الإباحية. ذلك أكثر من عشرة أضعاف عدد الأشخاص الذين يشاهدون كرة القاعدة بانتظام. وما الذي ندعوه، مجدداً، تسلية الأمريكيين الرئيسة؟

في الواقع، هذا السوق كبير جداً، حتى إن الفن الإباحي أضحى عادياً. ليست هناك تقريباً غرفة فندق في أمريكة دون اتصال سهل مع موقع إباحي. إنه على بعد كبسة زر من الجميع.

يشاهد عدد مذهل من الناس الفن الإباحي في العمل. وفقاً لويبسنس **Websense**، شركة تبيع برامج أمنية وحجب مواقع، يتم تحميل 70 % من الأعمال الإباحية بين الساعتين 9 صباحاً و5 بعد الظهر. ويعترف 20 % من الرجال الأمريكيين أنهم يزورون مواقع إباحية في أثناء العمل. هل هناك خمسة رجال يعملون في المكان الذي تعمل فيه؟

جرب أن تلقي نظرة خاطفة على شاشات حواسيبهم عندما ينكبون عليها، كما لو أنهم يعملون. الفرص هي أن أحدهم، على الأقل، لا ينظر إلى برنامج الحسابات.

الجدير بالملاحظة هو أن هؤلاء أشخاص يتشبثون بخلاف ذلك بمعايير أخلاقية عالية. في سنة 2003، أوردت امرأة نصرانية اليوم Today's Christian Woman أن 53 % من الرجال أقرّوا في «تقليد الوفاء بالوعد» تلك السنة أنهم زاروا موقعاً إباحياً قبل أسبوع. يقول 47 % من النصارى: إن الإباحية مشكلة رئيسة في المنزل.

قال الرئيس السابق جيمي كارتر: إنه لا بأس أن «يشتهي المرء الجنس في قلبه». تجعل الإنترنت الرغبة الجنسية أمراً مقبولاً على شاشتك، في خلوة، وبتكلفة منخفضة.

بالمحصلة، كانت حملات فيديو الجنس المكثّفة اللامعة هي التي زادت من شهرة باميلا أندرسون وجعلت باريس هيلتون من المشاهير. احتجت كلتاهما أن حبيبيهما نشرا أفلام الفيديو دون إذن منهما. في السابق، كانت مثل أفلام الفيديو تلك ستجعل هاتين النجمتين عرضة لنقد كبير، وفي مجتمع اليوم، جعلت هذه الأفلام منهما نجمتين.

يشكل الفن الإباحي حالياً صناعة بـ57 مليار دولار عالمياً، وتدر 12 مليار دولار كل سنة في الولايات المتحدة. من الواضح أنه في سنة 2001 كان الدخل من الفن الإباحي أكبر من العائد السنوي الذي ينجم عن دوريات كرة القاعدة، والقدم، والسلة مجتمعة. قالت دراسة سنة 2006: إن العائد من الإباحية على الإنترنت فاق، بنسبة 2 إلى 1، عائدات أيه-بي-سي ABC، سي-بي-إس CBS وإن-بي-سي NBC مجتمعة.

وحصة الفن الإباحي في الفضاء الافتراضي، كما قد يتوقع المرء، كبيرة. هناك أكثر من 4 ملايين موقع إباحي، وتشكل نحو 12 % من كل المواقع. يتناول 1 من كل 4 أسئلة على محركات البحث في يوم عادي الفن الإباحي. وكذلك 1 من كل 3 عمليات تحميل الند-للند. معدل زيارة المواقع الإلكترونية الإباحية أكبر بثلاثة أضعاف من معدل زيارة غوغل Google، وياهو Yahoo! وإم-إس-إن MSN مجتمعة.

الأقل وضوحاً، بالرغم من ذلك، هو أن الفن الإباحي كان أحد الصناعات الأساسية التي دفعت التقانة قدماً إلى الأمام. في الثمانينيات، عندما أزاحت أجهزة في-إتش-إس

VHS بيتامكس Betamax لتصبح الأساس في صناعة أجهزة الفيديو، تم نسب انتصارها على نطاق واسع إلى إمكانية عرض أفلام إباحية على أجهزتها. الآن، وفقاً ليومية عمل المستثمر Investor□s Business، يعمل عملاقا أقراص الفيديو إتش-دي HD وبلو-ري Blue□ray على شكل جديد من أقراص فيديو الجيل اللاحق، ويبدو أن تحالف إتش-دي مع «صناعة الراشدين» ستمنحها ميزة تنافسية كبيرة.

اليوم، متعهدو الفن الإباحي بعض أكبر عملاء شركات التقانة الرئيسة. «الجنس» هي كلمة البحث الأولى التي يطلبها الناس على غوغل وياهو! على الرغم من أن المنظمات المحافظة تسارع لمقاطعة أي شركة تعلن في مجلات للشواذ، إلا أنها لا تقاطع البتة الشركات التي تبيع المعدات والخدمات لصناعة الفن الإباحي. لماذا؟ على الرغم من أن تلك المنظمات تضم بعض الأعضاء الشواذ، إلا أنها تضم الكثير من الأعضاء الذين يشاهدون فناً إباحياً.

مع كل الحديث عن تأثيرات الفن الإباحي، ينبغي أن يتساءل المرء إذا كنا سنرى تغييرات مهمة في العلاقات الواقعية. كان العنف سابقاً موضع لوم على التلفاز، لكن الدراسات استمرت في الاتجاهين. الآن، بعد أن ازداد الفن الإباحي على الإنترنت، ازدادت كذلك المواعدة عبر الإنترنت. لم يتمتع الناس البتة من قبل بمثل هذه الإمكانية للقاء ومواعدة أشخاص حقيقيين، والانغماس في الوقت نفسه في ملذاتهم في خلوة خاصة بهم.

ربما يكون التأثير الأكبر لهذه الظاهرة على المراهقين الذين كانوا سابقاً يشترون مجلات محظورة، ثم أفلام فيديو. يستطيعون الآن الاتصال بمواقع إباحية على الإنترنت. ضع شيئاً واضحاً على متصفح الإنترنت مثل www.sex.com وانظر ماذا يحدث. تخيل شباناً يافعين لم يكونوا ليستطيعوا الحصول على ذلك دون كثيرٍ من المتاعب، وقد أصبح متوافراً لديهم كل شيء مباشرة، دون بطاقة ائتمان أو هوية. العمر الذي يمارس فيه الشاب الأمريكي الجنس أول مرة ينخفض - وصل إلى 16 سنة الآن، وربما تكون سهولة الوصول إلى الصور والمعلومات غير المحدودة عن الجنس سبباً في ذلك.

لكن «الدهشة» الحقيقية هنا تخص النساء. الفن الإباحي أساساً مخصص لرجال يشاهدونه بصمت تام – ظاهرة معروفة للرجال، لكن غالباً ما تغفل عنها النساء. وعندما تدرك النساء ذلك، هل سيغيرن الطريقة التي ينظرن بها إلى زملائهن، ومديريهن، وأزواجهن، وأحبائهن؟ أم أن النساء يتجاهلن الأمر عمداً؟ هل يتفقن مع جيمي كارتر أن القليل من الرغبة الجنسية شيء طبيعي، طالما بقي رجالهن مخلصين؟

تشكل النساء أكثر من ربع أولئك الذين يزورون مواقع إباحية. والمزيد من النساء يعشن الآن وحدهن. لهذا إن كانت هناك نزعة ضمن نزعة أخرى، فستكون أن النساء يتخذن الموقف القائل: «إن لم تستطيعي التغلب عليهم، انضمي إليهم».

الصورة الدولية

الأمريكيون ليسوا وحيدين في شغفهم بالفن الإباحي. يدّعي موقع توب-تن-ريفيوز. كوم TopTen Reviews.com أن صناعة الجنس العالمي تقدّر بنحو 81 مليار دولار كل سنة، وتبلغ حصة الفن الإباحي المرتبط بالإنترنت 3.5 مليار دولار. كانت صفحات الفن الإباحي على الإنترنت قد نمت بمعدل 1800 % عالمياً في أثناء السنوات الخمس الأخيرة، ومن 68 مليون عملية بحث كل يوم في العالم، 25 % منها عن مواقع إباحية. لهذا إذا كنت تقفز لتحجب أشخاصاً عراة على شاشتك عندما يمر بك مديرك، ربما لست وحدك في ذلك - شخص في هولندة ربما يفعل الشيء نفسه.

ما مدى شعبية الفن الإباحي، حقاً؟ وفقاً لدراسة عن الجنس العالمي قامت بها سنة 2004 شركة دوركس Durex (صانع الواقي)، يشاهد 35 % من محبي الفن الإباحي أفلاماً مع شريكهم. على النطاق العالمي، جنوب الإفريقيين هم أكثر من يعترف أنهم يشاهدون فناً إباحياً (60 %)، بينما الهنود (22 %) والصينيون (24 %) هم الأقل اعترافاً.

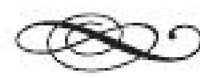
يحصل الناس حول العالم على الفن الإباحي بالطرق نفسها تقريباً – أساساً، عبر الإنترنت، والهاتف، والمجلات. لكن في أوروبة، الأمر الشائع الجديد هو الفن الإباحي عبر الهاتف الخليوي. كان الأوروبيون قد أنفقوا ما يعادل عشرات ملايين الدولارات على الفن الإباحي عبر الهواتف الخليوية. في سنة 2004، استقبل موقع فون-يوريتكا PhoneErotica.com أكثر من 75 مليون زائر كل أسبوع. في أمريكة، كان حملة الهواتف الخليوية أبطأ في اللحاق بالأوربيين؛ خوفاً من رد فعل العامة السلبي. على الرغم من ذلك، يقول الباحثون: إن الرسوم الإباحية على هاتفك الخليوي (بجانب بريد عملك الإلكتروني والصور الرقمية لعائلتك) ستشكل عملاً يدر 200 مليون دولار في الولايات المتحدة بحلول سنة 2009.

الواضح أن الفن الإباحي ليس للراشدين فقط. أوردت ذا نيشن The Nation التايلندية أنه في سنة 2002، نحو 71 % من اليافعين فيها (تتراوح أعمارهم بين 12–25) كانوا قد زاروا مواقع إلكترونية إباحية. 45 % منهم زوار منتظمون لتلك المواقع. قال ثلث الفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين 13–14 سنة من ألبرتا، كندا: إنهم شاهدوا فناً إباحياً «مرات لا يستطيعون عدّها».

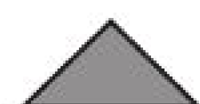
كانت اليابان قد تميزت في مجال الفن الإباحي بغزارة الإنتاج لكل من الراشدين والأطفال. في سنة 1998، قدّرت منظمة الشرطة الجنائية الدولية أن ما يصل إلى 80 % من مواقع الإنترنت الإباحية للأطفال تتخذ من اليابان مقراً لها.

من يحصل على أكبر عدد من صفحات الفن الإباحي المسجلة؟ ألمانية، بنحو 10 ملايين. ويدّعي بلد صغير في إفريقيَّة، ساو تومي، أنه ينتج 307.000 صفحة، وهذا يعادل ضعف عدد سكانه.

إنه أكبر سر مفضوح في العالم.



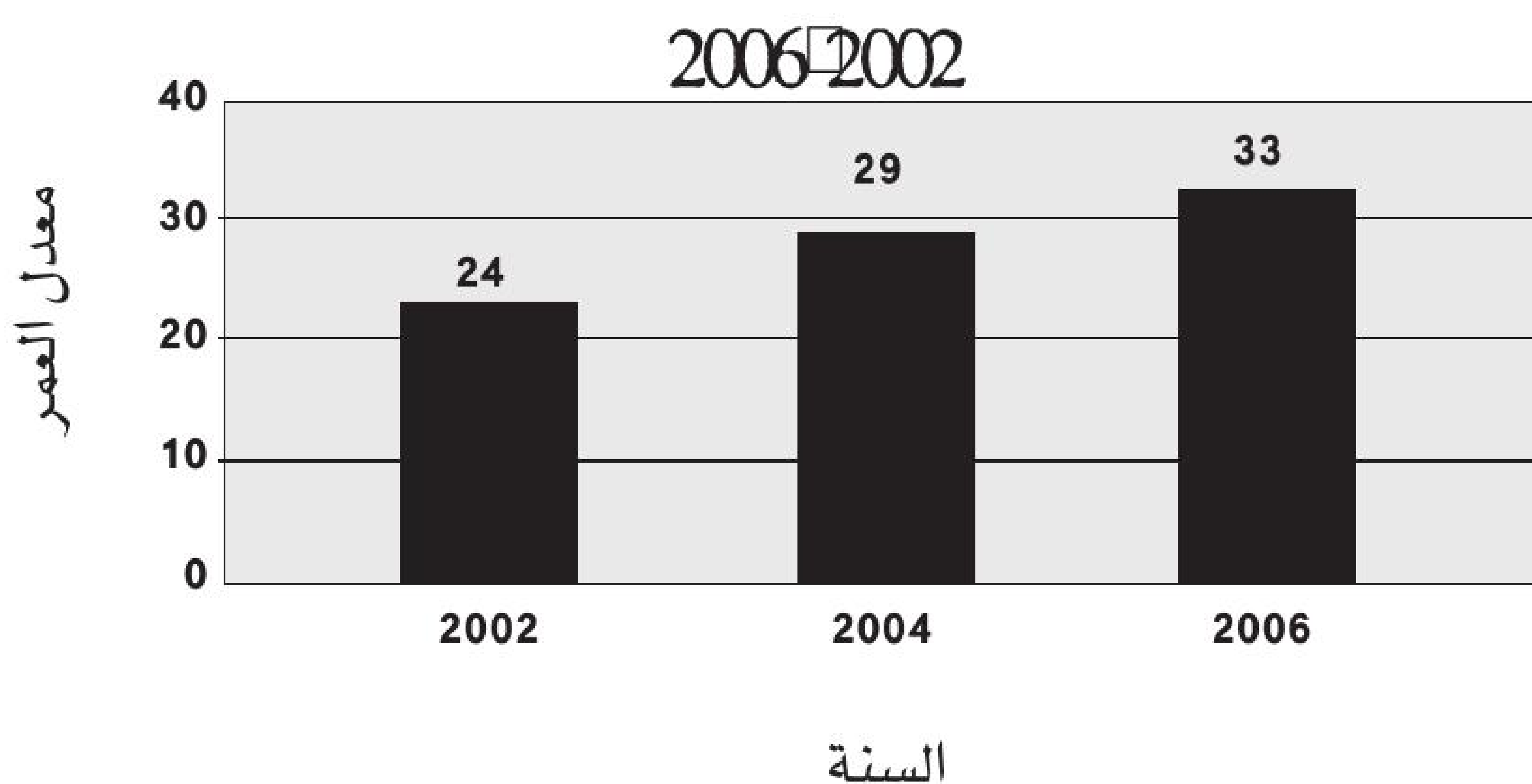
الراشدون وألعاب الفيديو



تجلب ألعاب الفيديو في أمريكة إلى الأذهان فتياناً مراهقين، ينكبون على أجهزتهم في غرف كئيبة في أيام مشمسة. «اللاعبون» مراهقون غير اجتماعيين يجلسون طوال ساعات في أقبية بعضهم – دون هواء نقي، أو تمارين رياضية، أو تبادل أطراف الحديث.

لكن على الرغم من أن الصور النمطية القديمة راسخة بقوة، إلا أن الإحصاءات تكشف صورة مختلفة جداً. ابتداءً من سنة 2006، كان معدل عمر لاعب الفيديو/ألعاب الحاسب 33 سنة، ارتفاعاً من 24 قبل أربع سنوات. وهو ليس أكبر عمراً مما كنت تظن فقط، وإنما من الواضح أنه كان يلعب منذ 12 سنة أيضاً – هذا يعني أن اللاعب النموذجي لم يبدأ اللعب حتى أصبح كبيراً بما يكفي ليشتري الكحول. كانت ألعاب الفيديو قد أصبحت أكبر ترفيه للراشدين، وليس الأطفال.

معدل عمر لاعبي الفيديو/الحواسيب



المصدر: اتحاد برمجيات الترفيه، 2006.

وفقاً لاتحاد برمجيات الترفيه، يشكل اللاعبون تحت 18 سنة في الواقع أقل من ثلث اللاعبين، ويشكل الناس فوق 50 سنة 25 %. يصعب تصديق هذا، أعرف ذلك.

إلى جانب بيل كوسبي وإلتون جونز، كان أحد عوامل الجذب الرئيسة في المؤتمر السنوي للمنظمة الأمريكية للمتقاعدين سنة 2006 ننتيندو Nintendo.

تفوق أعداد حتى النساء الراشدات - اللواتي يشكلن 30 % من سوق ألعاب الحاسب والفيديو - أعداد الفتية بعمر 17 سنة أو أقل، والذين يشكلون نحو 23 % من السوق.

احذروا أيها الفتيان، الأم والأب ينزلان إلى القبو، لكنهما لن يأخذا ألعاب الفيديو الخاصة بكم ويجعلاكم تلعبون في الخارج. إنهما يريدان الانضمام إليكم.

ما الذي يجري؟

جزئياً، إنهم في عمر الثلاثين وأول جيل يجلس أمام حاسب. في حين كان «الترفيه» يعني بالنسبة لآبائهم شراء تذكرة عرض، أو مسرحية، أو فيلماً، أو مباراة كرة ومشاهدة القصة تتكشف أمام ناظريهم، يشعر هذا الجيل براحة أكبر بالترفيه الذي يتضمن الضغط على لوحة المفاتيح، والسرد التفاعلي.

ثانياً: لأن ألعاب الفيديو لا تشكل تهديداً لهم، يعتنقها الآباء اليوم في الواقع طريقةً لتوثيق العروة مع أبنائهم. وفقاً لاتحاد برمجيات الترفيه، 35 % من الآباء لاعبون، ويلعب 80 % من الآباء اللاعبين مع أبنائهم. خذ مثلاً ألعاب ثورة الرقص Dance Revolution، التي يكدح فيها الأبناء (وآباؤهم الذين يدركون مخاطر البدانة) في محاولة للتوافق مع حركة أقدام شخصية لعبة الفيديو. وفيما كان الراشدون والأطفال معتادين على الفرار من بعضهم في الحفلات، يمكنهم الآن في الواقع الاشتراك في المتعة نفسها معاً، مثل منافسات غيتار هيرو Guitar Hero. الأمر ينجح بين الأجيال.

ثالثاً: تدرك صناعة برامج الترفيه ببطء أهمية جمهورها الأكبر سناً. إضافة إلى الأسلحة والأشرار وغراند ثيفت أوتو Grand Theft Auto، هناك الآن ألعاب تحاكي الحياة على نحو متزايد مثل آل سيم The Sims، التي يقود فيها اللاعبون أفراد أسرة خيالية في أثناء يوم عادي. في سنة 2005، كانت آل سيم أفضل لعبة حواسيب شخصية مبيعاً في أمريكة الشمالية - وشعبيتها واسعة بين النساء. إحدى المجموعات الأسرع نمواً

من لاعبي الفيديو هي الأمهات فوق 45، اللواتي يخرج أطفالهن إلى المدرسة ويكون لديهن الكثير من الوقت، لكن ليس الكثير من المال. يقضين وقتاً في مشاهدة التلفاز أطول من أي مجموعة أخرى من اللاعبين، ويأتين في المرتبة الثانية في الوقت المخصص للألعاب. بخلاف محبي التقانة المراهقين المنعزلين سابقاً، تريد هذه المجموعة أن تكون ألعابها سهلة، وتركز على الجانب الاجتماعي. إنه عالم جديد كامل من اللاعبين.

الشكل الأكثر شيوعاً في اللعب هو البطاقات الإلكترونية التي يستخدمها 2 من كل 3 لاعبين راشدين، أو ربما نحو 35 مليون شخص. وبالنسبة للاعب «متحمس كثيراً»، هناك «ألعاب شبكة الإنترنت الضخمة لعدّة لاعبين» - يتفاعل فيها الناس بوصفهم شخصيات خيالية في عالم افتراضي يتطور باستمرار، حتى عندما يتوقف اللاعبون عن اللعب. تقريباً 1 من كل 5 لاعبين راشدين، أو قرابة 10 ملايين شخص، يفعلون ذلك. واحدة من أشهر ألعاب الإنترنت الضخمة حياة ثانية Second Life -مع أكثر من 5 ملايين مشترك- تسمح للراشدين ببناء شخصيات افتراضية والتفاعل مع آخرين في صفقات عقارية، وأنشطة جماعية، وأماكن العمل، والحياة الاجتماعية عموماً. ليس مسموحاً للأطفال بهذه اللعبة (لديهم نسختهم الخاصة بهم، حياة ثانية للمراهقين Teen Second Life).

ينبغي أن أعترف أنني راشد يحب ألعاب الحاسب الشخصي. طوال سنوات، كنت قد لعبت سلسلة القيادة والفتح Command and Conquer من ألعاب الحروب الإستراتيجية التي تقود فيها جيوشاً مع مجموعة من المهارات المختلفة. ما تعلمته أن هناك دائماً طريقة للفوز - ينبغي فقط أن تستمر باللعب؛ حتى تعثر عليها. تحولت أخيراً إلى لعبة خربشة Scrabble على الإنترنت، لكن إذا لاحظت ما الذي يفعله الناس على الطائرات اليوم، فسيكون من الأسهل مشاهدة فيلم أو لعب لعبة فيديو. الناس الذين يستعملون حواسيبهم المحمولة للعمل في أثناء الطيران هم في الواقع أقلية.

القصد هو: ما كان سابقاً هواية هامشية لمحبي التقانة وغريبي الأطوار المراهقين قد أصبح الآن النشاط الرئيس للراشدين الأمريكيين. يُعد نحو 100 مليون راشد «لاعبين نشيطين». مبيعات ألعاب الفيديو في الولايات المتحدة أكبر من مبيعات الأفلام في العالم

كله. تقوم نحو 100 كلية وجامعة أمريكية بتعليم مناهج عن طريقة تصميم وإنتاج ألعاب فيديو.

للراشدين الذين يلعبون ألعاب فيديو أهمية كبيرة - أولاً للصناعة نفسها. يشكل اللاعبون الراشدون سوقاً لصناعة مزدهرة من ألعاب الفيديو «المتطورة»، وهي القطاع الأسرع نمواً حالياً، بنحو 15%؛ وسوقاً مفتوحة على مصراعيها للنساء اللواتي يرغبن في اللعب. هناك أيضاً قطاع متنامٍ من اللاعبين الراشدين، معروف باسم «لاعبي المنطقة الرمادية». في سنة 2006، قدّمت ننتيندو Nintendo عمر العقل Brain Age، وهي لعبة حاسب تتطلب تركيزاً عالياً تتحدى الراشدين في سلسلة من الألغاز المنطقية على الشاشة، ثم تخبرهم كم هي «يافعة» عقولهم. يتنافس أهل البيت على تسجيل «عمر 50» أو «40»، والمحافظة على أذهانهم نشيطة، وربما إبعاد الزهايمر عنها. (هل تتذكر كم كانت سمعة نينتيدو ذائعة في مؤتمر المنظمة الأمريكية للمتقاعدين؟). سينمو هذا السوق عندما يصبح الراشدون أكبر سناً في المستقبل، مع المزيد من المعرفة بالحاسب.

لكن حتى بين الراشدين في الثلاثين والأربعين من العمر، لا يزال سوق ألعاب الفيديو في طور التطور - انظر فقط إلى عروض سيركت سيتي Circuit City والموسيقا والمخلوقات الغريبة في معظم ألعاب الفيديو. يمكن أن تحقق هذه الألعاب طفرة كبيرة في المبيعات إذا تضمنت المزيد من الشخصيات الواقعية، والموضوعات المثيرة للاهتمام، وتجارب لعب جديدة. ليست هناك لعبة رئيسة واحدة عن الاستثمار وجني المال - على الرغم من أن واحدة من أكبر الألعاب كل الوقت كانت احتكار Monopoly. تركز كل الألعاب على الاستيلاء على عوالم، أو المواعدة، أو القتل. لكن أكثر ما يريده رجال بعمر 33 سنة هو تحقيق شيء في السوق، أو إذا أرادوا القضاء على شخص ما، سيكون مديرهم ومكتبه في الزاوية. ستكون زميلاتهن قد أنجبن للتو طفلهن الأول أو الثاني، ويتعاملن مع تطور الطفل ومنافسة الأخت. الموضوعات التي لم يتم التطرق إليها من تجارب الإنسان كثيرة، وبالرغم من ذلك لا يزال منتجو الألعاب يبدون ضائعين مع المراهقين، وغير مدركين لنمط حياة عملائهم الجدد.

يشكل الراشدون الذين يلعبون ألعاب فيديو أهمية كبيرة للمعلنين أيضاً. مع 10 مليارات دولارات وأكثر، تمثّل صناعة ألعاب الفيديو فرصة جديدة للتسويق. على الرغم من أن برامج الترفيه لا تزال جزءاً صغيراً مقارنة بالتلفاز، أعلنت نيلسن Nielsen، التي كان نظامها للتصنيف التلفازي قد ساعد لعقود على تحديد سعر الإعلانات على التلفاز، في سنة 2006 أنها ستطور نظاماً للقياس وضع معايير لشراء إعلانات ألعاب الفيديو وبيعها. عندما يلحق التسويق بالواقع، ابحث عن إعلان لعبة فيديو ليس مخصصاً لهواتف خليوية ودي-في-دي، وإنما لقروض رهن عقاري وشاحنات صغيرة.

وعلى مستوى أوسع، يمثّل لاعبون كبار في السن خطاً غير واضح المعالم بين الراشدين والأطفال. بالتأكيد، يقيم الأطفال علاقات بعمر أقل من السابق، ويدعون آباءهم بأسمائهم الأولى - لكن على نحو متزايد، الراشدون الذين يشاهدون الرسوم المتحركة (آل سمبسون، ملك التل، المتنزه الجنوبي)، يتحولون إلى تشَك-إي Chuck E. ابتهجوا، والعبوا الآن ألعاب فيديو. في كل تلك الساعات الإضافية التي يلعب بها الراشدون ألعاب فيديو، ولا يعملون، ويقرؤون، ويتطوعون، ولا يقومون بأنشطة مفيدة للمجتمع التي كانت تمثل علامة مميزة في وطنية الراشد. بالفعل، إنهم يعيشون في مجتمعات خيالية. هل تلك عزلة، أم تواصل على نطاق واسع؟

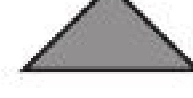
يقول إحساسي، عند موازنة الأمور: إنه سيكون لراشدين يلعبون ألعاب فيديو إيجابيات أكثر من السلبيات، والسبب أن كل تلك الراحة التي يشعر بها اللاعبون تنتقل من الترفيه إلى التعليم - بالنسبة لهم. اللعب هو الجبهة الجديدة من نوعها لبناء المهارات والتدريب الذي يحتاجه الراشدون للتعامل مع بعض أخطر مشكلات العالم. بعد حصولها على لقب «ألعاب رزينة» من قبل مركز ودرو ويلسون العالمي للباحثين، تركز المرحلة القادمة من تقانة ألعاب الفيديو على التعليم والمحاكاة، وقد تم إنتاج ألعاب تقدم موضوعات مثل مكافحة الأوبئة ومحاربة الإرهاب وإزاحة الطغاة سلمياً. يستعملها رجال الإطفاء للتدريب على معالجة كوارث كيميائية وجرثومية. يستعملها رؤساء الجامعات لإعادة تشكيل التعليم العالي. تستعملها القوات المسلحة استعداداً للمعارك. عندما تكون المخاطر كبيرة

والخيارات صعبة ومعقّدة، يمكن أن يشكل تقديم البدائل ضمن لعبة في وقت حقيقي ميزة تنافسية جوهرية. لكن فقط عندما يبدأ غالبية الناس باعتياد أدوات وتقنيات اللعب -في وقت فراغهم- ستبدأ مؤسسات مثل المدارس، والجامعات، والحكومات بالاستفادة منها في كل ما من شأنه دفع عملها قدماً إلى الأمام.

لهذا ما بدأ عادة لمراهقين غير اجتماعيين قد أصبح أحدث طريقة يفكر بها الراشدون بشأن مكافحة الإرهاب، والتعليم، والحرب. «نلعب» ليس لأننا غير اجتماعيين، وإنما لأنه يمكننا أن نتخيل، ونخطط، ونتدرب على بعضٍ من أكبر التحدّيات في سيناريوهات برمجية.



الكلاسيكية الجديدة



هناك عدد من المجموعات في أمريكة التي تندب علانية، كل عدّة عقود، حظها العاثر. علماء النحو. اليهود. فرق كرة القاعدة. قلقهم المشترك حقيقي ويمس المشاعر، ويمكنهم دائماً الإشارة إلى كم كبير من البيانات التي تدعم وجهات نظرهم. لكن غالباً -وربما يكون ذلك لأن بعضاً من ذلك الاندفاع يحفّز مخلصين جداً للعمل- ينتهي الأمر بتلك المجموعات بالعثور على طرق جديدة ومعاصرة للبقاء.

أحدث الوافدين إلى مجموعة «سأنقرض» هي الموسيقا الكلاسيكية. كرّست عشرات الكتب، والمدونات، والمقالات، وبالطبع، مؤسسات جمع الأموال نفسها لتندب حظها وتذرف الدموع؛ لأن ديبوسي Debussy يتراجع وبوشيني Puccini يتلاشى. الأشخاص الوحيدون الذين يحبون الموسيقا الكلاسيكية، ويذهبون إلى حفلاتها، هم كبار السن - لهذا إن لم نتخذ إجراءات عاجلة، فستنقرض الموسيقا الكلاسيكية، أيضاً في أثناء جيل.

يشيرون إلى بعض البيانات الخطيرة. بين سنتي 2005 و2006، انخفضت مبيعات الأقراص المدمجة للموسيقا الكلاسيكية 15 %. في مدينة بعد أخرى، تغلق محطات الإذاعة الكلاسيكية أبوابها وينفرط عقد فرق الأوركسترا المحترفة. يتراجع الاشتراك في موسم «الأوركسترا». كانت برامج الموسيقا المدرسية قد انخفضت إلى النصف. والموسيقا الكلاسيكية على التلفاز لا تزال بلاد متحضرة مثل إنكلترة تعرضها، لكننا لا نفعل ذلك. لدينا قرابة 35 محطة تلفازية موسيقية - لكن إذا أردت عملاً «كلاسيكياً» على التلفاز، لابد أنك تعني أفلاماً. إنها حالة حزينة، وربما تشير إلى تراجعنا الثقافي.

يا للأسف! مجلس العزاء سابق لأوانه. شعبية الموسيقا الكلاسيكية تزداد، ولا تتراجع. وفي السنوات القادمة، ينبغي أن نتوقع أنها ستنمو بنسبة أكبر.

الأسباب معرفية وديمغرافية وثقافية. معرفياً، يتجاهل المتشائمون بعض الأرقام المهمة. في سنتي 2000–2001، بيع أكثر من 32 مليون تذكرة لحفلات موسيقية، وشكل ذلك ارتفاعاً بنسبة 10 % مقارنة بعقد مضى. على الرغم من أن عدد المشتركين الموسميين انخفض -مثلاً، بنسبة 5 % في بالتيمور- إلا أن مبيعات التذاكر الفردية ارتفعت في تلك المدينة 46 % في المدة نفسها. لا يشير ذلك إلى وجود مستمعين منتظمين للموسيقا الكلاسيكية ومنهم المتقاعدون فقط، وإنما إلى وجود مزيد من الناس من هواة الموسيقا الكلاسيكية. ستدعو معظم الصناعات ذلك نمواً.

في سنة 2000، كانت هناك أكثر من 36.000 حفلة للموسيقا الكلاسيكية في الولايات المتحدة – ارتفعت بنسبة 10% عن سنة سابقة و45 % عن عشر سنوات سابقة. هل تشير 100 حفلة يومياً في أمريكة إلى تراجع – بينما في الخمسينيات (الذروة المفترضة لهذا النوع من الموسيقا)، لم تكن مواسم الأوركسترا تدوم أكثر من ثمانية شهور؟

ارتفعت عائدات الأوركسترا؛ ووصلت الأعمال الخيرية إلى مستويات قياسية؛ ومنذ سنة 1992، كان عدد الطلاب الجامعيين الذين يتخصصون في الموسيقا قد ارتفع أكثر من النصف. في الواقع، في سنة 2002، كان على المركز القومي لإحصائيات التعليم أن يضيف إلى اختصاصاته الموسيقية الرئيسة (الموسيقا، وتاريخ الموسيقا، والأداء الموسيقي، ونظرية الموسيقا) على الأقل ثلاثة اختصاصات فرعية جديدة من الموسيقا الكلاسيكية: أصول تعليم الموسيقا، قيادة الفرقة الموسيقية، والبيانو والأرغن.

ما الذي كنت تقول: إنه يتلاشى؟

إليك الإحصاء المضاد المفضل لدي. وفقاً لدراسة معهد غالوب **Gallup**، وصل عدد الأسر الأمريكية التي يعزف أحد أفرادها على آلة موسيقية - 54 %- إلى أعلى مستوى له في سنة 2003. أي قبل سنة من ظهور ذلك الافتراض بأن الموسيقا الكلاسيكية تنقرض. وربما يكون ذلك الجزء من النمو مرتبطاً بحقيقة أن دروس البيانو لم تعد للأطفال العصبيين فقط. وفقاً للاتحاد القومي لمعلّمي الموسيقا، الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 25–55 هم المجموعة الأسرع نمواً من تلامذة البيانو الجدد.

حتى إذا نحّينا جانباً، في هذه اللحظة، كل الإثباتات التي تؤكد أن الموسيقا الكلاسيكية تزدهر ولا تذبل، الدليل الكبير هنا الذي يستعمله المتشائمون -مبيعات الأقراص المدمجة والعرض على التلفاز وعبر المذياع- غير ذي صلة إطلاقاً. من ناحية موسيقية بحتة، الإنترنت هو المكان الذي ينبغي اللجوء إليه. ومن الواضح -على الرغم من أن المستمع العادي للموسيقا الكلاسيكية ثقيل الحركة وأشيب- أن الموسيقا الكلاسيكية أكثر شعبية على الإنترنت مما هي عليه في المتاجر. بالرغم من أن الموسيقا الكلاسيكية لا تشكل سوى 3 % من مبيعات الأقراص المدمجة في متاجر التجزئة، إلا أنها تشكل 12% من كل المبيعات على أجهزة آي-تون iTune من آبل Apple.

لم تنجُ الموسيقا الكلاسيكية من موت أجهزة التسجيل القديمة فقط، وإنما تجذب إليها الآن في الواقع نوعاً جديداً من المستمعين.

كان المستمع الكلاسيكي «تقليدياً» شخصاً أبيضَ، وكبيراً في السن، ومثقفاً، وخبيراً في هذا الفن. على الرغم من أن تلك المجموعة لا تزال تشكل حصة كبيرة من النشاط الكلاسيكي إلكترونياً، إلا أن دراسة أجراها موقع كلاسيكال-أرشيفز www. classicalarchives.com كشفت أن قرابة نصف مشتركيه تحت سن 50. وأن 1 من كل 5 لم ينهِ الدراسة الجامعية، و 1 من كل 3 لم يعزف البتة على آلة موسيقية.

عندما تفكر في الأمر، يبدو منطقياً تماماً. الإنترنت مريحة لمحب الموسيقا الكلاسيكي العادي أكثر من المتاجر الكبيرة. عندما تستطيع الحصول على نماذج مجانية، أو تحميل مقطوعة واحدة كل مرة وأن تستمع وحدك على جهاز آي-بود، تصبح الموسيقا الكلاسيكية فجأة غير مخيفة على الإطلاق. إحدى النتائج غير المتوقعة للإنترنت أنها قدمت الموسيقا الكلاسيكية لنوع أكثر شباباً، وتنوعاً، وجرأة من المستمعين.

وإذا كنت طالب موسيقا -سواء في كليات ناشئة أو تتعلم البيانو من خبير- تعرف أن القدرة على شراء المقطوعة التي تدرسها ميزة كبيرة. لطالما كانت الموسيقا الكلاسيكية طويلة جداً - لكن الآن، إذا لم ترغب في ذلك، فلست مضطراً لشراء المقطوعة كلها!

نتحول الآن إلى الأسباب الديمغرافية لارتفاع أعداد الأشخاص الذين يحبون الموسيقا الكلاسيكية. في كل جيل، يتساءل الذين يتقدم بهم العمر: لماذا لا يقتنع المراهقون بما يقوله الآخرون لهم؟ حسناً، الحقيقة هي أنهم لم يفعلوا ذلك البتة. كانت الموسيقا الكلاسيكية دائماً ذوقاً مكتسباً، وفي كل جيل، يتعرف إليها الناس أول مرة في منتصف العمر. لكن ذلك المعيار، نظراً لديمغرافية الولايات المتحدة، يشكل منجم ذهب كلاسيكي. بين سنتي 2000 و2030، سيتضاعف تقريباً عدد الأمريكيين الذين سيكونون بعمر 55 أو أكبر - من 60 مليوناً إلى زهاء 110 ملايين. سيزداد عدد الأمريكيين في عمر 65 أو أكبر بأكثر من الضعف - من 35 مليوناً إلى أكثر من 71 مليوناً. وسيكون كبار السن هؤلاء الأكثر صحة، والأطول عمراً، والأفضل تعليماً، والأكثر ثراءً في التاريخ. حتى إذا لم يكن هناك وافدون جدد يستطيعون استعمال الإنترنت ويهتمون بالموسيقا الكلاسيكية، فستشهد الصناعة بالرغم من ذلك ازدهاراً كبيراً.

وأخيراً، الأسباب الثقافية، منذ التسعينيات، كانت هناك مجموعة من الوافدين الجدد على الأوركسترا الذين يكذّبون المقولة التقليدية أن الموسيقا الكلاسيكية لكبار السن فقط: الأطفال. في التسعينيات، أدخل العلماء «تأثير موزارت» - نظرية اشتهرت بأن «الموسيقا الكلاسيكية تجعل الأطفال أذكى». بالرغم من أنه تبين لاحقاً أنها ليست صحيحة تماماً، إلا أن عدد النساء الحوامل، والآباء الجدد، ومعلّمي المدارس الذين يتسابقون لشراء موسيقا كلاسيكية ارتفع إلى مستويات عالية جداً.

الأفضل من ذلك، تدخل السياسيون في الأمر. منذ سنة 1998 في فلوريدا، كان على كل رياض الأطفال التي تمولها الولاية تقديم بعض الموسيقا الكلاسيكية كل يوم. في سنة 1998، اقترح حاكم جورجيا زيل ميلر إنفاق 100.000 دولار سنوياً لمنح أقراص مدمجة أو شرائط موسيقا كلاسيكية لكل طفل يولد في الولاية. أنجبوا أطفالاً؟ يبدو أن جناح التوليد سيقدم لكِ ليس حفاظاً للطفل ووصفة طبية فقط، وإنما «هدهدة» كلاسيكية لوقت النوم.

وأخيراً، ربما يكون المسمار الأخير في تابوت نعش الموسيقا الكلاسيكية مجموعات مثل: بوند Bond، فرقة موسيقية تتألف من أربع عازفات يعرضن أجزاءً من أجسادهن على غطاء أسطواناتهن المسجلة أكثر مما هو ضروري لعزف الكمان. يمنح هذا النوع من الفرق الموسيقا الكلاسيكية جمهوراً محتملاً جديداً بالكامل.

لهذا لم تنتهِ الأعمال بعد. ينبغي للمتحمسين للموسيقا الكلاسيكية شراء المزيد من الأقراص المدمجة الموسيقية الآن، في حين هناك تنزيلات عليها؛ لأن المتاجر ربما تصبح أكثر ازدحاماً قريباً، نظراً للتغييرات الديمغرافية، والتكنولوجية، والثقافية التي ستوسع من قاعدة محبيها. نعم، ربما ينبغي على فرق الأوركسترا بيع تذاكر فردية أكثر مما كانت تفعل سابقاً، وربما يجب عليها التخلي عن رسوم التسجيل المسبقة لصالح اقتطاعات (أكبر) من المبيعات الرقمية. لكن الكلاسيكية الجديدة قادمة. إنها أفضل أنباء تلقتها الموسيقا الكلاسيكية منذ قام موزارت بتقصير اسمه الأول من يوهان كريسوستومس ولفغانغ ثيوفيلوس.



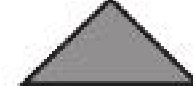
فصل 14

التعليم



تأخير طفل ذكي صفاً

رياض الأطفال في أمريكة



كان أحد العروض التلفازية المفضلة لدي في التسعينيات دوجي هاوسر، الطبيب. قدم الجانب الفكري من الحلم الأمريكي - لو أن دوجي كان ذكياً بما يكفي لإنهاء برنستون Princeton في العاشرة، وبغض النظر عن العرف السائد، كان سيصبح جرّاحاً في سن المراهقة. تحتشد أمريكة حول الشبان، وتهيم حباً بالعباقرة الذين يبرزون عبر نظامها التعليمي. أنهى كارل ساغان الثانوية بعمر 16. تخرج ستيفن هاوكينغ من أوكسفورد بعمر 20. قام موزارت بجولة بعمر 6 سنوات.

يا للأسف!، لا أحد آخر. أكبر نزعة في التعليم اليوم هي العكس: تأخير الأطفال. وكلما كانوا «أذكى» (أو بدا أن احتمال نجاحهم أكبر، من الناحية الإحصائية)، زادت فرص تأخرهم.

يدعى هذا «القمصان الحمراء» نسبة إلى الإجراء المتعلق بإبقاء الرياضيين الجامعيين سنة خارج اللعبة؛ حتى يصبحوا أكبر حجماً. أشار تقرير وزارة التعليم الأمريكية الذي صدر سنة 2005 إلى أن 10 % تقريباً من الطلاب الأمريكيين في رياض الأطفال كانوا مؤهلين في الواقع لتسجيلهم قبل سنة.

من يفعل ذلك؟ طفل القميص الأحمر النموذجي فتى، من أبوين أبيضين تلقيا تعليماً جيداً، مثقفين جيداً ويعرفان كيف يشعر المرء عندما يكون الأول على الصف - ويريدان ذلك لأطفالهما، حتى إذا كان هؤلاء حالياً أصغر حجماً، أقل تطوراً، أو أقل استيعاباً من أندادهم. لهذا -كعادتهم في حل المشكلات التي تعترضهم- يضعونهم في صف مع طلاب يصغرونهم سنةً.

هذا شائع خاصة في المدارس الخاصة وبين الأثرياء. أظهر تحليل لبيانات تعليم كونيكتيكت أن معدل القمصان الحمراء في مقاطعات ثرية يصل إلى 20 %، فيما معدلها في مقاطعات منخفضة الدخل بين 2 و3 %.

حالما يبدأ الأمر، يصبح من الصعب عكسه. في أثناء وقت قصير، حتى إذا لم تكن أباً يحب المنافسة بشدة، يكون إهمالاً منك ألا تؤخر طفلك سنة؛ لأنك إذا سجلته في روضة بعمر 5 سنوات، فسيكون كل زملائه في الصف أكبر منه سنة كاملة. المفارقة، بالطبع، أنه كلما كان عدد العائلات التي تفعل ذلك أكثر، أصبحت الميزة التنافسية أقل. كان أحد المراقبين قد دعا هذه الظاهرة «سباق تسلح رياض الأطفال».

لكن ربما تكون المفارقة الأكبر أن ذلك يبدو غير ناجح. كانت معظم الدراسات عن طلاب القمصان الحمراء قد توصلت إلى نتيجة مفادها أن نتائجهم لا تكون أفضل من زملائهم الأصغر سناً على المدى الطويل، وأن أي فوائد قصيرة المدى تختفي بوصول هؤلاء إلى الصف الثالث.

من وجهة نظر تحديد نزعة، ستكون «تأخير فتية أذكياء صفاً» مثيرة للاهتمام فقط إذا كان ذلك سيسهم في سد الفجوة المتسعة بين الأغنياء والفقراء في أمريكة. كما لو أن الطلاب من عائلات فقيرة لم يكن لديهم ما يكفي من التحديات في المنافسة ضد تلامذة يتمتعون بامتيازات كبيرة -آباء يحملون شهادات جامعية والمساعدة في إنجاز الفروض المدرسية منذ الصغر- أصبح الطلاب الفقراء الآن أصغر سنةً كاملة.

لكن في الواقع، يشكل تلاميذ رياض الأطفال الأكبر عمراً نزعة أكبر حتى من مجرد «فتية النخبة». تحت طبقة تلاميذ رياض الأطفال الذين يؤخرهم آباؤهم سنة لأسباب شخصية، هناك مجموعة تنمو بثبات من التلاميذ الذين يشكلون «قمصاناً وردية» -من قبل المدارس- لأسباب مؤسساتية. إذا كانت قمصان حمراء تعني التأخير المتعمد لأطفال مؤهلين يبلغون من العمر 5 سنوات في رياض الأطفال، فإن ما كانت المدارس تفعله بهدوء هو تغيير صفات المؤهل لذلك.

في السنوات الخمس والعشرين الماضية -في رد فعل على المعايير الجديدة في الثمانينيات التي كانت تهدف لجعل مدارس أمريكة الابتدائية أفضل- عملت كل ولاية تقريباً في الاتحاد على تقريب موعد التسجيل في رياض الأطفال من كانون الأول إلى أيلول، ودفعت عملياً الأطفال الذين يبلغون من العمر 5 سنوات إلى صف أعلى. في بعض المدارس الخاصة، كان على رياض الأطفال أن تبدأ حساب عمر 5 سنوات من شهر نيسان أو أيار السنة التي تبدأ بها. كانت تلك طريقة للتأكد أن تلك المدارس، أيضاً، أكثر «نجاحاً» - على الأقل بمعايير ما ينظر الناس إليه.

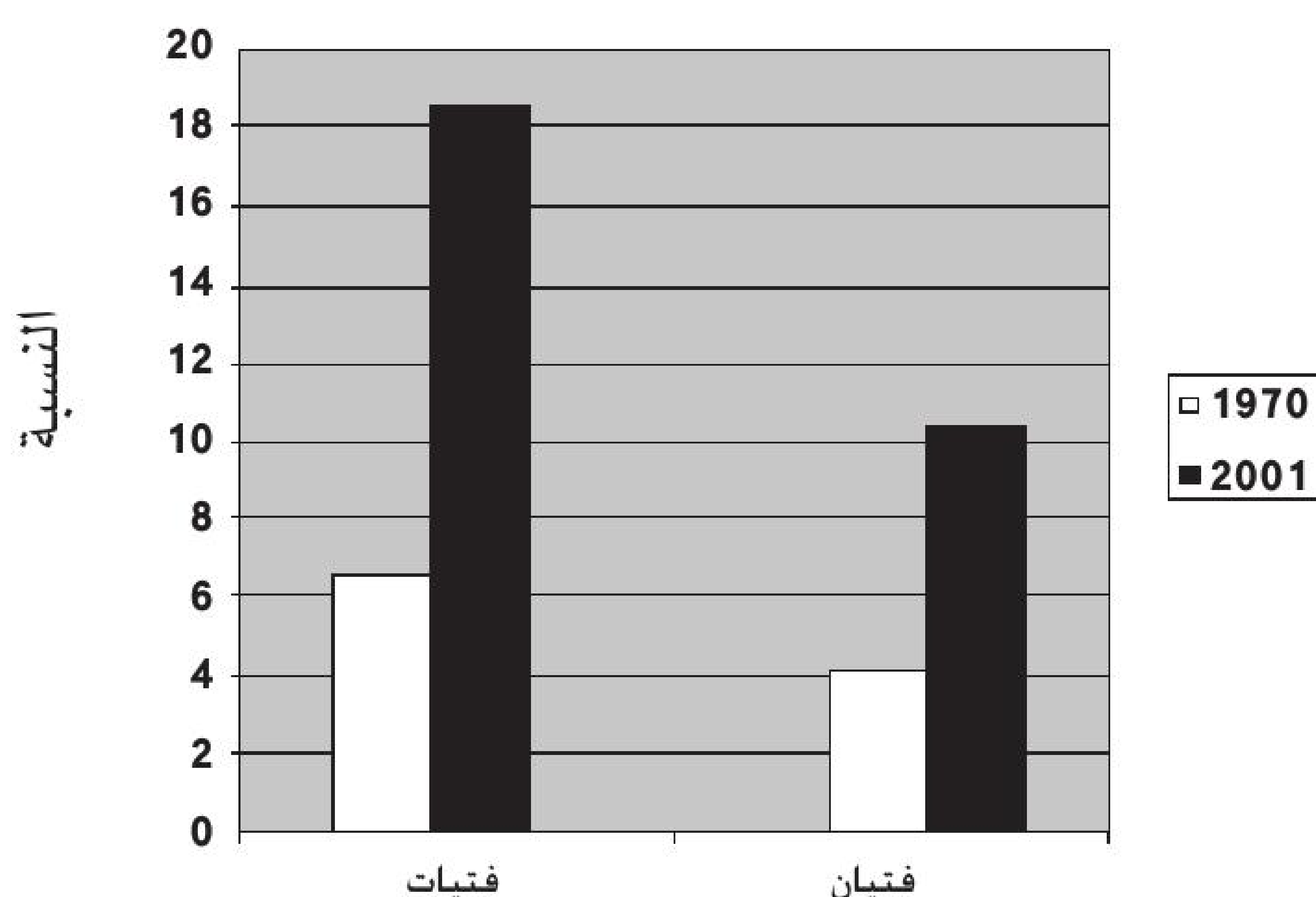
وهكذا، دون تخطيط مركزي فعلي، أو معرفة، كانت أمريكة تؤخر بداية التعليم الرسمي.

كانت شيكاغو تريبيون قد دعت ذلك «دخول رياض الأطفال في منطقة رمادية».

في حين لم يكن عملياً أي طفل بعمر 6 سنوات في روضة، انتسب إليها آنذاك عدد كبير من الأطفال، بما في ذلك تقريباً 1 من كل 5 فتيان.

نسبة تلاميذ رياض الأطفال بعمر 6 سنوات أو أكبر/

1970 و 2001



المصدر: وزارة التجارة الأمريكية، مكتب الإحصاء، دراسة عن السكان حالياً، أرقام لم تُنشر.

هل يهتم أحد، إلى جانب الوالدين اللذين ينبغي لهما أن يدفعا تكاليف سنة إضافية من الرعاية النهارية، والمعلمين الذين ربما يواجهون صعوبة أكبر مع هؤلاء الأطفال؟ بالاستنتاج، ربما يعني ذلك أشياء كبيرة لأمريكة. تستطيع تأخير بداية المدرسة، لكن إذا استطعت أيضاً عزل أحداث أخرى في الحياة تعتمد على العمر، يمكن أن تحصل على نتائج غير متوقعة، كانت نادرة فيما مضى. مثلاً:

- الجنس في المدارس المتوسطة. يخبرنا الباحثون أن معدل العمر الذي يفقد فيه الأمريكيون عذريتهم هو 16.9. لهذا إذا كان ذلك يعني الصف العاشر، فسيعني الآن التاسع. ترقب صرخة مدوّية في السنوات القادمة عن إقامة طلاب المدارس المتوسطة علاقاتٍ جنسية.

- طلاب الصف الحادي عشر. أحد الأشياء الجيدة في تخرّج شبان في المدرسة الثانوية بعمر 18 سنة أنه كان يشير إلى فاصل واضح من مرحلة البلوغ بمعيار المسؤولية القانونية والتصويت والخدمة العسكرية. لكن الآن، إذا لم يتخرج الشباب في المدرسة الثانوية حتى يبلغوا من العمر 19 سنة، فستبحث الشرطة العسكرية عن أمريكيين في الصف الحادي عشر. كيف سينتهي ذلك؟ مع هؤلاء الآباء شديدي الحذر، خاصة؟

- ناخبو المدرسة الثانوية. لسنا بحاجة إلى تزييف انتخابات قومية في مدرسة ثانوية - نحن بحاجة إلى انتخابات حقيقية. ربما سيكون على المرشحين للرئاسة توجيه مبادرات «الحصول على أصوات» لمراقبي المدارس الثانوية.

- مغتصبون في الصف الثاني عشر. إذا أقام متحابان في مدرسة ثانوية علاقة -هو، 19؛ هي، 17 ونصف- يمكن أن يتم اتهامه بالاغتصاب. ولن يذهب إلى محكمة أحداث - إنه راشد ناضج.

بالطبع، يمكن أن يجادل المرء أن تقدم عمر أطفال المدارس، خاصة الفتيان، أنباء جيدة تماماً. نظراً لأن «الفتيات يكبرن أسرع من الفتيان»، ربما يكون القليل من القمصان

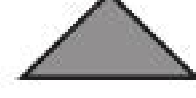
الحمراء للفتيان مفيداً على المدى الطويل. ونظراً لأن الفتيات يتفوقن على الفتيان في نسب الانتساب إلى الجامعة والتخرج فيها، ربما تكون القمصان الحمراء طريقة جيدة لوضع الفتيان على السكة الصحيحة مجدداً.

ويمكن أن تفهم بالتأكيد الآباء الذين يرغبون سنةً إضافية مع الأطفال الذين يعملون على تربيتهم. ليس هناك والد محب لا يتمنى رؤية ولده مرتدياً العباءة ومعتمراً القبعة الخاصة بالتخرج دون أن يتساءل: أين قد تكون ذهبت كل تلك السنين؟ خاصة في عصر معالجة العقم، أعرف أن الكثير من الآباء يشعرون أنهم يعملون بجد كبير لإنجاب أطفال، وليسوا مستعدين لإطلاقهم قبل سنة من الأوان المحدد. ومن وجهة نظر الأولاد، أيضاً، يحظى الكثيرون منهم بهدية رائعة، بمعنى سنة إضافية ليكبروا، فرصة أن يتألقوا، وألا يكونوا عرضة لمشاكسات من الآخرين. يجادل بعضهم: أن ذلك مهم لتعليم المرء مثل الجبر.

لكن، يا مدارس المستقبل، خططي للمزيد من الساحات المخصصة للسيارات. ربما نحتاج إليها في الصف الثامن.



التعليم المنزلي في أمريكة



تجتمع عدّة نزعات معاً لإنتاج حصاد وفير من خرّيجي «مدرسة المنزل» - تمتد جذور الدراسة في المنزل بطريقة مذهلة. كان يتم اعتبارها سابقاً فكرة غريبة، وأصبحت الدراسة في المنزل تحظى بشعبية كبيرة؛ لأنها أفضل طريقة لتربية الأولاد في هذا العالم الإلكتروني المجنون.

ما الذي يحفّز الوالدين اللذين يعلّمان أولادهما في المنزل؟ ربما يظنان أن المدارس العامة ليست جيدة البتة - الكثير من الأمريكيين خذلهم النظام. ربما يكونان غير سعيدين بالممنوعات والأسلحة والمخاطر الأخرى في المدرسة. (تشهد أمريكة حوادث إطلاق نار في المدارس أكثر من أي دولة أخرى). أو ربما يرغبان في تعليم ديني أكبر مما يتلقاه أولادهما في المدارس العامة الأمريكية، وملجأ صغير من نظريات مزعجة مثل التطور. في عالم الوالدين المحبين هذا واللذين لا يريدان إطلاق العنان لأطفالهما، هل هناك طريقة لجعلهم يستمتعون كثيراً أفضل من عدم السماح لهم بالصعود إلى حافلة تلك المدرسة؟

لهذا يشهد التعليم المنزلي في أمريكة ارتفاعاً ملحوظاً. بعد أن جذبت بضع آلاف متحمس في بداية السبعينيات، عندما ولدت الحركة المعاصرة للدراسة المنزلية، نما عدد الأطفال الذين يتعلّمون في المنزل في أمريكة بنحو 30 % بين سنتي 1999 (أول سنة تُلقي فيها وزارة التعليم الأمريكية نظرة جدّية على ذلك) و2003 – من 850.000 تلميذ إلى 1.1 مليون.

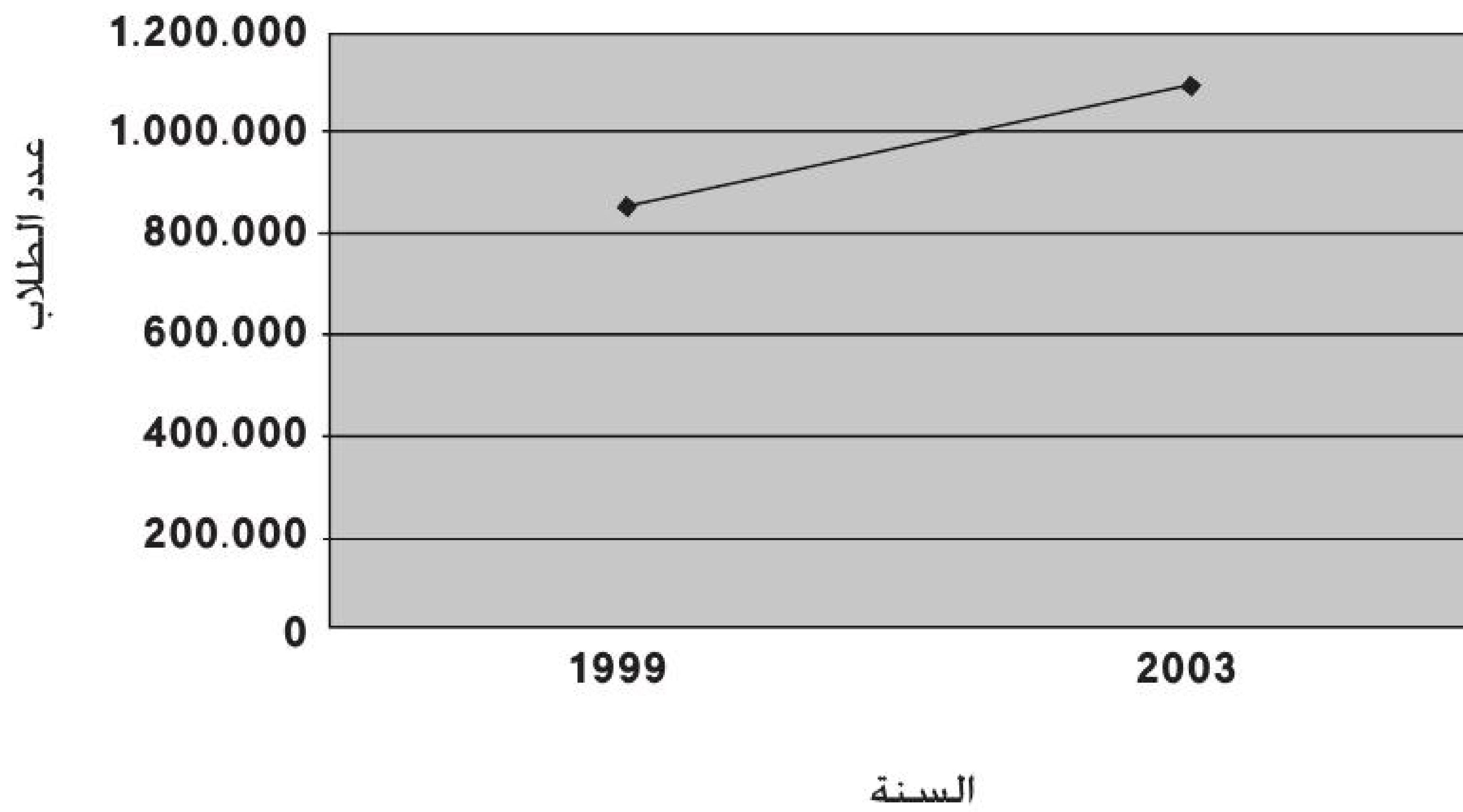
تعكس تلك الموجة قفزة من 1.7 % من السكان في مرحلة التعليم في الولايات المتحدة إلى 2.2 %. على الرغم من أن نسبة 2.2 % ربما لا تزال تبدو نسبة ضئيلة مقارنة بعدد الطلاب الذي يفوق 50 مليوناً، إلا أن عدد الأطفال الذين يتعلّمون في المنزل في أمريكة فاق عدد طلاب المدارس المتنقلة وأولئك الذين يحصلون على مساعدات لإتمام دراستهم مجتمعين.

وعلى الرغم من ذلك، من يتكلم عن الدراسة في المنزل؟

ربما حان الوقت. في حين كان التعليم المنزلي غير قانوني في معظم الولايات عندما تولى الرئيس ريغان منصبه سنة 1981، أصبح الآن شرعياً في كل مكان. ظهرت مئات المنظمات، والمواقع الإلكترونية، والمؤتمرات المخصصة لتشجيع التعليم المنزلي ودعمه. أصبح تأليف وتسويق الكتب المدرسية، والمناهج التعليمية، وأفلام الفيديو، ومواد تعليمية أخرى للدراسة في المنزل صناعة تدرّ 850 مليون دولار سنوياً. تعرض مكتبات، ودور عرض أفلام، ومتاحف رئيسة الآن اقتطاعاً خاصاً للعائلات التي تعلّم أبناءها في المنزل.

طلاب يدرسون في المنزل في أمريكة

2003–1999



المصدر: وزارة التعليم الأمريكية، معهد إحصائيات التعليم، 2003.

حتى الجامعات الأمريكية، التي تتطلب عادة تقيداً صارماً بمتطلبات تتعلق بالحصول على نسخ عن الوثائق، ونتائج الاختبار، وطلبات التقدم لها، كانت قد عدّلت القوانين لقبول المناهج التعليمية، ووثائق الطلاب في طلبات التقدم لها من شبان تعلّموا في المنزل. في سنة 2000، كان لدى 52 % فقط من الكليات سياسات رسمية لتقويم طلاب تعلّموا في المنازل؛ وبحلول سنة 2005، وضعت 83 % منها قوانين لذلك. في السنة نفسها، ظهرت دراسة تقول: إن نتائج اختبار التلاميذ الذين يتعلّمون في المنازل أعلى بـ 81 نقطة من المعدل القومي.

كانت الحركة قد حظيت أيضاً بأرضية صلبة بفضل بعض معلّمي منازل بارزين. على الرغم من أن الشبان الذين يتعلّمون في المنزل لا يشكلون سوى 2 % فقط من الأطفال بعمر الدراسة على مستوى البلاد، إلا أنهم يمثلون 12 % من المشتركين في نهائيات مسابقة التهجئة. في ثلاث من السنوات السبع الأخيرة، فاز تلاميذ يتعلّمون في المنزل بمسابقة الجغرافية القومية. (كان الفائز سنة 2002 بعمر 10 سنوات، الأصغر في التاريخ). في سنة 2001، أنهى فتى يتعلّم في المنزل من مونتانا الثانوية بعمر 15 سنة، لكنه لم يشعر بأنه مستعد للجامعة. لهذا بدلاً من ذلك كتب رواية، إيراغون Eragon - التي أصبحت من أكثر الكتب مبيعاً، وتحولت سنة 2006 إلى فيلم من بطولة جيريمي آيرونز. حتى «فتاة وحيدة 15» -واحدة من أفضل المدونات في العالم- ادّعت أنها مراهقة أمريكية تتعلم في المنزل.

لهذا على نحو متزايد، نصبح أُمّةً أكثر قبولاً للتعليم في المنزل. في سنة 2001، قال 41 % من الأمريكيين: إنه شيء جيد، ارتفاعاً من 16 % سنة 1985.

من هم أولئك الذين يدرسون العلوم في ساحة المنزل الخلفية، والرياضيات على طاولة غرفة الطعام أو في السوق؟

أكثر من ثلاثة أرباع التلاميذ الذين يتعلّمون في المنازل في الولايات المتحدة بيض. يأتي 62 % منهم من منازل فيها 3 إخوة على الأقل - هذا يعني أن الوالدين اللذين يعلّمان أطفالهما في المنزل يحبان الأولاد حقاً، أو أن المنافسة في «صف» فيه عدد من الأولاد يجعل التعليم في المنزل أكثر فاعلية. (تخيل تنافس الإخوة في مثل تلك الصفوف).

على الرغم من أن العائلة التي تعلّم أولادها في المنزل ثرية للغاية - وتستعمل التعليم في المنزل ليتوافق مع حياة الوالدين المهنية، ورحلات الإبحار حول العالم، وحالات خاصة أخرى - يبلغ دخل 54 % من العائلات التي تعلّم أولادها في المنازل 50.000 دولار أو أقل. تجني زهاء 80 % 75.000 دولارٍ أو أقل.

يعيش أكثر من 40 % من التلاميذ الذين يتعلّمون في المنازل في الجنوب.

لكن على الرغم من أن الصورة السائدة عن العائلات التي تعلّم أولادها في المنازل أنها نصرانية، ومحافظة، ومبدعة - وصحيح أن 60% من المنظمات المدرجة على الموقع الإلكتروني لمنظمة الدفاع عن التعليم المنزلي تضع النصرانية في رسالتها- وجدت أحدث دراسة لوزارة التعليم الأمريكية أن هدف 30% فقط من الآباء الذين يعلّمون أولادهم في المنزل هو تعليم الدين أو الأخلاق. قال 31 % منهم: إن هدفهم الرئيس هو إبعاد أولادهم عن بيئات المدارس السلبية (انخفاض الأمان، أو الممنوعات، أو ضغط الزملاء السلبي)، وقال 16% آخرون: إنهم غير راضين عن المستوى الأكاديمي للمدارس.

لهذا في حين لا يرغب العديد من الآباء الذين يعلّمون أولادهم تدريسهم التطور -أو التعليم في «مدارس الحكومة» عموماً- يحظى التعليم المنزلي اليوم باحترام كبير من كل أنواع الآباء الذين يعتقدون فقط أنهم يستطيعون القيام بعمل أفضل. ومع الإنترنت الآن التي جعلت الوصول إلى آلاف أنماط الدروس سهلاً جداً -إضافة إلى زيادة العزلة المحتملة التي تأتي من التعليم المنزلي- ربما يستطيعون تحقيق ذلك.

التأثيرات واسعة النطاق. أولاً، هناك صناعة متنامية لتجار التعليم المنزلي - وربما غير النصرانية منها على وجه الخصوص. وفقاً لدراسة اتحادية سنة 2003. تعتمد 77% من العائلات التي تعلّم أولادها في المنزل شركات معينة لتزويدها بالمناهج، والكتب، والمواد التعليمية الأخرى.

ثانياً: ترقّب المزيد من الدعاوى القضائية والتشريعات الخاصة بالأولاد الذين يدرسون في المنازل. هناك حالياً دعاوى أمام المحاكم تتهم والداً يعلّم أولاده في المنزل بأنه «مهمل»، وأن الفوائد معدومة من التعليم المنزلي للأولاد تحت 18 سنة؛ لأنهم ليسوا في مؤسسات تعليمية معترف بها. في سنة 2005، اقترح عضو مجلس الشيوخ لاري كريغ «قانون عدم التمييز ضد التعليم المنزلي» بقصد وضع الشبان الذين يحصلون على تعليم منزلي على قدم المساواة مع طلاب آخرين فيما يتعلق بمنح دراسية، وهبات، وإعانات، ومساعدات حكومية أخرى.

إضافة إلى ذلك، ترقّب دعوات متزايدة لتنظيم التعليم المنزلي. ابتداءً من سنة 2006، نظّمت ست ولايات فقط هذا الأمر «إدارياً»، بمعنى أنها طلبت من الوالدين إعلام السلطات، وتقديم نتائج الاختبارات، وفي بعض الحالات الحصول على موافقة الولاية على المناهج الدراسية، أو مؤهلات الوالد المعلم، أو قيام مسؤولي الولاية بزيارات إلى المنزل. من ناحية أخرى، لا تطلب عشر ولايات أي شيء البتة – ليس حتى إعلام النظام التعليمي أن هناك تعليماً في المنزل. سيعتقد المرء أنه سينتج عن الموقف الأخير، بالحد الأدنى، انخفاض عدد التلاميذ الذين يحصلون على التعليم، أو ازدياد عدد التلاميذ الذين «يتسربون» من النظام.

في حين تنمو الحركة، يتطلع المعلّمون في المنزل إلى الاعتراف بهم والحصول على المزيد من الخدمات. ابتداءً من سنة 2005، كانت أربع عشرة ولاية قد أقرّت تشريعات تطالب المدارس العامة السماح لتلاميذ يتم تعليمهم في المنزل بالاشتراك في أنشطة لا صفّية مثل الرياضة، والمسرحيات، ومنافسات الشطرنج. نظراً لأن الوالدين اللذين يعلمان أولادهما في المنزل يدفعان ضرائب الملكية، ستكون لديهم على الأرجح حجة قوية للاستفادة من خدمات المدارس العامة.

التعليم في المنزل نزعة مجهرية كلاسيكية مضادة. في حين أصبحت المدارس أكثر تعقيداً، والتعليم أكثر تطوراً، ومعظم الآباء مشغولين جداً ولا يقضون الكثير من الوقت في مساعدة أولادهم في إنجاز واجباتهم المدرسية، لدينا هنا مجموعة من المواطنين الملتزمين الذين يفعلون العكس تماماً –يخرجون من النظام ويقومون بالأمر على طريقتهم. ومن الواضح أنهم شغوفون بالتعليم المنزلي– يعرفون ما يسألون عنه عندما يخرجون إلى الحفلات أو تناول العشاء.

كان المعلّمون في المنزل قد أبلوا بلاءً حسناً في إفساح المجال تشريعياً وإدارياً لمبدأ بسيط. كانوا قد تجاوزوا الكثير من القوانين والشكليات لضمان مكان في الأمة، ونمت أعدادهم أكثر مما كانت الحركة التي شكّلوها تتوقع.

لكن ربما يواجه التعليم المنزلي رد فعل سلبياً من أبناء المهنة نفسها. تلاميذ أقل في المدارس يعني معلمين أقل في المدارس. الأمريكيون ليسوا لطيفين دائماً مع أشخاص يفعلون الأشياء بطريقة مختلفة، وينبغي أن يحظى الأولاد الذين يتعلمون في المنزل بالاحترام من أطفال المدارس العامة - ربما يكون ذلك صعباً عليهم اجتماعياً. حتى الخاسرون في منافسة التهجئة كانوا قد اشتكوا أن الأولاد الذين يتعلمون في المنزل يتمتعون بميزة غير عادلة؛ لأنهم يستطيعون (كما ادّعوا) دراسة التهجئة كل اليوم باستبعاد الرياضيات والعلوم.

القصد هو أنه في حين تصبح المدارس العامة على نحو متزايد مصدر قلق للآباء، فإن المزيد منهم -من كل قطاع- سيتولون تعليم أولادهم بأنفسهم. ستتعرض الدراسة في المنزل بالتأكيد لهجوم من المدافعين عن التعليم العام، مثلما تعرّض التعليم المتنقل من قبل - بالرغم من أنهم يعترفون أن التعليم المنزلي لا يتطلب الكم نفسه من الموارد العامة. لكن حالياً، يقع العبء بأكمله تقريباً على «الأمهات الأمريكيات» ليس للعناية بالأولاد وتربيتهم فقط، وإنما في وضع المناهج وتدريس العلوم أيضاً.

هل ستظهر «جامعة المنزل» لاحقاً؟ لا شك أنه مع قدرة الإنترنت المتزايدة على استعمال الفيديو، وتقديم جو تفاعلي، وإقامة مجموعات اجتماعية، ربما يكون هناك جيل ثانٍ من مدارس المنازل التي تعتمد على الإنترنت المتوافرة على نطاق واسع، وتصل صفوفها حتى الجامعة. كانت شركات قد وضعت المحاضرات الجامعية الرئيسة على أشرطة، ويمكنها بناء المنهاج التعليمي. ربما يبدأ ذلك في الولايات المتحدة، لكن سيكون له تأثير أوسع بكثير في دول نامية بعيدة حيث الوصول إلى المدرسة أو الجامعة أمر غير ممكن. ربما يتم استبدال التعليم المنزلي أخيراً بالتعليم المنزلي عبر الإنترنت، وتصبح المدارس العامة التقليدية غير ضرورية للمزيد من العائلات.

الصورة الدولية

مع أكثر من 1 مليون تلميذ يدرسون في غرف معيشتهم، الولايات المتحدة رائدة على مستوى العالم فيما يتعلق بالتعليم المنزلي. لكن دولاً أخرى تلحق بهذه النزعة المجهرية، أيضاً.

على الرغم من أن المتطلبات القانونية تتنوع وفقاً للمنطقة، إلا أن أسترالية، ونيوزلندة، والمملكة المتحدة، وكندة تسمح كلها بالتعليم المنزلي. تتراوح أعداد الأطفال الذين يتعلمون في منازلهم ضمن نطاق عشرات آلاف في كل بلد، لكن المجموعات تنمو.

في عدد من الدول، لا يبدو أن التعليم المنزلي يلفت إليه الأنظار.

- لا تعترف وزارة التعليم اليابانية بالتعليم في المنزل كخيار تعليمي موجود، ويمكنها مقاضاة الآباء الذين يقومون بتعليم أولاد في المنزل. بالرغم من ذلك، تشير تقديرات غير رسمية إلى أن عدد التلاميذ اليابانيين الذين يدرسون في المنزل يتراوح بين 2000 و3000.
- في «إسرائيل»، يطلب قانون التعليم الإلزامي من كل الأولاد الانتساب إلى المدارس. بالرغم من ذلك، يمكن الحصول على استثناءات عبر عملية بيروقراطية طويلة ومعقدة.
- تطلب الصين على نطاق واسع من كل الأولاد الانتساب إلى المدارس، لكن وجود «نقابة التعليم المنزلي في شانغهاي» دليل على أن بعض العائلات تتسرب من الشقوق.

أقرت ألمانية التعليم الإلزامي منذ سنة 1938، وتتشدد كثيراً في تطبيق هذا القانون. في سنة 2006. وضعت الحكومة الألمانية أباً في السجن ستة أسابيع؛ لأنه قام بتعليم أولاده في المنزل، وفي سنة 2007 وضعت فتاة واحدة في مصحة أمراض عقلية بعد تشخيص

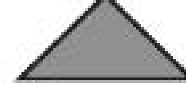
حالتها بأنها «خوف من المدرسة». كانت محكمة حقوق الإنسان الأوروبية قد أصدرت حكماً لصالح قانون التعليم الإلزامي في ألمانية.

لماذا التعليم في المنزل؟ يورد العديد من الآباء الأسباب نفسها التي يوردها الأمريكيون: الخوف من العنف في المدارس، والقلق من تدني جودة التعليم، والرغبة في منح الأولاد تعليماً دينياً أكثر من المدارس العامة. وبالمناسبة، هؤلاء ليسوا نصارى فقط. يقدم موقع إلكتروني جديد يدعى «شبكة وموارد التعليم المنزلي الإسلامية» معلومات للمسلمين الذين يعلّمون أولادهم في الولايات المتحدة وكندة.

بالرغم من أنه لا يعزى الفضل إلى الإنترنت في اتساع نزعة التعليم المنزلي، إلا أنها بالتأكيد حفّزت تبنيها عبر العالم. أصبح لمواد التعليم المنزلي في أمريكة فجأة سوق عالمية متنامية.



التسرب من الجامعة



ما الذي يشترك فيه بيل غيتس، وإيلين ديجينرز، وكارل روف، ويوكو أونو؟

توقفوا جميعاً عن متابعة الدراسة قبل التخرج في الجامعة.

قالوا: الجامعة بطيئة جداً بالنسبة لهم، ينبغي أن أخرج إلى العالم الحقيقي بسرعة أكبر. حسناً، يسلك المزيد من الناس هذا الطريق، لكن غالباً، يحتاجون إلى السنوات القليلة الأخيرة في الجامعة للمضي قدماً.

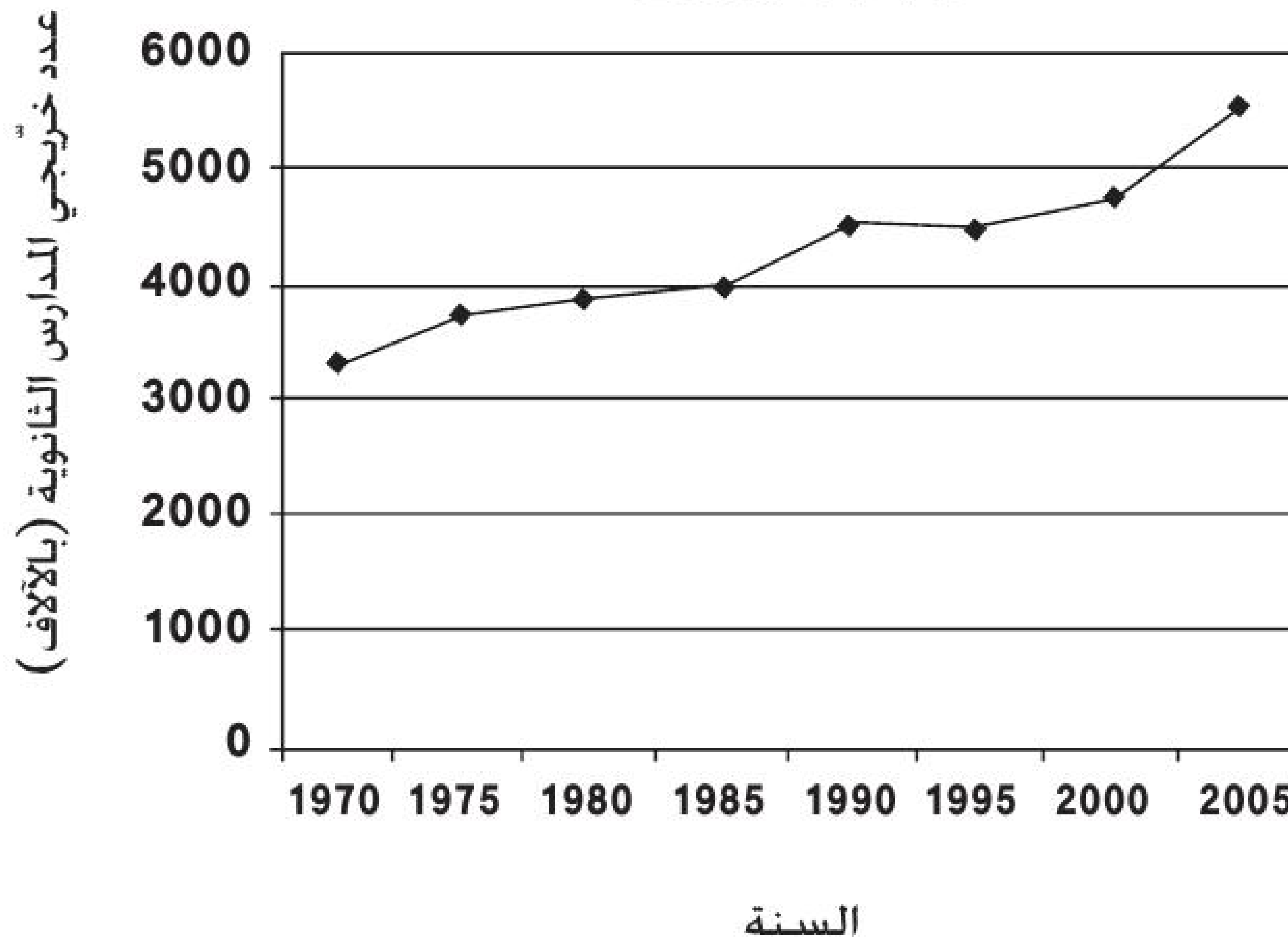
الأنباء السارة من جهة الجامعة أن الانتساب إليها ارتفع عن السابق. وفقاً للمركز القومي لإحصائيات التعليم، سجل 69 % من الطلاب الذين تخرجوا في المدرسة الثانوية في سنة 2005 في الجامعة في أثناء تشرين الأول المقبل. شكل ذلك ارتفاعاً من 59 % سنة 1988، وارتفاعاً من 47 % سنة 1973. بالفعل، كانت نسبة عالية بلغت 54 % من كل الأمريكيين قد انتسبت إلى الجامعة في وقت ما. للمرة الأولى في التاريخ الأمريكي، أضحى الانتساب إلى جامعة إحدى توقعات العائلة الكبيرة -سيبدأ معظم الأولاد الدراسة الجامعية- وسينتسب أكثر من ثلثي خريجي المدارس الثانوية إلى الجامعة. هذا يعني أنه في حين كانت المدرسة الثانوية تمثّل علامة النهاية للتعليم الذي ترعاه الحكومة، يتضمن التعليم الأساسي اليوم سنة أو اثنتين في الجامعة.

لكن بالرغم من كل النمو في الانتساب إلى الجامعات، إلا أن معدلات التخرج في الجامعات بقيت على حالها تقريباً - نحو 66 % لطلاب كليات أربع السنوات. وأقل بكثير لكليات علم الاجتماع والجامعات الإلكترونية. هذا يعني أنه بالرغم من التحاق المزيد من الأمريكيين بالجامعات -وتخرّجهم فيها- إلا أن هناك المزيد من الأمريكيين أيضاً الذين يتسربون منها، «يتوقفون مؤقتاً» (أي ينقطعون مدة مع نية العودة)، أو «يتم فصلهم

أكاديمياً» (أي يتم طردهم). الواضح أن الخيار الأخير هو ما يشترك به كل من ودي آلان وتيد تورنر.

وفقاً لمقالة سنة 2005 في نيويورك تايمز، زهاء 1 من كل 3 أمريكيين في منتصف العشرينيات متسرب الآن من الجامعة، ارتفاعاً من 1 من كل 5 في أواخر الستينيات، عندما بدأ مكتب الإحصاء الاحتفاظ بمثل تلك البيانات. لهذا كان أكبر مصدر على المستوى القومي لانخفاض جودة التعليم قد تحول بهدوء من التسرب من المدرسة الثانوية، والحاجة إلى إرجاع هؤلاء الطلاب إلى مدارسهم، إلى التسرب من الجامعات، والحاجة لمساعدتهم في إنهاء تعليمهم.

عدد خريجي المدارس الثانوية الذين سجّلوا في معهد الدراسة فيه لأربع سنوات (وأنهوا عشر مواد دراسية على الأقل) لكنهم لم يتخرجوا في أثناء خمس سنوات، 1970–2005



المصدر: معهد سياسة التعليم العالي. المركز القومي لإحصائيات التعليم. 2006.

تسرب الشبان من الجامعات يعني انخفاض عدد الأشخاص المؤهلين لأن يصبحوا معلّمين ومهندسين وعملاء مكتب التحقيقات الاتحادي عما كان متوقعاً من ارتفاع نسبة التسجيل في الجامعات. والتسرب يزداد. في العقد بين سنتي 1996 و2006، شهدت أمريكة نحو 28 مليون متسرب من الجامعات – أكثر من عدد سكان فنزويلا.

من الذي يتسرب من الجامعة في أمريكة؟

من المغري أن نفكر في متسربين أمثال بيل غيتس/ستيف جوبز/مايكل ديل - رجال أعمال لديهم أفكار لامعة لم يجلسوا أربع سنوات كاملة للاستماع إلى محاضرات من قبل أشخاص أقل ذكاءً منهم. والحقيقة هي أن قائمة مشاهير المتسربين من الجامعات في أمريكة كبيرة جداً، ومثيرة للاهتمام (روزي أودونيل، نينا توتنبرغ، رش ليبمو ...)، وسيجعلك هذا تبدأ بالتساؤل إن كان باستطاعتك، أيضاً، إنشاء شركة حواسيب عالمية أو التحول إلى نجم برنامج حواري إذاعي فقط إن لم تكن قد أنهيت سنوات إضافية في دراسة التسويق وعلم النفس. (توكر كارلسون، جون مالكوفيتش، باري غولدوتر، غينث بالترو، إدغار ألان بو ...).

لكن الحقيقة هي أن معظم الناس الذين تسربوا من الجامعات فعلوا ذلك لأسباب طارئة - المال عادة. حتى لو كانوا يستطيعون تغطية نفقات دراستهم الجامعية، إلا أنهم كانوا بحاجة إلى عمل لتأمين باقي متطلبات العيش - أو ببساطة لأن عائلاتهم كانت بحاجة لهم ولم تستطع الانتظار مدة أطول. وكما قد تتوقع، أولئك القادمون من خلفيات فقيرة -أولئك الفخورون بالذهاب إلى الجامعة في المقام الأول- هم أول من يلبي النداء لدعم عائلاتهم. بالنسبة لأولئك الذين يتذكرون جبل سبنسر Spencer's Mountain (بطولة هنري فوندا سنة 1963)، ربما لا تزال الجامعة في أمريكة، مع ارتفاع تكاليفها، تعني أن على الآباء التخلي عن أحلامهم الخاصة إذا أرادوا إرسال أولادهم إلى الجامعات.

لكن بالرغم من أننا كنا قد أدركنا منذ سنوات التكاليف الاجتماعية لتسرب التلاميذ من المدارس الثانوية، يبدو أننا تجاهلنا التكاليف القومية الضخمة والمتنامية للمتسربين من الجامعة. عدم تخرج هؤلاء يكلف الكثير. أولاً، هناك تكاليف على الطلاب أنفسهم، مثل انخفاض الدخل. يجني حامل شهادة جامعية تقريباً ضعف ما يجنيه حامل الشهادة الثانوية في سنة، وفرق يبلغ قرابة 1 مليون دولار في حياته كلها.

لكن هناك أيضاً التكاليف المترتبة على بقيتنا. ربما يشكل المتسربون من الجامعات أكبر مورد غير مستغل في أمريكة- أولئك الذين يتم إعدادهم للجامعات، لكن في نهاية

المطاف، لا يجنون ذلك الفرق الذي يبلغ مليون دولار. وهكذا يدفعون ضرائب أقل، وهم مرتبطون إحصائياً بتراجع الصحة، وارتفاع معدل الجريمة والطلاق، وانخفاض المشاركة المدنية والتطوع.

ندفع الثمن حتى على المدى القصير. وفقاً لدراسة المركز القومي للسياسة العامة والتعليم العالي سنة 2005، يقترض نصف الطلاب الأمريكيين مالاً، ويتوقف 20 % من المقترضين عن الدراسة. تلك نسبة عالية من القروض التي لا يتم سدادها. في سنة 2001، كان هناك أكثر من 350.000 طالب سابق بدؤوا الدراسة الجامعية قبل ست سنوات، لكنهم لم يحصلوا على شهادة أو مؤهل جامعي وكان الأمل بتسديدهم لديونهم ضئيلاً. أعلنت نيويورك بوست سنة 2004 أنه في مدة خمس سنوات سابقة، كان طلاب جامعيون قد أهدروا أكثر من 300 مليون دولار من أموال الولايات نتيجة فشلهم في التخرج.

لا يشكل المتسربون من الجامعات خسارة لأمريكة فحسب - الأمر على وشك أن يصبح أسوأ. بين سنتي 1995 و2015، يُتوقع أن يزداد عدد الطلاب الجامعيين في أمريكة بنسبة 19 % إلى 16 مليوناً. سيكون 80 % من الطلاب الجدد ملونين (مهاجرين)، وسيكون العديد منهم من ذوي الدخل المنخفض و/أو الجيل الأول الذي يذهب إلى الجامعة. إذا بقي معدل التسرب والتوقف مؤقتاً عن الدراسة الجامعية ثابتاً، فسيكون هناك شيء مثل 1 مليون أمريكي إضافي كل سنة مستعدين للالتحاق بالجامعات، لكنهم لا يفعلون ذلك.

وهؤلاء هم الناس الذين يرغبون كثيراً في الذهاب إلى هناك. يقول 6 تقريباً من كل 10 متسربين من الجامعات: إنهم لا زالوا يأملون في إنهاء دراستهم. يقول 7 تقريباً من كل 10: إنهم سيحصلون على وظائف أفضل إذا أنهوا جامعتهم، ويقول 74 %: إن وضعهم المادي سيكون أفضل.

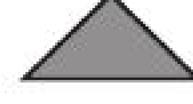
إذاً، هذه واحدة من تلك النزعات الصغيرة التي لها تكاليف قومية كبيرة. إنها غير ظاهرة للعيان الآن، وقد فشلت في لفت انتباه برنامج العلاقات العامة الحكومي («هل حصلت على شهادة جامعية»؟)، رجال أعمال القطاع الخاص، أو حتى إعلانات آخر الليل.

ينبغي بـ«تقرير أخبار الولايات المتحدة والعالم» أن يصنّف الجامعات وفقاً لمعدلات الانتساب وليس معدلات التسرب فقط. وليس معدلات الانتساب للطلاب الذين لا يحصلون على منح دراسية فقط، وإنما ينبغي على كل طالب يحصل على قرض أو هبة أن يعرف فرصه في التخرج في الجامعة. يجب تزويد الطلاب سلفاً ليس بمعرفة جيدة عن البدء بالدراسة الجامعية والتأقلم معها فقط - وإنما عما سيتطلبه الأمر للتخرج في الجامعة. ويمكن لبرامج مثل «حصاد المعلم» أن تركّز على أولئك الذين يعانون مشكلات في التخرج من الجامعة لأسباب مادية وعائلية.

لا تزال خسارة العقل شيئاً فظيعاً - وينبغي بآلة العلاقات العامة التي أخبرت الناس قبل عقود مضت أن الالتحاق بالجامعة هو قمة الإنجاز أن تخصص بعضاً من طاقتها لمساعدة الطلاب على التخرج في الجامعة. ربما سيكون معدل التخرج في الجامعة المؤشر الأكثر أهمية لقدرة الولايات المتحدة على منافسة اقتصادي الصين والهند الناشئين واللذين ينتجان ملايين الخرّيجين الجامعيين الذين يتمتعون بميزة تنافسية عالية. وينبغي الاهتمام على الأقل بالتسرب من كليات التقانة وابتكار برنامج إلكتروني للحصول على الشهادة الجامعية. كما لاحظنا سابقاً، محاضرات أفضل أساتذة أمريكة موجودة على أشرطة، ويتم تطوير مناهج إلكترونية لكل الموضوعات تقريباً. إذا كان عدد كبير من الطلاب الأمريكيين لا يستطيع العودة إلى الدراسة، ينبغي على المدرسة عندها تلمس طريقها إليهم - على الشبكة الإلكترونية، عندما يذهب باقي أفراد العائلة للنوم. تماماً كما كنا بحاجة لاختبارات مكافئة للمدارس الثانوية، نحتاج الآن إلى امتحانات إلكترونية جامعية. سواء للأفضل أو للأسوأ، السوق موجود، وينمو.



محبو الأرقام



يحب الأمريكيون الأرقام - إنهم فقط لا يحبون الحساب.

تنخفض أعداد من يدرسون الرياضيات والعلوم في الجامعات، في حين يختار المزيد من الطلاب حقولاً مثل علم النفس. لكننا مولعون بالدعائم الرياضية في حياتنا اليومية. ربما يكون لدينا عدد قليل من خبراء الأرقام، لكن لدينا الكثير من «محبي الأرقام».

عندما أصبح لاري سمرز رئيساً لهارفرد سنة 2001، أخبر من يعملون معه في الجامعة أنهم يعيشون في مجتمع لن يعترف فيه الكثير من الناس أنهم «لم يقرؤوا أي مسرحية لشكسبير ... لكنه مجتمع يصبح فيه مقبولاً أيضاً عدم معرفة مورثة من جسم صبغي أو معنى النمو الأسّي». وبالتأكيد، في هارفرد Harvard اليوم، هناك سبعة وسبعون شخصاً فقط يدرسون الرياضيات - من أصل 6700 طالب. في ييل Yale ثمانية وثلاثون. هذا يعني أنه في أثناء هذه السنة، يتخرّج في كلتا الجامعتين أقل من خمسين شخصاً يفهمون حقاً تعقيدات الرياضيات العالية.

كانت أمريكة قد استوردت غالباً معظم مواهبها في مجالي الرياضيات والعلوم. جاء ألبرت أينشتاين من ألمانية عندما تولى هتلر السلطة. ساعدنا د. فيرنر فون براون، من ألمانية أيضاً، في بناء صواريخنا الأولى. على الرغم من أن هناك مبدعين أمريكيين، مثل توماس أديسون، إلا أن أبرز علماء الرياضيات والعلوم في أمريكة لم يكونوا دائماً أمريكيين.

في سنة 2001، قالت «لجنة من الحزبين عن الأمن القومي الأمريكي»: إن ثاني أكبر تهديد للأمن القومي الأمريكي -خلف الهجمات الإرهابية فقط- كان الفشل في تقديم تعليم رياضيات وعلوم جيد في أمريكة. في سنتي 2006 و2007، شهد كريغ باريت من إنتل Intel وبيل غيتس من مايكروسوفت Microsoft أمام مجلس النواب أننا بحاجة ماسّة

للمزيد من الخريجين في كلا المجالين، وإنه إما علينا جذب علماء من العالم، أو مواجهة نقص حاد في البنية التحتية.

الواضح أن عدد الشهادات في العلوم، والتقانة، والهندسة، والرياضيات (أو ما يدعى بالشهادات العلمية) يتراجع، كنسبة من كل شهادات ما بعد الثانوية. في السنة الأكاديمية 2003–2004، شكلت الشهادات العلمية 27 % من مجمل الشهادات الممنوحة، انخفاضاً من 32 % قبل عشر سنوات فقط. ولا يشغل العديد من تلك المواقع أمريكيون، وإنما طلاب أجانب يستفيدون من تأشيرات دخول خاصة (بطاقة خضراء) لإنهاء تعليمهم هنا. بالمقارنة، في الصين والهند، شكسبير ليس بشهرة نيلز بور، لكنَّ هاتين الأمتين تقولان: إنه يتخرج لديهما 950.000 مهندس كل سنة. في هذين البلدين، دراسة الرياضيات والعلوم ممتعة – يتم النظر إليها بوصفها طريقاً لمستقبل أفضل. هنا، تلك الدراسة ليست ممتعة.

لكن بالرغم من كل تلك الحقائق الدامغة عن شهادات الرياضيات والعلوم في أمريكة، إلا أنه صحيح أيضاً أن الولايات المتحدة اليوم تشهد افتتاناً متزايداً،وقوياً بالرياضيات والعلوم والطب والتقانة. وفقاً لتحليل سنة 2007 في بيبيولر ساينس Popular Science، في الموسم التلفازي تلك السنة، كان هناك على الأقل خمسة عشر مسلسلاً ناجحاً على الشبكات الأربع الكبيرة وحدها قدمت بقوة الرياضيات والعلوم. في عقد التسعينيات كله، لم تكن هناك سوى عشر.

تتراوح العروض الناجحة من المسلسل الشهير CSI على CBS الذي يحل فيه أطباء شرعيون في قسم شرطة لاس فيغاس جرائم بإعادة بناء مسرح الجريمة، استنتاج مسار الرصاصات المنحني، وتحليل أشكال بقع الدم؛ إلى المسلسل الأكثر إثارة هاوس House على فوكس Fox. ويقوم فيه الطبيب العبقري سيئ المزاج غريغوري هاوس بتشخيص أمراض مزمنة بالعثور على دلائل عن سلوك المريض لا يعترف بها المرضى أنفسهم. لكن الإثارة تتعدى الفحوص الطبية وأصحاب الاختصاص. أحد أشهر المسلسلات الجديدة، مع 11 مليون مشاهد، هو أرقام Numb3rs على CBS's الذي يساعد فيه عبقري رياضيات شقيقه عميل مكتب المباحث الاتحادية في حل جرائم باستعمال بعض أعقد النظريات

الرياضية. بالفعل، كانت الرياضيات والأرقام قد أصبحت متأصلة في ثقافتنا التلفازية المعاصرة، حتى إن مراسلاً من كاليفورنيا دعا سنة 2006 لإطلاق «تحذير بشأن الأرقام» - كانت زهاء عشرة مسلسلات جديدة على التلفاز هذا الموسم تستعملها، من التسعة The Nine إلى 3 مختبرات 3 Lbs، إلى ست شهادات Six Degrees إلى 30 صخرة 30 Rock. (سنة 2007، عكس الفيلمان 300 والعدد 23 The Number 23 إثارة الأرقام نفسها).

بالتأكيد، كانت العلوم دائماً جزءاً مهماً من الثقافة الشعبية، خاصة في مجال مكافحة الجريمة. كان شرلوك هولمز ملك الاستفادة من العلم في الكشف عن الجرائم. في أفلام جيمس بوند -إضافة إلى النساء ومشاهد القتال- كانت إحدى أفضل المشاهد في كل فيلم تقريباً زيارة بوند إلى مختبرات العميل «كيو»، الذي يعرض عليه آخر الابتكارات التقنية التي (بمحض المصادفة) تصبح مفيدة للغاية لاحقاً. وبالطبع، قدّم مسلسل كوينسي Quincy كل إثارة الطب الشرعي في السبعينيات.

ولأكون عادلاً، كانت الأجيال المعاصرة من الأطفال قد ترعرعت مع باربي Barby وشاحنات الإطفاء، ومع اختبارات الكيمياء، ومسلسلات أوبريشن Operation، وسلنكيز Slinkys، وروبيكز كيوب Rubik's Cube.

لكن دون شك، في السنوات الخمس عشرة الماضية، كانت العلوم قد شهدت تقدماً كبيراً. كان مثقفون من كارل ساغان إلى بيل ني رجل العلوم وحتى آل غور قد قاموا بعمل مهم لجلب العلوم المعقدة إلى أمريكة بمعايير وصور يمكن للجميع أن يفهمها. وفي أفلام مثل صيد الإرادة الطيبة Good Will Hunting سنة 1997 وذهن جميل Beautiful Mind سنة 2001، تعلمنا أن نجد عباقرة الرياضيات والعلوم مقنعين على نطاق واسع. ثم ظهرت شيفرة دافنشي The Da Vinci Code لدان براون، واقتصاديات غريبة Freakonomics لستفن ليفت وستيفين دوبنر - وبدا فجأة أن لا أحد في أمريكة لم يعد مفتوناً بالأرقام، وسحر الرياضيات، وتحليل البيانات.

لكن ما يحدث اليوم لا يزال متخلفاً خطوة واحدة وراء ذلك. تابع أرقام Numb3rs 11 مليون شخص كانوا يتسمّرون أمام شاشات التلفزة مساء الجمعة ليس ابتعاداً عن

الرياضيات، وإنما بسببها. عندما تم اختبار العرض مع الجمهور لمعرفة ما يثير اهتمامهم حقاً، تبين أنهم شغوفون بالتفسيرات الرياضية. لماذا؟ تجعلهم تلك التفسيرات يشعرون أنهم أذكياء، كما قالوا.

بطرق عديدة، لم تعد العلوم والتقانة في أمريكة تركز بعد الآن على وضع رجال على القمر، أو تشييد أطول الأبنية في العالم، وإنما على استعمال المزيد من «مثلجات الفضاء» (المثلجات المجففة-المتجمدة التي تم ابتكارها لروّاد الفضاء). إضافة إلى ذلك، نستعمل الأرقام والتقانة في تجاربنا اليومية، وفهمها وتطبيقها يسحرنا. هناك قوة حاسوبية في سيارة فورد اليوم أكبر مما كان موجوداً في أول صاروخ تم إرساله إلى الفضاء. تأتي غسّالاتنا الآن مزودة بحواسيب. العلوم والتقانة حولنا في كل مكان، ونريد أن تكون أكثر وضوحاً.

انظر إلى ما كان قد حدث لاستطلاعات الرأي. عندما بدأت هذا العمل، لم تكن سوى روكفلر Rockefeller تستطيع القيام بذلك - كانت مكلفة جداً؛ نظراً للقيام بها من باب-إلى-باب. هناك الآن استطلاع للرأي كل ثلاثة أيام من قبل وكالات الأنباء الرئيسة. نحن مشبعون بالأرقام، وتسعى خلفها منظمات الأنباء خاصة؛ لأنها تبيعها على نحو أفضل حتى من أخبار القصف على العراق.

في الوقت نفسه، في حين تقوم وكالات الأنباء الرئيسة بتعزيز قدراتها في مجال استطلاعات الرأي، تقوم العديد من المنظمات الأخرى بإجراء استطلاعات «عبر الهاتف» التي تحقق لها بعضها أرباحاً من شركة الهاتف. هذا ليس استطلاعاً حقيقياً للرأي، ولا يلتزم معايير منهجية. إضافة إلى ذلك، تميل الأسئلة دائماً للوصول إلى نتيجة معينة. من المحزن أنه بعد كل ذلك التطور في تعلم ما يفكر فيه الشعب، لا تزال العديد من برامج الأخبار والترفيه التلفازية تقبل تقنيات تبدو علمية، لكنها ليست كذلك إطلاقاً. كنت قد رأيت عروضاً مباشرة لأرقام جرى التحضير لها في الكواليس.

ولا يريد معظم الناس الأرقام فقط، وإنما ما «يكمن» خلف الأرقام - يريدون التحليل والتعليل الذي يجعلهم يشعرون بالارتياح من تحويل الأرقام إلى أفكار. بالطبع، هذه هي

فكرة هذا الكتاب الرئيسة. خلف كل نزعة، هناك سبب ينبغي استكشافه، وتأثيرات تنبثق مما يفعله الناس. إذا تابع الأمريكيون العمل، أو تابع المراهقون الحياكة، فستكون هناك تغييرات ونتائج من هاتين النزعتين أكثر مما يبدو عليه الأمر. لهذا السبب حاولت أن أكون دقيقاً في وصف كل تلك النزعات، والتفكير في معانيها وتأثيراتها المحتملة.

نظراً للسحر الذي يرافق الأرقام، هل أمريكة فعلاً على مفترق طرق فيما يتعلق بعكس النزعة المضادة للعلوم التي كان خبراء الأمن والمفكرون قد حذّروا منها -أم أننا منجذبون للرياضيات والعلوم طالما بقيتا تسلية وألعاباً؟ التلفاز والأفلام، نعم، لكن مناهج جامعية وحياة مهنية — لا، شكراً؟ لست واثقاً بعد إن كانت غرفة الطوارئ ER وسي-إس-آي CSI سيدفعان الناس جماعات لدراسة الكيمياء (على الرغم من أن القانون في لوس أنجلوس L.A. Law كان مرة قد زاد طلبات التقدم لكليات الحقوق). نعم، معسكرات الصيف العلمية تزداد - لكن يبدو أن الكليات العلمية تذهب في الاتجاه المعاكس، وتفكّر في تجديد مناهجها لجذب المزيد من طلاب المدارس الثانوية. هل سنشهد عودة قوية للرياضيات والعلوم أم لا؟

قابلت أخيراً رئيس أحد أقسام الرياضيات في ييل Yale، وقال: إن الأمريكي الذي جنى أكثر الأموال السنة الماضية - 1.5 مليار دولار- كان أستاذ رياضيات. كان يشير إلى مدير الاستثمارات المالية الذي عدّ أن سبب نجاح استثماراته يعود لدقة حساباته. كان قصده أن هناك الكثير من الأموال في الرياضيات. لهذا الاهتمام الشعبي بالأرقام أمر مشجع، وآمل أن تدفع كتب مثل هذا الناس للتفكير في شأن معنى الأرقام.

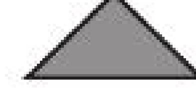
لكن الأمر سيتطلب تغييراً عميقاً في المواقف، خاصة بين الآباء والأنداد، لزيادة عدد الطلاب الذين يدرسون الرياضيات والعلوم في أمريكة. آمل أن يفهم الناس قوة الأرقام على نحو أفضل، وطالما أن هناك كتباً مثل هذا تجعل ذلك أكثر وضوحاً، سينهل المزيد من الطلاب من هذا العلم. لكن هذا بلد تأسس على العلوم الإنسانية - من قبل مجموعة من المؤلفين والمفكرين المتعمقين في اللغة والتاريخ. ربما كان بن فرانكلين الاستثناء، وانظر إلى كل تلك الصور الغريبة له يلعب بطائرة ورقية. لو أنه فقط كان يبدو مثل توماس جيفرسون.

فصل 15

العالم



أديان مصغّرة



هل تتذكر غلاف نيويوركر New Yorker للمحاكاة الساخرة عن الطريقة التي يرى بها أهل نيويورك العالم؟ أظهرت الصورة الجادتين التاسعة والعاشرة، ثم نهر هدسون؛ ثم باقي الولايات المتحدة كله على مساحة نحو ثلاثة أبنية في نيويورك، مع لصاقات مثل «شيكاغو» و«لوس أنجلوس»؛ ثم بعيداً على نحو غير واضح، لكنه ليس مبهماً تماماً، أراضي الصين، واليابان وروسية.

أتذكر ذلك الرسم في كل مرة أفكر فيها في الطريقة التي ننظر بها نحن الأمريكيين إلى الدين، ليس هنا فقط في الولايات المتحدة وإنما في كل أنحاء العالم. أولاً، نظن أن هناك بروتستانتاً وكاثوليكاً، مع بعض الأقسام المتمايزة ضمن البروتستانت. ثم، هناك أعداد قليلة متناثرة من اليهود والمسلمين في بعض أكبر المدن الأمريكية، وبالطبع الكثير من المسلمين في الشرق الأوسط. يعيش المورمن في يوتاه. وفيما يتعلق بالعالم، نحن واثقون تماماً أن الهندوسية والبوذية منتشرة تماماً في مناطق مثل الهند؛ وأن في كل من إفريقيَّة والصين أدياناً تقليدية، على الرغم من أننا لا نعرف تماماً كيف يتوافق الدين الصيني والشيوعية معاً. تعتنق كثير من أديان أخرى مجموعات صغيرة، وربما «ضئيلة».

إضافة إلى ذلك، نظن أن الديانتين الكبيرتين -النصرانية والإسلام- تصبحان أكثر أهمية لمعتنقيهما - راقب ازدياد عدد الكنائس الضخمة في الولايات المتحدة، وشيوع مد الأصولية الإسلامية في الشرق الأوسط. لكن بالمحصلة، نظن أن الدين الحقيقي في العالم ينبغي أن يكون أقلية -أو أنه على الأقل يشهد تراجعاً- نظراً للانتشار المحسوس للعلم، والتعليم، والعلمانية عالمياً. بالمحصلة، ألا نسمع باستمرار كيف أن الأمريكيين بعيدون عن الدين؟ وكيف أنه في أماكن مثل فرنسة وألمانية، لا يشكل المواظبون على الذهاب إلى الكنيسة سوى أقل من 10%؟

لهذا، إليك بعض الحقائق المهمة التي ستعيد تشكيل تفكيرنا في هذا المجال. أولاً، بالرغم من توقعات العديد من علماء الأديان المعاصرين في النصف الثاني من القرن العشرين، لم يصبح العالم، في الواقع، أكثر علمانية مع تقدم الزمن. في سنة 1968، أخبر عالم الاجتماع الأمريكي بيتر بيرغر نيويورك تايمز أنه «بحلول القرن الحادي والعشرين، لن يتم العثور على الأرجح على أتباع أديان سوى في مناطق صغيرة جداً، مجتمعين معاً لمقاومة ثقافة علمانية عالمية». بعد أربعين سنة تقريباً، في سنة 2006، أخبر الأستاذ نفسه بيرغر مؤتمراً عالمياً للأديان أن نظريته كانت خاطئة تماماً. لا نعيش في عصر العلمانية، كما قال، وإنما في عالم «يتغلغل فيه الدين بقوة».

نعم، وإليك الحقائق. وفقاً لموسوعة النصراني العالمية، وهي دراسة وتحليل للمكونات الدينية لكل العالم، هناك قرابة 10.000 دين منفصل ومختلف في العالم - مع ظهور دينين أو ثلاثة كل يوم. ربما يشهد الأمريكيون ازدياد عدد الكنائس الضخمة -التي تنتشر على مساحات واسعة وتقدم كل شيء من التنوير الديني إلى رحلات القوارب للمراهقين- لكن عالمياً، العكس هو الصحيح. ما يزدهر هو الأديان المصغّرة: مجموعات صغيرة، جديدة لا تكاد تثير الانتباه من أتباع شديدي الإيمان بها.

هذا، بالطبع، مثال ممتاز عن النزعات المصغّرة. بالرغم من أننا نريد جميعاً فهم الدين عبر عدد من النزعات الكبيرة العالمية -مثلاً: «النصرانية تتحرك جنوباً»، و«الإسلام يتحرك يميناً»- الحقيقة أن الدين في أنحاء العالم اليوم يتكون من مجموعات مجهرية، شديدة الإيمان بأديانها، تتطور باستمرار، وتغير بين شد وجذب مشهد الإيمان.

من بين 9900 دين حددتها موسوعة النصراني العالمية، بعضها طوائف مباشرة من الإسلام أو النصرانية - مثل 8 ملايين أحمدي، وهي فرقة إسلامية تتخذ من باكستان مقراً لها، أو 300.000 مؤمن ببركة تورنتو، حركة نصرانية تتخذ من كندة مقراً لها. العديد منها هجين من أديان تقليدية، مثل 20 مليون أومباندن في البرازيل، الذين يمزجون، وفقاً للموسوعة، ديانة يوربان الإفريقية التقليدية مع معتقدات الأمريكيين الجنوبيين، أجزاء من الكاثوليكية، والروحانية الفرنسية من القرن التاسع عشر.

من ينضم إلى الحركات الدينية الجديدة كما تدعى؟ يقول الخبراء: إنه ليس هناك نمط شخصي معين لمن ينضم إليها. يعبّر الشبان الذين ينضمون إلى تلك الحركات عن استقلاليتهم. يبحث الأشخاص الأكبر سناً عن الراحة التي لم تستطع حياتهم توفيرها لهم. تتحول مجموعات عرقية أو قومية معينة -مثل أفارقة تعرفوا على النصرانية- إلى معتقد هجين؛ لأنه يمزج الدين الجديد مع التقاليد الشعبية. كل معتنقي الأديان الجديدة تقريباً يبحثون عن مجتمع، وعلاقات، وتضامن، وإلهام، وهدف. يثبت التنوع الكبير في الحركات الدينية الجديدة أن الانتساب إلى مجموعة لديها اهتمامات مشتركة -معيار النزعة المجهرية نفسه- قوة محركة في الحياة بغض النظر عن الانضباط الذي ينطوي عليه ذلك.

تنوع ونشاط أديان العالم مهم لأسباب متعددة. أولاً: العديد من تلك «الأديان المجهرية» - يمكنك أن تكون واثقاً أنها لم تظهر على خريطة تشبه رسم نيويوركر New Yorker المذكور آنفاً - كبيرة تماماً. مثلاً، يتفوق 20 مليون أومباندان عددياً على يهود العالم بضعف ونصف، وعلى يونتاريان (طائفة نصرانية تنكر عقيدة الثالوث) بعشرين ضعفاً. إنها وجهة نظرنا التي تهمّش تلك الأديان، وليس عدد أتباعها.

ثانياً: في حين يستمر التوتر بالازدياد بين الإسلام ومعظم الغرب، يوضح المليارات من أتباع الديانات الصغيرة في العالم أن لغة «صراع الحضارات» اقتصرت حتى الآن على ذلك. نعم، بعض قطاعات الإسلام تحارب بعضاً من النصارى الذين يهاجمونها، لكن عندما يتعلق الأمر بتأثير النزاع الديني على العالم، الصورة الأكثر دقة هي أن مليارات الناس يعتنقون آلاف الأديان، وستدفع التوترات التي يمكن أن تنجم عن ذلك -سواء من ناحية الإبداع أو العنف- إلى إحداث تغييرات في العالم مشابهة لما يدعى «الموجة» الإسلامية - النصرانية التي تلفت الكثير من الانتباه إليها.

ثالثاً: يتوقع الخبراء أن التغير الذي يطول الأديان اليوم من تفتت، وتطور، وتشعّب سيصبح على الأرجح أكثر حدّة. يقول بعضهم: إن السبب يعود إلى تراجع نفوذ الأديان التقليدية (العلمانية التي انتشرت في الستينيات والسبعينيات)، وأن المزيد من

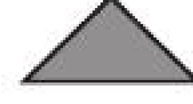
المحاولات الدينية المتنوعة قد ضربت جذورها عميقاً. في ذلك السياق، لا يدل الإسلام على «صراع الحضارات»، وإنما يعد مثالاً على نزعة مجهرية قوية، ويثبت أن الانتباه لمجموعات دينية غير ظاهرة للعيان مهم عندما تختار هذه المجموعات العنف وسيلة لتحقيق أهدافها.

يوصلنا هذا إلى السبب النهائي الذي يجعل أدياناً صغيرة مهمة جداً. ربما يشكل علماء تلك الحركات الدينية الجديدة أحد أهم موارد تطبيق القانون. على الرغم من أن معظم الأديان الـ9900 تسعى لتحقيق السلام، والراحة، والطمأنينة الروحية، إلا أن هناك عدداً منها، دون شك، تميل إلى التشدد والعنف. يلجأ مكتب التحقيقات الاتحادي حالياً، والأجهزة الشبيهة به في كل أنحاء العالم، إلى خبراء الحركات الدينية الجديدة لمساعدتهم في فهم أي المجموعات التي لا تنمو فقط، وإنما تشكل مصدر تهديد أيضاً.

وإذا وضعنا العنف جانباً، تنمو أديان صغيرة أخرى في قدرتها الكبيرة على التحول. على الرغم من أن مجموعات صغيرة ربما تبدو هامشية الآن، إلا أنه ينبغي أن نتذكر دائماً أن أعظم أديان العالم بدأت مع ثورة شخص واحد انشق عن المعتقد السائد. كان إبراهيم (عليه السلام) محطم الأوثان ثائراً، وكذلك المسيح (عليه السلام)، ومحمد (عليه الصلاة والسلام)، ومارتن لوثر. لم يكن أحد تقريباً يأخذ طائفتي المورمن أو الأصدقاء النصرانية على محمل الجد، وقد أصبحتا الآن جزأين ثابتين من المشهد الديني الأمريكي.

الدين يتفتت، والقدرة على جعل عدد كبير من الناس ينضوون تحت راية دين واحد تتضاءَل. الواضح أن الإسلام، الذي يبدو لمعظم الغرب متماسكاً تماماً، قد تحول ليضم العديد من الطوائف المتنازعة. لكن هذا صحيح مع كل الأديان. يزداد عدد الذين يعتنقون ديناً منظماً، لكن فقط عبر العديد من المنظمات. الدين، الذي كان بصراحة جزءاً من اقتصاد فورد، يتحول الآن إلى اقتصاد ستاربكس؛ ليتناسب مع احتياجات كل فرد. هذه الأيام، يمكنك أن تنتقي إيمانك والمجموعة التي تصلي معها بأشكال شديدة التنوع عملياً كما تختار قهوتك الصباحية. هذا يعني حشوداً أقل على مقاعد الكنيسة، لكنها كما يبدو أكثر سعادة.

مشترو المنازل الأجانب



اسأل أي سمسار عقارات -حقيقي أو شخصية افتراضية تظهر على التلفاز- ما أهم شيء في المنزل، فسيقول: «الموقع، الموقع، الموقع». يمكنك أن تهدم أي منزل وتبنيه من جديد، لكنك لا يمكنك وضعه على شاطئ محيط، يطل على جبل، أو قرب نظام مدارس محلية رائع إذا لم يكن هناك أصلاً. يعتمد شراء منزل أساساً على المكان.

ما يجعل الأمر مثيراً جداً للاهتمام هذه الأيام أن المواقع الأفضل في أمريكة يتم شراؤها من قبل أشخاص من خارج الولايات المتحدة. نعرف جميعنا أن العولمة تعني استبدال الحدود التجارية التي تفصل القارات والأسواق بنظام واحد متناسق. إذا كنت تظن أن محيطاً أو اثنين سيمنعانك من التنافس مع أجانب عندما يتعلق الأمر بشراء منزل، يستحسن أن تعيد التفكير في الأمر. يمكن أن تكون ملكية الأجانب لعقارات سكنية في الولايات المتحدة النزعة الأكثر بروزاً في السوق. يتساءل الجميع لماذا ترتفع أسعار شقق نيويورك باستمرار على الرغم من أن عدد السكان بقي ثابتاً؟ الإجابة هي ارتفاع المنافسة على المساحة نفسها، التي يأتي معظمها مما وراء البحار. ربما تكون الحكومتان الصينية والكورية تشتريان سنداتنا، لكن الطبقات المخملية من كل أنحاء العالم تسعى لامتلاك عقارات أمريكية. المدهش أنه لا توجد سجلات ثابتة عن ملكية الأجانب لمنازل في الولايات المتحدة، لهذا علينا تجميع أجزاء القصة معاً من قصاصات معلومات من هنا وهناك.

وجدت دراسة عن «سماسرة فلوريدا» سنة 2005 أن 87 % منهم أنجزوا على الأقل صفقة واحدة مع مشترٍ دولي في الشهور الاثني عشر السابقة، وكان لدى نحو 10 % منهم عملاء أجانب. اشترى أجانب أكثر من 30 % من المنازل المعروضة للبيع في ميامي-فورت لودرابل سنة 2005، و15 % من كل مبيعات المنازل في الولاية.

لكن النزعة ليست خاصة بفلوريدا فقط. قدّر خبير عقارات في نيويورك أن المواطنين الأجانب شكّلوا ثلث عدد مشتري الشقق في مانهاتن سنة 2004، ارتفاعاً من الربع فقط سنة 2003. تعود ملكية أكثر من 10 % من بعض العقارات في لاس فيغاس إلى أجانب كانوا قد اشتروها قبل حتى أن يتم بناؤها. كانت هيوستن، وأتلانتا، وشيكاغو، وكولورادو قد شهدت كلها ارتفاعاً في عدد الأجانب الذين يشترون منازل فيها. وترى الشركات الأمريكية التي تعرض منازل فخمة المزيد من المشتركين الدوليين لمجلاتها ومواقعها الإلكترونية، وتفتتح شركات عقارات مثل سينشري 21، Century 21 وكريستيز غريت إيستيت Cristie's Great Estates المزيد من المكاتب في كل أنحاء العالم.

تتنوع دوافع وحوافز الأشخاص الذين يشترون عقاراً في قارة مجاورة – بناءً على المشترين.

- الأوروبيون. في السنوات القليلة الماضية، ارتفع اليورو أكثر من 50 % مقابل الدولار، وارتفع الجنيه البريطاني 35 %. (حتى الدولارين الكندي والأسترالي ارتفعا بنسبة 30 و40 % مقابل الدولار الأمريكي). نتيجة لذلك، بدت المنازل الأمريكية رخيصة على نحو لافت للنظر مقارنة بالعقارات في تلك الدول. وهل ذهبت مرة إلى تلك السواحل الصخرية في إنكلترة أو السهول في ألمانية؟ يشكل رمل فلوريدا الناعم وميكي ماوس عاملي جذب كبيرين بالنسبة لجيراننا الأوروبيين.

- سكان أمريكة الجنوبية والوسطى. يحب مشترون من فنزويلا، وكولومبيا، والبرازيل، والمكسيك الأمان السياسي والاقتصادي في أمريكة، ويعدّون منازل الولايات المتحدة استثماراً مضموناً ومكاناً آمناً يعيشون فيه، في حال ازداد عدم الاستقرار في بلادهم. يقدّرون أيضاً الحرية الشخصية والسياسية التي تضمنها الولايات المتحدة، ناهيك عن ذكر التسوق. يُضاف إلى ذلك مناخ وبيئة جنوب فلوريدا وتكساس الشبيهتين ببلادهم اللتين تنتشر فيهما اللغة الإسبانية، ولهذا يسعون بشدة للحصول على منازل في الولايات المتحدة.

• الآسيويون. مع تنامي اقتصاديات الدول الآسيوية والتدفق المتزايد للتجارة بين الشرق والغرب، كان امتلاك مسكن في الولايات المتحدة قد أصبح على نحو متزايد جذّاباً للعديد من العائلات الآسيوية. ويقوم سماسرة الولايات المتحدة بخدمتهم على أكمل وجه، تسمية الشقق الفخمة بالصينية وإقامة حفلات غداء من المطبخ الآسيوي.

بوجه عام، كان انخفاض أسعار تذاكر الطيران عالمياً قد سهّل الوصول إلى المنزل الثاني، إضافة إلى زيارة دول أجنبية في المقام الأول - يقول السماسرة: إن ذلك يكون دائماً الخطوة الأولى لشراء منزل في دولة أخرى. إضافة إلى ذلك، هناك أدوات جديدة مثل الرهن العقاري بعملات متعددة، التي تسمح لك بالحصول على عقار في الخارج بعملتك المحلية، ثم تحويلها عندما تصبح معدلات الفائدة في البلد المضيف أفضل، التي مهّدت الطريق لمشتري منازل في دول أخرى. وتعدّل عدد من المصارف الأمريكية سياساتها؛ لتسهّل على مواطنين أجانب يدفعون ضرائب أمريكية الحصول على قروض لشراء منازل.

في نيويورك، كان دونالد ترمب عاملاً رئيساً في فتح المدينة للأجانب. كانت معظم الأبنية في نيويورك تعاونية، ونظراً لأنه يمكن لأي بناء تعاوني رفض أي شخص لأي سبب، ينظر القائمون عليها بحرص شديد إلى مؤهلات المشترين الأجانب. لكن ترمب فتح الشقق أمام الجميع، وأصبحت مبيعات الأبنية غير منظمة؛ لأنها تعرض شققاً، وليس حصصاً من أسهم. بعد أن أصبحت الأبنية معدّة للبيع، تقاطر المشترون الأجانب إليها.

عموماً، ازداد إقبال الأجانب على شراء منازل، وكان متوسط سعر منزل اشتراه أجانب في فلوريدا سنة 2005 نحو 300.000 دولار، وتتجاوز تكلفة 1 تقريباً من كل 4 منازل 500.000 دولار. لكن في حين تكبر الطبقة الوسطى في آسية وكل مكان آخر من العالم، توقّع أن تتسع هذه الممارسة.

وتشكل مشتريات المنازل من قبل أجانب مسألة في غاية الأهمية، حتى خارج إطار المشترين وعملائهم. يمكن لازدياد أعداد المشترين الدوليين أن يكون له بعض التأثيرات

على مهنة بيع العقارات وشرائها، كأن تعدّل المزيد من المصارف قوانينها الخاصة بالقروض المنزلية. (إذا توقف مشترون أجانب عن الدفع نقداً، يمكن أن يصبحوا أقل جذباً للبائعين في الولايات المتحدة). يمكن أن تبرز تعديلات في ثقافة شراء المنازل؛ وسيودّ مشترون أجانب من بعض الدول خفض عروضهم، والمساومة بقوة حتى النهاية، والاقتصاد في الأموال المخصصة للإنفاق على المنزل - مثل الأثاث، أو رواتب المشرفين عليه.

يمكن أن تؤثر العولمة على تصميم المنزل، أيضاً. الواضح أن بعض المشترين من الشرق الأوسط لا يحبون أن تكون المطابخ قريبة من فسحة الترفيه؛ لأنه ليس من المعتاد أن يراقب الضيوف النساء وهن يقمن بإعداد الطعام؛ ولا يحب بعض المشترين من أمريكة اللاتينية وجود غرف نوم رئيسة بعيدة جداً عن غرف الأطفال.

لكن الأكثر أهمية، يدفع مشترو المنازل من دول أخرى أسعار البيوت للارتفاع. عندما يشتري غير المواطنين نحو ثلث الشقق في مانهاتن، يدفع ذلك جزءاً كبيراً من المشترين الأمريكيين متوسطي الدخل إلى مناطق أرخص من مانهاتن، ويجبرون عدداً جيداً من مشتري الدخل المنخفض نحو كوينز. على مستوى الرفاهية، أيضاً، ربما يدفع الفنزويليون أسعار الشقق في ميامي للارتفاع الشديد - لكن إذا كان هناك كساد اقتصادي في كراكاس، وقصّروا في دفع ديون منازلهم، ربما يجد جيرانهم الأمريكيون أنفسهم قرب منازل منخفضة القيمة. يمتد التداخل المتزايد لاقتصادياتنا الآن إلى معظم المشتريات المحلية — العقارات.

تظن بعض شركات بناء المنازل أن هذه النزعة تستحق الاهتمام بها. في بداية سنة 2007، واستجابة لقيام مصارف بتسهيل حصول مشتري منازل أجانب على قروض، قدّم أحد المشرّعين في كاليفورنيا مشروع قانون يجعل قيام المصارف بتقديم قروض لمشترين ليست لديهم «أرقام ضمان اجتماعي» أمراً مخالفاً للقانون. حتى الآن، تم رفض مشروع القانون على نطاق واسع؛ لأنه قومي متعصب وغير ضروري. لكن ربما لا يكون ذلك صحيحاً دوماً. على الرغم من أن أمريكة فخورة بدورها في الاقتصاد العالمي، إلا

أنها في الواقع ليست فخورة كثيراً بقيام أجانب بشراء عقارات أمريكية بمعدلات أعلى من شراء أمريكيين منازل في الخارج. جرّب فقط شراء شقة في المكسيك أو منزل في برمودا، واكتشف العراقيل التي تظهر أمامك.

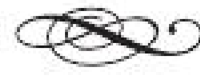
ونحاول حماية ممتلكاتنا المحلية. في سنة 2006، عندما عرف الأمريكيون أن الولايات المتحدة على وشك التخلي عن ملكية بعض أجزاء من نيويورك لشركة مملوكة لحكومة دبي في الإمارات العربية المتحدة، كانت هناك صرخة قومية عالية استمرت أسابيعَ وأدّت إلى إلغاء القرار. في سنة 2005، عندما كانت شركة النفط أونوكال Unocal التي تتخذ من كاليفورنيا مقراً لها على وشك أن تُباع إلى شركة صينية بدعم من الحكومة الصينية، كان هناك رد فعل سلبي أدّى إلى سحب العرض. ابتداءً من سنة 2007. لم يكن الأمريكيون سعداء لأن اليابان والصين تمتلكان أكثر من 1 تريليون دولار من السندات المالية للولايات المتحدة.

إن شراء منازل فخمة واحداً تلو الآخر، في عدد من المدن الأمريكية في كل أنحاء الولايات المتحدة، لا يشبه البتة «الاستيلاء» على البنى التحتية، أو الشركات الكبرى، أو العملة الأمريكية. لكن هل حان الوقت لنقوم على الأقل بقياس نزعات المشتريات الأجنبية لمنازل أمريكية؟

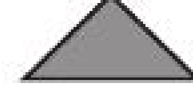
سارع خبراء السياسة الخارجية للإيضاح بأن أغلبية الأمريكيين يفضلون الارتباط الدولي، ويرفضون فكرة الانعزالية التي تقول: إن على الولايات المتحدة أن «تنظّم أعمالها دولياً وتسمح لدول أخرى بأن تبذل أفضل ما بوسعها فيما يخص الأعمال الخاصة بها». نعم، لكن من ناحية أخرى، ارتفع عدد الأمريكيين الذين يوافقون على فكرة الانعزالية تلك كثيراً بين سنتي 2002 و2005 – من 30 إلى 42 %، وهو أعلى معدل موافقة منذ بدأت الدراسة سنة 1960. وعلى الرغم من أن الأمريكيين، بكل وضوح، يوافقون على «الاستثمار» الأجنبي (53 %) أكثر مما يوافقون على «الملكية» الأجنبية (33 %)، إلا أنه من الصعب الإثبات أن شراء المنازل أقرب إلى الملكية منه إلى الاستثمار – خاصة عندما

يقول أكثر من نصف المشترين الأجانب، على الأقل في المسح الذي تم إجراؤه في فلوريدا سنة 2005: إنهم اشتروا منازلهم لقضاء العطلة و/أو العمل، وقال ثلثهم فقط: إنهم اشتروها للاستثمار.

على الجانب الآخر من قطعة النقود، إذا كنت مشترياً أجنبياً لعقار أمريكي، فربما ترغب في إلقاء نظرة متأنية على استثمارك - هل باعوك الطوابق الأرضية من بناء يطل على المحيط، ولا يمكنك رؤية المحيط منه؟ هل دفعت عمولة العقار كاملة، فيما حصل آخرون على اقتطاع؟ نظراً لأن العديد من المشترين الأجانب يبحثون فقط عن بعض المتعة ومكان آمن لوضع أموالهم تحسباً لتدهور اقتصادهم المحلي، يمكن أن يسارعوا إلى الضغط على الزناد دون أن يتمهّلوا في البحث مثل مشترين أمريكيين. من ناحية أخرى، بالرغم من أن شراء عقار أمريكي له محاذيره، إلا أنه ربما يكون في الواقع أسهل -فيما يتعلق بالأنظمة الأمريكية، والحاجة لأرقام الضمان الاجتماعي، والتأكد من حالة العميل الائتمانية- من شراء أسهم وسندات. لهذا بغض النظر عن إمكانية الشراء، وكما يقول بورات: «أهلاً إلى أمريكة».



علاقة وكلٌّ في منزله (المملكة المتحدة)



تكلمنا سابقاً عن «لَبَوات» - نساء يواعدن رجالاً أصغر عمراً، وغالباً دون التزام طويل. استكشفنا أيضاً «زواج المسيار»، وهم أشخاص يتزوجون، لكنهم يعيشون في منازل منفصلة، على الأقل في أثناء أيام العمل. هناك الآن منعطف آخر في الخروج عن المألوف في الحياة العائلية: شخصان يلتزمان مع بعضهما وقتاً طويلاً ويعيشان في المدينة نفسها، لكن في منزلين منفصلين.

هذه النزعة أكثر شيوعاً في بريطانية العظمى، وابتداءً من سنة 2006، يلتزم زهاء 1 مليون ثنائي ببعضهما - ويعيشان تحت 2 مليون سقف.

أصبح الزواج عتيق الطراز بما يكفي. انخفض معدل الزواج البريطاني (نسبة الأشخاص المتزوجين لكل 1000 شخص) من 12 سنة 1991 إلى 9.2 سنة 2005، وفقاً لمكتب الإحصائيات الوطنية. لكن الآن، كما يبدو، أضحى حتى السكن المشترك دون زواج يرتب على الطرفين الكثير من الالتزامات. في عدّة دول أوروبية غربية، نمط الحياة الأسرع نمواً هو «علاقة وكلٌّ في منزله».

في بريطانية العظمى، يمثل هؤلاء زهاء 1 مليون ثنائي - 3 من كل 20 شخصاً تتراوح أعمارهم بين 16–59. ذلك يعني أن عدد الأشخاص الذين يلتزمون مع بعضهم مدة طويلة، ولا يعيشون معاً يساوي عدد أولئك الذين يلتزمون مع بعضهم مدة طويلة، ويعيشون معاً.

يزداد عدد الأشخاص الذين يدخلون في «علاقة وكلٌّ في منزله» بسرعة في أماكن أخرى، أيضاً. في هولندة، 1 تقريباً من كل 4 أشخاص بعمر 55 أو أكثر يعدون أنفسهم جزءاً من ثنائي إما غير متزوجين أو يعيشان معاً، وليست لديهما أي خطط لتغيير

وضعهما ذاك. يوافق 63 % من الهولنديين على وضع «زوجين شبه مرتبطين» هذا بغض النظر عن العمر.

في فرنسة، يُقدّر أن 2 إلى 3 % من الأزواج و7 إلى 8 % من المرتبطين يعيشون في مساكن منفصلة. وهنا في أمريكة الشمالية، قرابة 10 % من السكان الكنديين الذين يبلغون من العمر 20 سنة أو أكثر طرف في مثل تلك العلاقة. لم تسجل الولايات المتحدة رسمياً وجود هذه العلاقة، لكن يمكن أن تخمّن أنها ستفعل ذلك قريباً.

«علاقة وكلٌّ في منزله» هم اللاعبون الجدد في بانوراما العائلة اليوم، التي تتغير باستمرار.

وفقاً لعلماء سكان واجتماع يتابعون نزعة «علاقة وكلٌّ في منزله»، السبب في ظهورها هو اتساع طيف العلاقات. معظم هؤلاء شبان ويمتلكون منازلَ، ولا يريدون التخلي عن استقلاليتهم. يقول الخبراء: إنه خاصة في بريطانية العظمى، حيث يُعدّ المنزل عش المرء وقلعته، يكره الناس التخلي عن منازلهم، أو شققهم، حتى من أجل الحب.

عند الطرف الآخر من دورة الحياة، يكون أشخاص طرفاً في «علاقة وكلٌّ في منزله» أكبر سناً لا يريدون تعقيد قضايا الإرث بإدخال قانون الزواج السائد، ناهيك عن أي إجراء آخر خاص، في خططهم لترك ملكياتهم إلى أولادهم.

بالرغم من ذلك، هناك أشخاص يرتبطون بهذه العلاقة في منتصف العمر – ولديهم أولاد من علاقة سابقة، أو هم آباء كبار السن، والذين يعيشون أصلاً في منازلهم. إدخال حبيب أو زوج إلى العائلة يمكن أن يعقد الأمور، وربما يكون سهلاً على كلا الطرفين الحصول على وقت خاص 7/24 دون الاجتماع 7/24.

أخيراً، يختار أطراف «علاقة وكلٌّ في منزله» مساكن منفصلة؛ لأن بيت أحدهما، بصراحة، يكون مزدحماً. بالتأكيد، إنها رفيقة روحك، لكن إذا انتقلت للعيش معك فستجعلك تغسل الأطباق أكثر من مرة في الأسبوع. الحمد لله، إنه الشخص المنتظر، لكن إذا أصبح هذا منزله أيضاً، فسيرغب في أن تتوقفي عن حرق البخور، أو سيتوقع أن تقومي بكل الطهي. يريد العديد من الأشخاص في علاقتهم طويلة الأمد الثانية تفادي

أخطاء أو آلام العلاقة الأولى السيئة. «علاقة وكلٌّ في منزله» طريقة لطيفة وواضحة للقول: أحبك -من هنا، في قلعتي- حيث إنا الملك.

والكثير من «ملوك» العامة كانوا قد اشتهروا بأنهم عاشوا وحدهم. بقيت كاثرين هيبورن وسبنسر تريسي في منزلين منفصلين طوال مدة علاقتهما التي امتدت عقوداً (بالرغم من أن ذلك كان لأن تريسي متزوج من امرأة أخرى). عاش ودي آلان وميا فارو في شقتين منفصلتين في نيويورك. (بالرغم من أن ذلك، مجدداً، لم يكن زواجاً مثالياً؛ ولأن آلان أعلن لاحقاً حبه لابنة زوج فارو المتبناة).

تبدو النزعة مروّعة لثنائي سعيد يعيشان معاً تحت سقف واحد، ولا يمكن أن يتخيلا التخلي عن المشاكسة اللطيفة مع شريك الحياة ليلة بعد أخرى. لكن الحقيقة هي أنه حتى بين المرتبطين بالزواج الذين يعيشون تحت السقف نفسه، يصبح أكثر شيوعاً أن يناما في غرفتين منفصلتين. في الولايات المتحدة، وفقاً لدراسة أجراها الاتحاد القومي لبناة المنازل، كان بناة ومهندسون معماريون قد توقعوا أنه، بحلول سنة 2015، أكثر من 60 % من المنازل العادية ستضم غرفتي نوم منفصلتين. قال بعض البناة الذين تم استطلاع آرائهم: إن أكثر من ربع مشروعاتهم الجديدة تضم ذلك فعلاً.

لكن مهما يكن سبب العيش منفصلين، يزداد عدد الأشخاص الطرف في «علاقة وكلٌّ في منزله»، وينبغي بالكثير من المجموعات أن تنتبه لذلك. أولاً، أولئك الذين يودّون التعرف على أشخاص آخرين. كان معتاداً أن خاتم الزواج يشير إلى «الارتباط»؛ لكن حالما يصبح العيش تحت سقف مشترك دون زواج شائعاً للغاية، ينبغي أن تنظر إلى ما وراء إصبع الخاتم لمعرفة أوضاع معيشة الناس. إذا كان لديهم «زملاء سكن»، ربما لا يكونون مرتبطين عاطفياً على نحو دائم. لكن لا يمكن تخمين شيء الآن. ربما تكون المرأة التي تتحدث إليها لا تضع خاتماً وتعيش في شقة صغيرة، لكنك لا تعرف أنها متزوجة منذ عشر سنوات.

ثانياً: ينبغي أن ينتبه الآباء إلى هذه النزعة. ربما تظن أن ولدك مهمل ولا يحب الالتزام، بينما يكون في الحقيقة أكثر حباً للارتباط من معظم أصدقائك. أو ربما تظن

أنك محظوظ؛ لأنه ليس جدّياً للغاية بشأن تلك الحبيبة التي لا تحبها، بينما هما في الحقيقة لم يواعدا أحداً آخر طوال سنوات ولا يخططان لذلك البتة.

من وجهة نظر دينية أو ثقافية، ازدياد عدد الأشخاص الطرف في «علاقة وكلٌّ في منزله» يمكن أن يدل على فصل جديد، وربما مليء بالمتاعب، في التوقعات بشأن العلاقات. إذا لم يكن «الحب» و«الزواج بامرأة واحدة» يعني الاشتراك اليوم في تلبية احتياجات، ومتعة، واهتمامات الشخص الآخر، هل يمكن للالتزام أن يكون قوياً حقاً؟ أليست التضحية أو التكيّف مطلوباً للحب؟ هذا، بالطبع، ما كان معارضو «العيش معاً» يخشونه في السبعينيات والثمانينات. إذا عاش الناس معاً دون التزام، فكم سيمضي من وقت قبل أن يقيموا علاقة حتى دون أن يعيشوا معاً؟ (آه صحيح، سيحدث ذلك فوراً).

الواضح أن الأشخاص الذين يكونون طرفاً في «علاقة وكلٌّ في منزله» لا يأبهون كثيراً للعلاقات مثل المرتبطين بالزواج. في دراسة كندية تم إجراؤها سنة 2003، قال 53 % فقط من الرجال و62 % من النساء المرتبطين بـ«علاقة وكلٌّ في منزله» إن: «العلاقات الدائمة» مهمة للسعادة في الحياة، مقارنة بـ76 % من الرجال المتزوجين و 81 % من النساء المتزوجات اللواتي قُلْنَ الشيء نفسه.

ويتساءل المرء عن تأثير ذلك في الأولاد. إذا كانت هناك ذرية، فهل سينتقلون ذهاباً وإياباً بين المنزلين مثل أولاد المطلقين؟ أم أن أغلبية الذين يدخلون طرفاً في «علاقة وكلٌّ في منزله» لا ينجبون أطفالاً، على أي حال؟

من وجهة نظر تجارية، تقدم نزعة «علاقة وكلٌّ في منزله» فرصاً جديدة. مثل «زواج المسيار»، يحتاج هؤلاء إلى أدوات شخصية مختلفة - ملابس، وصابون وعطور، وأقراص مدمجة في مكانين، وليس في مكان واحد فقط. يحتاجون إلى مجموعتين من القدور والأوعية. ساحات لسيارات الضيوف في أبنيتهم وفي شوارعهم المحلية. طرق لإغلاق الأجهزة، واستلام الوثائق والبريد، وإخراج القط عندما لا يذهبون إلى المنزل عدة أيام. يستحق هؤلاء الناس الاهتمام بهم - بالمحصلة، إذا كانوا يستطيعون الاحتفاظ بشقتين، فربما يكون لديهم دخل آخر لا يعلم به أحد.

ربما الأكثر أهمية، تمثّل نزعة «علاقة وكلٌّ في منزله» حرفياً تضاعف أسهم الإسكان المطلوبة. يتراجع عدد السكان الأوروبيين، لكن حقيقة أن نصف هؤلاء ربما يحتاجون إلى منزل قد يكون تطوراً مهماً في سوق الإسكان الأوروبي.

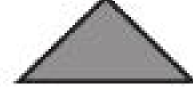
أخيراً، من وجهة نظر علم الاجتماع الأوسع، نخطئ الحكم إذا كنا نظن أنهم يتوقون إلى رفقة، ونخطئ الحكم على مالكي المنازل الأعزاب إذا كنا نظن أنهم جميعاً يبيعون بيوتهم حالما يقعون في الحب. يمكن أن تنقلب كل التوقعات التي تعتمد على دورة الحياة في سوق العقارات رأساً على عقب. ولا نفهم تماماً «الأسر» إذا كنا نظن أنها كلها صغيرة ومستقلة - ربما تكون هناك أسر تتألف من شخص واحد أكثر من ذي قبل في الدول الغربية، لكنْ بالرغم من ذلك ربما يكون الناس يعيشون «معاً» أكثر من ذي قبل.

ربما كان الأشخاص الذين يصبحون طرفاً في «علاقة وكلٌّ في منزله» قد اكتشفوا شيئاً كبيراً. يقول الباحثون: إنه في حين ينتاب أطراف «علاقة وكلٌّ في منزله» القلق من التخلي عن الثقة، إلا أنهم أيضاً أشخاص حريصون ومستقلون، وواثقون تماماً بأنفسهم لعيش نمط حياة جديد. ربما يشعرون أيضاً، أكثر من المتزوجين، أو حتى الذين يعيشون تحت سقف مشترك، مثل المراهقين قبل ذهابهم إلى موعد ليلة السبت - البعد يجعل القلب يهيم حباً. ربما تستمر الشعلة مدة أطول مع الالتزام، لكن البخور والغسيل الوسخ لا يبقى على حاله المدة نفسها.



فتية أمهاتهم (إِيطالية)

رجال لا يغادرون المنزل



طعام مجاني، وغرفة وخدمة مجانية، ولا منع للتجوال، وسيارة عندما يحتاج إليها المرء. يعرف الكثير من الشبان الصفقة الجيدة عندما يرونها. وبالرغم من أن الأولاد الأمريكيين لا يطيقون صبراً عادة لمغادرة المنزل، إلا أن أولاداً راشدين في بعض الدول الأقل رخاءً كانوا قد قرروا: «لماذا العجلة؟». الأمهات يطهين طعاماً شهياً بالمحصلة.

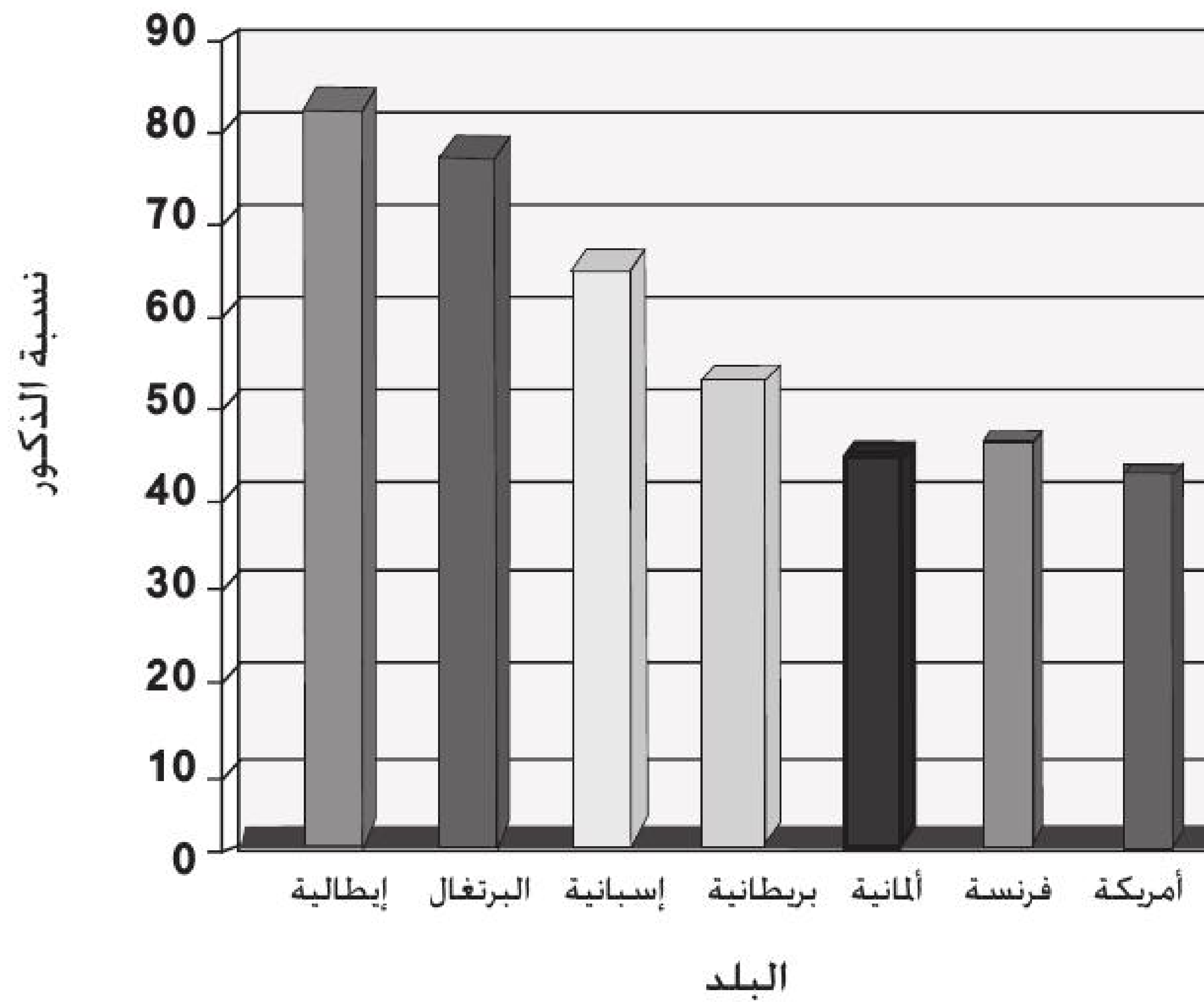
وهكذا بدلاً من النموذج التقليدي لأولاد يكبرون، ويقومون بإنشاء عائلة، ويعودون إلى منزل الأم والأب لتناول العشاء يوم الأحد، هناك نموذج جديد: لا تتزوج، حافظ على حياة العزوبية واذهب إلى النوادي الليلية بضع مرات في الأسبوع، لا تتخلَّ البتة عن غرفتك، وابقَ في المنزل؛ حتى يتم طردك منه – أو ترثه.

وليس هناك مكان يصح عليه هذا أكثر من منزل تقدم فيه الأم على العشاء اللازانيا، وغنوتشي، وأوسو بوكو. في إِيطالية، لا تزال أغلبية ساحقة تبلغ 82 % من الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 30□18 يعيشون في منزل ذويهم. لا عجب أن الشبان يخرجون دائماً إلى الساحات العامة في إِيطالية – ليس لديهم مكان آخر يذهبون إليه.

في هوليوود، يلمح راي ريموند إلى تأثير الأم الإيطالية في البرنامج ذائع الصيت، الجميع يحب ريموند Everybody Loves Raymond، حيث يعيش أبوان أمريكيان من أصل إيطالي هما ماري وفرانك ليس مع، وإنما بجانب، راي وعائلته، ويبدو نفوذ وآراء والدة ماري كبيراً في حياة راي. لكن اذهب إلى إيطاليا نفسها، وستجد ليس راي فقط، وإنما روبرت أيضاً يعيش مع ماري وفرانك. لا ديبرا، ولا آمي، ولا أطفال. ربما لا نشاط رياضياً أو عمل شرطة. فقط الأم، والأب، وفتية يقتربون من منتصف العمر.

الإيطاليون الذين يبقون في المنزل، أو فتية أمهاتهم، هم المثال الأكثر تطرفاً، لكن النزعة أثارت الاهتمام وتمت تسميتها في دول أخرى أيضاً. إنهم «ذكر السلمون» في إنكلترة، وترمز إلى «أولاد ينفقون من مدَّخرات تقاعد آبائهم». إنهم «طيور العش» في ألمانية. في اليابان، إنهم «عُزاب طفيليون»، أو «معتاشون». في الولايات المتحدة، هم «عرجون» (قوس يعود إلى صاحبه)، «صبيان بيتر» (يعيشون دون أن يكبروا)، أو «أطفال راشدون». لكن معدل «أولاد أمهاتهم» في إيطالية هو الأعلى بنسبة 4 من كل 5.

نسبة الذكور، تتراوح أعمارهم بين 18–30، الذين يعيشون مع ذويهم (1996)



المصدر: ماركز ماناكوردا وإنريكو موريتي. لماذا يعيش معظم الشباب الإيطاليين مع ذويهم؟ التحولات بين الأجيال وبنية الأسرة. مركز أبحاث السياسة الاقتصادية. 2005.

ماذا حدث؟

يقول معظم المراقبين: إن أولاداً أمهاتهم تأثرنَ بمعدل البطالة المرتفع في إيطالية، وتكاليف المدارس الكبيرة، وانخفاض وتراجع معدل الخصوبة. لا وظائف، لا أطفال، شقق مكلفة – لماذا مغادرة المنزل؟ زعم باحثون آخرون أن الأم والأب يريدان في الواقع رفقة، وإشرافاً، ويطلبان من أولادهما البقاء في المنزل. يعيش الأولاد حتى سن متأخرة تحت سقف واحد مع ذويهم بسبب بطالة الشباب الكبيرة، وليس العكس. لكن ربما يكون

أكثر شيء مثير للاهتمام هو فكرة أن المحنة الاقتصادية قد تزيد من ترابط الأواصر العائلية، فيما قد يؤدي النجاح الاقتصادي إلى تمزيق بنية العائلة.

ربما كانت إحدى أهم أفكار هيلاري كلينتون في أثناء تمثيلها لنيويورك هو أنه «لا ينبغي لأي ولد مغادرة بلدته للحصول على عمل جيد». يؤدي الجذب الاقتصادي الكبير للمدن والضواحي في أمريكة إلى مغادرة الأولاد الأفضل تعليماً بلداتهم للعثور على عمل -كان ذلك هو النموذج التقليدي منذ فجر الثورة الصناعية. كانت النتيجة انفراط عقد العائلة، وتبعثر الناس في أرجاء البلد أو حتى في أنحاء العالم.

لكن في إيطالية، العكس يحدث. تستنزف المنافسة الشديدة من الصين على المنتجات الأساسية وظائف البلاد، وتروّج القوى الاجتماعية الاقتصادية لحياة بلا هموم - لا أطفال، لا زواج، لا مسؤوليات. لكن الجانب الآخر أن صلات العائلة أضحت أقوى - وبقيت العائلة الصغيرة مركز الحياة. من يمكنه أن يحدد النظام الذي يحقق أكبر سعادة؟

لكن هناك نتائج لهذا التغيير. أصبح الشباب الإيطاليون اليوم وفقاً للباحثين أقل استقلالية ومبادرة وعملاً وخبرة بالسفر ومصدر متاعب أكبر لعائلاتهم، مما كانوا عليه قبل أجيال. ينجب هؤلاء الشباب أطفالاً بمعدلات أقل كثيراً من ذي قبل (1.2 لكل امرأة سنة 2006 مقابل 2.3 سنة 1950). صحيح، ربما تشكل رعاية الكبار عبئاً أقل في السنوات القادمة، لكن رعاية الأطفال ستختفي نسبياً. وربما يصبح الحصول على وظيفة معلم مدرسة مستحيلاً؛ لأنه ستكون هناك الكثير من المدارس لعدد محدود من الأطفال.

مع اتساع ظاهرة أولاد أمهاتهم على نطاق عالمي، هناك فرص تجارية ينبغي استغلالها. ربما يحب الآباء الإيطاليون أن يسكن أولادهم معهم على نحو دائم، لكنَّ الباحثين يقولون: إن الآباء الأمريكيين، والبريطانيين، والألمان لا يحبون ذلك. ربما تصبح المستشارات المفترضات في العمل الكوميدي الأمريكي سنة 2006 الفشل في الانطلاق Failure to Launch -اللواتي يظهرن بصفة حبيبات لدفع الرجال على الانطلاق- حقيقيات. ربما ترغب برامج الشباب والتعليم العالي بالإعلان مع المنظمة الأمريكية للمتقاعدين ونظيراتها الأوروبيات؛ لأن الأهداف (الشباب) سيرون القرّاء (ذويهم) كل أمسية على العشاء.

فيما يخص أولاد أمهاتهم أنفسهم -وذكور السلمون وطيور العش ومعتاشون - يُقال: إنهم سعداء بهذا الترتيب. لم يعد الآباء والأولاد يدخلون في معارك ثقافية كما كانت عليه الحال في الستينيات؛ ويجلس الجميع الآن لمشاهدة ريموند معاً. يتم الاعتناء جيداً بتحضير العشاء وغسيل الثياب. الشيء الوحيد الذي يبدو أنهم يشعرون بالحاجة إليه هو القليل من الخصوصية لإقامة علاقات اجتماعية، وبالطبع، الجنس. هل انتهز المكافئ الأوروبي لفندق 6 الفرصة السانحة لتأجير غرف بالساعة؟

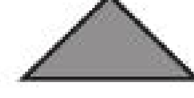
لا يزال معظم الأمريكيين يعدون أن العيش في منزل مع راشد علامة على درجة من الفشل، خاصة في وسائل الإعلام. من يعد ذلك؟ جورج كوستانزا في سينفيلد Seinfeld. كليف كلافن في تشيرز Cheers. حباً بالله، نورمان بيتس في سايكو Psycho. هؤلاء ليسوا رجالاً، لاستعمال تعبيرات فرويد، بشخصيات متميزة.

من ناحية أخرى، نادراً ما عاش فرانكلين ديلانو روزفلت، أحد أكثر الرؤساء وقاراً، في منزل لم تكن تمتلكه أو تقيم فيه والدته سارا.

ربما يكون الإيطاليون روّاداً في نمط عيش ما بعد التصنيع هذا - رد فعل مضاد على العالم الحديث المتسارع الخطوات والمثقل بالمسؤوليات. ربما سيصل هذا الجيل إلى منتصف العمر مع إحساس بالاسترخاء والمتعة ستكون موضع حسد الشرق والغرب. أو ربما ستدفع هذه النزعة نفسها المجتمع الإيطالي نحو كساد أو ركود عميق في أثناء بضع سنوات، في حين تستولي الصين على وظائف التصنيع الإيطالية، والفشل في تجهيز جيل يجد أن عليه العناية بنفسه، لكن دون بعض المهارات التي كان ينبغي أن يحصلوا عليها من أمهاتهم، بما في ذلك كيف يغادرون العش ومتى.



نجوم أوروبة



كان معظم الناس قد سمعوا عن افتقار الأوروبيين للاهتمام بإنجاب أطفال. فيما الأمريكيون متيمون بإنجاب أطفال، كان الأوروبيون قد قرروا على نطاق واسع أن العائلة مكلفة ومزعجة، ونتيجة لذلك يرون أن هناك تدهوراً أساسياً في بنية العائلة التقليدية.

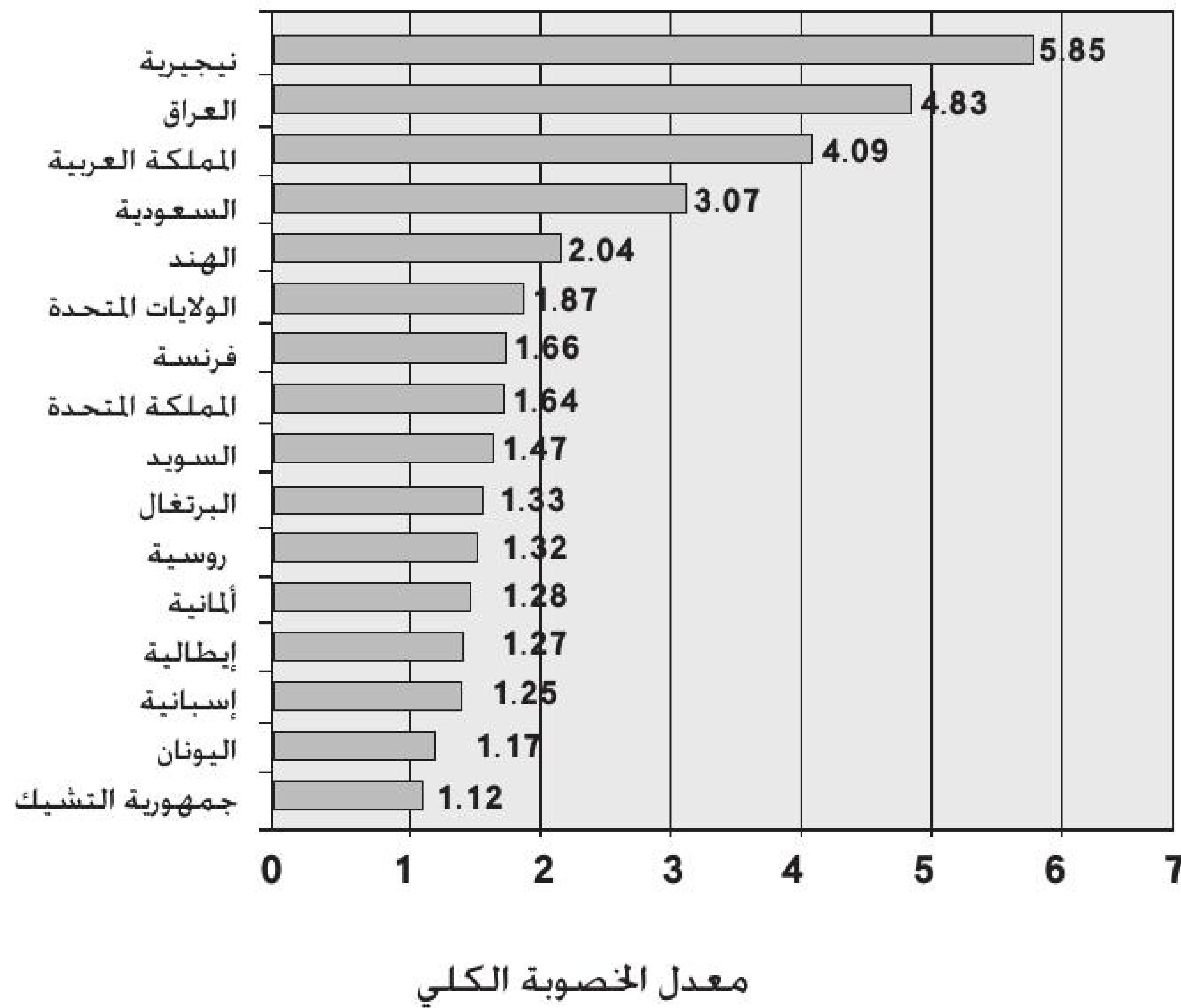
لا يستطيع الأمريكيون تصديق ذلك - تبدو سياسات إجازة الأمومة المدفوعة وإعانات رعاية الطفل في أوروبة سخية للغاية مقارنة بما لدينا. لكن الحقيقة هي أن القليل من الأوروبيين يستفيدون منها. في حين ينجب الأمريكيون بمعدل التجديد تحديداً 2.1- طفل لكل امرأة في سن الإنجاب- إلا أن الأوروبيين يضعون أنفسهم على سكة التراجع في عدد السكان. معدل خصوبة القارة الذي يبلغ 1.5 طفل لكل امرأة غير كافٍ لديمومة ذاتية. في سنة 1990، لم يكن معدل خصوبة أي بلد في أوروبة أقل من 1.3- هناك أربعة عشر بلداً الآن. معدل خصوبة ست دول أوروبية أخرى أقل من 1.4. أنجبت ألمانية وحدها نصف عدد الأطفال سنة 2005 مقارنة بما أنجبته قبل أربعين سنة - يدل هذا على أنه بحلول نهاية هذا القرن، قد يصل عدد الشعب الألماني إلى أقل من ثلث ما هم عليه اليوم.

أسباب تراجع خصوبة الأوروبيين بيولوجية وثقافية وسياسية واقتصادية. أولاً، كما هو الحال في الولايات المتحدة، تبدأ النساء في أوروبة إنشاء العائلة في وقت متأخر -إذا قمن بإنشائها أصلاً- ويزيد ذلك من خطورة تراجع الخصوبة ويترك وقتاً أقل لظهور عائلات كبيرة. بين سنتي 1972 و2004 في بريطانية، تراجع عدد حالات الزواج بنسبة 36 %، وارتفع معدل سن الزواج من 25 إلى 31 للرجال، ومن 23 إلى 29 للنساء.

من وجهة نظر ثقافية، كانت زيادة التركيز على أهمية الفرد في كل العالم الغربي قد دفعت المزيد من الأوروبيين إلى الامتناع عن إنجاب أطفال؛ لأن وجود أولاد لطيفين يمكن

أن يشكل عائقاً كبيراً لعمل المرء وسفره وأوقات فراغه. وتنتاب الكثير من الدول التي تنخفض فيها الخصوبة مخاوف كبيرة بشأن البيئة وزيادة عدد السكان، ما يجعل إنجاب أطفال يبدو عملاً أنانياً ومدمراً. في ألمانية، كانت هناك تقارير تشير إلى أن 39 % من النساء المثقفات ليس لديهن أطفال.

معدل الخصوبة الكلي، دول منتقاة، 2000–2005



المصدر: قسم السكان في الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية، 2005.

من ناحية سياسية، قيل: إنه كلما كان المرء أكثر تحرراً –عدم الالتزام بالطقوس الدينية– كان عدد الأولاد الذين ينجبهم أقل. لا يجادل أحد في أن أوروبة، في أثناء الثلاثين سنة الماضية، كانت قد اتجهت يساراً وأضحت أكثر علمانية. قد تكون علاقة الحمل–اليسار واضحة في الولايات المتحدة أيضاً. وفقاً لتحليل أجرته يو–إس–إيه توداي USA Today، كانت معدلات الخصوبة في الولايات التي فاز بها جورج دبليو. بوش سنة 2004 أعلى بنسبة 11 % من معدلاتها في الولايات التي فاز بها جون كيري. في يوتاه، حيث إنَّ أكثر من ثلثي السكان مورمن، معدل الخصوبة 92 ولادة لكل 1000 امرأة – الأعلى في البلاد. في فيرمونت، أول ولاية تسمح بزواج المثليين، المعدل هو 51 ولادة لكل 1000 امرأة – الأدنى في البلاد.

لكن بالرغم من أن علم الأحياء والثقافة والسياسة تؤدي دون شك دوراً ما في تراجع إنجاب الأطفال في القارة العجوز، إلا أن السبب الرئيس لانخفاض معدل الخصوبة في أوروبة هو الاقتصاد. وفقاً لدراسة قام بها معهد أبحاث السياسة العامة في المملكة المتحدة، يرغب الشبان البريطانيون الذين تتراوح أعمارهم بين 21-23 في إنجاب أطفال أكثر من معدل التجديد ويخططون لذلك. لكن عندما يبلغون من العمر 40 سنة، سيكون عدد الأطفال الذين ينجبونهم كل سنة أقل بـ90.000 مما كانوا قد خططوا له - ويبدو السبب في «تراجع الخصوبة» مرتبطاً بالنساء. ربما تكون سياسات الأمومة والعناية بالطفل في أوروبة سخية بوجه عام، لكن في بريطانية، تعود 28 % على الأقل من النساء إلى العمل بوظائف أقل دخلاً مما كُنَّ يحصلن عليه قبل ولادتهن. بين أمينات السر، النسبة 36 %، وبين العاملات اللواتي يتمتعن بمهارات عالية، تصل إلى 50 %. بالرغم من أن الآثار المترتبة على الإنجاب في بعض الدول أقل مما هي عليه في الولايات المتحدة، إلا أنه من الشائع في القارة أن رعاية الطفل المكلفة وازدياد تكلفة الرهن العقاري قد جعلتا تكلفة إنجاب أطفال عالية جداً.

كان تأثير تراجع معدلات الولادة في أوروبة موضوع دراسات عديدة. توقع علماء السكان والاقتصاد أن مشكلة الأمن الاجتماعي في أوروبة -تحدي عدم إنجاب ما يكفي من عاملين لدعم متقاعدي القارة الطاعنين في السن- ستكون أقسى مما هي عليه في أمريكة. كانوا قد حذّروا أنه في السنوات الخمسين القادمة، ستكون نسبة المستفيدين إلى العاملين في أوروبة غير متكافئة البتة وأن الضمان الاجتماعي في بعض الدول قد يتداعى نتيجة تلك المشكلة. كانوا قد قالوا: إن ازدياد معدلات الهجرة الآسيوية والإفريقيَّة -التي ستشكل بنفسها ضغطاً اجتماعياً- لن تعوض تراجع معدلات الولادة الأوروبية.

تتضمن تحديات أخرى لمعدل الولادة المنخفض هذا احتمال انكماش السوق في أوروبة، وانخفاض قوتها العسكرية؛ نظراً لتخصيص جزء أكبر من مواردها لدعم كبار السن فيها، وتراجع تأثيرها النسبي على الولايات المتحدة، خاصة أن أمريكة ستوثّق علاقاتها مع أوطان مهاجريها الجدد - أمريكة اللاتينية، وجنوب وشرق آسية.

لوحظ أننا على وشك الدخول في فجوة أجيال تتسع باستمرار. حالياً، منتصف العمر في أمريكا هو 35.5، بينما في أوروبة 37.7. بحلول سنة 2050، سيكون منتصف العمر في أمريكا 36.2 – وفي أوروبة، سيكون 52.7. هذا يعني أن أوروبة وأمريكة لن يفصلهما المحيط الأطلسي فقط، وإنما قد تكون لديهما نظرتان مختلفتان تماماً للعالم. سيتم تشكيل أوروبة بأحداث تقع الآن، في حين سيتم تشكيل أمريكة بأحداث تقع بعد عقد من الآن.

لكن ضمن عملية لي الذراع المشروعة تلك، إليك الجزء من قصة تراجع الخصوبة الذي أرى ألا أحد ينتبه له. نعم، معدلات الولادة تتراجع، ويزداد عدد الراشدين الذين لا ينجبون أطفالاً. لكن التراجع في العدد الكلي للأطفال الذي تنجبه أوروبة يعني أيضاً ازدياداً في عدد العائلات التي تنجب طفلاً واحداً عبر القارة. ربما إن وجود أشقاء يتلاشى، لكن الابن الوحيد للعائلة في تزايد.

في المملكة المتحدة، أنجبت 23 % من النساء طفلاً واحداً فقط، ارتفاعاً من 10% قبل عقدين. في لوكسمبورغ، بين سنتي 1970 و 1991، كانت هناك زيادة بنسبة 16% في عدد العائلات التي أنجبت طفلاً واحداً فقط. في فنلندة، ارتفعت نسبة «الابن الوحيد» 50 % بين سنتي 1950 و1990. في البرتغال، نمت النسبة 134 % بين سنتي 1950 و 1991. وفي كل تلك الدول، وبالرغم من تراجع معدلات الولادة، إلا أن نسبة «الابن الوحيد» حافظت على الارتفاع. العائلات التي تنجب طفلاً واحداً هي الأسرع نمواً في العالم الغربي.

لهذا تأثيرات مهمة؛ نظراً لأن «الابن الواحد» في ازدياد، توقع سوقاً جديدة لسلع الطفل الفاخرة. ومن يستطيع حرمانهم من حيوان أليف أو اثنين؟ ترقّب أن يعاني تجار تجزئة سلع الأطفال العامة، وأن تزدهر المتاجر المتخصصة. (ربما يستطيع تجار السلع العامة تعويض ذلك بالتحول نحو المهاجرين الأكثر إنجاباً).

من وجهة نظر ديمغرافية بحتة، ربما يعني عدد أقل من المراهقين أيضاً انخفاض معدل الجريمة، وأعمال الشغب، والمظاهرات في الجامعات. سيكون هناك أيضاً بحث مكثّف لملء المدارس – قد ينجم عن ذلك جلب المزيد من التلاميذ الأجانب لملء المستوى

الأعلى من النظام التعليمي. سيبحث المعلّمون، أيضاً، عن وظائف جديدة؛ لأن الطلب عليهم سيتراجع.

لكن يكمن أيضاً ضمن هذه النزعة المجهرية بصيص أمل في انبعاث أوروبي جديد. جيل من الأبناء الوحيدين يعني مستوى مرتفعاً من المواطنين الواثقين بأنفسهم، الذين يسعون لتحقيق إنجاز مهم، ويظهرون واسعي الخيال ومستعدين لمعالجة مشكلات أوروبة مهما كان حجمها.

وفقاً لباحثين في معدلات الولادة، يكون الأبناء البكر أكثر تحفزاً، يتحملون مسؤولية أكبر، يتقنون ما يقومون به، ويميلون لأن يكونوا قادة. في الولايات المتحدة، تزيد أعدادهم في هارفرد وييل عن نسبتهم ضمن عدد السكان، وكان كل رائد فضاء يغادر الأرض الابن البكر لعائلته. يقال: إن قائمة أبناء بكر شهيرين تتضمن كلينت إيستوود، وج. ك. رولينغ، وينستون تشرشل، وكل الممثلين الذين أدوا دور جيمس بوند.

الأولاد المتوسطون ماهرون في المساومة، يتكيفون مع واقعهم، وثائرون - كان جون ف. كينيدي ولداً متوسطاً، وكذلك كانت الأميرة ديانا. أصغرُ الأولاد (آخر العنقود) ودودون وماكرون وعديمو الصبر ولا يتحملون مسؤولية ومبدعون؛ ومنهم كاميرون دياز، جيم كاري، وإيدي مورفي.

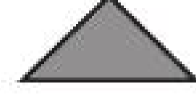
لكن يقال: إن «أبناء وحيدين»، مثل أبناء بكر، واثقون من أنفسهم وطموحون ويتحملون المسؤولية ويتقنون ما يقومون به. نتيجة حصولهم على اهتمام والديهم التام، يكونون مقرّبين تماماً من أبويهم، ويكرهون القيام بتغيير جذري. يتوقعون الكثير من أنفسهم ومن الآخرين. لا يتقبلون النقد بسهولة؛ ونظراً لعدم اختلاطهم كثيراً بأطفال آخرين، يمكن أن يصبحوا عنيدين. لكنهم نجوم: كانت قائمة أبناء وحيدين (في بعض الحالات مع إخوة غير أشقاء بعيدين) تتضمن تايغر وودز وليوناردو دا فنشي وفرانكلين ديلانو روزفلت. وفرانك سيناترا، الذي قام، مثل أي طفل وحيد حقيقي، بالأمر على طريقته.

إذاً، صحيح أن أوروبا تواجه تحدّيات خطيرة، وقد انخفض عدد الأشخاص الذين يتصدون لها. لكن بين أولئك القادمين، ستكون نسبة كبيرة منهم -بفضل حالة الوحيد-

مستعدة لتولي زمام الأمور بطرق مسؤولة ومبتكرة وناجحة، مخلصين لجيل آبائهم، سيعالجون مشكلة الضمان الاجتماعي بحيوية. بعد قضائهم عدة سنوات مع ألعابهم في حين كان الراشدون يتكلمون بين أنفسهم، ربما يخرجون بحلول مبتكرة لم يكن أحد قد حلم بها من قبل. تبدو مشكلات قارتهم كبيرة، لكنهم سيكونون جيلاً من المبدعين المستعدين لتولي القيادة. طالما أنها تتقن اللعب جيداً مع الآخرين، في الداخل والخارج، قد تستطيع أوروبة رؤية أعظم، وأصغر أجيالها من أبنائها الوحيدين: نجوم أوروبة.



رجال الأعمال الفيتناميون



في أمريكة، لا يزال معظم الناس يفكرون في فيتنام على أنها المكان الذي تورطنا فيه بحرب لا يمكن الانتصار فيها، وذلك لنقصٍ في الفهم الثقافي. الخمس عشرة سنة؛ حياة 58.000 جندي أمريكي؛ انسحاب مذلّ في نيسان 1975 من دار السفارة الأمريكية في مدينة سيغون/هو شي منه. إنه الفشل الذي قورنت به كل الحملات العسكرية الأمريكية منذ ذلك الوقت. كانت الحرب نفسها ترتكز على نظرية الدومينو- فكرة أنه إذا أصبحت فيتنام شيوعية، فستحذو حذوها دولة إثر أخرى في آسية، وسيميل ميزان القوة لصالح الشيوعية. ياه، لقد كانت تلك النظرية خاطئة.

لكن الاعتقاد-بأن الشيوعية على الطريقة الفيتنامية ستكون تكراراً لكوريا الشمالية- كان راسخاً جداً، حتى إن ما حدث فعلاً في فيتنام لم يكن لمعظم الأمريكيين أن يتخيلوه. بالرغم من أن عدونا السابق الحكومة الشيوعية لا تزال تمسك بزمام السلطة هناك، إلا أن فيتنام كانت قد أصبحت واحدة من أنشط البقاع التجارية على الأرض. حيث كانت أمريكة ترسل سابقاً الجنود وفرق الإنقاذ، نرسل نحن الآن المال. نشتري كل شيء من الفلفل الأسود إلى القهوة والأرز والطعام البحري. في سنة 2006، أنفق الأمريكيون على السلع من فيتنام أكثر بعشرة أضعاف مما أنفقه الفيتناميون على شراء السلع منا.

في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، كانت فيتنام قد بذلت جهوداً أكبر من أي دولة أخرى على الأرض لمحاربة الفقر وبناء طبقتها الوسطى. في كل أنحاء البلاد، انخفض عدد الفقراء المعوزين -أولئك الذين يجنون أقل من 1 دولار يومياً- من 51 إلى 8 %. لم تنجح سواء الصين أو الهند في تحقيق مثل ذلك المعدل.

في أكبر مدينتين في فيتنام، انخفض عدد الفقراء (أولئك الذين يجنون أقل من 250 دولاراً في الشهر) من 60 % سنة 1999 إلى 25 % سنة 2006. وفي الوقت نفسه، تضاعف

تقريباً عدد أفراد الطبقة الوسطى (يجنون 251 دولاراً 500 دولارٍ شهرياً) - إلى أكثر من نصف عدد سكان المدن في فيتنام. و«الطبقة الوسطى» في فيتنام تعني ما تعنيه في مكان آخر هذه الأيام: يمتلك نصف هؤلاء الناس تقريباً هواتف خليوية وحواسيب، ولدى زهاء 20 % منهم بريد إلكتروني في منازلهم. كانت مشتريات الفيتناميين من مستحضرات التجميل ومنتجات الأطفال قد شهدت ارتفاعاً كبيراً. كانت نفقات الترفيه الشخصي قد تضاعفت منذ سنة 2003 وحدها. منذ سنة 2001، كانت نسبة الفيتناميين الذين يسكنون في المدن ويمتلكون حسابات مصرفية قد تضاعفت ثلاث مرات تقريباً، إلى أكثر من ثلث عدد السكان.

يعمل العديد من رجال الأعمال الفيتناميين في مجال الغذاء، ربما بسبب صناعة إنتاج الطعام الكبيرة في ذلك البلد. من الناجح جداً د. لي كوي ترنغ - الرئيس التنفيذي لسلسلة مطاعم «فو24»، التي تنتشر في خمسين موقعاً في فيتنام، إندونيسيا، والفلبين - إلى المشاغل العائلية الصغيرة لإنتاج لصاقات يدوية في ساحات المنازل الأمامية للإعلان عن فو (معكرونة) مصنوعة في المنازل أو تجديد محركات السكوتر (درّاجات صغيرة) - ينتقل الفيتناميون من كل مستوى إلى العمل بالتجارة. رجال وسيدات أعمال آخرون روّاد في قطاع التقانة العالية، وأضحت فيتنام تدعى «الهند الثانية» في صادرات البرمجيات، وتظهر بوصفها قوة في قطاع الاتصالات.

ويبدو أن كل هذا النمو مرشح للاستمرار. يلتحق زهاء ثلاثة أرباع الأولاد الفيتناميين بالمدرسة الثانوية -ارتفاعاً من نحو الثلث سنة 1990 - وهذا معدل نمو أعلى مما هو عليه في الصين أو الهند. وفيات الأطفال تنخفض. مدة الحياة ترتفع. الأموال الأجنبية تتدفق على البلد. في سنة 2005، نما الاقتصاد بنسبة جديرة بالملاحظة بلغت 8.4 %، مما يجعله واحداً من أسرع الاقتصاديات نمواً في العالم.

تنعكس كل تلك الأرقام السعيدة على -أو يحركها- تفاؤل الشعب الفيتنامي الاستثنائي. وفقاً لدراسات دولية أجراها معهد غالوب Gallup الدولي بعنوان «صوت الشعب»، فيتنام عادة البلد الأكثر تفاؤلاً على وجه الأرض - يقول أكثر من 9 من كل 10 مواطنين: إن هذه السنة ستكون أفضل من سابقتها. في الواقع، بذلك المعيار، تتفوق فيتنام على ثاني أكثر بلد

تفاؤلاً -هونغ كونغ- بنحو 20 نقطة. (تتساءل عن البلد الأكثر تشاؤماً؟ اليونان، وتتفوق في ذلك حتى على العراق).

من أين جاءت هذه الحماسة للرأسمالية، في أرض حاربت القوى العظمى الرأسمالية لتأسيس الشيوعية، وفازت؟ بعد أن غادر الأمريكيون فيتنام، حاول الحزب تطبيق شيوعية صرفة، لكن تراجع حالة المحاصيل وسوء إدارة الاقتصاد أوصلتا البلاد إلى حافة المجاعة. وهكذا ظهر «دوي موي»، أو سلسلة من إصلاحات السوق المخصصة لتحفيز الاقتصاد الفيتنامي دون التضحية بقوة الحزب السياسية. شجعت الولايات المتحدة هذا الاتجاه، وأنهى الرئيس كلينتون في منتصف التسعينيات الحظر التجاري الذي كانت أمريكة تفرضه على ذلك البلد وأقام معه علاقات دبلوماسية. بحلول سنة 2002، كانت فيتنام قد عدّلت دستورها لضمان معاملة متساوية لشركات القطاعين العام والخاص، وأزالت عدّة عقبات بيروقراطية على تسجيل الشركات. بدأ باقي العالم يرحب بفيتنام، دبلوماسياً واقتصادياً. في سنة 2001، وقعت الولايات المتحدة وفيتنام اتفاقية تجارة ثنائية، وفي كانون الأول 2006، انضمت فيتنام إلى منظمة التجارة العالمية وأقر مجلس النواب الأمريكي إنشاء علاقات تجارية طبيعية ودائمة معها. فيما قد يكون الفصل الأخير من قصة النزاع العسكري الأمريكي-الفيتنامي، في سنة 2006. رفع الرئيس جورج دبليو. بوش الحظر على مبيعات الأسلحة إلى فيتنام.

بالطبع، الأمر ليس كله مشرقاً. رسمياً، لا تزال أمريكة تعد فيتنام دولة «شمولية» تنتهك حقوق الإنسان. لا تزال المصارف بيد الدولة، وليس لدى رجال الأعمال الكثير من الضمانات لتقديمها؛ لأن الدولة لا تزال تمتلك كل الأراضي. الفساد مستشرٍ، وحقوق الملكية الفكرية نادرة، ولا يزال النظام القضائي بيد الحزب الشيوعي. ضرائب الدخل مرتفعة، وانقطاع التيار الكهربائي أمر معتاد. في المناطق الريفية، حيث لا يزال معظم السكان الفيتناميين يعيشون، لم يكن الدخل قد ارتفع مثل المدن.

لكن معدل النمو الاقتصادي في بلد مثل فيتنام يشير إلى قوة تجارية حقيقية، التي ينبغي على العالم الانتباه لها. ترقّب، في السنوات القادمة، ازدياد الاستثمارات على نحو كبير في ذلك البلد. كانت نظرية الدومينو خاطئة؛ لأن الشيوعية بشكلها المجرد لم تستطع

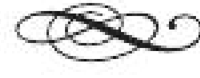
تقديم نموذج اقتصادي مستدام أفضل من الرأسمالية. كانت الديمقراطية في الواقع قد واجهت مشكلات لدى تأسيسها أكثر من الرأسمالية؛ لأن الدول الشيوعية المتنوّرة (التي لا تتضمن كوريا الشمالية) كانت قد أدركت أنها تستطيع الاحتفاظ بالقوة السياسية إذا خففت القيود الاقتصادية. بفسح المجال أمام حرية اقتصادية متواضعة، استطاعت تلك الدول الإبقاء على هيمنتها السياسية - نرى ذلك على نطاق واسع في الصين وروسية، ونراه الآن في فيتنام. كانت تلك الأنظمة قد تعلمت أن اعتناق جوهر الاقتصاد والتأقلم معه هو الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بالسلطة السياسية، وأنه طالما كان الناس يتمتعون بحقوق اقتصادية، قد لا يهتمون كثيراً بشأن حقوق الإنسان. كانت أمريكة قد تأسست على المبدأ المعاكس -ينبغي أن تأتي حقوق الإنسان والحرية السياسية أولاً- لكن تلك الدول تقلب النظرية رأساً على عقب مع بعض النجاح المدهش.

انظر أيضاً إلى الدروس التي تتعلق بالعمر في فيتنام. في معظم الدول الصناعية والمتقدمة في العالم، لدينا أزمات تقدم في العمر - بالتأكيد في أمريكة وأوروبة واليابان، يعيش الناس مدة أطول، ولا ينجبون بالمعدلات التي كانت سائدة من قبل. في فيتنام، على العكس، أكثر من 60 % من عدد السكان البالغ 84 مليون نسمة تحت عمر 27. بالرغم من أن ارتفاع نسبة الشبان لا تكون دائماً وصفة للنجاح - دول العالم مع أقل معدل لمتوسط العمر موجودة في إفريقيَّة - إلا أنها السبب في ذلك هنا، نظراً لتركيز الدولة الشديد على التعليم والتفاؤل الذي يعم البلد، خاصة بين الشبان.

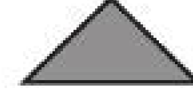
وإذا أردت أن تؤسس شركة، خاصة لبيع السلع إلى الأمريكيين، فاصعد على متن طائرة إلى فيتنام وتأكد مما يمكن صناعته هناك للتصدير. القوى العاملة تزداد كفاية.

بعد ثلاثين سنة من فشل الولايات المتحدة في هزيمة الشيوعية في فيتنام، أصبح ذلك البلد نموذجاً للعمل التجاري، ويتبادل السلع والأسلحة والأفكار مع أكبر قوة رأسمالية على وجه الأرض. إلى حدٍ ما، سيكون هذا ما يحدث للعراق، بعد ثلاثين سنة من الآن، والذي رفض الديمقراطية الشكلية، لكنه يعمل مع الولايات المتحدة لتعليم دول أخرى

طريقة تنظيم انتخابات عامة. بالتأكيد، لا يبدو هذا محتملاً الآن. لكن عندما شاهدت مارلون براندو يهبط إلى الجحيم في سفر الرؤيا الآن Apocalypse Now، هل كنت تتخيل أنك ستشتري بُنّاً وأرزاً فيتناميين بمعدل يفوق ما يشترونه منا عشر مرات.



النبيذ الفرنسي



ليس هناك شيء يستمتع به الفرنسيون مثل تناول النبيذ. ما عدا، ربما، عدم تناول النبيذ. كانت الثقافة الفرنسية قد اعتمدت على مزج النبيذ بالحياة اليومية –على الغداء، والعشاء– وكلما اجتمع حفنة من الفرنسيين، يكون ذلك عادة على النبيذ. ومسكين الجبن – ماذا سيكون مذاقه دون إضافة نبيذ إليه؟

لهذا إليك حقيقة أن تجار النبيذ الفرنسي يتأففون. في أثناء الأربعين سنة الماضية، لم ينخفض معدل استهلاك الكحول في أي بلد على الأرض أكثر من فرنسة (ما عدا الإمارات العربية المتحدة، حيث في إمارة واحدة على الأقل، يتم جلد الناس لحيازتهم مشروبات كحوليّة). وكل ذلك يتعلق بالنبيذ. بالرغم من أن استهلاك الجعة والمشروبات الروحية الأخرى قد بقي ثابتاً تقريباً في فرنسة، إلا أن استهلاك الفرد الواحد من النبيذ تراجع من 20 لتراً سنة 1962 إلى نحو 8 لترات سنة 2001. بكؤوس النبيذ، ذلك يعادل نحو 235 لكل شخص سنوياً، انخفاضاً من نحو 245. ويُتوقع أن ينخفض أكثر وعلى نحو أسرع مع حلول سنة 2010.

الآن، لأكون عادلاً، لا يزال الفرنسيون يشرون نبيذاً أكثر من أي شخص آخر على وجه الأرض. حتى مع ذلك الانخفاض الكبير، لا يزال معدل شرب الراشدين الفرنسيين 235 كأساً من النبيذ سنوياً – يعادل كأساً واحدة تقريباً كل أيام العمل، أو كأساً واحدة يومياً من رأس السنة حتى بداية أيلول. لكنه تراجع كبير بالرغم من ذلك.

أحد أسباب تراجع استهلاك النبيذ هو تسارع وقت تناول الوجبة الفرنسية. في سنة 1978، كان معدل تناول الوجبة الفرنسية 82 دقيقة. الكثير من ذلك الوقت لنصف إبريق من النبيذ، إن لم يكن لقارورة كاملة. اليوم، انخفض معدل تناول الوجبة الفرنسية إلى 38 دقيقة – وهي تشبه إلى حد كبير أي وجبة أخرى في أي مكان من أوروبة تتضمن شطيرة

لحم عجل وبطاطا مقلية من مكدونالدز. النبيذ ضحية اختفاء الوجبة التي يتم تناولها على مهل. إنه ليس هدف التغيير، لكن تراجع استهلاك النبيذ نتيجة ثانوية لظهور نمط حياة أسرع، أكثر حداثة، ومتقلباً. بعد مقاومة التغيير قروناً، تصبح فرنسة معاصرة، وتتغير عادات العالم القديم بسرعة كبيرة. لم يعد ممكناً إبعاد الأولاد الفرنسيين اليوم عن الإنترنت، وألعاب الفيديو، والتلفاز، والوجبات السريعة. في حين كانت الأرياف منيعة عن التغييرات التي اجتاحت المدينة، نشهد الآن زوال الحدود والتخوم الفرنسية، بينما تحطم القطارات عالية السرعة الحواجز الثقافية وتربط كل ركن في فرنسة.

سبب ثانٍ لتراجع النبيذ إطلاق حملة سلامة عامة أخيراً، التي ركزت أساساً على السلامة الطرقية. ابتداءً من سنة 2004، كانت هناك نحو 10.000 حالة وفاة كل سنة في حوادث طرق مرتبطة بتناول الكحول في الاتحاد الأوروبي، وشهدت فرنسا واحدة من أسوأ المعدلات نسبة إلى عدد سكانها. في الولايات المتحدة، استجابت الحكومة الاتحادية لازدياد حالات الوفاة المرتبطة بالقيادة تحت تأثير الكحول بإرغام كل ولاية على رفع سن السماح بتناول الشراب إلى 21، والذي اتفق الخبراء على أنه أنقذ عشرات آلاف الأرواح. بالرغم من أن فرنسة لم ترفع العمر الذي تسمح فيه بتناول الشراب - 16 سنة- إلا أن وزارة النقل اتخذت خطوات صارمة ضد السائقين المخمورين في السنوات الأخيرة، وأطلقت أيضاً حملة تثقيف عامة تهدف إلى تحذير الناس من تأثيرات القيادة تحت تأثير الكحول. ولهذا قام الكثير من مصنّعي النبيذ، الذين تراجعت أرباحهم كثيراً، بمقاضاة الحكومة - وأطلقوا هجوماً مضاداً لتصنيف النبيذ بوصفه طعاماً. لن يزيل ذلك التحذيرات الصحية المطبوعة على قوارير النبيذ فقط، وإنما سيفتح المجال لظهور إعلانات تلفازية وإذاعية غير محدودة عن النبيذ أيضاً. لا تضحك. صنّفت إسبانية النبيذ طعاماً سنة 2003.

السبب الثالث لقيام الفرنسيين بشرب كميات أقل من النبيذ هو زيادة الوعي الصحي لديهم، مثل العديد من الغربيين. من الواضح أن بعض النساء الفرنسيات يصبحن بدينات فعلاً، ويحاولن اتباع حمية والقيام بتمرينات رياضية مثل أي شخص آخر. وفي

سنة 2007، في محاولة لإلغاء عادة فرنسية جوهرية أخرى، حظرت فرنسا التدخين في الأماكن العامة - ودعم زهاء 70 % من الشعب الفرنسي ذلك الحظر.

ربما يكون مهماً أيضاً أن المهاجرين الذين جاؤوا إلى فرنسة في العقود الأخيرة كانوا مسلمين، ولا يشرب الورعون منهم الكحول. لا تستطيع فرنسة، لهذا السبب، الاعتماد على الجيل الآتي من المسلمين لإنقاذ صناعة النبيذ - إن كان من شيء آخر، قد يفاقم المشكلة، فهو السكان المسلمون الذين تتزايد أعدادهم، وربما تصبح قيمة الأراضي المخصصة الآن للكروم أعلى إذا تم استعمالها لبناء منازل.

عادة، يتم التعامل مع مثل مشكلات استهلاك السلع تلك بتصديرها - إذا لم يشرب مواطنونا الفرنسيون النبيذ، فسنشحنه إلى الخارج. لكن، إلى أين؟ كان مصنّعو نبيذ جدد من الولايات المتحدة إلى أستراليا والصين والبرازيل قد بدؤوا إنتاج نبيذهم الخاص الأرخص، والجيد تماماً. والأمريكيون، من جهتهم، ليسوا مهتمين بالمنتجات الفرنسية، كما كانوا من قبل. كان الخلاف بشأن «شرائح البطاطا الفرنسية»، إضافة إلى عدم الاتفاق في السياسة الخارجية، قد ترك العديد من الأمريكيين يشعرون أن فرنسا لم تعد مثالاً يحتذى كما كانت من قبل. كانت تعد معياراً للرفاهية، ولاعباً رئيساً في التاريخ الغربي، إلا أن فرنسة لم تعد بلداً مثالياً لمعظم الأمريكيين، خاصة عند مقارنتها بالصين، والهند، وروسية، وكان تجار المملكة المتحدة والولايات المتحدة قد استفادوا من تلك الحقيقة لزيادة حصة نبيذ كاليفورنيا في السوق. قبل عقدين، كان ذوّاقة النبيذ يمتنعون عن اختبار عينات نبيذ كاليفورنيا. اليوم، يحتفلون بها. وفيما تعلم شاربو النبيذ الأمريكيون تذوق ميرلوتس وكابرنتس، فقدوا أي طعم لنبيذ بوردو أو ميرسو. كانت صناعة النبيذ الأمريكية تعلّم مستهلكيها في الوقت الذي أدار فيه الفرنسيون ظهورهم لهم، وكانت النتائج كبيرة. في أثناء ذلك، قدمت إسبانية، وأسترالية، وصانعو نبيذ آخرون أنواعاً شعبية، منخفضة التكلفة، وأسهم ذلك في عزل النبيذ الفرنسي نظراً لتكلفته العالية.

تخيل إذا توقف شعب الصين عن شرب الشاي، أو تخلى اليابانيون عن تناول السوشي فستكون النتائج كارثية. وكذلك هي المشكلات التي يسببها قيام الفرنسيين بشرب بيير

Perrier أكثر من بومورول Pomorol. أولاً، تعاني الكروم الفرنسية -بوصفها جزءاً ثرياً من الهوية الثقافية الفرنسية مثل عالم ديزني في الولايات المتحدة- من ضائقة شديدة. بعد الفشل في الاستعداد سواء لتراجع الطلب المحلي أو ظهور منتجين جدد في دول أخرى، كان مصنّعو النبيذ الفرنسيين قد وجدوا أنفسهم مع وفرة في الإنتاج وعنب يتعفن على الكروم. كانت الأزمة قد أشعلت شرارة أعمال عنف مع الشرطة ودفعت الحكومة إلى تقديم مساعدات كبيرة لهم. كان تجار النبيذ الفرنسيون نخبة رجال الأعمال، والقائمون على الالتزام بالمعايير الفرنسية. أصبحوا آنذاك الذين يثيرون أعمال شغب في الشوارع. ابتداءً من سنة 2006، كانت المفوضية الأوروبية تفكر في طرق جديدة لإيقاف تدهور تجارة النبيذ.

ثانياً: بالرغم من أن انخفاض استهلاك النبيذ سيؤدي على الأرجح إلى انخفاض معدلات الإصابة بإدمان الكحول، وتشمّع الكبد، وأمراض أخرى تتعلق بشرب الكحول، قد يتوقع المرء أيضاً تأثيرات صحية معاكسة، إذا كانت الادّعاءات بفائدة النبيذ الأحمر للصحة حقيقية. لا أحد يعرف بالتأكيد إن كان النبيذ الأحمر يقلل من مخاطر أمراض القلب فعلاً، وبالرغم من ظهور هذه النظرية منذ عقود، إلا أن انخفاض معدلات الإصابة بالأمراض الإكليلية في فرنسا على الرغم من أطعمتها الغنية بالدهون يغذي بالتأكيد هذا الشعور.

لكن الآن، مع انخفاض استهلاك النبيذ إلى النصف بعد أربعين سنة، سيكون هذا اختباراً حقيقياً للنظرية - ينبغي أن تزيد النوبات القلبية، وإذا لم يحصل ذلك، يمكن أن تنقلب إحدى أكبر القوى وراء النمو العالمي في استهلاك النبيذ الأحمر رأساً على عقب.

بالطبع، يمكن أن يستفيد بعض الناس من ذلك. إذا كنت رجل أعمال أمريكي، فربما لا تكون فكرة سيئة الحصول على بعض النبيذ الفرنسي الرخيص ووضع لصاقات عليه تعلن «نبيذ فرنسي حقيقي» بسعر يقل عن 10 دولارات للقارورة. سيثير ذلك اهتمام بعض الناس في أمريكة.

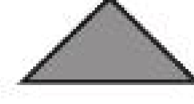
وإذا كنت شاباً من عائلة فرنسية كبيرة، فستقوم بادّخار بعض المال -عدّة يورو يومياً- بشرب كميات أقل من النبيذ، وستكون كمن يخصص ذلك المال لوسائل راحة معاصرة

ورفع مستوى العيش. ربما يكون إسهامك في الناتج المحلي الإجمالي أكبر، وتستطيع إنجاز أعمال أكثر؛ لأن ساعات يقظتك ستكون أكبر.

لكن إذا كنت صانع نبيذ فرنسياً، فإنك تواجه مشكلة - سيكون لديك الكثير من الوقت، ويورو أقل في جيبك. ربما تستطيع أيضاً تناول المزيد من النبيذ؛ حتى لا تشعر بمرور اليوم. ولسان حال الجميع يقول: «ماذا حدث فقط للنظام القديم؟».



بيكاسو الصيني



هناك شيئان يعرفهما الجميع عن الصين. أولاً: إنها قوة اقتصادية عظمى ناشئة، مع 1.3 مليار نسمة - سيشكل أكثر من 500 مليون منهم طبقة وسطى بحلول سنة 2010. الحجم الكبير للسوق مذهل.

ثانياً: خاصة هنا في الولايات المتحدة، نعرف أنه بسبب تركيز الصين الشديد على العلوم والهندسة، يلتحق مئات آلاف الطلاب بكليات العلوم الرئيسة - تتفوق علينا بسرعة بمعايير شهادات التخرج في العلوم والهندسة، أيضاً.

ربما يفاجئك أن تعرف، لهذا السبب، أن الصين تشكل قوة فنية عظمى أيضاً. بين سنتي 1993 و2005، زادت دور المزادات الرئيسة في الصين حجم مبيعاتها السنوية أربعة أضعاف، من أقل من 2.5 مليون دولار إلى 10 ملايين. وفقاً لمالكي المعارض الفنية الصينية، كان الطلب المحلي على الفن الصيني قد ارتفع 10 أضعاف في السنوات الأخيرة، ويُتوقع أن يستمر في الارتفاع. هذا، بالطبع، انعكاس لازدهار تلك الطبقة الوسطى الصينية - التي لم يعد لديها جدران لتزيينها وثروات تتباهى بها فقط، وإنما تريد مكاناً آخر غير سوق الأسهم الصينية المتقلب لتضع أموالها فيه.

بالرغم من ذلك، الاهتمام الصيني المتزايد بالفن -كبير حتى بالنسبة للصينيين أنفسهم - ليس نهاية القصة. هذا توسع عالمي. منذ الثمانينيات، كانت أسعار اللوحات الزيتية الصينية المعاصرة في الأسواق العالمية قد ارتفعت إلى مستويات غير مسبوقة، ووصلت في بعض الحالات إلى 100 ضعف سعرها الأصلي. بين سنتي 2004 و2006 وحدهما، زادت ساوثبي sotheby وكريستي Christie مبيعاتهما الفنية الآسيوية (معظمها صيني) المعاصرة من 22 مليون دولار إلى 190 مليوناً. فجأة، أصبح الفن الصيني ناراً على علم في السوق العالمية.

ليس سيئاً لبلد كان يطلب قبل بضع سنوات أن تمجّد كل «الفنون» الحزب الشيوعي - صحيح؟ ماذا حدث؟

أولاً، كانت الصين رائدة العالم في عدّة أنواع من الفنون، مثل الخط، وبالطبع، الخزف الذي يدعوه معظمنا في الغرب ببساطة «صيني». لكن القرن العشرين كان زمن انحسار، مع القمع الشيوعي لمعظم أشكال التعبير الفني. بعد وفاة ماو زيدونغ سنة 1976، شهد الفن مدة ازدهار مؤقتة، مع مجازفة الفنانين برسم بعض اللوحات بأسلوب حديث - لكن في سنة 1989، أغلقت الحكومة معرض «الصين/الحركة الحديثة» في متحف الفن القومي في بكين بعد أسابيع من افتتاحه. حصلت بعد عدّة شهور مجزرة ساحة تيانانمين، وهرب العديد من الفنانين من وطنهم أو تخلوا عن الفن نهائياً.

ببطء فقط، وفي أثناء عقد التسعينيات، عاد الفن الصيني للظهور. في سنة 1992، أجازت السلطات الشيوعية إقامة سوق حرة للفن، وبدأت تخفيف إجراءات الرقابة. بحلول سنة 1995، عرض الفنانون الصينيون أعمالهم في ملتقى البندقية، وهو معرض عالمي رئيس للفن المعاصر؛ وفي سنة 1996، تقاطر الأمريكيون على معرض الفن الآسيوي العالمي في نيويورك. في سنة 2004، كجزء من التزاماتها عضواً في منظمة التجارة العالمية، فتحت الصين أبوابها لدور مزادات الفن الأجنبية؛ وبحلول سنة 2006، حققت ساوثبي وكريستي رقماً قياسياً في مبيعات الفن الصيني المذكورة آنفاً (بالرغم من أن معظمها لا يزال يجري أساساً خارج البر الرئيس). اليوم، ترعى الحكومة الصينية رسمياً نجوم الفن العالمي.

عندما تفكر الآن في الفن الصيني، لا تذهب بذهنك إلى المشاهد الريفية فقط، مع ضربات الفرشاة الزيتية الغريبة تلك. يقدم كبار الرسامين الصينيين اليوم لوحات كاملة لموسيقيين، وغانيات، وعائلات، ولاعبي خفّة، إضافة إلى لوحات مجرّدة. تصوّر بعض اللوحات أطفالاً حمراً في مشاهد طبيعية ما بعد حقبة التصنيع، أو حيوانات إلياك (نوع من الثيران) تجر عربات عبر خطوط السكك الحديدية. وقد أصبح العديد من هؤلاء أسماء بارزة في العالم، كنجوم غربيين معاصرين مثل ديمن هيرست وجيف كوونز.

باع ليو كزيادونغ البالغ من العمر ثلاثاً وأربعين سنة من إقليم ليونينغ لوحته رجلاً مع امرأتين إلى رجل أعمال صيني بسعر قياسي بلغ 2.7 مليون دولار في تشرين الثاني 2007. في الوقت نفسه تقريباً، باع زهانغ كزياغانغ، 48 سنة، من إقليم يونان، المعروف بلوحاته التي تشبه الصور الضوئية عن الثورة الثقافية، لوحته ساحة تيانانمين مقابل 2.3 مليون دولار في صالة كريستي في لندن.

ولا يتعلق الأمر باللوحات فقط. كي جو-كيانغ الذي يقطن نيويورك، والمولود سنة 1957 في إقليم فوجيان، معروف بابتكاره قوس قزح عبر النهر الشرقي للاحتفال بافتتاح متحف الفن الحديث المؤقت في كوينز، وتفجيره تنيناً من مسحوق العناية بالطفل عبر التايمز. كانت اللوحات والأفلام والفيديو والصور الضوئية والمسرحيات الصينية قد أصبحت من بين الأكثر إبداعاً في العالم.

ربما ينبغي بنا -خاصة في أمريكة- ألا نفاجأ. كان أحد آبائنا المؤسسين، جون آدمز، قد كتب مرة إلى زوجته آبيغيل أنه «يجب أن يدرس السياسة والحرب، وربما يدرس ... أبنائي ... التجارة والزراعة، من أجل منح أولادهم الحق في دراسة الرسم، والشعر، والخزف». لهذا ربما يكون التطور الطبيعي أن تفسح الحرب الطريق للتجارة، في حين تفسح التجارة الطريق للفن. ربما تشكل أسواق الصين المزدهرة، ورجال أعمالها، وعلماؤها -بدلاً من نفورهم من الفن- أرضية خصبة طبيعية لذلك الفن.

التأثيرات كبيرة، كما هو كل شيء في الصين. الطبقة المتنامية من الفنانين الصينيين بالملايين - بما في ذلك شبان في العشرين من العمر يبيعون صوراً ضوئية لمستكشفين غربيين مقابل 10.000 دولار للمجموعة؛ وأبناء الثلاثين والأربعين الذين ولدوا في أثناء الثورة الثقافية ويشكلون الآن نقطة تقاطع، كما قال أحد المراقبين: «نظام شمولي واستهلاكية ثائرة»؛ وأبناء الخمسين والستين الذين كبروا في أثناء الثورة الثقافية، ويتمتعون الآن بالخبرة، وبعض الحرية لانتقادها.

هناك حتى سوق كبيرة لإنتاج وإعادة إنتاج الفن على نطاق واسع. تضم بلدة صينية تدعى دافن، تقع خارج مدينة شينزهو الجنوبية، مئات محال اللوحات الزيتية، في حين

يستطيع آلاف من عمال خطط التجميع إعادة تجميع القطع الفنية التي تريدها في أثناء دقائق – صينية، أو أجنبية، كلاسيكية أو معاصرة. تتكلم عن الأساس التجاري للتعبير الفني.

ترقّب صناعة مزدهرة لتجار ومسوّقين ووسطاء، وبالطبع، مزيّفي الفن الصيني. كان على السلطات الثقافية الحكومية إقرار قانون في سنة 2003 يطالب كل مؤسسات المزادات الفنية والأشخاص الخضوع لفحص سنوي لكشف التزييف في سوق الفن الضخم، لكن الناشئ.

والمشاهدون يزدادون أيضاً. الواضح أن الصينيين الشبان يحبون معارض الفن الناشئة، مما يجعل متابعة الإنتاج الفني واحدة من أسرع أشكال التسلية نمواً في الصين. ونتيجة لذلك، يتطلع كل من متحفي كوينغهام الأمريكي وبومبيدو الفرنسي لافتتاح فروع في الصين.

نعم، ينبغي أن تتطور السوق، بمعايير حرية الفنانين وأذواق المشترين. لا تزال الحكومة تراقب بعض الأعمال، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بسياسات معاصرة، وعدم الرغبة في إفساح المجال للكثير من الفن بمغادرة البر الرئيس. من جانب المشترين والنقّاد، أيضاً، ينبغي إجراء بعض التغييرات الطفيفة – لا تزال بعض المعارض تدفع للرسّامين وفقاً لحجم اللوحة.

لكن شعوري أن ازدياد أعداد الفنانين الصينيين نبأ جيد للجميع. ليس المبدعين الصينيين فقط، الذين كانوا قد كسبوا بعض الحرية للتعبير عن أنفسهم جمالياً؛ وليس فقط طبقات وطبقات من التجار الصينيين والعالميين الذين أسسوا شركات للاهتمام بأعمالهم. وليس حتى أشخاصاً من كل الدول الذين ربما يستطيعون الآن التواصل مع المزيد من المواطنين الصينيين عبر مستويات مختلفة. لا، ازدياد أعداد الأعمال الفنية نبأ جيد للصين – إذا كان التحرير المتزايد للتعبير الفني يشير إلى ازدياد الحرية السياسية والاقتصادية أيضاً.

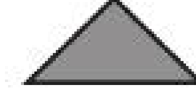
أثناء الحرب الباردة، استخدم الشاعر والمؤلف المسرحي التشيكي فاكلاف هافل الفن، قبل أن يستفيد من السياسة، لتحدّي قبضة الحكومة الشيوعية على بلاده. في سلسلة من المسرحيات التي لقيت نجاحاً عالمياً، صرخ هافل طلباً للحرية وفتح المجتمع التشيكي. في سنة 1989، أصبح هافل رئيساً لتشيكوسلوفاكيا الديمقراطية حديثاً (ولاحقاً جمهورية التشيك) – ودون عنف. يوماً ما، ربما يعلن الفنانون الصينيون فصلاً جديداً من الإصلاحات ليست الفنية فقط، وإنما السياسية والاقتصادية أيضاً.

وأخيراً، إذا أردت الوقوف على أرض صلبة في مجتمع فني ناشئ، فاذهب إلى حيث يزدهر العمل – العمل العادي. ربما يكون جون آدمز قد فكّر أنه يسلّي زوجته بقريحته الشعرية التي تناولت تراث عائلته الشخصي، لكنه كان يقدم ملاحظات مهمة عن المجتمع. ربما يجعل حجم الصين، وتاريخها الغني في الإبداع الجمالي، منها مكاناً جيداً على نحو استثنائي لازدهار الفن الآن. لكنَّ هناك دولاً أخرى يرتفع فيها الناتج المحلي الإجمالي بثبات مثل: أذربيجان أستونيا، وترينيداد وتوباغو، وغانا. ربما يكون الفن التعبيري الأستوني الذي أعجبك استثماراً جيداً أيضاً. وبالطبع، فيتنام.

اسأل الوسطاء – حيث يوجد رخاء، قد يكون هناك فن. وحيث يوجد ازدهار وتغير اجتماعي سريع، ربما يكون هناك فن مهم، وقوي، يسهم في ذلك التغيير.



تأرجح روسي



هذه النزعة عن وسط الناخبين الروس. إنها عن الروس الذين اتجهوا في التسعينيات نحو الديمقراطية، وقد ارتدوا عنها الآن. لا يمسكون مستقبل روسية فقط بأيديهم، وإنما يقولون لنا شيئاً مهماً عن الديمقراطية مقابل الرخاء، اللذين كما يفترض الجميع غالباً في الغرب تمشيان يداً بيد.

كانت أواخر الثمانينيات أياماً مجيدة لديمقراطيي الكتلة الشرقية. كانت حركة التضامن البولندية تدخل محادثات ثنائية حقيقية مع حكومتها الشيوعية؛ كانت هنغاريا تؤسس لانتخابات متعددة الأحزاب؛ وكان سكان ألمانية الشرقية يتظاهرون في الشوارع طلباً لحق السفر. ثم سقط جدار برلين، وتخلى الحزب الشيوعي عن السلطة في تشيكوسلوفاكية ورومانية وبلغارية وألبانية. في سنة 1990، اتحد شطرا ألمانية الغربي والشرقي، وتفكك أخيراً الاتحاد السوفيتي نفسه.

كان الروس ممتلئين أملاً. بعد خمس وسبعين سنة من الحكم الشيوعي -وقرون من حكم القياصرة المستبدين قبل ذلك- أخبرت أغلبية الروس سنة 1991 «نبض للدراسات الأوروبية» Pulse for Europe survey أنهم يعتقدون أن بلدهم ينبغي أن يعتمد على حكومة ديمقراطية بدلاً من قائد قوي لحل مشكلات البلد. بين الشبان الروس، الذين تتراوح أعمارهم بين 18-34، قال 6 تقريباً من كل 10: إنهم يفضلون الديمقراطية على اليد القوية. كان الوعد بكل من الحرية الاقتصادية والسياسية قوياً، ومثيراً.

ووفقاً للعديد من المقاييس، تحققت آمال الروس. بعد كساد اقتصادي مبدئي في التسعينيات، كان اقتصاد روسية قد نما ثماني سنوات على الترتيب، وفاق معدلات النمو في كل دول مجموعة الثماني الأخرى. بفضل ارتفاع أسعار الطاقة واحتياطيات روسية الضخمة من النفط والغاز الطبيعي، ترتفع مداخيل الروس، وقدرتهم الشرائية، وتنتعش

سوق الأسهم، وينمو الطلب الاستهلاكي. كانت الطبقة الوسطى الروسية قد ضمت بين 40 و50 مليون شخص. في هذا السياق، شكل سقوط الشيوعية نجاحاً رائعاً، ودفع الديمقراطية والرأسمالية قدماً إلى الأمام.

لكن اليوم، يخبر الروس القائمون على استطلاعات رأي عالمية بعض الأشياء المثيرة للدهشة. وفقاً لمشروع «مواقف عالمية» لمركز بيو Pew، الذي ورث «نبض للدراسات الأوروبية»، يفضل 28 % فقط من الروس الآن حكومة ديمقراطية على قائد قوي — انخفاضاً من 51 % سنة 1991. (في سنة 2002، انخفضت نسبة الذين يفضلون حكومة ديمقراطية إلى 21 %). تقول نسبة 81 % من الروس –تضم كل مجموعة سكانية– الآن: إن اقتصاداً قوياً أكثر أهمية بالنسبة لهم من ديمقراطية جيدة.

لوضع هذا التحول عن الديمقراطية إلى قائد قوي ضمن سياقه الصحيح، قارن بيو التحول الروسي بنزعات في العالم الإسلامي، حيث الحكم الشمولي معتاد. في خمس من الدول الإسلامية –المغرب، ولبنان، وتركية، وإندونيسية، والأردن– قال أغلبية المشاركين في الاستطلاع: إنهم سيفضلون أن تقوم المؤسسات الديمقراطية بحل مشكلات البلاد بدلاً من قائد يحكم بيد من حديد. من في رأيك أكثر التزاماً بالحكم الديمقراطي –تلك الدول الإسلامية، التي ربما لا يستطيع معظم الأمريكيين إيجادها على خريطة– أم حليفنا الأوروبي روسية، التي مدّتها الولايات المتحدة بنحو 2 مليار دولار على شكل مساعدات منذ ابتعادها عن الشيوعية قبل أكثر من خمس عشرة سنة؟

ما يبدو أنه يبرز هو الصوت المتأرجح الروسي. الناخب الذي اعتاد على التظاهر طلباً للديمقراطية، لكنه يفضل بقوة الآن حاكماً قوياً مع سلطة مركزية.

هوية هذا الناخب مهمة لمستقبل روسية. إنه أنثى في البداية. وفقاً لتحليل بيو، كان الرجال الروس أكبر المستفيدين من الديمقراطية في بداية التسعينيات يفضلون الديمقراطية على قائد قوي بنسبة 58 إلى 35 %، مقارنة بدعم فاتر من النساء بنسبة 46 إلى 42 %. لكن الآن، نحو ثلثي كل الروس –رجال ونساء– يفضلون قائداً قوياً.

ثانياً: ناخبو روسية الجدد المتأرجحون هم على نطاق واسع شبان كانوا في مقدمة حركة دعم الديمقراطية في بداية التسعينيات. في حين كان نحو 6 من كل 10 روس تتراوح أعمارهم بين 18–34 يفضّلون الديمقراطية عندها، تحول الآن هؤلاء الأشخاص أنفسهم، بعد أن بلغوا من العمر 30 و40، في تفضيلهم لقائد قوي بهامش أوسع (66 إلى 29 %).

أيضاً، للمال تأثير على هذا التحول. المجموعة الأقل دخلاً في روسية هي الأقل اقتناعاً بالأشكال الديمقراطية للحكومة.

إنه رجل، محبط، وليس أحد أفراد الطبقة الوسطى. الناخب المتأرجح هو من يرى الفجوة المتسعة بين الأغنياء والفقراء، ويعرف أنه على الجانب الخاطئ. إنه محبط من النظام التعليمي في روسيا؛ وانخفاض الشعور بالأمان (أقل من 3 من كل 10 روس يشعرون بالأمان في الشوارع)؛ والفساد المستشري فيها (في موسكو وحدها سنة 2006، قال 40 % من الذين تم استطلاع آرائهم: إنهم قدّموا رشوة في الشهور الاثني عشر الأخيرة). هذا هو صوت روسية المتأرجح.

بالطبع، يتعرض التصويت من أي نوع في روسية لتحديات كبيرة هذه الأيام. ربما مدعوماً بدراسات تظهر أن الروس يحبون أن تكون القيادة بيد رجل قوي، كان الرئيس فلاديمير بوتين قد استبدل حكام المناطق المنتخبين بأشخاص عيّنهم بنفسه؛ اقترح إنهاء العمل بانتخابات رؤساء البلديات؛ جعل تشكيل وتسجيل أحزاب سياسية جديدة أمراً صعباً؛ وضايق كثيراً مجموعة معارضة -معروفة باسم «روسية الأخرى»، التي يقودها بطل الشطرنج غاري كاسباروف- حتى اختفت عملياً. كان قائد حزب سانت بطرسبرغ قد أخبر نيويورك تايمز في بداية سنة 2007: «لن أدعو العملية الجارية في بلدنا ديمقراطية».

بالرغم من ذلك، هناك احترام للرأي الشعبي. لا تزال استطلاعات الرأي والدراسات محط اهتمام بوتين، الذي يراقب بالتأكيد معدل شعبيته التي وصلت إلى 70 %، بمرح. يعقد بوتين جلسات «سؤال وجواب» مباشرة بين الفينة والأخرى مع

الشعب الروسي عبر البريد الإلكتروني والهاتف لسماع ما يثير قلقهم ومشاركتهم في حين يخطط له. بالرغم من أنه مفهوم على نطاق واسع أن بوتين سيختار من سيخلفه سنة 2008 (إلا إن كان سيتحايل على الدستور ليمنح نفسه ولاية ثالثة)، إلا أن مراقبين يقولون: إنه بدأ إطلاق مناطيد اختبار للمرشحين ابتداءً من سنة 2006؛ ليتأكد من أن اختياره سيكون موضع ترحيب.

لهذا روسية على مفترق طرق. من ناحية، يبدو الرئيس بوتين يميل لجعل روسية «دولة نفطية شمولية»، كما دعاها أحد المراقبين، وأن يتولى قيادة الحركة العالمية المعارضة للولايات المتحدة. تم وصف خطابه في شباط 2007 في ميونيخ بأنه «الخطاب الأكثر عدوانية من قائد روسي منذ نهاية الحرب الباردة».

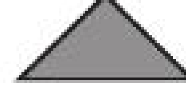
لكن من ناحية أخرى، يمتلك الناخبون في روسية -بمن فيهم المتأرجحون الذين دعموا مرة الديمقراطية- القوة لحث قادتهم على تذكر توسع الطبقة الوسطى، وجذب وليس عرقلة المزيد من الاستثمارات الأجنبية، والسماح بالمزيد من الحرية الاقتصادية والديمقراطية. نعم، خاب أملهم من الكساد في مرحلة ما بعد الشيوعية في التسعينيات، وبالرغم من أنهم يقدّرون النمو الاقتصادي الذي حدث إبّان حكم بوتين وتعجبهم قوته، إلا أن هناك أيضاً شعوراً متنامياً أنهم قلقون بشأن ذلك، أيضاً. منذ سنة 2002، كان عدد أولئك الذين يفضّلون الديمقراطية على قائد قوي قد ارتفع من 21 إلى 28 %. في الواقع، في دراسة تم إجراؤها سنة 2006، قال نصف الروس تقريباً: إنهم قلقون، بعض الشيء على الأقل، من أن رئيسهم «ربما يحاول إقامة ديكتاتورية صارمة، بالاعتماد على قوات الأمن».

لهذا يمكن لناخبين متأرجحين أن يساعدوا في قيادة هذا البلد لتجاوز مفترق الطرق الذي وصل إليه. وفيما الناخبون المتأرجحون الأمريكيون «أمهات كبيرات في السن»، الناخبون المتأرجحون في روسية رجال ركبي لا يمانعون الرقص قليلاً في حفلة الديمقراطية. إن كان من شيء، يعزّز هؤلاء الناخبون الروس ما نجده في كل أنحاء العالم - أن الناس يريدون حرية اقتصادية أولاً: ومؤسسات ديمقراطية، ثانياً: حالما يصبحون

ميسورين قليلاً. للمؤسسات حديثة العهد بالديمقراطية طريقة في عرقلة الأمور، في حين تحتاج الدول النامية، الشجاعة بما يكفي؛ لتحاول تحرير اقتصادياتها، إلى تحقيق بعض النتائج السريعة. وحتى في أماكن مثل روسية، التي لديها تاريخ من الحكم القاسي الاستبدادي، يختار الناخبون المتأرجحون إنقاذ الاقتصاد على إنقاذ الديمقراطية. لكن إذا كانت الديمقراطية هي تحقيق مكاسب أيضاً، فستكون هناك وسيلة ديمقراطية جوهرية بيدي الناخبين المتأرجحين.



نهضة نساء الهند



قبل مئة وخمسين سنة، كانت الأرامل في الهند يقتلن أنفسهن في طقوس دفن أزواجهن، في تقليد معروف باسم ساتي. اليوم، قائد أقوى حزب سياسي في الهند (وإحدى الشخصيات المحبوبة جداً في تلك الأمة التي يزيد تعدادها عن 1 مليار) هو امرأة. كانت حماتها، أنديرا غاندي، رئيسة وزراء الهند أكثر من خمسة عشر عاماً. في كل أنحاء العالم، تعتلي نساء الهند قمة العمل التجاري والعلوم والرياضة والفنون. بالنسبة لمجموعة لم تكن لديها تقريباً هوية خارج المنزل، قطعت المرأة الهندية شوطاً طويلاً.

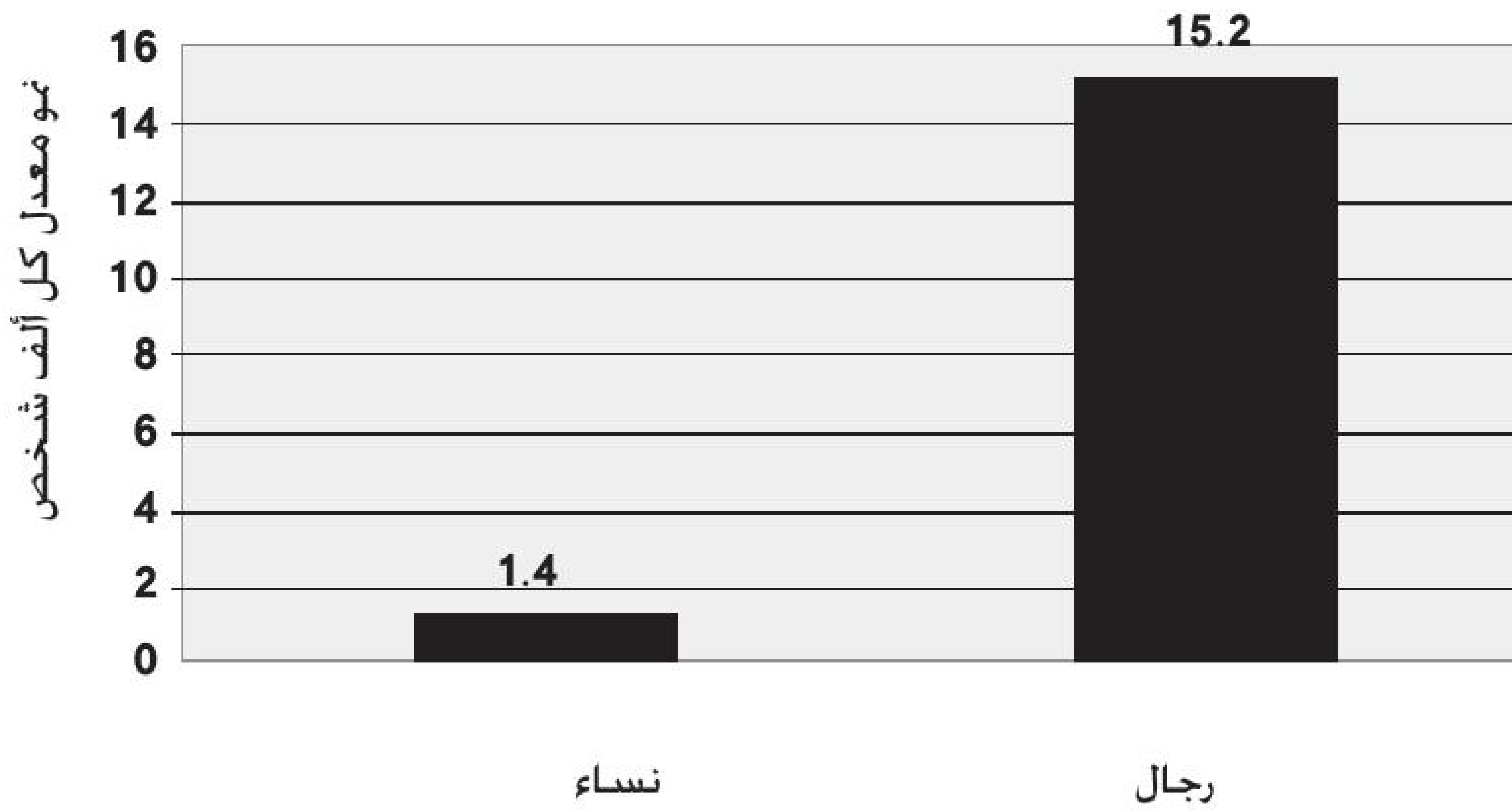
كانت الهند نفسها قد قطعت شوطاً طويلاً. ابتداءً من سنة 2007، نما اقتصادها بثبات بما يزيد على 8 % سنوياً، مما يجعلها ثاني أعلى نسبة نمو في العالم فقط بعد الصين. طبقتها الوسطى -زهاء 300 مليون شخص- بعدد سكان الولايات المتحدة كلهم. في العقد الأخير، كانت الهند قد انتشلت أشخاصاً من الفقر أكثر من عدد سكان أوروبة الغربية. في التسعينيات، زادت الهند معدل معرفة القراءة والكتابة 13 نقطة - نحو ثلثي عدد السكان الآن. بحلول سنة 2030، يُتوقع أن تكون الهند ثالث أكبر اقتصاد في العالم، بعد الولايات المتحدة والصين.

كانت نساء الهند قد حصلن على حصة طيبة من الازدهار الوطني. في مناطق الهند الحضرية، كانت عمالة النساء قد ارتفعت أخيراً أكثر من عشرة أضعاف معدل عمالة الرجال. كان الاقتصاد الذي يعتمد على نحو متزايد على المعرفة قد أتاح المزيد من الفرص للنساء الهنديات المتعلّمات، اللواتي لم يعدن بحاجة للسفر إلى مصانع بعيدة للارتقاء ضمن القوة العاملة. وعلى قمة لائحة نجاح النساء الهنديات المهني النجمات العالميات اللواتي نذكرهن أدناه.

بالطبع، لا يزال أمام الهند الكثير لتفعله، لكل من الرخاء الوطني وحصة النساء فيه. لا تزال الهند موطناً لأكبر عدد من فقراء العالم، مع نحو 600 مليون شخص يعيشون على أقل من 2 دولار في اليوم، و250 مليوناً آخرين يعيشون على نصف ذلك. يموت زهاء 2 مليون طفل هندي كل سنة قبل عيد ميلادهم الأول. لا يزال ثلثا السكان يعيشون دون خدمات أساسية، بما في ذلك 450 مليون شخص ليس لديهم كهرباء.

نمو معدل كل ألف شخص للرجال والنساء

العاملين في الهند الحضرية، 1999–2005



المصدر: موقع العمالة والبطالة في المدن والبلدات في الهند.2004–2005: مكتب دراسة العينات الوطنية. وزارة الإحصائيات والبرامج التنفيذية. حكومة الهند. آذار 2006.

ومكتسبات المرأة لها بداية ونهاية. على الرغم من أن نساء المدن يرتقين في قوة العمل، إلا أن أغلبية أعمالهن تبقى في قطاعي الزراعة والمنتجات المحلية منخفضة الدخل. التعليم الأساسي للبنات يزداد انتشاراً، لكن أقل من نصف الفتيات الهنديات ينتسبن إلى المدرسة الثانوية. ساتي، المذكور أعلاه، وجرائم المهر –عادة قتل الزوجات الشابات اللواتي لا يستطعن تقديم المهر الذي يتوقعه أزواجهن– محظوران رسمياً، لكنهما لا يزالان يحدثان. العنف ضد المرأة في كل أنحاء الهند مرتفع؛ وإجهاض الأجنة الإناث ليس واسع النطاق فحسب وإنما يزداد أيضاً – حتى بين عائلات دخلها مرتفع. بمعايير سياسية، بالرغم من أن هناك قانوناً على المستوى المحلي بمنح ثلث مقاعد الهيئات التشريعية

لنساء، إلا أن مشروع القانون الذي اقترح النسبة نفسها على المستوى البرلماني كان قد فشل مراراً وتكراراً في الحصول على أغلبية الأصوات.

لكن كما هي حالة كل ديمقراطية على وجه الأرض الآن، تبدو نهضة النساء في الهند مؤكدة، ومهمة. في السياسة -بعيداً عن عائلة غاندي الثرية- تزداد أعداد المشرّعات، وإن كان ببطء. في عدّة ولايات هندية، يفوق تمثيل النساء نسبة 33 % المطلوبة، ويثبت الخبراء الآن الفرق الذي تُحدثه قيادة النساء. وفقاً لدراسة سنة 2005 قام بها باحثون في كلية لندن للاقتصاد، ازدياد التمثيل السياسي للنساء الهنديات بنسبة 10 % يؤدي إلى ازدياد احتمال أن يحصل طفل لامرأة حضرية على التعليم الأساسي بنسبة 6 %.

في العمل أيضاً، تحطم نساء مثل نينا لال كيداوي وقران مازمدار شاو كل الصور النمطية عن النساء والموارد المالية. كانت كيداوي، الرئيس التنفيذي لفرع المصرف الأوروبي إتش-إس-ب-سي HSBC في الهند، أول امرأة هندية تتخرج في كلية إدارة الأعمال في هارفرد، وتدير الآن 50 % من الاستثمارات المؤسساتية الأجنبية في بلدها. في أثناء سنة من توليها منصب الرئيس التنفيذي لإتش-إس-ب-س الهند، أوردت إنديا توداي India Today أن أرباح المصرف قبل اقتطاع الضرائب ارتفعت 85 %.

يقال: إن شاو، التي جاءت أصلاً من بنغالور وكانت أول امرأة هندية تعمل في صناعة الجعة، والرئيس والمدير العام حالياً لأكبر شركة صيدلانية في الهند، بيوكون المحدودة Biocon Ltd، أغنى امرأة في الهند، مع ثروة صافية تُقدّر بنحو 500 مليون دولار.

في الفنون أيضاً، كانت مخرجة/كاتبة/منتجة الأفلام ميرا نير قد حققت نجاحاً كبيراً في كل من بوليوود وهوليوود. من باكورة إنتاجها الذي لاقى نجاحاً واسع النطاق سلام بومباي! إلى الحائز على جائزة أفضل عمل سينمائي ماسالا الميسيسبي إلى الفيلم الذي تم ترشيحه لنيل جائزة غلوب الذهبية زفاف رياح موسمية إلى الفيلم الناجح سنة 2007 تشابه أسماء، كانت نير قد حطمت أي صور نمطية عن ضعف النساء في بوليوود التي يسيطر عليها الرجال، وحاولت عبر محتوى أفلامها سد الفجوة الثقافية العالمية مثل أي

صانع أفلام اليوم. تمثل بوليوود نفسها الآن صناعة فائقة التطور، لدرجة أن نجوم هوليوود البارزين -مثل جورج كلوني- يتقاطرون للعمل فيها.

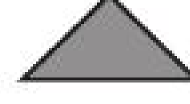
ينتشر هذا النوع من التأثير العالمي في كل مجال. يشكل الهنود أكبر مجموعة من الطلاب الأجانب في الولايات المتحدة، بنحو 15%. يبقى العديد منهم - بعد التخرج في كلية الإدارة في ييل Yale، تدرّجت نويي في المناصب لتصبح رئيسة شركة بيبسي، وتمت تسميتها سنة 2006 رابع أقوى سيدة أعمال في العالم. جاءت كالبانا تشاولا إلى الولايات المتحدة لدراسة هندسة الطيران في جامعة تكساس، وكانت أول امرأة مولودة في الهند تطير إلى الفضاء، وواحدة من سبعة أفراد هم الطاقم الذي لقي حتفه في كارثة مركبة الفضاء كولومبيا.

سواتي داندكار، الديمقراطية من آيوا، أول امرأة مولودة في الهند يتم انتخابها إلى مجلس تشريع ولاية أمريكية. حصلت نجمة كرة المضرب سانيا ميرزا، أول رياضية هندية تظهر على غلاف مجلة تايمز، على فتوى خاصة بها، لأن ملابس كرة المضرب لا تناسب ما تمليه الشريعة بالنسبة للفتيات الهنديات المسلمات.

الواضح أن كيداوي، وشاو، ونير صديقات مقرّبات -شاو ونير منذ الطفولة- مما قد يوحي بشيء عن البيئة النقية التي تترعرع بها النساء الهنديات البارزات. نعم، في أمة مع نصف مليار امرأة، ستكون هناك على الأرجح نساء يبقين وحدهن أكثر من معظم الدول الأخرى على وجه الأرض. لكن ليس هناك شك بذلك، نهضة المرأة الهندية ثابتة وقوية، وقد ينشأ عنها تغييرات ضخمة ليس لثاني أكبر بلد في العالم فقط، وإنما للعالم كله أيضاً.



إرهابيون مثقفون



قوة الصغير أكبر عندما تكون تدميرية.

استطاعت أعداد صغيرة دائماً تنفيذ عمليات اغتيال غيّرت مجرى التاريخ، لكن لم تكن هناك من قبل حفنة صغيرة من الناس يمكنها تحقيق اضطرابات كثيرة، كما هو عليه الحال في العالم المعاصر. نعرف جميعنا أن خلية إرهابية مع قنبلة نووية في حقيبة سفر يمكنها أن تغير تاريخنا للأبد.

تطلب الأمر شخصاً مجنوناً واحداً لتحويل معهد فيرجينيا التقني إلى حقل قتل وجعل أمة تنوح على نفسها. تطلب الأمر أقل من أربعة وعشرين خاطفاً لتحطيم مركز التجارة العالمي.

لكن هناك فرق كبير بين الحادثتين. كانت حادثة معهد فيرجينيا التقني نتاج ذهن مخبول واحد ماتت أفكاره معه، في حين كانت 9/11 نتيجة حركة فكرية ودينية امتلكت القوة لإقناع، حتى أشخاص مثقفين وعاقلين للتضحية بحياتهم والقيام بعملية قتل جماعية. إذا كان هؤلاء استطاعوا تدمير مركز التجارة العالمي، كانوا سيدمرون كل نيويورك لو توافرت لهم الوسائل.

ينبغي ألا تكون قوة أي حركة مثل تلك موضع شك. مع أكثر من مليار مسلم في العالم، يمكن للقاعدة أن تزيد عدد المنتسبين لها إلى 10 ملايين إذا أقنعت 1% فقط بالانضمام إلى الحركة - قوة أكبر من أي جيش حالياً، وقوة يمكنها تنظيم عصيان هائل يحول العالم إلى كابوس.

في القرن العشرين، غيرت حركات كبيرة مثل الفاشية والشيوعية العالم، وكانت خلف العديد من النزاعات العالمية. اليوم، يمكن أن تكون الحركات المتطرفة صغيرة، لكنها بالرغم من ذلك تستطيع إحداث فوضى مشابهة. ليست بحاجة إلى حكومة، أو انتخابات، أو رعاية حكومية (بالرغم من أنها تتطلع إليها)، وتستطيع الإجهاز على مجتمع كما نعرفه.

لحسن الحظ، لا يزال أمام القاعدة طريق طويل للوصول إلى نسبة 1%.

وفقاً لـ «قاعدة معرفة الإرهاب»، مصرف بيانات شامل عن حوادث ومنظمات الإرهاب العالمية، هناك ما يصل إلى 1255 مجموعة إرهابية في العالم. من بين تلك المجموعات، صنّفت وزارة الخارجية الأمريكية اثنتين وأربعين منها بأنها «منظمات إرهابية أجنبية». حتى الآن، أكبر تلك المنظمات هي القاعدة، التي تضم نحو 50.000 عضو، وقواعد في خمس وأربعين دولة. في الواقع، يبلغ عدد أعضاء كل المنظمات الاثنتين والأربعين زهاء 125.000 شخص فقط، مما يدل على ضخامة القاعدة النسبية في هذا المجال.

بعض المنظمات الإرهابية الأجنبية المصنفة من قبل وزارة الخارجية الأمريكية

اسم المنظمة	قاعدة العمليات	تقدير عدد أفرادها
القاعدة	45 دولة	50.000 □
قوات الدفاع الذاتي المتحدة في كولومبيا	كولومبيا	20.000 <
جيش الشعب الجديد	الفلبين	16.000
القوات المسلحة الثورية في كولومبيا (فارك)	كولومبيا	12.000
نمور تحرير التاميل إيلام	سريلانكا	8000 □
جيش التحرير الوطني	كولومبيا	3000
أوم شينريكو/آلف	7 دول بما فيها اليابان	2000 <
حماس	الضفة الغربية/غزة	1000 <
حزب الله	لبنان	1000
حزب العمال الكردستاني	تركية	1000 <
□إتش□ك□ب/سي	تركية	1000 >
الجهاد الإسلامي الفلسطينية	لبنان، سورية، الضفة الغربية/غزة	1000 >
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	الضفة الغربية/غزة	800
الدرب المضيء	بيرو	500
الجهاد الإسلامي المصرية	أفغانستان، مصر	300 <
الجماعة الإسلامية	إندونيسية، ماليزية، الفلبين، سنغافورة	300 <
منظمة القاعدة في المغرب الإسلامي	الجزائر، مالي، موريتانيا، النيجر	300
الباسك وطن الأجداد والحرية	إسبانية	300
الجيش الجمهوري الأيرلندي المستمر	أيرلندة، المملكة المتحدة	200 >
جيش محمد	كشمير، باكستان	100 <
الجماعة الإسلامية المسلحة	الجزائر	100 >

كنسبة من عدد سكان العالم، يشكل 125.000 إرهابي 0.002 %. وإذا نظرنا فقط إلى الجماعات الإسلامية المتطرفة على قائمة المنظمات الإرهابية الأجنبية الاثنتين والأربعين، نجد نحو اثنتين وعشرين منها. تضم تلك المنظمات الاثنتين والعشرين - تتراوح من القاعدة وعدد أعضائها 50.000؛ إلى حماس وحزب الله اللتين تضم كل منهما نحو 1000 عضو؛ إلى جيش محمد في باكستان والجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر وتضم كل منها نحو 100 عضو - مجتمعة نحو 57.500 إرهابي عالمياً. كنسبة من المليار مسلم في العالم، يشكل هؤلاء نحو 0.004 %. إذاً، تلك نسبة بعيدة جداً عن نزعة 1 % المجهرية، لكن يتم تصنيفها بأنها نزعة منمنمة بالغة الأهمية وخطيرة تماماً.

ليست بحاجة لأن تتحول إلى حركة ضخمة لتحقق النجاح. بدلاً من ذلك، تحتاج إلى كادر متزايد من العملاء الأذكياء، والمحترفين، والقساة. لا يعتمد نموها الآن على جذب مئات الملايين وإنما على إنشاء طبقة قيادة يمكنها جمع الأموال والموارد وتنفيذ عمليات.

بالرغم من أنه يتم غالباً ذكر الفقر بوصفه سبباً رئيساً لنمو الأصولية، إلا أن مؤسسي الحركة الإرهابية جاؤوا من خلفيات تثير الدهشة. في الواقع، الفقر واليأس غير مرتبطين البتة بالمؤسسين الأثرياء والمثقفين مثل ابن لادن أو بالعديد من إرهابيي الصف الأول، بما في ذلك خاطفو الطائرات في 9/11 أو مفجّرو القطارات في 7 تموز في لندن.

على كلا طرفي المعادلة؛ كان قادة في الولايات المتحدة، وأوروبة، والشرق في كل دين (بما فيها الإسلام)؛ وفي الحكومة والأعمال والتعليم قد قرنوا الإرهاب بالفقر واليأس. تقول النظرية: إنه عندما لا تتحقق آمال وأحلام الشبان بالكسب المادي، يتحولون إلى العنف. عندما لا يتبقى شيء يعيشون من أجله -وربما حتى لا يستطيعون جني المال لعائلاتهم، أو يطمحون ببعض مكافآت الخلود- يفجّرون أنفسهم، ويقدمون التضحية النهائية. وكان علماء إلى اليسار قد قالوا: إن الولايات المتحدة «لا يمكنها السماح بعد الآن بسقوط الدول». وكان رؤساء إلى اليمين، مثل جورج دبليو. بوش، قد قالوا: «نحارب الفقر؛ لأن الأمل رد على الإرهاب».

يبدو ذلك منطقياً تماماً. لكن في حين الدراسات حول الإرهاب محدودة، لا يبدو أن الدليل التجريبي يثبت أن الفقر أو اليأس الاقتصادي وحدهما يدفعان الناس لوضع متفجرات حول أجسادهم ورمي أنفسهم على أهداف غربية. إن كان هناك شيء، فسيكون العكس. عندما كانت «إسرائيل» تدمر منازل الاستشهاديين، كان المثير للاهتمام أن لديهم منازل. ربما يكون الفقراء ومحدودو الثقافة أكثر ذكاءً من أن يفجّروا أنفسهم من أجل ذلك السبب.

في دراسة سنة 1980 عن الإسلاميين المحتجزين في السجون المصرية، وجد الباحث سعدالدين إبراهيم أن المذنب النموذجي رجل في بداية العشرين من العمر، من عائلة عادية متماسكة من الريف أو بلدة صغيرة؛ تلقى تعليماً في العلوم أو الهندسة؛ كان يحدوه أمل وحافز بتحقيق إنجاز كبير. ليس فقيراً ويائساً، وإنما متعلمٌ وطموحٌ.

في سنة 2002، قارن الأستاذان آلان كروغر وجيتكا ماليكوفا 129 مقاتلاً في حزب الله كانوا قد لقوا حتفهم في الثمانينيات وبداية التسعينيات بجيرانهم من السكان اللبنانيين. بالرغم من أن نسبة الفقراء بين مقاتلي حزب الله بلغت 28 %، إلا أن المعدل العام كان أعلى وبلغ 33 %. وفي حين ذهب 47 % من المقاتلين إلى مدرسة ثانوية، كان 38 % فقط من السكان المحيطين بهم قد فعلوا ذلك.

على نحو مشابه، في دراسة سنة 2003 عن الاستشهاديين في «إسرائيل»، تم التوصل إلى نتيجة مفادها أن نسبة مجيء هؤلاء من عائلات فقيرة أقل من نصف المعدل العام. وكان أكثر من نصف الاستشهاديين قد تلقوا تعليماً أكثر من المدرسة الثانوية، مقارنة بأقل من 15 % من الفلسطينيين بوجه عام في المجموعة العمرية نفسها.

يناسب الوصف ذاته خاطفي الطائرات في 9/11 – ومن ساندهم. جاؤوا من عائلات الطبقة الوسطى وخلفيات عالية المستوى في العلوم والهندسة. أسامة بن لادن نفسه مهندس مدني، وثري للغاية.

في دراسة سنة 2004 عن 400 إرهابي عالمي، بما في ذلك مجرمو 9/11، وجد عالم النفس وعميل وكالة الاستخبارات الأمريكية السابق مارك سيغمان أن ثلاثة أرباع الإرهابيين جاؤوا من طبقة عليا أو متوسطة. جاء 9 من كل 10 من عائلات محبة، ومتماسكة. كان نحو الثلثين قد ذهبوا إلى الجامعة (مقارنة بزهاء 5 أو 6 % من السكان يذهبون إلى الجامعة في بلدانهم). كان ثلاثة أرباعهم مختصين أو شبه مختصين، على الأغلب في العلوم أو الهندسة. كان نحو ثلاثة أرباعهم متزوجين، والأغلبية العظمى منهم لديهم أولاد. يعاني 5 من الـ400 من اضطراب في الشخصية. يعرف هؤلاء الرجال ثلاثاً إلى ست لغات، بما في ذلك حفنة من اللغات الغربية. كما كان أحد المؤرخين قد لاحظ متهكماً أن جذور الإرهاب هي «المال، والتعليم، والامتيازات».

توصل سيغمان إلى نتيجة مفادها أن ما دفع هؤلاء الرجال الأذكياء الـ400 إلى الإرهاب كان شبكاتهم الاجتماعية؛ لأنهم كانوا لامعين جداً، تم إرسالهم إلى الخارج للدراسة – وحالما أصبحوا ما وراء البحار، شعروا بالوحدة والعزلة. تجمّعوا لتناول الطعام وممارسة أنشطة اجتماعية في المساجد، فحوّلهم هناك قادة متطرفون إلى العنف. كان علماء آخرون قد قالوا: إنه إضافة إلى الشبكات الاجتماعية، كان الإرهابيون متحفّزين في قضايا الهوية والكبرياء الجوهرية – سواء على الصعيد الشخصي أو الوطني. امتلك الاستشهاديون الثروة والعلم، لكنهم شعروا بأنهم معزولون، مثل أثرياء جدد تنفر منهم الطبقة الأرستقراطية. أو أنهم شعروا بالاضطهاد الثقافي؛ نظراً لتراجع الإسلام عن مكانته العالمية البارزة. بعيداً عن الخرافات التقليدية، الإرهابيون ليسوا بحاجة لمساعدة مادية للعيش. لقد خرجوا لتغيير العالم بالقوة.

كان المستشار في وزارة الخارجية ديفيد كيلكولن قد رسم سلماً لارتقاء الإرهابيين الإسلاميين المحتملين. عند القاعدة، هناك الأغلبية العظمى من «المسلمين العاديين» – أولئك الذين يمكن جذبهم إلى الإرهاب أو التحالف ضده، العامة التي يمكن معالجة المظالم التي تقع عليها بإجراء إصلاحات سياسية. فوقهم مجموعة صغيرة، دعاها «مسلمين يكرهون ما آلت إليه أوضاعهم». أولئك أشخاص كانوا قد تخلوا عن الإصلاح،

ومستعدون للانضمام إلى المتطرفين. لإقناعهم بعدم فعل ذلك - كما يقول - ينبغي أن نسعى لتحقيق تحول في طريقة التفكير، على نحو مشابه للطريقة التي يتم بها إبعاد الشبان في هذا البلد عن العصابات. لكن فوق تلك المجموعة، وفي أعلى السلم، هناك عدد قليل لا يمكن إقناعهم أو إكراههم على تغيير ما يفكرون فيه. إنهم الأشخاص الذين ينبغي أن نخاف منهم. لكن عندما تنقّب بعمق أكبر عن السبب الذي دفعهم إلى ما هم عليه، تصبح الصورة مثيرة للدهشة. تبين أن جنود الإرهاب هم بين الأفضل تعليماً واكتفاءً ذاتياً في العالم.

أهمية تقويم إرهابيي اليوم، بالطبع، كبيرة. بالمحصلة، كان الافتقار إلى المعلومات الاستخباراتية الصحيحة عقب أخيل الأكثر خطورة بالنسبة لأمريكة. وحتى الآن، من غير الواضح ما إذا كان ما فعلته أمريكة لهزيمة الإرهاب فعّالاً أم أنه ساعدهم في الحصول على المزيد من المتطوعين. تعتمد الإستراتيجية الصحيحة في محاربة الإرهاب كثيراً على تحديد هوية الإرهابيين الحقيقيين وأولئك الذين يسلكون ذلك الطريق.

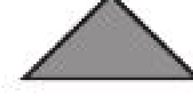
بالرغم من أن الإرهاب النموذجي قد لا يكون باتي هيرست، لكن تبين أنه ربما يكون (أو تكون) يجلس بجوارك في مكتبة، أو في محل ستاربكس، أو في سكن جامعتك. الإرهابيون عاقدو العزم؛ لأنهم يؤمنون بما يقومون به، وأساليبهم متقنة ومتطورة.

لن يتم إلحاق الهزيمة بحركة الإرهاب المركزية في القرن الحادي والعشرين، بخلاف الشيوعية، باستعمال الغسّالات. إضافة إلى كل الجهود العسكرية والاجتماعية، سيتطلب الأمر ترابطاً فكرياً ودينياً قوياً - ربما حركة بين الأديان مخصصة لتحديد الدرب الصحيح إلى الله يمكنها إعادة معتنقي الإرهاب فكرياً إلى جادة الصواب، مثلما تستطيع العمليات العسكرية إيجاد وتدمير معتنقيه عسكرياً. يمكن العثور على أقوى المجنّدين الذين يمكن للحركة الحصول عليهم -مثلاً، أعضاء الخلية التي كانت خلف تفجير قطارات بريطانية في 7 تموز- في مدارس جيدة وعلى الإنترنت وليس في أحياء فقيرة. إنهم جزء من حركة حالمة تجد لها مبرراً في عقيدة دينية، وسنحتاج إلى مضاعفة جهودنا لهز الأسس الفكرية لتلك الحركة ووقف تدفق هؤلاء المجنّدين. الإرهابي المثقف

ليس لقمة سائغة – يدل الحضور المستمر لإرهابيين متعلمين على قوة الأفكار المغلوطة التي يمكن أن تعصف بأذهان شبان سريعي التأثر، ويدل على الحاجة لتقوية جهودنا من أجل الفوز بحرب الأفكار تلك.



الخاتمة



عندما حاول الفلاسفة الإغريق أول مرة تفسير التغير الطبيعي في العالم، لم يتوصلوا إلى نتيجة قاطعة حتى اقترح ديمقراط (ديمقراطيس) نحو سنة 460 قبل الميلاد نظرية أن العالم مكوّن من ذرّات - أجسام صغيرة لكن منفصلة، والذي يحدد مزيجها حالة المادة وصفتها. عارض الكثيرون؛ وحتى أرسطو كان منتقده الرئيس. لكن بمرور الوقت، ثبت أن ديمقراط محق. في الواقع، تبين أن أكثر المواد صلابة تتكون من مليارات الذّرات غير المرئية التي تحدد شكلها.

كما يعرف أي طالب ثانوي، غيرّ مزيج الذّرات قليلاً فقط، وستحصل على تأثيرات مذهلة في قوة الفولاذ ولمعان الماس أو إشعاعية اليورانيوم المخصّب. يعكس هذا التناظر الجزيئي نظرية نزعات مجهرية الأساسية -ثقافتنا اليوم هي على نحو متزايد نتاج ما كنت قد حدّدته بذرّات مجتمعية- نزعات صغيرة تعكس تغير العادات والخيارات. غالباً ما يكون تحديدها صعباً، لكني حاولت تقديم نوع من الجدول الدوري للنزعات في الموضوعات الرئيسة للحياة اليومية. ستؤدي تغييرات بسيطة للغاية في مزيج الذرات الثقافية إلى حدوث تغييرات كبيرة في شكل كوكبنا وشكل مجتمعنا.

يطلق معظم الناس اليوم أحكاماً كما فعل أرسطو من قبل - ينظرون تاريخياً إلى أحداث من وجهة نظرهم. لكن بخلاف أرسطو، غالباً ما يدّعون رؤية الغابة دون أن يختبروا حقاً وجود الأشجار. وخاصة في عالم اليوم الذي تتسارع فيه الأحداث، يطلقون على نحو متزايد أحكاماً تستند إلى وجهة نظرهم في العالم وليس إلى حقائق ثابتة، التي يعدون أن من الصعب تحديدها. الحقيقة البسيطة هي أنه في معظم الوقت لا يمكننا أن نرى الأنماط الحقيقية لحياة الناس، ما عدا عبر الإحصائيات، وندّعي بالرغم من ذلك أننا نفهمها بناءً على وجهة نظرنا المحدودة. ما يحدث حينها أن الحكمة التقليدية تكون متشددة للغاية وخاطئة تماماً.

كنت قد اكتشفت بمرور السنين أن هناك غالباً انفصالاً كاملاً بين الاعتقاد بشأن الاقتصاد وحالة العلاقات الاقتصادية الحقيقية. حتى يتم نشر الإحصائيات، ينحو الناس لتقويم الاقتصاد على نحو أساسي عبر عيون وسائل الإعلام القومية. في سنة 1992، عندما فاز بيل كلينتون بالرئاسة بناءً على مخاوف بشأن الاقتصاد، أظهرت الإحصائيات التي جاءت بعد الانتخابات أن المدة لغاية تشرين الأول شهدت في الواقع نمواً قياسياً. كانت المواقف سلبية للغاية في وقت كان فيه الاقتصاد في الواقع يشهد تحسناً كبيراً.

في سنة 1995، عندما كنت أعمل مع الرئيس كلينتون، ظهر بات بوكانين على صدر تايم Time ونيوزويك Newsweek يصرخ بأفكار أن الاقتصاد يدخل عنق الزجاجة وأنه ليست هناك وظائف جيدة جديدة. كنا نصبح أمة مهوّسة بالهمبرغر، كما قال لصحفيين أحنوا رؤوسهم موافقين على ذلك. طلبت من كبير مستشاري المجلس الاقتصادي في البيت الأبيض النظر في الأمر، ووجد أن الناس يحصلون فعلاً على وظائف في اقتصاد جيد، يقوده قطاع البرمجيات. في خطاب حالة الاتحاد سنة 1996، قال الرئيس كلينتون: إن لدينا أفضل اقتصاد منذ ثلاثين سنة - جملة جعلت عدداً من المراسلين يسارعون للتأكد من الإحصائيات الحقيقية بدلاً من الإصغاء إلى ما تقوله حركات سياسية شعبية، وبيانات كثيرة تحفّزها السياسة. كلما نظر الناس إلى الحقائق أكثر، زادت موافقتهم على ذلك، وبعد ستة شهور، كان هناك شبه إجماع على أن الاقتصاد في حالة جيدة. هل تغير الاقتصاد؟ لا، ما تغير كان المعرفة بشأن الحقائق الاقتصادية الصحيحة. عندما نظر الناس إلى الأشجار الحقيقية، تغيرت نظرتهم للغابة.

تعلمت من ذلك أن شخصاً عادياً لا يمكنه تحديد الفرق بين نسبتي بطالة 4 % و8%. إذا كان لديك 100 صديق، منهم من يعمل ومنهم من لا يعمل، فلا يمكنك أن تحدد بدقة إن كان الاقتصاد ينمو أم لا. إذا كان عشرون منهم عاطلين عن العمل، يمكنك ذلك؛ بكلمات أخرى، يمكنك أن ترى مباشرة وبسهولة الكوارث والكساد عن كثب. لكن لا يمكنك رؤية التغييرات في المدى الطبيعي لمعظم الإحصائيات. لا يمكنك حقاً رؤية الفرق بين ازدهار أو ركود اقتصادي، والذي سيكون فرقاً في نسبة البطالة بين 4 و8 %.

بالنسبة لمعظم الموضوعات، يعتمد الناس على مزيج من البرامج الإخبارية والمواقع الإلكترونية والمجلات والمحطات الإذاعية والحديث مع أصدقاء ورأيهم الخاص. ونظراً

لأن معظم هذه المصادر تقريباً غير علمية، ينتهي الأمر بمعظم الناس إلى تبني أفكار خاطئة عما يجري من حولهم. إنهم يتأثرون بما يبدو صحيحاً، وبما يرغبون في رؤيته. نادراً ما يقضون وقتاً في النظر إلى الحقائق المجردة الباردة لما يحدث حقاً.

أدعوك للشروع في متابعة نزعة من اختيارك على www.microtrending.com. كنت قد زوّدتك بميزة تنافسية مع خمس وسبعين نزعة في هذا الكتاب، ولا شك أنك قد لاحظت عدّة نزعات في محيطك في أثناء قراءتك له، واستحضرت في مخيلتك عدّة نزعات كنت قد رأيتها سابقاً. في هذا الكتاب، كنت قد حاولت التأكيد على أنه عبر التركيز على الحقائق والأرقام، يمكنك رؤية عالم موازٍ تقريباً - مخفي عادة، وبالرغم من ذلك يحدّق في وجوهنا. كان كل شيء تقريباً في هذا الكتاب قد جاء من مصادر متوافرة للعامة؛ وكل شيء موجود لكل من يريد النظر إليه. وتدل نظرة على الأرقام إلى أنه ينبغي على المزيد من الناس النظر إلى الأرقام أكثر. إنها حجر الزاوية لفهم التغييرات في المجتمع. ربما استطاع ألكسيس دو توكفيه أن يفهمنا من أول نظرة عندما كانت أمريكة صغيرة ويافعة، لكن ربما لا يستطيع اليوم إرسال برقيات تحتوي معلومات صحيحة إلى بلده.

نمر بتغييرات عميقة بطرق متناقضة - مجتمع يصبح أفراده أكبر عمراً، لكنهم بالرغم من ذلك يعملون مدة أطول؛ مجتمع يكافح ليكون أكثر صحة، وبالرغم من ذلك لم تصل معدلات البدانة أو استهلاك الكافيين إلى أعلى مما هي عليه الآن؛ مجتمع يناقش على نحو متزايد أسلوب السياسي وشخصيته، بالرغم من أنه أكثر ثقافة مما كان عليه سابقاً.

ويمر العالم نفسه ببعض التغييرات المثيرة: في حين يصبح العلم أكثر أهمية، يزداد الاهتمام بالدين؛ بينما تزداد الحرية الاقتصادية والرأسمالية، تتراجع الديمقراطية وحقوق الإنسان؛ وتشهد مجتمعات تشجع كثيراً إنجاب الأطفال تراجعاً حاداً في عدد السكان.

يتم وضع القوانين الجديدة للنزعات تحت المجهر؛ لأن لكل نزعة، نزعة مضادة. مقابل كل دفعة نحو الحداثة، هناك جهد للمحافظة على القيم القديمة. مقابل كل مهوّس بالإنترنت، هناك أولئك الذين يحبون الحياكة والتماس الطمأنينة والهدوء. مقابل كل اندفاع للحصول على معلومات فورية، هناك أشخاص يريدونها طويلة، وتفصيلية، وتتطلب تفكيراً كبيراً. مقابل كل موجة من المنازل دون أطفال، هناك موجة من المنازل مع حيوانات أليفة.

تعكس نزعات مجهرية اندفاع الإنسان نحو الفردية، في حين تسعى الحكمة التقليدية غالباً إلى دفع المجتمع نحو القاسم المشترك الأصغر. كما قلت في المقدمة، كنا قد رأينا أن اقتصاد فورد الأصلي يفسح المجال لاقتصاد ستاربكس - تعدد الخيارات بوصفها وسيلة للتعبير عن الذات وإرضاء النفس.

بعض النزعات كبيرة وواضحة، وتؤثر على معظمنا. لكن شيئاً فشيئاً، ما يشكّل العالم هو سلسلة من الرغبات القوية والقوى المخفية التي تعمل تحت السطح. وفي تلك القوى بذور تغييرات غير متوقعة. إنها تفسر عدم تراجع الحروب والنزعات؛ صعوبة السيطرة على الحرية الاقتصادية؛ ولماذا نرى فجأة قبولاً لأنماط حياة وزواج لم تكن مقبولة آلاف السنين.

تبدأ الحركات من قبل مجموعات صغيرة من أشخاص متفانين، شديدي الاهتمام بها. لهذا السبب نموذج منظمة القاعدة، والتركيز على عدد المرتدّين عن الإرهاب، عامل جوهري. الحركات الفائزة ليست بالضرورة حركات الأغلبية، لكنها تلك التي لديها قوة محركة خلفها. يمكن لعشرة أشخاص مع مدافع مضادة للدروع التغلب على 1000 شخص يحملون أوتاداً، لكنهم لا يستطيعون التغلب على 10.000 يحملون أوتاداً. هذا هو سحر عتبة 1%، وإمكانية أن تصبح نزعة مجهرية محور تغيير العالم.

كانت العديد من النزعات التي أوردتها في هذا الكتاب ممتعة - لكن كلها تقريباً لها جانب مهم. ربما يكون لـ«محبة السامية» جانب ممتع، مع دعابات إثنية عن العثور على زوج ماهر في إبداء الملاحظات، لكنها تمثّل أيضاً انهيار حواجز بقيت صامدة آلاف السنين. ربما تدفع حيوانات أليفة تحل مكان الأطفال مبيعات الأدوات المخصصة للكلاب

إلى مستويات قياسية، لكنها ستغير أيضاً مواقف الناس نحو الحيوانات وطريقة معاملتها. ربما يبدو «كارهو الشمس» سخيفين بقمصان كاملة على الشاطئ، لكنهم ربما يعيدون تشكيل سياسة الاستجمام والبيئة لدينا. إذا أصبح الناس أطباء أنفسهم، فلن يذهب الكثير منهم إلى أطباء حقيقيين، وسنخسر أرواحاً كثيرة عندما يسيء هؤلاء تشخيص حالاتهم.

هل يشير اهتمام الشبان بأنشطة مثل الحياكة إلى عودة إلى بعض الأساسيات - يحظى الناس بفرصة لصنع شيء بأيديهم؟ أم أن اهتمامهم بأن يصبحوا قنّاصين سيقود إلى المزيد من الأعمال الإجرامية الجبانة؟ أم أن ذلك سيغير نظرتنا للحرب ككل؟

والواضح، مع تجار المدرسة الثانوية من جانب ومتقاعدين عاملين من جانب آخر، أن الناس يتطلعون للعمل أكثر على كلا طرفي حياتهم — مع كل الكلام عن أهمية الوقت مع العائلة والأولاد، يسعى الأمريكيون للبقاء وقتاً أطول في العمل وأقل مع العائلة. من هنا جاء ازدياد عدد الأسر التي تتألف من شخص واحد.

على الرغم من أن هناك موجة من الاهتمام بالدين، إلا أن الناس حول العالم ينجذبون نحو كنائس أصغر وشيع جديدة من الدين. تحاول بعض الأديان القديمة تحديث نفسها، وإصلاح تعاليمها وإدخال نساء إلى هيئة مبشّريها. تحافظ أخرى بقوة على التقاليد. ربما لا نرى في مكان آخر تناقضاً في النزعات المجهرية كما نراه في الحركات الدينية اليوم. لكن هذا يدل على أن ما نراه الآن سينمو على الأرجح - سيكون المزيد والمزيد من الناس معتنقين بالاسم أحد الأديان، وفي الوقت نفسه، سيزداد الأتباع ورعاً ونفوذاً. ينبغي أن نكون حذرين في مراقبة نمو المعتقدات الغريبة، ونحافظ في الوقت نفسه على الفصل بين الدين والدولة.

وفي السياسة، نرى على نحو متزايد كيف أن الحزبين الديمقراطي والجمهوري يتألفان من تحالفات هشّة يصبح أعضاؤها أكثر تشدداً وتصلباً في مواقفهم. على الجانب الجمهوري، يبدي اليمين النصراني، ورجال الأعمال الذين يطالبون بخفض الضرائب، والمستقلون المناهضون للحكومة، والرجال الوطنيون توترهم؛ لأن التحالف

الفضفاض الذي كان يشكل حزبهم يتهاوى. وعلى الجانب الديمقراطي، ينبغي على التحالف التاريخي بين أعضاء الاتحادات، والأقليات، والنساء، والمعتدلين وضع أولويات وتقنيات جديدة بالكامل للحركة التحررية المعاصرة.

وهكذا، هناك حديث عن ظهور مرشح حزب ثالث ورابع وخامس. يشير النموذج الحالي إلى أنها مسألة وقت فقط قبل أن ينفرط عقد حزب أو آخر، وسيشكل ذلك تغييراً هائلاً في السياسة الأمريكية. ابتداءً من ربيع 2007، عمل الحزب الديمقراطي بنشاط وأظهر وحدة أكبر. يخسر الحزب الجمهوري، من جانب آخر، أعضاءه وربما هويته، وقد يكون أكثر نضجاً للتفتت.

في مسألة بالغة الأهمية بعد أخرى، نرى إمكانية لتقسيم أكبر، وتأثير النزعات المجهرية في تسريع ذلك التقسيم. نشاهد مجموعات تعبر عن شخصيتها بطرق جديدة، وتزيد من ضغطها على الدين والسياسة والثقافة العامة وبنية الأسرة.

الجانب الآخر من تفكك المجتمع هذا هو ازدياد التسامح. إذا أصبحت الخيارات الشخصية مهمة أكثر، فأكثر للناس فستصبح حقوق الأقلية مهمة للتعبير عن تلك الاختلافات. أظن أننا نرى تسامحاً جديداً الآن بشأن أنماط حياة مختلفة، بما في ذلك القبول السريع لنمط حياة المثليين. على الرغم من أن زواج المثليين بوصفه سياسة فشل في العديد من الولايات، إلا أن التمييز في المعاملة مع المثليين والسود واللاتين والنساء لم يعد لها وجود - وتعليق مهين واحد مثل ذلك الذي أدلى به عضو مجلس النواب عن فيرجينيا جورج آلان، أو الممثل السابق في سينفيلد Seinfeld مايكل ريتشارد، أو الممثل الهزلي دون إيموس قد ينهي حياة المرء المهنية.

إذا أصبح الزواج عبر الإنترنت عادياً، فستخرج الطرق القديمة التي تعتمد الدين والجوار والعرق والنادي الريفي من النافذة. تظهر نتائج انهيار الحواجز، وحرية الاختيار المتزايدة، الآن في قلب كل خيارات الحياة الرئيسة للناس.

لكن الفكرة المركزية لهذا الكتاب هي أن المجتمع يتغير بطرق لا يقدّرها أو يفهمها سوى القليل من الناس. بالتركيز فقط على نزعات رئيسة تصل إلى «حدها الأقصى»،

يغفل جُل المراقبين عن حقيقة أنه لا ينبغي بالنزعة الوصول إلى ذلك الحد لتكون ناجحة ولها تأثير كبير على المجتمع.

أكثر من 600.000 مجرم يخرجون من السجن كل سنة بمعدل يفوق ثلاثة أضعاف ما كان عليه الأمر قبل عشرين سنة فقط. إن لم نفعل شيئاً مختلفاً تماماً لهؤلاء السجناء الذين يتم إطلاق سراحهم، فسيزداد معدل الجريمة، وسيعاني مجتمعنا نتيجة ذلك.

يستعرض المهاجرون الذين كانوا يختبئون في الظل عضلات قوتهم السياسية بالتأثير على ملايين المهاجرين الشرعيين الذين يصوّتون ويقطنون في ولايات متأرجحة رئيسة. إن لم يتم معالجة مسألة هجرتهم وقضايا محلية رئيسة أخرى، فسيؤدون دوراً محوريا -وربما حاسماً- في السياسة، وقد يحددون من سيكون رئيسنا المقبل.

إذا ذهبت عدّة ملايين أخرى من الأمريكيين إلى القطاع غير الربحي، وأعلنوا أن حياتهم لا تتعلق بالأموال التي يمكن أن يكسبوها وإنما بالأشياء الجيدة التي يقومون بها، فسيكون لذلك دور مهم في تغيير نموذج النجاح في هذا البلد.

وتدل العديد من النزعات العالمية التي سلّطت الضوء عليها أنه ليس هناك مجتمع منيع من خيارات جديدة يقدم عليها الناس. يغير رجال الأعمال في فيتنام والفنانون في الصين شخصية وصورة هذين البلدين. سواء كانت عبر اقتصاد متجدد أو تعبير فني، تؤثر نزعات مجهرية على نحو كبير على الجميع في هذين المجتمعين؛ لأن المزيد من الناس يسعون لزيادة مساحة التعبير سواء بهذين الشكلين أو طرق مبتكرة أخرى.

كان بعضهم قد جادل أن ازدياد الخيارات في كل من المنتجات والهوية محيّر ومدهش – ويثير حتى الاكتئاب. كان مالكولم غليدويل قد أوضح في كتابه طرفة عين Blink وباري شوارتز في مفارقة الخيار Paradox of Choice، أن وجود أربعة وعشرين نوعاً من المربّى سيجذب المتسوقين إليه، لكن وجود ستة أنواع من المربّى سيدفع في الواقع المبيعات للارتفاع. إن وجود الكثير من الخيارات يزيد من الشعور بالضغط، والعبء، والأسف. سنتخلى عملياً عن شراء مربّى بدلاً من النظر إلى الخلف والخوف من أن نكون

قد اخترنا الصنف الخطأ. ربما لن نطوّر أنفسنا لنكون شخصيات مستقلة؛ خوفاً من اختبار خيبة الأمل؛ لأننا لسنا كاملين (بالتأكيد).

ربما. لكن بصراحة، كان ذلك القطار قد غادر المحطة. لن تتوقف ستاربكس عن تزويدنا باثنين وأربعين صنفاً من القهوة، وخمسة أصناف من الحليب، وستة عشر صنفاً من محسّنات النكهة، وتسعة أنواع من مواد التحلية – ولن يرغم العالم الناس على العودة إلى وضع أدوار مهنية، أو روحية محددة سلفاً. لهذا بالرغم من أنه من الذكاء تعلم إدارة الخيارات إذا أصبحت كثيرة، القصد هو أنه، في عالم اليوم، إمكانية تحقيق الرضا عن الذات؛ نظراً للخيارات الفردية والحرية المتوافرة في أعلى مستوى لها.

كان مراقبون آخرون لازدياد الخيارات والتخصص قد جادلوا بأن الازدهار يهدد التماسك المجتمعي. إذا كان كل شيء متعلقاً بالهوية الذاتية –من الجنس إلى الدين إلى التوقعات بشأن الزواج– عندها ربما لا يكون هناك وحدة ومجتمع وأمريكة موحدة وإنسان عالمي.

حسناً، ربما لم تكن هناك وحدة قومية شديدة التماسك سابقاً وفقاً لما يتذكره علماء الأساطير. هذه أمة لطالما كانت تتكلم مئات اللغات. هذه أمة خاضت حرباً أهلية لاستعباد ثلث شعبها. بالفعل، أشهر الوثائق الاتحادية، حجر الزاوية الفكري في تأسيس أمريكة، هي بحث جيمس ماديسون عن «الفصيل»، الذي يصف حتمية (وإنتاجية) وجود مجموعات ذات اهتمامات خاصة ومتنافسة فيما بينها في أمريكة.

لا، المختلف الآن ليس أن فصائل المجتمع أضحت أكثر عدداً، وإنما أنها منقسمة وفقاً لمجموعات من الخيارات الشخصية بدلاً من الظروف، مثل العرق – أو الثروة، مثل امتلاك الأراضي. نحن على الأقل منقسمون بشدة مثل أي ديمقراطية صحية، لكن وفقاً لمعايير جديدة تتعلق بالخيارات. وبالرغم من ذلك، إن كان من نتيجة لذلك، لدينا الآن جاليات أكثر. الآن، تستطيع 1 مليون عائلة ترغب في تعليم أولادها في المنزل العثور على حلفاء يشاطرونها الرأي والموارد على الإنترنت – بدلاً من أن تشعر بأنها معزولة، غير مستعدة لذلك، أو تتراجع عن أولوياتها. الآن، يستطيع 2 مليون شخص يدركون في وقت

متأخر من حياتهم أنهم شواذ العيش علانية مع تلك الحقيقة - يجدون وعائلاتهم دعماً من مجتمعات إلكترونية في كل أنحاء البلاد والعالم.

لهذا فيما قد يعدّ بعضهم إن القول بأن انقسام مجتمعات القرن الحادي والعشرين مثل أو أكثر من مجتمعات سبقتها متشائم، أظن من جهتي أنها أنباء سارة.

بالتأكيد، في أرض تتغير فيها الخيارات الشخصية بسرعة ويتم التعبير عنها بقوة كبيرة، سيكون صعباً على ديمقراطيات، سواء كانت ناشئة أو قديمة مثل الولايات المتحدة، أن تدير كل التداخلات المتشابكة بشأن القيم الخاصة والموارد العامة. لن تكون هناك حلول قومية بسيطة، والسياسيون الذين يحاولون أن يقولوا لك: إنها موجودة يخدعونك و/أو يخدعون أنفسهم. العالم يصبح بالفعل أكثر تعقيداً واختلافاً، بمعايير الطرق التي يوزع بها الناس مواردهم - مثل المال، والوقت، والطاقة، والتصويت، والحب.

لكن اتساع الخيارات الشخصية سيجعل أيضاً نجاح حكم الفرد الواحد، القديم والجديد، مستحيلاً. تفسح الصين المجال للأسواق الرأسمالية والفنانين؛ لأنه حالما تنكشف له معلومات باقي العالم، لن يوقف شعبها الذي يبلغ تعداده مليار نسمة أي شيء. تفسح الهند المجال لعمل النساء؛ لأنها حالما عرفت قوة إسهامهن، لم تعد ترغب في العودة إلى الوراء. ربما سيشكل الإسلام الأصولي مفارقة، وفقاً لطريقة تطوره في السنوات القليلة القادمة. بطرق متعددة، إنه ضحية تعدّد الجماعات ضمنه التي تدّعي أنها تمثل الدين الصحيح بشيوخها وفتواهم. بطرق أخرى، يبدو أنه يحاول إحياء الطقوس الدينية وكبت الخيارات الشخصية بوصفها طريقة أسمى في الحياة. إنها نزعة بارزة، وازدهارها رهن ربما بازدهار كل النزعات المعاصرة. يعرف المتطرفون ذلك، ولهذا السبب كانوا قد حصّنوا أنفسهم ضد تلك النزعات، ووصفوها حتى بالشريرة. كان العالم قد شهد تكراراً حقباً حالكة بعد حقب تقدم، من سقوط روما إلى العصور الوسطى؛ لأنه فشل في الاستعداد كما ينبغي لنزعة نمت من بذرة صغيرة. يكمن ضعف عالم تحركه الخيارات الشخصية في أن تنظيم الخيار الجماعي يصبح أكثر صعوبة؛ لأن مجموعات صغيرة تعارض ذلك الإجراء قد تصبح أكثر قوة. من ناحية، ينبغي أن يؤدي

ذلك التأثير إلى التخفيف من فرص اندلاع الحروب؛ ومن ناحية أخرى، يصبح القيام بعمل جماعي ضد أعداء أكثر صعوبة.

لهذا ربما تجد ديمقراطيات المستقبل صعوبة في الحفاظ على تحالفات مستقرة، وستجد أن التحالف على أساس القضية ونمط العيش (مثلاً، نشطاء ضد الحرب، أو أمهات عازبات) ستحل على الأرجح محل سياسات الماضي المتماثلة. سترتكز المزيد من الأفعال على تحالفات 51 % بدلاً من رأي عام موحد على نطاق واسع؛ لأن الخيار الشخصي ينحو لسحب الناس في اتجاه معاكس ويجعل تجميع الناس صعباً للغاية. لكن هذا يعني أيضاً أن توحيد الناس خلف أنظمة ديكتاتورية جديدة سيكون صعباً. كلما تجاهل ذلك النوع من الأنظمة قوة النزعة المجهرية، وجد نفسه يواجه متاعبَ مع مواطنيه.

ستصبح النزعات المجهرية الوسائل المهيمنة في الإعلان والتسويق، وتحل مكان الطرق القديمة المتمثّلة في الإذاعة والتلفاز. لهذا السبب ارتفعت مبيعات شركات إعلان الإنترنت حالياً - سيكون الإعلان والتسويق على نحو متزايد على أساس شخصي. سيتم شخصنة كل وسيلة اتصال ممكنة، وسيقود هذا إلى توسع كبير في صناعة الاتصالات الشخصية التي ستكون مهمتها الإعلان عن المنتجات الصحيحة للأشخاص المناسبين. تصبح شركات الإنترنت الكبيرة مخازن لمعلومات شخصية يمكن استعمالها لتنظيم حملات تسويق المستقبل.

يصل الخيار الشخصي إلى أعلى مستوياته في الحياة الاجتماعية، والمزيد من الخيارات تعني المزيد من المواعدة وطيفاً واسعاً من الأزواج المحتملين. لم يسجل التاريخ من قبل أن الفرد استطاع الخروج بمثل هذه السهولة من دائرته/دائرتها الاجتماعية للعثور على أزواج محتملين. يمتلك مزيج العلاقات العاطفية في العمل وعلى شبكة الإنترنت الفرصة لتحطيم أي نظام طبقات، وإنشاء شكل جديد من مؤسسة الزواج.

والأنماط الأوسع من الخيارات واضحة: المزيد من العمل؛ والمزيد من الرضا الذاتي؛ ووحدات عائلية جديدة؛ وحرية اجتماعية، واقتصادية، وبدنية أكبر، ودوائر أوسع من الأصدقاء والمعارف؛ وانخراط أكبر في المجتمع.

سيكون الجيل المقبل من العاملين أفضل تعليماً وأكثر تآلفاً مع التقانة، وبرغم ذلك سيكون إرضاؤهم أكثر صعوبة إلا أن تمت معاملتهم بطرق جديدة تناسب توقعاتهم بخيارات غير محدودة. ينبغي أن يتم استهداف العاملين بدقة منذ اليوم الأول - وتزويدهم بمستشارين مؤهلين، ورسائل تحفيز، وبرامج ولاء معدّلة.

واضح أيضاً أنه في مناطق عديدة أيضاً، ستستمر نزعات متناقضة في إنشاء أسواق جيدة لكلا طرفي الطيف. سيستمر الطعام الصحي موجوداً جنباً إلى جنب مع خيارات شهية المذاق لكنها ليست صحية. سيكون هناك المزيد من الاهتمام بالأولاد بوصفهم محور الحياة إلى جانب تركيز الأسر على الرضا الذاتي. سيزداد التوتر بين الدين والعلمانية مع تبني قطاعات ضخمة لإحدى وجهتي النظر. في حين ستبقى الأمهات مركز الحياة العائلية، إلا أن العلاقات الجديدة التي سيقيمها الأولاد مع الآباء بما في ذلك وجود آباء أكبر سناً وآباء مطلقين ستحظى أخيراً باعتراف في السوق.

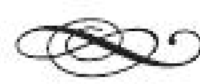
عندما نرجع خطوة إلى الوراء، وننظر إلى الثقافة في أمريكة وحول العالم، ستبدو الذرات المجتمعية التي أطلقت عليها اسم نزعات مجهرية تحرك التغييرات في كل مجالات الحياة اليومية تقريباً. ربما ليس هناك الكثير من حالات الزواج عبر الإنترنت بعد، لكنها تغير بنيتنا الاجتماعية بالتأكيد. ربما تكون نسبة الأسوياء جنسياً متقلبة قليلاً، لكنها تؤثر علينا جميعاً. تشكل النُّخب القانعة بأوضاعها في أمريكة، بعيداً عن أي نزاع اقتصادي حقيقي، وجهات نظر وسائل الإعلام في العالم كله. ربما يكون عدد الفنانين في الصين ضئيلاً مقارنة بعدد المهندسين، لكنهم بدؤوا سحب أكبر بلد في العالم باتجاهات جديدة.

خلف كلٍ من تلك النزعات، كما أظن، هناك مستوى من العقلانية تقود ذلك التغيير. ينام الناس وقتاً أقل؛ لأنهم يعملون أكثر. يعامل الذين يعيشون وحدهم الحيوانات الأليفة كأطفال؛ لأنهم يتوقون للأولاد الذين كانوا قد انتقلوا إلى حياتهم الخاصة بهم. يصبح الآباء أكثر تساهلاً؛ لأنهم يعتقدون أن الكلمات أكثر فاعلية من ظاهر اليد. ما يجعل

فكرة نزعات مجهرية تبرز بقوة هو أنه نادراً ما تكون هناك طريقة صحيحة واحدة لفعل الأشياء – وأن أشخاصاً متشابهين يتخذون خيارات مختلفة جداً ويبدؤون نزعتين متناقضتين تماماً. وبرغم ذلك، قد يكون كلا هذين الخيارين منطقياً تماماً. حتى أولئك الذين يختارون درباً غير منطقي البتة –الإرهاب– يظهرون كمن ينتقون خياراتهم بناءً على دراسة متأنية ومعتقدات راسخة. تمثّل نزعة «المزيد من الاهتمام» حركة بعيدة عن قرارات يتم اتخاذها في ثوانٍ ونحو تفكير أكثر عمقاً وتأنياً.

الواضح أن الخمس والسبعين نزعة مجهرية في هذا الكتاب نماذج لآلاف النزعات الموجودة أصلاً، وهناك نزعات جديدة تظهر كل يوم. كان خوف المستقبل الكبير أن تتحول المجتمعات الكبيرة إلى مجتمعات دون هوية، وإرغام الناس على الانسجام مع كل ما يدور حولهم – يبدو الجميع متشابهين، ويرتدون ملابس متشابهة، ويُطلب إليهم التفكير على نحو متشابه. كان ذلك يُعدّ تضحية ضرورية لإطعام وإكساء عدد متزايد من السكان بموارد متناقصة. لكنني أقول: إننا نتحرك في الاتجاه المعاكس تماماً – مستقبل يصبح فيه الخيار، الذي تحدده الأذواق الفردية، عاملاً مهيمناً، والذي تتعزز فيه تلك الخيارات بالقدرة على التواصل والتفاهم مع مجتمعات بالغة الصغر.

نادراً ما يأخذ المستقبل الشكل الذي نتوقعه له. السبب هو أن معظم التوقعات تأتي من الحكمة التقليدية نفسها التي تفرض الإجماع من حولنا، وتستند أساساً إلى ملاحظات كبيرة يمكن رصدها بسهولة مثل مدى الاقتصاد العالمي. لكن عندما تمعن النظر في الأمر، ترى عالماً يزخر بتطورات غير معروفة لا يمكن ملاحظتها بسهولة وتشكل حقاً القوى الصغيرة التي ستحرك تغييرات الغد الكبيرة.



المراجع

] الحب، والجنس، والعلاقات
عُزاب ونسب مرتبطة بالجنس

The Social Organization of Sexuality study was first reported in Edward O. Laumann, John H. Gagnon, Robert T. Michael, and Stuart Michaels, *The Social Organization of Sexuality: Sexual Practices in the United States* (University of Chicago Press, 1994). The third study cited is Samuel S. Janus and Cynthia L. Janus, *The Janus Report on Sexual Behavior* (Wiley, 1994). All three studies are referenced in Paul Varnell, "More Gays than Lesbians," on the Web site the Independent Gay Forum, November 30, 1999, accessed June 2006, at http://www.indegayforum.org/news/show/26996.html.

The data in the graph on the number of unmarried women in America come from U.S. Census, "Marital Status of the Population 15 Years Old and Over, by Sex and Race: 1950 to Present," accessed June 2006, at http://www.census.gov/population/socdemo/hh-fam/msl.csv.

For more on the sex ratio in America, see T. J. Mathews, and B. F. Hamilton, "Trend Analysis of the Sex Ratio at Birth in the United States," *National Vital Statistics Reports*, Vol. 53, No. 20, Hyattsville, MD: National Center for Health Statistics, 2005, accessed at http://www.cdc.gov/nchs/data/nvsr/nvsr53/nvsr53 20.pdf.

The percentage of gay people in America is difficult to measure; see discussion at "Demographics," http://www.glbtq.com/social-sciences/demographics.html. But many studies hover at about 5 percent overall, and polls from Penn, Schoen & Berland Associates (PSB) conducted in recent years regularly yield that percentage.

Data on the gender ratio in the black community come from U.S. Census, "Population by Sex and Age, for Black Alone and White Alone, Not Hispanic: March 2004," U.S. Census Bureau, Current Population Survey, Annual Social and Economic Supplement, 2004, Racial Statistics Branch, Population Division, accessed at http://www.census.gov/population/socdemo/race/black/ppl-186/tabla.pdf and http://www.census.gov/population/socdemo/race/black/ppl-186/tablb.pdf.

Data on the incarceration rates of black males and females come from Paige M. Harrison and Allen J. Beck, Ph.D., "Prison and Jail Inmates at Midyear 2005," *Bureau of Justice Statistics Bulletin*, May 2006, NCJ 213133, accessed at http://www.ojp.usdoj.gov/bjs/pub/pdf/pjim05.pdf.

For information on average life expectancy, see E. Arias, "United States Life Tables, 2003," *National Vital Statistics Reports*, Vol. 54, No. 14, Hyattsville, MD: National Center for Health Statistics, 2006, accessed at http://www.cdc.gov/nchs/data/nvsr/nvsr54/nvsr54 14.pdf.

The National Association of Realtors data on single women purchasing homes was cited in David Calvert, "Dream House, Sans Spouse: More Women Buy Homes," *USA Today*, February 14, 2006.

The data on the rise in Single Mothers by Choice come from Amy Harmon, "More Single Women Become Mothers by Choice," *New York Times*, December 29, 2005.

For information on degrees conferred by sex, see "Bachelor's, Master's, and Doctor's Degrees Conferred by Degree-Granting Institutions, by Sex of Student and Field of Study: 2002–03," National Center for Education Statistics, accessed at http://nces.ed.gov/programs/digest/d04/lt3.asp.

لبوات: نساء يواعدن رجالاً أصغر سناً

The data on dating habits of women aged 40–69 come from a study conducted by Knowledge Networks, Inc., for the AARP magazine: Xenia P. Montenegro, Ph.D., "Lifestyles, Dating and Romance: A Study of Midlife Singles," *AARP The Magazine*, September 2003, accessed August 2006 at http://www.aarp.org/research/family/lifestyles/aresearch-import-522.html.

The census-based comparisons come from L. A. Johnson, "Love for All," *Pittsburgh Post-Gazette*, October 9, 2005. This article also summarized the changes in dating preferences on Match.com.

Valerie Gibson was quoted on the ABC News Web site, "Are More Older Women with Younger Men?" May 5, 2005, <http://abcnews.go.com/Primetime/print?id=731599>, accessed August 2006.

The data on live births to women aged 40–44 and 45–49 come from the National Center for Health Statistics, Vital Statistics of the United States, 1994, Vol. 1, "Natality, Table 1–13," Live Births by Age, Race and Hispanic Origin of Mother: United States and Each State, 1994, accessed March 2007; and the National Vital Statistics Reports, Vol. 55, No. 1, Table 2, "Live Births by Age of Mother, Live-Birth Order, and Race of Mother: United States, 2004," September 29, 2006, accessed March 2007.

عشّاق في المكاتب

The Vault Survey, cited throughout, is their "Office Romance Survey," conducted January 2006, with 693 responses from employees representing a variety of industries across the U.S., accessed April 2007, at http://www.vault.com/nr/newsmain.jsp?nr page=3&ch id=420&article id=26126479.

The Hotjobs survey was accessed April 2007, at http://hotjobs.yahoo.com/jobseeker/about/press releases/021103.html.

The data on approval of co-worker relationships come from a 2005 CareerBuilder.com survey, "Office Romance," conducted in January 2005 of more than 1,300 workers, accessed April 2007, at http://www.careerbuilder.com/share/aboutus/pressreleasesdetail.aspx?id=pr160&sd=2/7/2005&ed=12/31/2005&cbRecursionCnt=l&cbsid=lda66156dedf4c9e83ee497e5c8abb8d-230303910-J5-5.

Data on singles in the workforce come from Marshall Loeb, "5 Tips to Consider When You Fall in Love on the Job," www.careerjournal.com, September 22, 2005; and Ellen R. McGrattan and Richard Rogerson, "Changes in Hours Worked, 1950–2000," Federal Reserve Bank of Minneapolis, *Quarterly Review*, Vol. 28, No. 1, July 2004.

Data on male versus female behavior come from "Interoffice Romance Survey," a joint survey sponsored by LexisNexis Martindale-Hubbell's Lawyers.com and *Glamour* magazine, August 12, 2004.

The SHRM study is Michael Parks, "2006 Workplace Romance: Poll Findings," a study by the Society for Human Resource Management and Careerjournal.com, January 2006.

Data on female Ph.D.'s come from U.S. Department of Education, National Center for Education Statistics, Higher Education General Information Survey (HEGIS), "Degrees and Other Formal Awards Conferred" surveys, 1976–77 through 1984–85, and Integrated Postsecondary Education Data System (IPEDS), "Completions" surveys, 1986–87 through 1998–99, and Fall 2000 through Fall 2002 surveys, table, prepared August 2003, accessible at http://nces.ed.gov/programs/digest/d03/tables/pdf/table270.pdf.

زواج المسيار

The *Times* story on the Clintons was Patrick Healy, "For Clintons, Delicate Dance of Married and Public Lives," *New York Times*, May 23, 2006.

Data on married couples in 2005 living apart from their spouses for reasons other than separation come from U.S. Census, accessed June 2006, at http://www.census.gov/population/socdemo/hh-fam/cps2005/tabA1-all.csv. The 1990 data come from http://factfinder.census.gov/servlet/DTTable? bm=y&-ds name=DEC 1990 STF3 & CONTEXT=dt&-mt name=DEC 1990 STF3 P027&-mt name=DEC 1990 STF3 P038&-redoLog=false&- caller=geoselect&geo id=01000US&-geo id=NBSP&-format=&-lang=en&-SubjectID=11745086.

The AARP data come from a January 11, 2005, KCET.org radio transcript, accessed June 2006, at http://www.kcet.org/lifeandtimes/archives/200501/20050111.php, quoting Nancy Griffin of *AARP The Magazine*.

For more from the Center for the Study of Long-Distance Relationships, and Dr. Gregory Guldner, see http://www.longdistancerelationships.net/.

In the International Picture, the Global Relocation Survey can be found at http://www.iht.com/articles/2004/03/27/rspouse ed3 1.php#. The Kuwait data come from "Foreign Workers in the Middle East," *Migration News*, Vol. 3, No. 4, December 1996. Data on Egypt and Saudi Arabia come from http://www.migrationdrc.org/research/regions/egypt themiddleeast.html, and the Saudi earnings data come from http://www.enews.ma/foreign-workers i39834 0.html. Data on Dubai come from Eric Weiner, "Thanks for Your Hard Work. Now Get Out!," *Slate*, August 15, 2005, accessed January 2007, at http://www.slate.com/id/2124497/fr/rss/.

زواج الإنترنت

The Pew study relied on this chapter is Mary Madden and Amanda Lenhart, "Online Dating," Pew Internet and American Life Project, March 5, 2006.

The online dating magazine Web site was accessed March 2007, at www.onlinedating magazine.com.

Marriage data come from National Vital Statistics Report, Vol. 54, No. 8, "Births, Marriages, Divorces, and Deaths, Provisional Data for June 2006."

The PSB poll of Internet Marrieds was conducted online on March 27–28, 2007.

2 الحياة العملية

المتقاعدون العاملون

The data on seniors in the workforce come from "Labor Force Participation of Persons Ages 62 and Over, 1982–2005," Current Population Survey (CPS), Bureau of Labor Statistics.

The data on vacation days worldwide come from the World Tourism Organization, whose Web site is http://www.world-tourism.org/. For more on unused vacation and working while on vacation, see Stephanie Armour, "U.S. Workers Feel Burn of Long Hours, Less Leisure," *USA*

Today, December 18, 2003; and "Annual Expedia.com Survey Reveals 51.2 Million American Workers Are Vacation Deprived," *April 25, 2007*, accessed May 2007, at http://press.expedia.com/index.php?s=press releases&item=372.

The Merrill Lynch survey report is "The Merrill Lynch *New Retirement* Survey: A Perspective from the Baby Boomer Generation," February 23, 2005. The survey itself interviewed 3,448 *U.S. baby boomers by* phone and online in February 2004.

For more on occupations preferred by older workers, see "Old. Smart. Productive: Surprise! The Graying of the Workforce *Is Better News than You Think," BusinessWeek, June 27, 2005.*

The traffic accident data come from National Highway Traffic Safety Administration, Table 63, "Driver Involvement Rates per 100,000 Licensed Drivers, by Age, Sex, and Crash Severity," accessed February 2007, at http://www-nrd.nhtsa.dot.gov/pdf/nrd-30/NCSA/TSFAnn/2004HTML/TSF2004.htm#chap2.

C. Eugene Steuerle, "Working to Fix Our Fiscal Woes," *Washington Post*, April 14, 2006. Thanks also to Dr. Steuerle for personally walking us through some of this analysis by telephone.

الانتقال من المنازل إلى أماكن العمل

Some key Extreme Commuter articles, from which some of the cited data are drawn, include Keith Naughton, "The Long and Grinding Road," *Newsweek*, May 1, 2006; "Extreme Commuting," *BusinessWeek Online*, February 21, 2005; and Debbie Howlett and Paul Overberg, "Think Your Commute Is Tough?," *USA Today*, November 29, 2004.

As of March 2007, the American labor force numbers 146.3 million people. See Bureau of Labor Statistics, "Employment Situation Summary," accessed April 2007, at http://www.bls.gov/news.release/empsit.nr0.htm.

Data on the average American commute come from U.S. Census, American Community Survey, press release of February 25, 2004, accessed June 2006, at http://www.census.gov/Press-Release/www/releases/archives/american community survey acs/001695.html.

Data on national commuting come from Clara Reschovsky, "Journey to Work: 2000," U.S. Census brief, issued March 2004.

The Midas Muffler contest was reported at Gary Richards, "Your Commute Is Bad? Try 186 Miles Each Way," Knight Ridder Newspapers, May 4, 2006.

Data on 2005 average sale prices of new homes come from U.S. Census, "Median and Average Sales Prices of New One-Family Houses Sold," accessed June 2006, at http://www.census.gov/const/C25Ann/soldmedavgprice.pdf.

"Worst Commute" data were reported in D'Vera Cohn and Robert Samuels, "Daily Misery Has a Number: Commute 2nd-Longest in U.S.," *Washington Post*, August 30, 2006.

Dr. Casada's insights and those of the Georgia Tech researchers are courtesy of "The Long and Grinding Road," cited above.

The ABC/*Washington Post* poll data come from Gary Langer, "Poll: Traffic in the United States," February 13, 2005, accessed June 2006, at http://abcnews.go.com/Technology/print?id=485098.

Robert Putnam, *Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community* (Simon & Schuster, 2000).

For articles helpful to the International Picture, see Vernon Silver, "Cheap European Flights Cater to Both Commuting Doctors and Drunken Revelers," *Bloomberg News*, February 23, 2007; "UK Commute 'Longest in Europe,'" *BBC News Magazine*, July 22, 2003; Sean

Coughlan, "The New Commuter Belt," *BBC News Magazine*, July 18, 2006; Matt Welch, "Fly the Frugal Skies," www.reasononline.com, January 2005; "The Rise of the Super-Commuter," www.cnn.com, April 12, 2005; Vernon Silver, "Ryanair Sparks Surgeon Commutes, European Vacation Home Frenzy," www.Bloomberg.com, February 22, 2007; and Keith Naughton, "Tailing the X-Commuter," *Newsweek International*, July 3–10, 2006.

أشخاص يعملون من المنزل

Trend data on Stay-at-Home Workers come from U.S. Census 2000: "Class of Worker for Workers Who Worked at Home for the United States: 1980 to 2000," accessed September 2006, at http://www.census.gov/population/cen2000/phc-t35/tab01-5.xls.

Demographic data on Stay-at-Home Workers come largely from "Selected Characteristics of Workers Who Worked at Home and Workers Who Did Not Work at Home for the United States: 2000," accessed September 2006, at http://www.census.gov/population/cen2000/phc-t35/tab01-2.pdf.

On the topic of Momtrepreneurs generally, see Mary-Beth McLaughlin, "Moms Spur Growth in Home Businesses," Scripps Howard News Service, November 14, 2006; and Jasmine D. Adkins, "For Women Consultants, Business Is Booming," *Inc.com*, July 19, 2006.

The American Business Collaboration study was cited in Eileen Gunn, "Working from Home Is Losing Its Stigma," *Wall Street Journal Online*, accessed April 2007, at http://www.startupjournal.com/howto/workhome/20041014-gunn.html.

Other articles useful to this chapter included "Getting a Home Office to Work for You," Associated Press, September 3, 2004; Eleena De Lisser and Dan Morse, "More Men than Women Working from Home," *Wall Street Journal Online*, accessed April 2007, at http://www.startupjournal.com/howto/workhome/199906211437-lisser.html; Hugo Martin, "Touting a Telecommunications Trade-Off," *Los Angeles Times*, August 22, 2001; and Jaimee Rose, "The Safety Zone: As Workplace, Home Has Hazards," *Los Angeles Times*, August 14, 2000.

نساء يسهبن في الكلام

For more on Larry Summers and the Women in Science flap, see James Traub, "Lawrence Summers, Provocateur," *New York Times*, January 23, 2005; and Cornelia Dean, "Bias is Hurting Women in Science, Panel Reports," *New York Times*, September 19, 2006.

The 2005 data on women in journalism come from the Bureau of Labor Statistics, Table 11, "Employed Persons by Detailed Occupation, Sex, Race, and Hispanic or Latino Ethnicity"; and Paul Farhi, "Men, Signing Off: As More Women Become TV Anchors and Reporters, Males Exit the Newsroom," *Washington Post*, July 23, 2006. Other useful articles on this issue include Suzanne C. Ryan, "The Vanishing Anchorman: The Number of Male Newscasters on TV Has Reached an All-Time Low. What's the Story?" *Boston Globe*, January 15, 2006; and Vicky Lovell, Ph.D., Heidi Hartmann, Ph.D., and Jessica Koski, "Making the Right Call: Jobs and Diversity in the Communications and Media Sector," Institute for Women's Policy Research, 2006, accessed on May 4, 2006, at http://www.iwpr.org/pdf/C364.pdf.

The 70 percent figure on women in public relations comes from Rick Hampson, "Women Dominate PR . . . Is That Good?" *USA Today*, April 25, 2001. As of 2007, it may be closer to 65 percent.

In 1971, there were 9,947 women lawyers. In 2000, there were 288,060. See American Bar Foundation, *Researching Law*, Vol. 16, No. 1, Winter 2005, p. 7. For the rest of the data on women and the law, see "Legal Education Statistics," Fall Enrollment 2004, American

Bar Association Section of Legal Education and Admissions to the Bar, January 25, 2005, accessed May 2007, at http://www.abanet.org/legaled/statistics/fall2004enrollment.pdf; National Association for Law Placement, November 2004, accessed May 2007, at http://www.nalp.org/press/details.php?id=53.

For data on women in the sciences, see the BLS source cited above; and James Dean, "Gender Gap Attracts Scrutiny: Women Remain Outnumbered at Science Schools," *Florida Today*, February 5, 2005. For more on women in business, see Carol Hymowitz, "Women Swell Ranks As Middle Managers," Associated Press Financial Wire, July 24, 2006.

The insights about "women's issues" climbing on the evening news come from the Farhi article cited above.

For more on women in teaching, see Chris Kenning, "Shortage of Male Teachers Worsens in Elementaries; Stereotypes Add to the Imbalance," *Courier-Journal* (Louisville, KY), November 22, 2004.

نساء يتشبهن بالرجال

For more on women's football leagues, see http://www.womensfootballcentral.com/teams.html; http://www.iwflsports.com/teams.php; and http://www.womensprofootball.com/teams.php.

More about women firefighters fighting discrimination can be found at Rick Barrett, "Firefighting Still Seen by Some as 'Last Male Bastion.'" *Milwaukee Journal Sentinel*, September 19, 2006; and at the Web site of Women in the Fire Service, Inc., http://www.wfsi.org/women and firefighting/faq.php.

Data on women police officers come from "Crime in the United States 2004," accessed April 2007, at http://www.fbi.gov/ucr/cius 04/law enforcement personnel/table 74.html.

Information on women in construction comes from the National Association of Women in Construction Web site, accessed February 2007, at http://www.nawic.org/.

Data on women in the military come from Department of Defense Personnel, 1960–2005, accessed February 2007, at http://www.census.gov/prod/2006pubs/07statab/defense.pdf.

The PSB poll was conducted online on April 2–3, 2007.

The study on gender and excessive force is the National Center for Women and Policing, "Men, Women and Police Excessive Force: A Tale of Two Genders," April 2002, accessed February 2007, at http://www.womenandpolicing.org/PDF/2002 Excessive Force.pdf.

The data on men's and women's marathon times come from Laura Pappano, "Gender Games," *Boston Globe*, September 28, 2003, accessed April 2007, at http://www.boston.com/news/globe/magazine/articles/2003/09/28/gender games/.

3 العرق والدين

سقف الزجاج الملون

Data on growth in women clergy come from the Bureau of Labor Statistics, "Employed Persons by Detailed Occupation and Sex, 1983–2002 Annual Averages." The data on women in divinity school are cited in Neela Banerjee, "Clergywomen Find Hard Path to Bigger Pulpit," *New York Times*, August 26, 2006. Data on religion majors come from the National Center on Education Statistics, accessed September 2006, at http://nces.ed.gov/programs/digest/d05/tables/xls/tabn262.xls and http://nces.ed.gov/programs/digest/d95/dtab242.asp.

The survey of women clergy was conducted by Laura S. Olson, Sue E. S. Crawford, and James L. Guth, "Changing Issue Agendas of Women Clergy," *Journal for the Scientific Study*

of *Religion*, June 2000, and reported in Martin E. Marty, "Women Clergy: The Numbers," accessed March 2007, at http://www.beliefnet.com/story/33/story 3340 l.html; and "Women Clergy: More Liberal, More Political?", *Religion Link*, accessed March 2007, at http://www .religionlink.org/tip 040120b.php.

The survey regarding women clergy being more caring was conducted and reported by Barbara Brown Zikmund, Adair T. Lummis, and Patricia M. Y. Chang, *Christian Century*, May 6, 1998, and accessed March 2007, at http://hirr.hartsem.edu/bookshelf/clergywomen summary.html.

The study of United Methodist clergywomen was conducted by Jesse Shultz et al. and summarized in "UF Study: Female Ministers Face Pettiness, Patriarchy and Pressures," June 9, 1999, accessed March 2007, at http://news.ufl.edu/1999/06/09/clergy/.

The reliance on Adam and Eve to ban women clergy was reported in Marc Schogol, "Black Women's Struggle to Serve from the Pulpit as Well as in the Pews," *Philadelphia Inquirer*, October 26, 1997.

Trend Data on various religions' membership come from http://www.demographia.com/ db-religusa2002.htm; U.S. Census, Table 73, "Self-Described Religious Identification of Adult Population: 1990 and 2001," accessed September 2006, at http://www.census.gov/compendia/ statab/tables/07s0073.xls; and Cathy Lynn Grossman, "'Code' and the Sacred Feminine," *USA Today*, May 23, 2006, accessed September 2006, at http://www.usatoday.com/news/ religion/2006-05-23-code-women x.htm.

The data on hearts and heads come from a poll conducted by PSB in September 2006.

محبة السامية

The data regarding educational attainment among women of various religions were taken from the study conducted for Brooklyn College, CUNY, by Barry Kosmin and Ariela Keysar, "The Impact of Religious Identification on Differences in Educational Attainment Among American Women 2001," *Religion in a Free Market*, Paramount Market Publishing, 2005.

The Roper survey results cited were obtained from searches of the iPOLL Databank and other resources provided by the Roper Center for Public Opinion Research, University of Connecticut, *Survey by Fortune and Roper Organization, July 1939*, retrieved March 16, 2007, from the iPOLL Databank, the Roper Center for Public Opinion Research, University of Connecticut, <http://www.ropercenter.uconn.edu/ipoll.html>.

The Gallup poll regarding attitudes toward different religions can be found in the Gallup Poll News Service, "August Panel Survey," August 28–31, 2006.

The surprising number of non-Jews on JDate was brought to our attention by Sarah E. Richards, "You Don't Have to Be Jewish to Love JDate," *New York Times*, December 5, 2004.

The PSB poll was conducted in September 2006.

عائلات مختلطة الأعراق

Data on the number of interracial marriages in America come from Sharon M. Lee and Barry Edmonston, "New Marriages, New Families, U.S. Racial and Hispanic Intermarriage," *Population Bulletin*, a publication of the Population Reference Bureau, Vol. 60, No. 2, June 2005, p. 11. Thanks to Mr. Edmonston himself for helping us navigate the data.

Data on American attitudes toward interracial marriage come from Allison Stein Wellner, "U.S. Attitudes Toward Interracial Dating Are Liberalizing," www.prb.com, June 2005, citing RoperASW, *Roper Reports 03–3* (unpublished study). The Pew study cited is a Pew Research

Center Social Trends Report, "Guess Who's Coming to Dinner," released March 14, 2006. That study also contains views on interracial dating by age. The Gallup study is Gallup Poll News Service, "Acceptance of Interracial Marriage at Record High," June 1, 2004.

Much of the interracial adoption data come from Lynette Clemetson and Ron Nixon, "Breaking Through Adoption's Racial Barriers," *New York Times*, August 16, 2006. For more on international adoptions, see Sharon Jayson, "New Generation Doesn't Blink at Interracial Relationships," *USA Today*, February 7, 2006.

Data on youth interracial dating come from Ely Portillo and Frank Greve, "Social Integration in the U.S., Including Cohabiting and Marriage, Is Surging," McClatchy Newspapers, July 20, 2006; data regarding members of match.com come from http://www.miami.com/mld/miamiherald/15084469.htm?template=contentModules/printstory.jsp, accessed October 2006.

The survey of interracial couples was conducted March 29–May 20, 2001, by ICR/International Communications Research for the *Washington Post*, and reported at "Race, Dating, and Marriage," July 5, 2001, accessed October 2006, at http://www.washingtonpost.com/wp-srv/nation/sidebars/polls/couples.htm.

Another article useful to this chapter includes Steve Sailer, "2000 Census Shows Interracial Marriage Gender Gaps Remain Large," UPI, March 14, 2003.

Data for the International Picture come from Norimitsu Onishi, "Betrothed at First Sight: A Korean-Vietnamese Courtship," *New York Times*, February 22, 2007; "The Family—International Marriages More Common," *Daily Yomiuri* (Tokyo), December 3, 2005; "Vietnamese Decree to Tighten Foreign Marriage," Deutxhe Presse-Agentur, July 26, 2006; and "More Russian Women Marry Foreigners," TASS, January 15, 2007.

اللاتين البروتستانت

Thanks to my friend and colleague Sergio Bendixen for his review of and thoughtful reflections on this chapter.

Data on the Latino population in America come from U.S. Census, "Nation's Population One-Third Minority," accessed April 2007, at http://www.census.gov/Press-Release/www/releases/archives/population/006808.html.

Data on Latinos and Catholicism, including the data on Latino priests, come from Bruce Murray, "Latino Religion in the U.S.: Demographic Shifts and Trends," accessed August 2006, at http://www.facsnet.org/issues/faith/espinosa.php.

The book cited is Gaston Espinosa, Virgilio Elizondo, and Jesse Miranda, editors, *Latino Religions and Civic Activism in the United States* (Oxford University Press, 2005). The 2003 study on Hispanic churches in American public life is a preliminary study by the same authors.

A useful article on the question of why Hispanics are drawn to Pentecostalism, as well as the Pentecostals' assertive outreach tactics, is Arian Campo-Flores, "The Battle for Latino Souls," *Newsweek*, March 21, 2005.

The data on Latino voting in 2004 come from Roberto Suro, Richard Fry, and Jeffrey Passel, "Hispanics and the 2004 Election: Population, Electorate, and the Voters," Pew Hispanic Center, June 27, 2005. The data on 2006 Latino voting are also from the Pew Hispanic Center, "Latinos and the 2006 Mid-Term Election," released November 27, 2006, and accessed December 2006, at http://pewhispanic.org/files/factsheets/26.pdf.

The PSB poll of Latinos was conducted by telephone, March 5, 2006.

المسلمون المعتدلون

Data on American attitudes toward Islam come from a CBS News poll, "Sinking Perceptions of Islam," conducted April 6–9, 2006, accessed September 2006, at http://www.cbsnews.com/stories/2006/04/12/national/main1494697.shtml; and Lydia Saad, "Anti-Muslim Sentiments Fairly Commonplace," *USA Today*/Gallup Poll conducted July 28–30, 2006. Other useful articles on attitudes toward Muslims include Claudia Deane and Darryl Fears, "Negative Perception of Islam Increasing," *Washington Post*, March 9, 2006.

Most of the data on Muslims' own attitudes and demographics come from "Muslims in the American Public Square," a poll conducted by ProjectMAPS and Zogby International, August 5–September 15, 2004 (hereafter, "MAPS Poll"). Comparison data with Americans in general come from Darren K. Carlson, "Americans Softening on Tougher Gun Laws?," Gallup Polls, November 30, 2004; and Harris Interactive Poll No. 80, October 31, 2006 (on attending religious services), and Harris Interactive Poll No. 19, March 9, 2005 (on political affiliation).

For more on recent Muslim immigration, see Andrea Elliott, "More Muslims Arrive in US, After 9/11 Dip," *New York Times*, September 10, 2006.

Data on the growth of mosques come from www.usinfo.state.gov, "Demographic Facts," accessed December 2006, at http://usinfo.state.gov/products/pubs/muslimlife/demograp.htm.

For more on the American Muslim Alliance, see its Web site at http://www.amaweb.org/, and Lee Hudson Teslik, "A Muslim for the Hill?," *Newsweek*, September 13, 2006.

Data on the Muslim electorate's shift in 2004 come from MAPS Poll, cited above.

The Social Policy and Understanding survey was conducted by Ihsan Bagby and reported at "A Portrait of Detroit Mosques: Muslim Views on Policy, Politics, and Religion," Institute for Social Policy and Understanding, 2004, accessed December 2006, at http://www.ispu.us/go/images/F000196/Detroit Mosque Exec Summary.pdf. The report is not without its critics, who claim that the author exaggerates American Muslim moderation. The Khan piece is M. A. Muqtedar Kahn, "The Remarkable Moderation of Detroit Muslims," *Detroit News*, July 4, 2004, accessed December 2006, at http://www.ijtihad.org/Moderation%20of%20American%20Muslims.htm.

For more on the American Islamic Congress, see its Web site at http://www.aicongress.org/. For more on the Free Muslims Coalition and Kamal Nawash, see http://www.freemuslims.org/ and Don Oldenburg, "Muslims' Unheralded Messenger," *Washington Post*, May 13, 2005.

Resources useful to the International Section included "An Uncertain Road: Muslims and the Future of Europe," Pew Forum on Religion and Public Life, October 2005, accessed December 2006, at http://pewforum.org/publications/reports/muslims-europe-2005.pdf; and Omar Taspinar, "Europe's Muslim Street," *Foreign Policy*, March 2003. The Pew Global Attitudes Project was reported at "Muslims in Europe: Economic Worries Top Concerns About Religious and Cultural Identity," Pew Global Attitudes Project, released July 6, 2006, accessed December 2006, at http://pewglobal.org/reports/display.php?ReportID=254.

4- الصحة والعافية

كارهو الشمس

The tanning parlor–Starbucks comparison comes from Julie Rawe, "Why Teens Are Obsessed with Tanning," *TIME*, August 7, 2006, pp. 54–56.

The 2002 survey on attitudes toward suntanning was released by the American Academy of Dermatology on April 24, 2002.

Data on the tanning industry come largely from Helene Blatter, "The Tanning Dilemma Sun-Bathers: Sun-Bathers Know Risks, but Seek Bronzed Skin Anyway," *Riverside Press Enterprise*, July 23, 2006; Jacob E. Osterhout, "Know It All," *New York Daily News*, July 10, 2005; Valerie Nienberg, "Shedding Lights on Sunless Tans," *Jupiter Courier* (Florida), November 17, 2004.

For more on teen tanning habits, see Paul Vitello, "Skin Cancer Up Among Young; Tanning Salons Become Target," *New York Times*, August 14, 2006, <http://www.nytimes.com/2006/08/14/nyregion/14tanning.html?ex=1168491600&en=4e9087ae8e8b00ff&ei=5070>, accessed August 2006; and Alan C. Gellar et al., "Use of Sunscreen, Sunburning Rates and Tanning Bed Use Among More than 10000 U.S. Children and Adolescents," *Pediatrics*, Vol. 109, No. 6, June 2002, <http://pediatrics.aappublications.org/cgi/reprint/109/6/1009>, accessed January 8, 2007.

Unless otherwise noted, skin damage and cancer data come from the American Cancer Society, "Estimated New Cancer Cases and Deaths by Sex for All Sites, United States, 1997 to 2006," Cancer Facts and Figures, <http://www.cancer.org/downloads/STT/CAFF2007PWSecured.pdf>.

Helpful articles on the sun-safe clothing and sun protection product industry include Business Wire, "SunGuard™ Laundry Aid Helps Clothing Block More than 96 Percent of Harmful UV Rays; This Next Generation in Sun Protection Washes-In a UPF of 30," July 27, 2005; Richard A. Marini, "Shun the Sun; Clothing Protects Against Harmful Rays," *San Antonio Express-News*, May 13, 2004; SunGuard™, <http://www.sunguardsunprotection.com>, accessed January 2007.

ساهرو الليل

Data on Americans' sleep habits come from "2005 Sleep in America Poll," National Sleep Foundation, released March 29, 2005, accessed October 2006, at http://www.sleepfoundation.org/site/c.huIXKjM0IxF/b.2417141/k.C60C/Welcome.htm. Other useful online resources include www.sleep-deprivation.com and www.sleepapneainfo.com.

Articles useful to this chapter include "New Study Shows People Sleep Even Less Than They Think," *Science Daily*, July 3, 2006; accessed October 2006, at http://www.sciencedaily.com/releases//2006/07/060703162945.htm; and Stefan Lovgren, "US Racking Up Huge Sleep Debt," *National Geographic News*, February 24, 2005.

Traffic accident data come from "Drowsy Driving and Automobile Crashes," published at www.nhtsa.dot.gov, accessed October 2006, at http:www.nhtsa.dot.gov/people/injury/drowsy driving1/Drowsy.html.

For more on the sleeping pill industry, see http://www.livescience.com/humanbiology/060323 sleep deprivation.html. For more on the caffeine industry, see Melanie Warner, "A Jolt of Caffeine, by the Can," *New York Times*, November 23, 2005.

The Web site for Metronaps is http://www.metronaps.com.

The international data come largely from a 2005 ACNielson study accessed January 2007, at http://asiapacific.acnielson.com/news/20050228.shtml.

أعسر دون قيود

Caveman southpaw data were reported in Alexandra Witze, "Study Takes Left-Hands-On Approach," *Dallas Morning News*, October 12, 2003.

For more on the causes of handedness, see David E. Rosenbaum, "On Left-Handedness, Its Causes and Costs," *New York Times*, May 16, 2000.

For more on the disputed effects of left-handedness on human health, see Nicole Frehsee, "All Is Not Right in the World of the Lefty," Fort Lauderdale *Sun Sentinel*, October 29, 2005. For more on Southpaw earnings, see Joel Waldfogel, "Sinister and Rich," *Slate*, August 16, 2006.

The discussion of lateralization of the brain among animals comes from Amanda Onion, "The Left-Handed Advantage," *ABC News*, February 17, 2005.

For more on the religious heritage of left-handedness as sin, including the Ayatollah Khomeini reference, see "All Is Not Right in the World of the Lefty," cited above; and Kathleen Laufenberg, "For Centuries, Being Left-Handed Was More than Just Inconvenient," *Tallahassee Democrat*, January 29, 2002.

The UCLA study is K. Hugdahl, et al., "Left-Handedness and Old Age: Do Left-Handers Die Earlier?," *Neuropsychologia*, Vol. 4, 1993, pp. 325–33, cited in Thomas H. Maugh II, "Lefties Don't Die Young After All, Study Reports," *Los Angeles Times*, April 4, 1993.

The higher incidence of left-handedness in twins is noted in "On Left-Handedness, Its Causes and Costs," cited above. The data on the greater likelihood of lefties being born to older Moms come from Stanley Coren, psychologist at the University of British Columbia, and reported at "The Left-Handed Advantage," cited above.

The study on prevalence of left-handedness among gays is cited in "All Is Not Right in the World of the Lefty," cited above.

Famous left-handers are reported in multiple sources, including the "Famous Left-Handers" Web site, http://www.indiana.edu/~primate/left.html.

For more on lefty advantages in sports, see Childs Walker, "Some Lefties Do All Right," *Baltimore Sun*, November 16, 2006; and Alan Blondin, "No Longer Taboo, Golf Is Seeing the Emergence of the . . . Lefties," *Myrtle Beach Sun-News*, September 8, 2006.

The BlackBerry/Research in Motion story comes from Tyler Hamilton, "Business Tries to Right Wrongs for Lefties," *Toronto Star*, August 13, 2004.

الطبابة الذاتية

Over-the-counter drug sale data come from ACNielson research posted on the Consumer Healthcare Products Association Web site, "OTC Retail Sales—1964–2005," <http://www.chpa-info.org/ChpaPortal/PressRoom/Statistics/OTCRetailSales.htm>, accessed March 2007.

The information on complementary and alternative medicine can be found at "CAM Links—Williamson Street Co-op," <http://www.livingnaturally.com/common/adam/CAM_Links.asp?storeID=3ED1FF6A18BD42979FFF73C8E8CD4512>, accessed August 2006.

The figures on Internet use to find medical information come from "Number of 'Cyberchondriacs'—Adults Who Have Ever Gone Online for Health Information—Increases to an Estimated 136 Million Nationwide," Harris Interactive, August 1, 2006, <http://www.harrisinteractive.com/harris_poll/index.asp?PID=686>, accessed August 2006.

Trends regarding health care costs come from "Health Insurance Cost," National Coalition on Health Care, <http://www.nchc.org/facts/cost.shtml>, accessed August 2006.

Trends regarding Americans' trust in doctors are described in "Americans Are Concerned About Hospital Based Medical and Surgical Errors," Harris Interactive, <http://www.harrisinteractive.com/news/allnewsbydate.asp?NewsID=825>, accessed August 2006.

Hospital infections kill between 44,000 and 98,000 Americans per year; see "To Err Is Human: Building a Safer Health System," Institute of Medicine of the National Academies, <http://www.iom.edul/id=12735>, accessed August 2006. Breast cancer is expected to kill about 40,000 Americans in 2007; see American Cancer Society Web site at http://www .cancer.org/docroot/stt/stt 0.asp, accessed April 2007. Car accidents kill approximately 42,000 Americans per year; see data from National Highway Traffic Safety Administration, reported at http://money.cnn.com/2005/08/01/Autos/nhtsa death stats/, accessed April 2007. AIDS kills approximately 17,000 Americans per year; see 2005 data reported at http://www.cdc.gov/hiv/ topics/surveillance/basic.htm#hivest, accessed April 2007.

The graph on public confidence in the medical institution was provided by Robert Blendon at the Harvard Public Health Review, and first published in Cathryn Delude, "Crisis of Confidence," *Harvard Public Health* Review, Fall 2004, <http://www.hsph.harvard.edu/review/ review_fall_04/rvw_trust.html>, accessed August 2006.

Data on women and health care decisions are provided on "Women, OTCs and Health in the United States," Consumer Health Education Center, http://www.checforbetterhealth .org/Chec/Media/Facts_Stats/Women_OTCs_FastFacts.as px>, accessed August 2006.

Data on growth in spending on direct-to-consumer ads come from Milt Freudenheim, "Showdown Looms in Congress over Drug Advertising on TV," *New York Times*, January 22, 2007.

The data on patient interest in e-mailing their doctors come from "New Poll Shows US Adults Strongly Favor and Value New Medical Technologies in Their Doctor's Office," Harris Interactive, <http://www.harrisinteractive.com/news/allnewsbydate.asp?NewsID=930>, accessed August 2006.

صعوبات السمع

The survey regarding presidents Clinton and Reagan is from Gallup Poll News Service, "Americans' Retrospective Approval of Clinton Improving," conducted June 1–4, 2006; accessed September 2006, at http://www.galluppoll.com/content/?ci=23362.

Data on Americans' hearing loss come from the Web site of the American Speech-Language-Hearing Association, accessed September 2006, at http://www.asha.org/public/ hearing/disorders/prevalence adults.htm.

The Navy's challenges with eye surgery were reported at David Cloud, "Perfect Vision Is Helping and Hurting Navy," *New York Times*, June 20, 2006.

Data on the elderly and their hearing loss come from http://www.census.gov/cgi-bin/ipc/ idbagg and http://www.asha.org/public/hearing/disorders/prevalence adults.htm.

The Deafness Research Foundation data, including the decibels of household noises, can be found at http://www.drf.org/hearingbalanceresearch.htm.

Demographic data on the hard of hearing come from the National Institute on Deafness and Other Communication Disorders, "Statistics About Hearing Disorders, Ear Infections, and Deafness," accessed September 2006, at http://www.nidcd.nih.gov/health/statistics/hearing.asp; and "Non-Hispanic Blacks May Have Best Hearing in U.S.," June 12, 2006, accessed September 2006, at http://www.insidescience.org/reports/2006/010.html.

Helpful articles on the future of treatments for the hard-of-hearing include Linda Marsa, "Auditory Achilles' Heel," *Los Angeles Times*, January 16, 2006; "Antioxidants May Sound Hope for Hearing Loss," Associated Press, October 12, 2003; "UB, Military Collaborate on Design, Testing of First Drug to Prevent Noise-Induced Hearing Loss," December 2003, accessed April

2007, at http://www.medicalnewstoday.com/medicalnews.php?newsid=4915; and "Stem Cells May Be Key to Deafness Cure," *CBS News*, August 7, 2006.

For more on the mosquitotone, see Paul Vitello, "A Ring Tone Meant to Fall on Deaf Ears," *New York Times*, June 12, 2006.

5- الحياة العائلية

آباء جدد طاعنون في السن

The birth rate data in this chapter come largely from the National Center for Health Statistics, Centers for Disease Control, U.S. Department of Health and Human Services; Mark O'Keefe, "The Joys and Pitfalls of Late-Life Fatherhood," New House News Service, http:// www.newhousenews.com/archive/okeefe061504.html, accessed September 2006; and Joyce A. Martin, M.P.H., et al., "Births: Final Data for 2004," *National Vital Statistics Reports*, Vol. 55, No. 1, September 29, 2006. International data come from *United Nations Demographic Yearbook: Focusing on Natality*, "Live-Birth Rates Specific for Age of Father: 1990–1998."

The phrase "Do-Over Dads" was coined, as far as we know, by Carlene Hempel, "Do-Over Dads," *Boston Globe*, November 6, 2005. The vasectomy statistics come from her article as well.

مالكو الحيوانات الأليفة

Pet ownership statistics, as well as data on the size of the pet products industry, come largely from the Web site of the American Pet Products Manufacturers Association, Inc., accessed October 2006, at http://www.appma.org/press industrytrends.asp.

Data on households with children come from U.S. Census, accessed October 2006, at http://www.census.gov/population/socdemo/hh-fam/hh1.xls.

The figure on pet owners paying anything to save their pet's life comes from http://www.emaxhealth.com/116/6885.html, reporting on a 2005 study conducted of Veterinary Pet Insurance policyholders.

Other articles useful to this chapter, from which several data points and anecdotes come, include Janis Fontaine, "Pet Ownership, Related Spending on the Rise," *Palm Beach Post*, May 26, 2005; "Pet Spending at All Time High," *Business Wire*, April 5, 2006; Sandy Robins, "New Products Pamper Pet from Head to Tail," April 27, 2005, accessed October 2006, at http://www.msnbc.msn.com/id/6142671/; Joan Verdon, "Pets Rock! Human Companies Going to the Dogs (and Other Beasts)," *The Record* (Bergen County, NJ), April 7, 2006; and Larisa Brass and Carly Harrington, "For Pet's Sake: More Owners Going All Out for Their Little Charges," *Knoxville News-Sentinel*, December 18, 2005.

For more on Honda's Wow, see Will Iredale, "Dog-Friendly Car Takes a Bow-Wow," *The Sunday Times* (London), October 9, 2005; accessed October 2006, at http://www.timesonline.co.uk/article/0,,2087-1817415,00.html.

أهل يدللون أطفالهم

Benjamin Spock, *Common Sense Book of Baby and Child Care* (Pocket Books, 1946).

The data on the growth in parenting books come from Neil Swidey, "All Talked Out," *Boston Globe*, November 7, 2004.

Data on the size of the baby-product industry come from Matthew Boyle, "The $5 Million Diaper Bag," *Fortune*, April 19, 2006.

The PSB polls were conducted online October 27–29, 2006, and December 13, 2006. Eligible respondents were adults who had children under 18 living at home with them.

For more on "Ferberizing," see the original at Richard Ferber, M.D., *Solve Your Child's Sleep Problems* (Simon & Schuster, 1985); the 2006 version is called *Solve Your Child's Sleep Problems: New, Revised, and Expanded Edition.*

The data on attitudes toward spanking come from Murray A. Strauss and Anita K. Mathur, "Social Change and Trends in Approval of Corporal Punishment by Parents from 1968 to 1994," accessed July 2006, at http://www.dadsnow.org/studies/strauss1.htm; and Julie Crandall, "Support for Spanking: Most Americans Think Corporal Punishment Is OK," ABCNEWS .com, November 8, 2004. The death penalty data come from an October 2006 Gallup poll, accessed December 2006, at http://www.galluppoll.com/content/?ci=1606&pg=1. For more on rural crime dropping more slowly in the 1990s than urban or suburban crime, see "Rural Crime Facts," National Center on Rural Justice and Crime Prevention," accessed February 2007, at http://virtual.clemson.edu/groups/ncrj/rural crime facts.htm.

Data on the use of the V-chip come from a July 24, 2001, press release by the Kaiser Family Foundation, accessed December 2006, at http://www.kff.org/entmedia/3158-V-Chip-release .cfm.

In the International Picture, the data on states and countries that approve corporal punishment come from http://www.stophitting.com/disatschool/statesBanning.php.

For more on the U.K.'s Children are Unbeatable! Alliance, see http://www.children areunbeatable.org.uk/. Their survey data were cited in "Majority 'Support' Smacking Ban," *BBC News*, May 19, 2004, accessed December 2006, at http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk/3727295 .stm.

The study on global attitudes toward pressure on kids is Richard Wike and Juliana Menasce Horowitz, "Parental Pressure on Students: Not Enough in America; Too Much in Asia," Pew Global Attitudes Project, August 24, 2006, accessed January 2007, at http://pewresearch.org/ pubs/55/parental-pressure-on-students-not-enough-in-america-too-much-in-asia.

Data on U.S. placement on the global mathematics literacy test come from M. Lemke et al., "International Outcomes of Learning in Mathematics Literacy and Problem Solving," National Center for Education Statistics, 2004, accessed December 2006, at http://nces.ed.gov/ pubs2005/2005003.pdf.

شواذ يظهرون لاحقاً

Biographical information regarding former governor Jim McGreevey comes from James E. McGreevey with David France, *The Confession* (HarperCollins 2006).

Useful articles for this trend included Melissa Fletcher Stoeltje, "Spouses Feel Pushed Aside When Mate Reveals Homosexuality," *San Antonio Express News*, July 3, 2005; Katy Butler, "Many Couples Must Negotiate Terms of 'Brokeback' Marriages," *New York Times*, July 7, 2006; Jane Gross, "Windows to the Closet," *New York Times*, November 1, 2004.

The National Survey of Family Growth data can be found at William D. Mosher, Ph.D., Anjani Chandra, Ph.D., and Jo Jones, Ph.D., Division of Vital Statistics, "Sexual Behavior and Selected Health Measures: Men and Women 15–44 Years of Age, United States, 2002," Table 7, accessed February 2007, at http://www.cdc.gov/nchs/data/ad/ad362.pdf.

Data on American attitudes toward homosexuality cited in this chapter are summarized by the Gallup Poll, accessed January 2007, at http://www.galluppoll.com/content/Default .aspx?ci=1651&pg=1&VERSION=p.

The blog www.comingoutat48.blogspot.com was quoted in Jane Gross, "When the Beard Is Too Painful to Remove, *New York Times*, August 3, 2006.

Data on spouses and children come largely from Katy Butler's article, cited above.

Marriage statistics come from http://www.cdc.gov/nchs/data/mvsr/supp/mv43 12s.pdf (the 1980 number); National Vital Statistics Report, Vol. 54, No. 8, "Births, Marriages, Divorces, and Deaths; Provisional Data for June 2006."

For the Jason Stuart joke, we are grateful to Joe Kort, "The New Mixed Marriage: When One Partner Is Gay," originally published in the *Psychotherapy Networker*, September 2005, accessed January 2007, at http://www.joekort.com/joekort the new mixed marriage.htm.

أبناء بررة

The main study relied on in this piece is "Caregiving in the U.S.," National Alliance for Caregiving and AARP, released April 2004.

Life expectancy data come from the Centers for Disease Control: Table 27, "Life Expectancy at Birth, at 65 Years of Age, and at 75 Years of Age, by Race and Sex: United States, Selected Years 1900–2004," accessed April 2007, at http://www.cdc.gov/nchs/data/hus/hus06 .pdf#027.

The Napolitano piece is Peter Napolitano, "Modern Love; Close Enough for Momma, Too Close for Me," *New York Times*, December 24, 2006.

Figures on the value lost to companies from absentee workers come from Jane Gross, "As Parents Age, Baby Boomers and Businesses Struggle to Cope," *New York Times*, March 25, 2006.

6- السياسة

نُخب سريعة التأثر

The Friedman book is, of course, Thomas L. Friedman, *The World Is Flat: A Brief History of the 21st Century* (Farrar, Straus & Giroux, 2005).

The income data come from David Cay Johnston, "Income Gap Is Widening, Data Shows," *New York Times*, March 29, 2007.

The PSB poll was 806 telephone interviews among likely 2008 presidential voters, including an oversample of 400 very likely Democratic presidential primary voters.

Cited journalists and articles include Mark Leibovich, "Listening and Nodding, Clinton Shapes '08 Image," *New York Times*, March 6, 2007; and Christopher Cooper and Ray A. Smith, "Style on the Stump," *Wall Street Journal*, March 31, 2007.

Useful articles on 527s and their record fund-raising include Chris Suellentrop, "Follow the Money," *Boston Globe*, June 26, 2005; and John Broder, "Campaign 2006: 527 Groups Set to Spend Big on Negative Political TV Ads," *New York Times*, October 11, 2006.

التأرجح لا يزال سيد الموقف

An earlier version of this piece was published in the *Washington Post* by Mark J. Penn, "Swing Is Still King at the Polls," on March 21, 2006.

The data on the growing number of Independents come from Gallup: in January 1966, 23 percent of voters called themselves Independent (see Q98 at http://brain.gallup.com/documents/questionnaire.aspx?STUDY=AIPO0723); in April 2007, 36 percent of voters did (see http://www.galluppoll.com/content/default.aspx?ci=15370).

The California data come from Report of Registration, Historical Registration Statistics, February 10, 2003, and February 10, 2005, accessed February 2006, at http://www.ss.ca.gov/elections/ror/reg stats 02 10 05.pdf and http://www.ss.ca.gov/elections/ror/regstats 02-10-03.pdf.

Split-ticket voter information comes from the American National Election Studies Guide to Public Opinion and Electoral Behavior, "Split-Ticket Voting Presidential/Congressional, 1952–2004," accessed February 2006, at http://www.umich.edu/~nes/nesguide/toptable/tab9b 2.htm.

Congressional ballot data come from Gallup, "Election 2006," accessible at http://brain .gallup.com/content/?ci=4534.

CNN exit poll data for 2004, 2000, and 1996, respectively, were accessed at http://www .cnn.com/ELECTION/2004/pages/results/states/US/P/00/epolls.0.html, http://www.cnn.com/ELECTION/2000/results/index.epolls.html, http://www.cnn.com/ALLPOLITICS/1996/elections /natl.exit.poll/index1.html.

مهاجرون غير شرعيين مكافحون

Thanks to my friend and colleague Sergio Bendixen for his review and thoughtful comments on this chapter.

Directed by Fred W. Friendly and starring Edward R. Murrow, *Harvest of Shame* was a documentary aired on *CBS News* on Thanksgiving 1960.

The Sensenbrenner bill was H.R. 4437, the Border Protection, Anti-Terrorism, and Illegal Immigration Control Act of 2005, passed by the 109th Congress on December 16, 2005. It did not pass the Senate.

Data on the Hispanic electorate come from Roberto Suro, Richard Fry, and Jeffrey Passell, "Hispanics and the 2004 Election: Population, Electorate, and Voters," Pew Hispanic Center, June 27, 2005. For 2004 exit poll data, see http://us.cnn.com/ELECTION/2004/pages/results/states/US/P/00/epolls.0.html.

The state-by-state data on the Hispanic electorate in the graph come from U.S. Census, http://www.census.gov/population/socdemo/voting/cps2004/tab04a.xls (for 2004) and http://www.census.gov/population/socdemo/voting/p20-466/tab04.pdf (for 1992).

The 2006 Pew Study was Roberto Suro and Gabriel Escobar, "2006 National Survey of Latinos," Pew Hispanic Center, July 13, 2006. Data on actual Latino performance in the 2006 midterm elections come from "Latinos and the 2006 Mid-term Election," Pew Hispanic Center, November 27, 2006.

The 2006 Gallup data on Latino party identification come from Gallup's annual Minority Rights and Relations poll, reported July 6, 2006.

The New Democrat Network poll is "Inside the Mind of Hispanic Voters," conducted June 24–July 1, 2006, by LatinInsights, and released July 19, 2006.

Health insurance and education data among Latino immigrants are drawn from Steven A. Camarota, "Immigrants at Mid-Decade: A Snapshot of America's Foreign-Born Population in 2005," Center for Immigration Studies, December 2005.

صهاينة نصارى

Data on American support of Israel can be found at Gallup poll, "Perceptions of Foreign Countries," February 1–4, 2007, accessed April 2007, at http://www.galluppoll.com/content/default.aspx?ci=1624&pg=2.

Articles useful to this chapter included Jane Lampman, "Mixing Prophecy and Politics," *Christian Science Monitor*, July 7, 2004; Bill Broadway, "The Evangelical-Israeli Connection," *Washington Post*, March 27, 2004; David D. Kirkpatrick, "For Evangelicals, Supporting Israel Is 'God's Foreign Policy,'" *New York Times*, November 14, 2006; Richard Allen Greene, "Evangelical Christians Plead for Israel," *BBC News*, July 19, 2006; and Max Blumenthal, "Birth Pangs of a New Christian Zionism," posted August 8, 2006, accessed October 2006, at http://www.thenation.com/doc/20060814/new christian zionism.

The Pew poll regarding views on God's giving the state of Israel to the Jews is the Pew Research Center for the People and the Press and the Pew Forum on Religion and Public Life, "Many Americans Uneasy with Mix of Religion and Politics," p. 20, released August 24, 2006.

Citations from David Brog come from "Righteous Gentiles at the Right Time," Religion News Service, June 5, 2006, among other sources. Thanks also to Jonathan Kessler for informing the discussion of former president Jimmy Carter's book *Palestine: Peace, not Apartheid* (Simon & Schuster, 2006).

سجناء أُطلِق سراحهم حديثاً

Trend data on reentrants come from Paige M. Harrison and Allen J. Beck, Bureau of Justice Statistics Bulletin, *Prison and Jail Inmates at Midyear 2005* (May 2006), and earlier versions. Demographic data come from the U.S. Department of Justice, Office of Justice Programs, Bureau of Justice Statistics, "Reentry Trends in the U.S., Characteristics of Releases," accessed January 2007, at http://www.ojp.usdoj.gov/bjs/reentry/characteristics.htm. Thanks also to Amy Solomon for helping us navigate the data; and to Jeremy Travis, the true reentry pioneer.

Trend data on the jail and prison population generally come from Table 335, "Adults on Probation, in Jail or Prison, or on Parole: 1980–2004," U.S. Census Bureau, Statistical Abstract of the United States: 2007.

Data from the International Centre for Prison Studies can be found at http://www.prisonstudies.org/.

Data on the transportation of convicts to Australia can be found on the Web site "Convicts to Australia: A Guide to Researching Your Convict Ancestors," accessible at http://members.iinet.com.au/~perthdps/convicts/res-02.html.

Recidivism data come from U.S. Department of Justice, Office of Justice Programs, Bureau of Justice Statistics, "Reentry Trends in the U.S., Recidivism," accessed January 2007, at http://www.ojp.usdoj.gov/bjs/reentry/recidivism.htm.

The figure on children with parents in prison comes from Julie Delcour, "Second Chance," *Tulsa World*, December 10, 2006.

Other articles useful to this chapter include "A Stigma That Never Fades," *The Economist*, August 8, 2002, which cites the survey of employers in large cities and the Cleveland study; Eric Eckholm, "Time Served: The Revolving Door," *New York Times*, August 12, 2006; and Rex W. Huppke, "Rehabilitation or Recycling?," *Chicago Tribune*, March 12, 2006.

7- مراهقون

اضطراب معتدل

Autism statistics come from http://www.fightingautism.org/idea/autism.php?s=US&z=s. Data on children being treated with antipsychotic drugs come from Joan Lowry, "US Families Face Learning Disabilities," *Ventura County Star*, December 21, 2003.

Data from the Individuals with Disabilities Education Act come from U.S. Department of Education, National Center for Education Statistics, 2006, "The Condition of Education 2006," NCES 2006-071, Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office.

Research on the growing number of students getting extra time on the SAT comes from Mark Franek, "Time to Think," *New York Times*, March 29, 2006.

Data on the after-school tutoring industry come from Diane Heldt, "Tutors Aid More than Rich or Kids with Learning Woes," Associated Press State and Local Wire, October 17, 2005.

The data on college students' mental health is Robert P. Gallagher, "National Survey of Counseling Center Directors, 2005," published by the International Association of Counseling Services, Inc.—Monograph Series No. 80, accessed December 2006, at http://www.education.pitt.edu/survey/nsccd/archive/2005.monograph.pdf.

For more on infant disorders, see Elizabeth Bernstein, "Sending Baby to the Shrink," Associated Press Financial Wire, October 24, 2006.

حياكة اليافعين

Most of the data on knitting and crocheting participation come from the Craft Yarn Council of America study found on their Web site, CYCA News, http://www.craftyarncouncil.com/know.html, accessed October 2006.

For more information on men's knitting groups and their history, see Men's Knitting Site for Men Who Knit, http://www.menknit.net/, accessed October 2006.

Other articles helpful to this chapter included Kate Stone Lombardi, "The Cool World of Knitting (Really)," *New York Times*, February 13, 2005; Nancy Carollo, "Everything Old Is New Again," *New Orleans Times-Picayune*, March 23, 2006; and Denise DiFulco, "Sewing, So Fashionable; Projects Once Humbly 'Homemade' Are Now Touted as 'Handmade,'" *Washington Post*, September 21, 2006.

المُثل العليا للمراهقين السود

The Casey study is at "Coverage in Context: How Thoroughly the News Media Report Five Key Children's Issues," February 2002, accessed April 2007, at http://cjc.umd.edu/about/ContentStudyExecSummary.htm.

The data on twelfth-grade churchgoing come from Child Trends Databank, "Religious Services Attendance," accessed April 2007, at http://www.childrensdatabank.org/pdf/32 PDF.pdf.

The data on volunteering and voting behavior come from Karlo Barrios Marcelo, Mark Hugo Lopez, and Emily Hoban Kirby, "Civic Engagement Among Minority Youth," January 2007, accessed April 2007, at http://www.civicyouth.org/PopUps/FactSheets/FS 07 minority ce.pdf, analyzing data from "Monitoring the Future, High School Senior Survey, 1983–2005" and its earlier version, Mark Hugo Lopez, "Civic Engagement Among Minority Youth," September 2002. Both documents were produced by CIRCLE, the Center for Information and Research on Civic Learning and Engagement, based in the University of Maryland's School of Public Affairs.

The City Year data were provided by Alison Franklin, co-director, Strategic Communications, City Year, via e-mail dated April 18, 2007. For more information on City Year and its application process, see www.cityyear.org.

Data on black adult volunteering come from "Volunteering in America: State Trends and Rankings, 2005 Key Volunteer Statistics," accessed April 2007, at http://nces.ed.gov/programs/digest/d03/tables/dt107.asp.

The information on volunteer preference by race comes from "College Students Helping America," Corporation for National and Community Service, October 2006, accessed April 2007, at http://www.nationalservice.gov/pdf/06 1016 RPD college full.pdf.

The 2002 study on black party identification is David A. Bositis, "2002 National Opinion Poll," Joint Center for Political and Economic Studies, conducted September 17–October 21, 2002.

All data on high school dropouts, college enrollment, college graduation, and master's degrees come from the National Center for Education Statistics. The particular tables are as follows: Table 107, "Percent of High School Dropouts (Status Dropouts) Among Persons 16 to 24 Years Old, by Sex and Race/Ethnicity: Selected Years: April 1960 to October 2001," http://nces.ed.gov/programs/digest/d03/tables/dt107.asp; Table 181, "College Enrollment and Enrollment Rates of Recent High School Completers, by Race/Ethnicity: 1960 Through 2004," http://nces.ed.gov/programs/digest/d05/tables/dt05 181.asp: Table 261, "Bachelor's Degrees Conferred by Degree-Granting Institutions, by Racial/Ethnic Group and Sex of Student: Selected Years, 1976–77 Through 2003–04," http://nces.ed.gov/programs/digest/d05/tables/dt05 261.asp; Table 264, "Master's Degrees Conferred by Degree-Granting Institutions, by Racial/Ethnic Group and Sex of Student: Selected Years, 1976–77 Through 2003–04," http://nces.ed.gov/programs/digest/d05/tables/dt05 264.asp.

Some data on the black middle class come from Robert L. Harris, Jr., "The Rise of the Black Middle Class," *The World and I*, February 1999, Vol. 14, No. 2. The data on black-owned businesses come from Elwin Green, "Black Business Owners on Rise," *Pittsburgh Post-Gazette*, April 18, 2006.

تجار المدرسة الثانوية

The very useful *BusinessWeek* article is Rochelle Sharpe et al., "Teen Moguls," *BusinessWeek*, May 29, 2000, accessed January 2007. Other useful articles included Penelope Green, "Barons Before Bedtime," *New York Times*, January 25, 2007.

For more information about the Chocolate Farm and its founders, see www.chocolatefarm.com; http://www.mary-kateandashley.com/mind body soul/article.php?88.

For more information about AnandTech and its founder, see www.anandtech.com: http://www.rediff.com/us/2000/mar/24us3.htm.

The YoungBiz study can be found at Party Mayeux, "Report on America's Top 'Treps," *The 2001 YoungBiz 100*, accessed at http://www.youngbiz.com/aspindex.asp?fileName=yb mag news/2001youngbiz100/main.htm.

The Junior Achievement study on teens' attitudes toward entrepreneurship is "2006 Interprise Poll on Teens and Entrepreneurship," conducted by Junior Achievement Worldwide, August 28, 2006.

فتية قنّاصون

The New America poll of California teenagers was conducted in November 2006 by Bendixen and Associates.

The cited poem comes from www.snipersparadise.com, accessed January 2007.

Useful articles for this chapter included Matthew Cox, "Time to Go SNIPER!," *Army Times*, March 6, 2006; John C. K. Daly, "UPI Terrorism Watch," UPI, July 27, 2005; and Richard Whittle, "Fatal from Afar," *Dallas Morning News*, July 7, 2005.

The 2007 data on American attitudes toward the Iraq War and the troops fighting it come from Jodie T. Allen, Nilanthi Samaranayake, and James Albrittain, Jr., "Iraq and Vietnam: A Crucial Difference in Opinion," Pew Research Center for the People and the Press, March 22, 2007, <http://pewresearch.org/pubs/432/iraq-and-vietnam-a-crucial-difference-in-opinion>, accessed March 2007.

8- الطعام، والشراب، والحمية

أولاد نباتيون

The data on Vegetarian Children come largely from a 2005 poll conducted by Harris Interactive on behalf of the Vegetarian Resource Group, April 14–18, 2005, among a nationwide sample of 1,264 U.S. youth aged 8–18; accessed February 2007, at http://www.vrg.org/journal/vj2005issue4/vj2005issue4youth.htm.

The National Beef Council's campaign was reported in Kate Kompas, "1 in 4 Teens Say Vegetarianism Is Cool," *St. Cloud Times*, February 17, 2003.

The studies showing health effects of vegetarianism were conducted on Seventh-Day Adventists, and reported, among other places, in Sharon Bloyd-Peshkin, "Meatless Wonders," *Chicago Tribune*, October 5, 2003.

Also useful to this piece were Jennifer Nelson, "Don't Have a Cow, Mom," *Washington Post*, October 31, 2006; and Virginia Rohan, "Veggie Vanguard," *The Record* (Bergen County, NJ), April 13, 2003.

عبء ثقيل

Data on America's weight gain come from Cynthia L. Ogden, Ph.D., et al., "Mean Body Weight, Height, and Body Mass Index, United States, 1960–2002," October 27, 2004, accessed August 2006, at http://www.cdc.gov/nchs/data/ad/ad347.pdf.

Useful articles for this chapter included Christine Gorman, "More than Just a Little Chunky," *TIME*, July 9, 2006; and John Stucke, "Weighty Issues," *Spokesman Review*, March 26, 2006.

The figure on the cost of obesity comes from "Companies Fight Employee Fat, Hoping to Trim the Bottom Line," Associated Press, February 3, 2003.

For more on the Food and Drug Administration's Plan obesity-tackling plan, see http://www.fda.gov/loseweight/obesity plan.htm.

The first *JAMA* study is Katherine M. Flegal, Ph.D., et al., "Prevalence and Trends in Obesity Among US Adults, 1999–2000," *JAMA*, Vol. 288, No. 14, October 9, 2002.

Obesity rates over time come from National Center for Health Statistics, *Health, United States, 2006, with Chartbook on Trends in the Health of Americans*, Hyattsville, MD: 2006, Table 73, "Overweight, Obesity, and Healthy Weight Among Persons 20 Years of Age and Over, by Sex, Age, Race, and Hispanic Origin, and Poverty Level: United States, 1960–1962 Through 2001–2004," accessed August 2006, at http://www.cdc.gov/nchs/data/hus/hus06.pdf#073.

The second *JAMA* study is Kathleen McTigue, MD, MS, MPH, et al., "Mortality and Cardiac and Vascular Outcomes in Extremely Obese Women," *JAMA*, Vol. 296, No 1, July 5, 2006.

Data on black women's participation in the workforce come from Bureau of Labor Statistics, Household Data Annual Averages, Table 10, "Employed Persons by Occupation, Race, Hispanic, or Latino Ethnicity, and Sex," accessed January 2007 at http://www.bls.gov/cps .cpsaat10.pdf.

Data on black women raising children come from U.S. Census, Table 3, "Children Living with Relatives by Type of Relative, Presence of Parents, by Race and Hispanic Origin and Whether Below Poverty Level: 2001," accessed January 2007, at http://www.census .gov/population/socdemo/child/sipp2001/tab03-03.pdf.

The New York City study is "Women at Risk: The Health of Women in New York City," a report from the New York City Department of Health and Mental Hygiene, March 2005, accessed January 2007, at http://www.cmwf.org/usr doc/Final Women At Risk.pdf, and reported in Marc Santora, "Study Finds More Obesity and Less Exercising," *New York Times*, March 8, 2005.

In the International Picture, the global numbers on obesity and undernourishment, as well as some of the data on specific countries, come from Claire Nullis, "Africa Faces Growing Obesity Problem," Associated Press, November 29, 2006, accessed January 2007, at http://www .breitbart.com/article.php?id=D8LN0P6G1&show article=1.

The worldwide obesity numbers come from http://www.who.int/nutrition/topics/obesity/ en/index.html. A very helpful article here was Jane E. Brody, "As America Gets Bigger, the World Does, Too," *New York Times*, April 19, 2005.

Mexican data come from "Obesity on the Rise in Mexico," *The Economist*, December 18, 2004.

التضور جوعاً لإطالة أمد الحياة

The Cornell and subsequent research on life extension through calorie restriction, as well as the effects of such diets, are summarized in Michael Mason, "One for the Ages: A Prescription That May Extend Life," *New York Times*, October 31, 2006; and David Schardt, "Eat Less Live Longer?," *Nutrition Action Healthletter*, Center for Science in the Public Interest, September 1, 2003.

The Biosphere story is told in Julian Dibbell, "Super Skinny Me," *The Observer* (London), December 3, 2006.

Evidence of health effects of CR is cited in Jack Cox, "Low-Cal Movement," *Houston Chronicle*, May 2, 2004.

For more on the centenarian Okinawans, see Nicole Piscopo Neal, "Meet the 120-Year-Old Man," *Palm Beach Post*, January 17, 2004; and Richard Corliss and Michael D. Lemonick, "How to Live to Be 100," *TIME*, August 30, 2004.

For more on the Calorie Restriction Society itself, and its founder, Roy Walford, see their Web site, www.calorierestriction.org.

المولعون بالكافيين

All statistics on bottled water, soft drink, alcohol, and overall beverage consumption come from U.S. Census Bureau, Statistical Abstract of the US: 2007, Table 201, "Per Capita Consumption of Selected Beverages by Type: 1900–2004."

Information on sales of Dasani and Aquafina, drinks with "functional benefits," and energy drinks, comes from March 8, 2007, press release of the Beverage Marketing Corporation, accessed April 2007, at http://www.beveragemarketing.com/news2.htm.

Coffee-drinking statistics are reported in Reuters, "More Adults Prefer Daily Cup of Coffee," citing the 2006 National Coffee Drinking Trends report, March 3, 2007; and Tammy Joyner, "Innovators Come Up with Ways to Get Daily Jolt," Cox News Service, February 16, 2007. The latter article also provided the information about caffeine-laden food.

Starbucks growth statistics were cited in "Gourmet Coffee Popping Up in Unexpected Places," Associated Press, May 2, 2005.

The study on soft drinks being the leading source of American caloric intake was reported in Shari Roan, "Less than Zero," *Los Angeles Times*, November 27, 2006.

Tea sales data come from "Steaming Ahead, America's Tea Boom," *The Economist*, July 8, 2006.

More information about energy drinks can be found in Michael Mason, "The Energy Drink Buzz Is Unmistakable," *New York Times*, December 12, 2006.

The Chicago poison center study was reported by an October 16, 2006, American College of Emergency Physicians press release, "Caffeine Abuse Among Young People Discovered in Examination of Poison Center Calls," accessed April 2007, at http://www.acep.org/webporta/Newsroom/NR/general/2006/101606b.htm.

For more on Americans' sleeping habits, see the 2002 Sleep in America poll, conducted by the National Sleep Foundation, accessed April 2007, at http://www.sleep-deprivation.com/.

The Viagra data come from "Younger Men Lead Surge in Viagra Use, Study Reveals," *Medical News Today*, August 6, 2004.

9- نمط العيش

زيادة الاهتمام

The figure on annual infomercial sales comes from John Larson, "From the Inside Out," NBC News, September 15, 2006, accessed October 2006, at http://www.msnbc.msn.com/id/14856571/.

Data on marathons and triathlons come from the Running USA Web site, at http://www.runningusa.org/cgi/mar repts.pl; and Michael McCarthy, "Ford Joins Forces with Ironman for Tough Sell," *USA Today*, May 19, 2005.

Tennis declined from 12.6 million participants to 11.1 million participants between 1995 and 2005; see National Sporting Goods Association study at http://www.nsga.org/public/pages/index.cfm?pageid=153.

The *Atlantic Monthly* circulation data are self-reported at http://www.theatlantic.com/about/atlfaqf.htm#circulation, as are the *Foreign Affairs* data at http://www.foreignaffairs.org/advertising/circ.

Crossword puzzle data come from Leslie Mann, "Not Your Father's Cr--sw-rd," *Chicago Tribune*, June 25, 2006.

Data on the Sudoku industry come from Martin Fackler, "Inside Japan's Puzzle Palace," *New York Times*, March 20, 2007.

The insights on long novels and series fiction come from "Span of Attention," HypertextNOW, accessed April 2006, at http://www.eastgate.com/HypertextNow/archives/Attention.html.

In recent years, the State of the Union address has been watched by about 42 million people; see http://www.nielsonmedia.com/nc/portal/site/Public/menuitem.55dc65b4a7d5adff3f65936147a062a0/?vgnextoid=a61ff63a16729010VgnVCM100000ac0a260aRCRD. The last

game of the World Series rarely gets more than 20 million viewers; see http://www.baseball-almanac.com/ws/wstv.shtml

آباء مهمَلون

Data on children's and women's purchasing power can be found on the Free Press Web site, "Children's Programming," Free Press, http://www.freepress.net/issues/kidstv, accessed January 2007; and Girlpower Marketing Web site, http://www.girlpowermarketing.com/files/GP WEB Final.pdf, accessed January 2007; among other sources.

The University of Michigan study is W. Jean Yeung et al., "Children's Time with Fathers in Intact Families," *Journal of Marriage and Family*, Vol. 63, February 2001, 136–54.

The University of California Riverside study by sociologists Scott Coltrane and Michele Adams is based on data from the Child Development Supplement, Panel Study of Income Dynamics (PSID), conducted at the Survey Research Center, Institute for Social Research, University of Michigan. It was released in June 2003; the report can be accessed at http://www.eurekalert.org/pub releases/2003-06/uoc--wdc061003.php#.

The University of Washington study by Dr. John Gottman, widely reported in the press, was first published in John Gottman, *Why Marriages Succeed or Fail* (Fireside, 1994).

الناطقون باللغة الأم

Thanks again to Sergio Bendixen for reviewing this chapter as well.

The data on linguistically isolated households come from Hyon B. Shin with Rosalind Bruno, "Language Use and English-Speaking Ability: 2000," U.S. Census Bureau, issued October 2003, accessed November 2006, at http://www.census.gov/prod/2003pubs/c2kbr-29.pdf.

The figures regarding residents who speak English "not at all" or with limited proficiency, as do the implications for limited English-speaking, come from http://www.us-english.org/inc/official/factsfigs.asp.

Immigration data come generally from the Center for Immigration Studies, whose Web site was accessed November 2006, at http://www.cis.org/articles/2001/back101.html.

Data on classes on English for speakers of other languages come from Eunice Moscoso, "Despite Concerns About Assimilation, Immigrants Learning English," Cox News Service, August 24, 2006.

Trend data on English proficiency of immigrants come from U.S. Census Bureau, Census 2000, "Profile of Selected Demographic and Social Characteristics for the Foreign Born Population Who Entered the United States Before 1970" and "Profile of Selected Demographic and Social Characteristics for the Foreign Born Population Who Entered the United States 1990 to 2000."

The data on heads of linguistically isolated households, including both nativity and income, come from U.S. Census Bureau, Census 2000, "America Speaks: Selected Characteristics of Households by Linguistic Isolation for the United States," accessed November 2006, at http://0-www.census.gov.mill1.sjlibrary.org/population/www/socdemo/hh-fam/AmSpks.html.

Data on Latino Americans' attitudes toward English come from the Pew Hispanic Center, "Hispanic Attitudes Towards Learning English," fact sheet published June 7, 2006.

Hospitals' challenges are described in Olga Pierce, "Hospitals Lack Language Plans," UPI, October 13, 2006.

Spanish success on the radio, as well as data on Latino purchasing power, are described in Hiram Soto, "Spanish-Language Radio Stations Are Rising to the Top," Copley News Service, October 23, 2005.

Information on the supply of English classes comes from Fernanda Santos, "Demand for English Lessons Outstrips Supply," *New York Times*, February 27, 2007.

حيارى الجنس

Useful articles for this chapter included Paula Dohnal, "Floating Between Two Genders," *Wisconsin State Journal*, October 10, 2005; Elizabeth Weil, "What If It's (Sort of) a Boy and (Sort of) a Girl?," *New York Times*, September 24, 2006; Patricia Leigh Brown, "Supporting Boys or Girls When the Line Isn't Clear," *New York Times*, December 2, 2006; Jenna Russell, "Finding a Gender Blind Dorm," *Boston Globe*, July 27, 2003; Alyson Ward, "Transcending Gender," *Fort Worth Star-Telegram*, August 24, 2005; Kelly Pate Dwyer, "An Employee, Hired as a Man, Becomes a Woman. Now What?," *New York Times*, July 31, 2005; Bonnie Miller Rubin, "Transgender Movement Emerging from the Shadows," *Chicago Tribune*, April 3, 2006; and Chris Rovzar, "Dude Looks Like a Lady," *New York Daily News*, July 23, 2006.

The Pulitzer Prize–winning novel is Jeffrey Eugenides, *Middlesex* (Picador, 2002).

For more on the World Professional Association for Transgender Health, see their Web site at http://www.wpath.org/.

The data on college and university policies come from Gender Public Advocacy Coalition, "2006 Genius Index: Gender Equality National Index for Universities and Schools," 2006.

The data on state policy come from Transgender Law and Policy Institute, whose Web site is http://www.transgenderlaw.org. The situation in New York City was reported at Damien Cave, "City Drops Plan to Change Definition of Gender," *New York Times*, December 6, 2006.

10- المال والطبقة

مشترو منزل ثان

The term "Splitters," as far as we know, was coined by WCI Communities, Inc., a homebuilder with communities in Florida, Connecticut, Maryland, New Jersey, New York, and Virginia.

The data regarding second-home sales and buyers come from Paul C. Bishop, Ph.D., Shonda D. Hightower, and Harika Bickicioglu, "2006 National Association of Realtors® Profile of Second-Home Owners"; and the National Association of Realtors' "Profile of Second-Home Buyers," 2005.

The 2005 survey of two-home owners was conducted online by Analytical One Research Services for WCI, Inc. According to their methodology summary, it included 408 respondents who qualified as Splitters, out of a total of 1,743 respondents.

ماري بوبنز المعاصرة

Useful articles for this trend included Heidi Knapp Rinella, "Minding the Children: Like One of the Family—Demand for Nannies in American Homes Has Sharply Increased," *Las Vegas Review-Journal*, March 15, 2005; Davis Bushnell, "Demand for Nannies on Upswing in Greater Boston," *Boston Globe*, March 13, 2005; and Tracey Middlekauff, "Nannies," *Gotham Gazette*, October 27, 2003.

Data on Moms in the workforce come from "Employment Status of Women by Presence of Child and Age of Youngest Child, March 1975–2005," Annual Social and Economic Supplement, Current Population Survey, Bureau of Labor Statistics.

Comparative salary data come from the Web site of the International Nanny Association, accessible at http://www.nanny.org/images/2006SalarySurvey/index 2.htm; and the Annual Demographic Survey, a joint project between the Bureau of Labor Statistics and the Bureau of the Census, accessed April 2007, at http://pubdb3.census.gov/macro/032006/perinc/new04 019.htm.

For more on career growth in nanny work, see Ralph Gardner, Jr., "Taking Superparents in Hand," *New York Times*, June 16, 2005.

The cited book is Emma McLaughlin and Nicola Kraus, *The Nanny Diaries* (St. Martin's, 2002).

For more on the need for paid caregivers, see 2005 White House Conference on Aging "Annotated Agenda, Final—November 3, 2005," accessed September 2006, at http://www .whcoa.gov/about/policy/meetings.annotated agenda.pdf.

أصحاب ملايين خجولون

The data on skewed perceptions of millionaires come from a study conducted by Catherine Montalto, sponsored by Consumer Federation of America and Providian Financial; see 2001 press release, at http://www.americasaves.org/downloads/www.americasaves.org/ PressReleases/07.16.01.pdf.

Thomas J. Stanley and William D. Danko, *The Millionaire Next Door: The Surprising Secrets of America's Wealthy* (Longstreet, 1996), was very helpful to this chapter.

The annual Phoenix/Harris Interactive Wealth Survey consisted of 1,496 interviews conducted online by Harris Interactive between March 25 and April 9, 2003, with U.S. adults aged 18 years and over who were financial decision-makers for households with a net worth of $1 million or more, minus any debt and excluding primary residence.

For more on the estate tax, see Stephen Moore and Arthur B. Laffer, "The American Dream Tax," June 14, 2006.

الطبقة الوسطى والإفلاس

Bankruptcy trend data come largely from Thomas A. Garrett, "The Rise in Personal Bankruptcies," Federal Reserve Bank of St. Louis, *Review*, Vol. 89, No. 1, January 2007/February 2007; and the American Bankruptcy Institute, whose Web site was accessed January 2007, at http://www.abiworld.org/AM/AMTemplate.cfm?Section=Home&CONTENTID=35631& TEMP LATE=/CM/ContentDisplay.cfm.

Professor Warren's book is Elizabeth Warren and Amelia Warren Tyagi, *The Two-Income Trap: Why Middle-Class Parents Are Going Broke* (Basic Books, 2003). Much of the data and anecdotes come from this book and Professor Warren's other articles, including David U. Himmelstein, Elizabeth Warren, Deborah Thorne, and Steffie Woolhandler, "MarketWatch: Illness and Injury as Contributors to Bankruptcy," *Health Affairs*, February 2, 2005.

Other articles useful to this chapter included Christine Dugas, "American Seniors Rack Up Debt like Never Before," *USA Today*, April 24, 2002; and Mindy Fetterman and Barbara Hansen, "Young People Struggle to Deal with Kiss of Debt," *USA Today*, November 22, 2006.

For more on the bankruptcy stigma, see Kartik Athreya, "Shame As It Ever Was: Stigma and Personal Bankruptcy," *Federal Reserve Bank of Richmond, Economic Quarterly*, Vol. 90, No. 2, Spring 2004. The information on bankruptees' depression is cited at http://www .bankruptcylawinformation.com/index.cfm?event=dspStats.

The "capitalism without bankruptcy" quotation, attributed to Frank Borman, former CEO of Eastern Air Lines, was cited in Liz Pulliam Weston, "Why Going Broke Is a Fact of Life

in America," accessed January 2007, at http://moneycentral.msn.com/content/specials/P87467.asp?special/bankrupt.

القطاع غير الربحي

Growth statistics on the nonprofit, for-profit, and government sectors come from the Independent Sector, *Nonprofit Almanac: Facts and Findings*, "Employment in the Nonprofit Sector," 2001, accessed at http://www.independentsector.org/PDFs/npemployment.pdf.

Data on the superrich come from "The Business of Giving," *The Economist*, February 26, 2006.

Data on foundation growth come from the United States Nonprofit Sector, National Council of Nonprofit Associations, 2006, accessed January 2007, at http://www.nonprofitcongress.org/sites/nonprofitcongress.org/files/theme editor/npcongress/us sector report.pdf. Data on growth of nonprofit organizations come from Thomas H. Pollak and Amy Blackwood, "The Nonprofit Sector in Brief: Facts and Figures from the Nonprofit Almanac 2007," Urban Institute, 2006, accessed January 2007, at http://www.urban.org/publications/311373.html.

Data on nonprofit entry-level salaries come from R. Patrick Halpern, "Workforce Issues in the Nonprofit Sector: Generational Leadership Change and Diversity," American Humanics: Initiative for Nonprofit Sector Careers, May 2006 (hereafter "Humanics Study", accessed January 2007, at http://www.humanics.org/atf/cf/%7BE02C99B2-B9B8-4887-9A15-C9E973FD5616%7D/American%20Humanics%20Workforce%20Literature%20Review%20and%20Bibliography%204-26-06.pdf. The Pennsylvania study was cited in Bob Fernandez and Patricia Horn, "Nonprofits' Job Engine Transforms PA Economy," *Philadelphia Inquirer*, August 28, 2005.

Data on nonprofit executive salaries come from Noelle Barton, Maria Di Mento, and Alvin P. Sanoff, "Top Nonprofit Executives See Healthy Pay Raises," *Philanthropy.com*, September 28, 2006, accessed January 2007, at http://www.philanthropy.com/free/articles/v18/i24/24003901.htm.

Survey data on the need to rein in corporations come from David W. Moore, "Little Political Fallout from Business Scandals," Gallup News Service, July 8, 2002, accessed January 2007, at http://www.galluppoll.com/content/?ci=6340&pg=1.

Survey data on Americans' trust in government come from Jeffrey Jones, "Trust in Government Declining, Near Lows for the Past Decade," Gallup News Service, September 26, 2006; accessed January 2007, at http://www.galluppoll.com/content/?ci=24706&pg=1.

Useful articles on social entrepreneurship include Emily Eakin, "How to Save the World? Treat It like a Business," *New York Times*, December 20, 2003; and Nicholas Kristof, 'Do-Gooders with Spreadsheets," *New York Times*, January 30, 2007. See also David Bornstein, *How to Change the World: Social Entrepreneurship and the Power of New Ideas* (Oxford University Press, 2004).

Data on generational regard for nonprofits come from Harris Poll No. 33, April 27, 2006, http://www.harrisinteractive.com/harris poll/index.asp?PID=657.

Data on women in nonprofits, as well as on nonprofit employee turnover, come from Humanics Study, cited above.

Jim Collins, *Good to Great and the Social Sectors: A Monograph to Accompany Good to Great* (HarperCollins 2005).

11- المظاهر والأزياء

الوشم

The 2003 Harris poll is summarized by Joy Sever, Ph.D., at "A Third of Americans with Tattoos Say They Make Them Feel More Sexy," October 8, 2003, accessed October 2006, at http://www.harrisinteractive.com/news/allnewsbydate.asp?NewsID=691. The full poll is accessible at http://www.harrisinteractive.com/harris poll/index.asp?PID=407.

The AAD study was reported by Andrew Bridges, "Survey: 24 Percent Between 18–50 Tattooed," Associated Press, June 10, 2006.

The Canadian study is Health Canada, "Special Report on Youth, Piercing, Tattooing and Hepatitis C Trendscan Findings," March 2001.

For more on celebrity tattoos, see http://www.vanishingtattoo.com/celebrity tattoos.htm or http://www.celebritytattoos.org/.

The George Shultz rumor is reported in a Hoover Institute interview with the former secretary of state at http://www.hoover.org/publications/digest/5956876.html, among other places.

For more on military policy regarding tattoos, see Katie Zezima, "Yes, the Military Needs Bodies, but Hold the Bodywork," *New York Times*, December 3, 2005; and J. D. Leipold, "Army Changes Tattoo Policy," *Army News Service*, March 18, 2006.

For more on the body as billboard, see Frank Eltman, "Your Ad Permanently Tattooed Here, There, and Everywhere on New York Man's Body," Associated Press, January 29, 2005; and Melanie Wells, "Hey, Is That an Advertisement on Your Arm?," *USA Today*, July 23, 1999.

Another useful article was David Brooks, "Nonconformity Is Skin Deep," *New York Times*, August 27, 2006.

الفوضى والترتيب

How much Americans spend on getting organized comes from Penelope Green, "Saying Yes to Mess," *New York Times*, December 21, 2006.

The PSB poll of slobs was conducted online on April 5–6, 2007.

The book is Eric Abrahamson and David H. Freedman, *A Perfect Mess: The Hidden Benefits of Disorder—How Crammed Closets, Cluttered Offices, and On-the-Fly Planning Make the World a Better Place* (Little, Brown, 2006).

محبو الجراحة

All citations to the survey of plastic surgeons refer to the "American Academy of Facial Plastic and Reconstructive Surgery 2005 Membership Survey: Trends in Plastic Surgery," released February 2006. The survey included 233 completed questionnaires, with data tabulated by ICR in Media, Pennsylvania.

Income data was cited in Paige Herman and Marie Kuechel, "Cosmetic Surgery Has Gone Mainstream," *Ventura County Star*, January 8, 2006.

Data on men's surgeries and on the plastic surgery industry generally come from "Cosmetic Plastic Surgery Research Statistics and Trends for 2001–2005," Plastic Surgery Research, http://www.cosmeticplasticsurgerystatistics.com/statistics.html, accessed August 2006.

"Scalpel slaves" were identified early in Paddy Calistro, "Looks: Slaves to the Scalpel," Los Angeles Times, July 19, 1987; and Jennet Conant et al., "Scalpel Slaves Just Can't Quit," *Newsweek*, January 11, 1988.

The Dowd reference comes from Maureen Dowd, *Are Men Necessary?: When Sexes Collide* (G. P. Putnam's Sons, 2005), pp. 247–48, quoting Alex Kuczynski.

More on the medical beauty business can be found in Natasha Singer, "More Doctors Turning to the Business of Beauty," *New York Times*, November 30, 2006.

Most of the data in the International Picture come from "Consumer Attitudes Towards Aging: A Global ACNielsen Report," November 2006, http://www2.acnielsen.com/reports/documents/global aging attitudes nov06.pdf, accessed Januasry 2007. Other sources include a study by AGB Nielsen Media Research and Men's Health on South Korean men and plastic surgery, cited in Burt Herman, "S. Korea Sees Boom in Male Plastic Surgery," Associated Press, April 16, 2006; Frances Harrison, "Wealthy Iranians Embrace Plastic Surgery," *BBC News*, October 1, 2006; "Bargain Basement Plastic Surgery in Kurdistan," *Iraq Slogger*, March 6, 2007; and Sergio DeLeon, "Tourists Heading to Colombia for Plastic Surgery," *USA Today*, March 14, 2006.

أجسام صغيرة، نفوذ كبير

The Peter Gabriel song is "Big Time," from the *So* album by Geffen Records, 1986.

The *New York Times* article that started the petite flap was Michael Barbaro, "Where's the Petite Department? Going the Way of the Petticoat," *New York Times*, May 28, 2006, followed up by Michael Barbaro, "By Demand, Saks Revives Petite Department," *New York Times*, June 20, 2006.

Other key articles on this issue included Joy Sewing and Mary Vuong, "A Tall Order," *Houston Chronicle*, June 8, 2006; Jean Patteson, "For Petites, a Shrinking Debate Grows," *Orlando Sentinel*, June 23, 2006; Tanya Barrientos, "Petites Are Becoming the Odd-Woman-Out in Stores," *Philadelphia Inquirer*, June 26, 2006; and Anne Bratskeir, "No Small Fuss," *Newsday*, July 10, 2006.

Life expectancy data come from National Center for Health Statistics, United States, 2005, with Chartbook on Trends in the Health of Americans, Hyattsville, MD, 2005, Table 27, "Life Expectancy at Birth, at 65 Years of Age, and at 75 Years of Age, According to Race and Sex: United States, Selected Years 1900–2003," accessed October 2006, at http://www.cdc.gov/nchs/data/hus/hus05.pdf#027.

For more on the state of America's sizes, see Leslie Earnest, "What's with Women's Clothing Sizes?," *Los Angeles Times*, May 1, 2005.

For more on the remeasuring of America, see Michael D. Sorkin, "Survey Sizes Up America for the Perfect Fit," *St. Louis Post-Dispatch*, March 7, 2004.

Survey data on the average American woman's discomfort with current styles and sizes come from a study done by Lifestyle Monitor, reported on the Web site of Cotton Incorporated and accessed January 2007, at http://www.cottoninc.com/lsmarticles/?articleID=356.

12- التقانة

محبو تقانة اجتماعيون

The data cited in this chapter come from a poll PSB did in conjunction with Microsoft's Market Research Group in September 2005. Thanks to Microsoft for their permission to use the study.

For more on Tila Tequila, see Lev Grossman, "Tila Tequila," *TIME*, December 16, 2006.

Data on degrees conferred by specific fields of study were taken from Table 252, "Bachelor's, Master's and Doctor's Degrees Conferred by Degree-Granting Institution, by Sex of Student and Field of Study: 2003–04," *Digest of Education Statistics: 2005*, National Center for Education Statistics, <http://nces.ed.gov/programs/digest/d05/tables/dt05_252.asp>, accessed March 2007.

مخرّبو الآلات الجدد

The 2003 Pew Center study is Amanda Lenhart, "The Ever-Shifting Internet Population," Pew Internet and American Life Project, April 16, 2003. This study's description of Net Dropouts, pp. 21–23, was particularly useful.

Other articles useful to describing the attitudes of New Luddites include Kevin Cowherd, "Teen's Missionary Zeal for Technology Can't Convert Luddite Dad," *St. Paul Pioneer Press*, March 12, 2006; Ken Spencer Brown, "Wi-Fis, PDAs, Blogs, Smart Phones, PVRs, Hmm . . . Overload?," *Investor's Business Daily*, November 7, 2005; and Richard Seven, "Life Interrupted," *Seattle Times*, November 28, 2004.

For more on the faltering plan to allow cell phones on airplanes, see Paul Davidson, "Jet Passengers May Not Get to Chat on Cell Phones After All," *USA Today*, March 22, 2007.

إناث التقانة

The Consumer Electronics Association data on women outspending men on technology were cited in Yuki Noguchi, "On Cellphones, Girl Talk Comes with a Bling Tone," *Washington Post*, December 6, 2006. That article also describes the bejeweled phones having great success with young women purchasers.

The data on wholesale dollars influenced by women over time were provided by the Consumer Electronics Association (CEA).

The CEA market research on gadgets preferred by male and female teenagers was reported in Jack Schofield, "Toys for Boys and Girls: Technology Companies Must Come to Grips with the Fact That More Women than Men Now Buy Gadgets," *The Guardian* (London), February 10, 2006.

The Best Buy efforts are reported at Mindy Fetterman, "Best Buy Gets in Touch with Its Feminine Side," *USA Today*, December 20, 2006. Radio Shack's status was reported at "Study: Women Buy More Tech than Men," www.cnn.com, January 16, 2004.

The survey data of women's experiences shopping in technology stores were reported at May Wong, "Consumer Electronics Has Challenge: Wooing Women," *Ventura County Star*, January 14, 2004.

What women want in electronics comes from research done by Motorola, as reported in "On Cellphones, Girl Talk Comes with a Bling Tone," cited above.

Sharp's efforts were reported at "Shopping for Electronics: Isn't Just a Guy Thing," Associated Press, January 22, 2004.

أمهات يشترين سيارات

To see the Superbowl commercials, check out http://www.ifilm.com/superbowl/2005.

The data on women's experience in automobile showrooms come from numerous sources, including "Survey Finds 77 Percent of Women Car Buyers Continue to Bring Man Along to Dealership," accessed June 2006, at http://www.theautochannel.com/news/2006/06/01/009311/html.

For more on La Femme, see Edmunds.com, "Winning Women Over in the Car-Buying Process," accessed June 2006, at http://www.autotrader.com/research/shared.article/jsp?article id=3883&refpage=buyingtip . . .

The Kelley Blue Book data on male versus female car-buyers were reported in Dan Lienert, "The Best-Selling Cars by Gender," *Forbes*, May 24, 2005.

For more on the Volvo Concept Car designed by women, see "Women Design Concept Car for Volvo," *USA Today*, March 2, 2004, accessed June 2006, at http://www.usatoday.com/money/autos/2004-03-02-ycc x.htm.

Data on male vs. female preferences for cars and brands come from Dan Lienart, "Most Popular Cars for Men and Women," *Forbes*, June 27, 2006; and the Auto Channel, accessed June 2006, at http://www.theautochannel.com/news/2005/07/11/137213.html.

The quotation by Marc Graham, president of Juffy Lube, was first reported at Leslie Toussaint, "No Longer an Afterthought: Women and the Aftermarket," *Aftermarket Insider*, Vol. 9, 2001; accessed June 2006, at http://4wheeldrive.about.com/gi/dynamic/offsite.htm?zi=1/XJ&sdn=4wheeldrive&cdn=autos&tm=19&gps=406 984 1020 580&f=10&su=p284.7.420.ip p706.3.420.ip &tt=2&bt=0&bts=1&zu=http%3A//www.aftermarket.org/Information/AftermarketInsider/women.asp.

13- الفراغ والترفيه

أمهات الرماية بالقوس؟

All of the sports participation data in this chapter come from the National Sporting Goods Association study, "2005 Youth Participation in Selected Sports with Comparisons to 1995," accessed January 2007, at http://www.nsga.org/public/pages/index.cfm?pageid=158. The data include, but are not limited to, youth participation.

Baseball data come from Joseph Carroll, "Football Reaches Historic Popularity Levels in Gallup Poll," January 19, 2007. Hockey data come from Tim Lemke, "Power Play," *Washington Times*, October 4, 2006.

For more on the rise of snowboarding, see Anne E. Wright, "It's All Downhill," *Albuquerque Journal*, February 15, 2004.

For more on teen viewing and playing habits, see David Wharton, "Generation Gap: Traditional Sports Don't Have Same Pull with Today's Teens," *Los Angeles Times*, May 7, 2002.

Lacrosse data come from Pete Thamel, "Lacrosse Is Coming into New Territory," *New York Times*, May 30, 2005. Fencing data come from Jacqueline L. Salmon, "Exploring New Fields: Other Sports Gain Popularity as Kids Discover Life Beyond Soccer," *Washington Post*, August 15, 2001. For more on USA Dance, see http://www.usabda.org/.

For more on Fantasy Fishing, see Kevin J. Delaney, "'Fantasy Fishing' Leagues Hook Interested Parties," Associated Press Financial Wire, July 20, 2006.

The data on the Olympic Games come from http://www.olympic.org/uk/games/past/index uk.asp?OLGT=2&OLGY=2006.

"Most Popular Male Athlete" is a Harris Interactive online poll, reported at, "Tiger Takes No. 1 Spot in Harris Poll of Fans," Associated Press, June 9, 2006, accessed January 2007, at http://sports.espn.go.com/espn/news/story?id=2476502.

الفن الإباحي

The data on porn-watchers come from "Pornography Statistics 2007," accessed at http://internet-filter-review.toptenreviews.com/internet-pornography-statistics.html, and "Internet Pornography Statistics," accessed at http://www.mykidsbrowser.com/pornography stats.php.

As of spring 2007, an average Major League Baseball game had a Nielsen rating of about 2.4, which translates into fewer than 3 million households watching.

Articles useful for the data on porn consumption include Eric Retzlaff, "Pornography's Grip Tightened by Way of Internet," *National Catholic Register*, June 13, 2000; and Dennah Gresh, "A Decent Proposal: How to Take the High Road in a Low-Rise, Skin-Is-in-Society," *Today's Christian Woman*, May/ June 2003.

The data on the size of the porn industry and its share in cyberspace come largely from the Pornography Statistics Web sites cited above.

The *Investor's Business Daily* article on porn and technology is Patrick Seitz, "High Def's Adult Situation Favors Toshiba," *Investor's Business Daily*, March 2, 2006. Thanks to Milo Jones, University of Kent, for steering us toward this insight.

Information on the declining age of Americans' first sex comes from Durex's *2004 Sex Survey*, accessed at http://www.durex.com/cm/GSS2004Results.asp. That survey was also used for global data regarding porn-watching.

For the International Picture on porn, useful articles included Michael Field, "The Pacific Porn Paradise," *Dominion Post* (Wellington, New Zealand), December 17, 2005; "Italy Probes Porn on a Mobile Network," *Global News Wire—Asia Africa Intelligence Wire*, May 6, 2006; Matt Richtel and Michael Marriott, "Ring Tones, Cameras, Now This: Sex Is Latest Cellphone Feature," *New York Times*, September 17, 2005; Phermsak Lilakul, "Survey: Youth Well Versed in Internet Porn, *The Nation* (Thailand), October 10, 2002; "Porn a Major Presence in Lives of Youth," *UPI*, February 26, 2007; and "African's 'Porn Centre' Seeks Cash," *BBC News*, December 14, 2004.

الراشدون وألعاب الفيديو

Most of the data in this chapter come from Entertainment Software Association, "2006 Sales, Demographic and Usage Data: Essential Facts About the Computer and Video Game Industry."

Other useful resources included Mike Johansson, "Game On!," *Rochester Democrat and Chronicle*, May 21, 2004; Roy Rivenburg, "Plan Your Funeral or Play Nintendo," *Los Angeles Times*, October 26, 2006; and Mike Sneider, "These Mind Games Do You Good," *USA Today*, April 18, 2006; and Paige Craig.

For more on serious games, see Josh Schollmeyer, "Games Get Serious," *Bulletin of the Atomic Scientists*, Vol. 62, No. 4, July/August 2006.

الكلاسيكية الجديدة

Useful articles for this trend, from which many of the cited statistics come, include Allan Kozinn, "Check the Numbers: Rumors of Classical Music's Demise Are Dead Wrong," *New York Times*, May 28, 2006; Ken Schwartz, "Classical Music Comes off Life Support," www.businesstoday.com, March 14, 2006; Barbara Jepson, "Classical, Now Without the 300-Year Delay," *New York Times*, March 26, 2006; Patrick Kavanaugh, "Rumors Greatly Exaggerated," *National Review*, June 30, 2003; and Robin Pogrebin, "Uncertain Times: Impulse Buyers Replace Ticket Subscriptions," *New York Times*, October 16, 2002.

Survey data on musical instruments at home come from the Gallup Organization, "American Attitudes Towards Music," conducted for the National Association of Music Merchants, March 2003, accessed January 2007, at http://www.amc-music.com/news/pressreleases/images/gallup/Gallup2003.ppt#281.6.

The older piano-player data come from Robin Schatz, "Your Inner Musician Is Just Waiting to Be Found," *BusinessWeek Lifestyle*, May 13, 2002, accessed January 2007, at http://www .businessweek.com/magazine/content/02 19/b3782107.htm.

The classicalarchives.com survey was accessed January 2007, at http://www.classical archives.com/demographics.html.

14- التعليم

تأخير طفل ذكي صفاً

Articles useful to this chapter include Elissa Gootman, "Preschoolers Grow Older as Parents Seek an Edge," *New York Times*, October 19, 2006; "Parents Delay Kindergarten to Give Children an Edge" *New York Times*, April 27, 2004; "Postponing Kindergarten," *Chicago Tribune*, April 26, 2006; and Nara Schoenberg, "More Boys Finding They're Ahead of the Game When They're Held Behind," *Chicago Tribune*, April 25, 2006.

The term "Kindergarten Arms Race" was coined by Steve Sailer, "Redshirting: A Kindergarten Arms Race," UPI, July 25, 2002, accessed July 2006, at http://www.isteve.com/2002 Redshirting-A Kindergarten Arms Race.htm.

For doubts about the efficacy of red-shirting, see Michelle Keller, "'Academic Red-Shirting' Is Getting a Mixed Report Card," *Los Angeles Times*, July 5, 2006; Elaine Lapriore, "Delaying Kindergarten Has No Benefits," http://www.usc.edu/escnews/stories/12716.html, September 7, 2006; Hermine H. Marshall, "Opportunity Deferred or Opportunity Taken?: An Updated Look at Delaying Kindergarten Entry," *Beyond the Journal*, September 2003. But see also "Delaying Kindergarten: Effects on Test Scores and Child Care Costs," Pardee Rand Graduate School Research Brief, 2004.

For the data in the graph, we are indebted to Chris Chapman, program director, Early Childhood and Household Studies, National Center for Education Statistics, U.S. Department of Education, provided November 7, 2006.

التعليم المنزلي في أمريكة

The U.S. Department of Education study is D. Princiotta and S. Bielick, *Homeschooling in the United States: 2003* (NCES 2006-042), U.S. Department of Education. National Center for Education Statistics, Washington, D.C., 2006, accessible at http://nces.ed.gov/pubs2006/ homeschool/. School-age population counts in 1999 and 2003 rely on http://www.census.gov/ prod/2001pubs/p20-533.pdf and http://www.census.gov/prod/2005pubs/p20-554.pdf.

Data on students in charter schools come from U.S. Department of Education, National Center for Education Statistics, Schools and Staffing Survey (SASS), "Public School Questionnaire," 1999–2000, and "Charter School Questionnaire," 1999–2000, prepared December 2002.

Data on the size of the home-school industry come from "George Bush's Secret Army," *The Economist*, February 26, 2004.

The college policy information is taken from Tania Deluzuriaga, "Home School Phenomenon," *Orlando Sentinel*, June 12, 2005. The data on SAT's come from the Home School Legal Defense Association, accessible at http:www.hslda.org/docs/news/hslda/200105070.asp, and is based on information the HSLDA acquired from the College Board.

Spelling bee data come from the Web site of the National Spelling Bee, accessible at http://www.spellingbee.com/statistics.asp. Geography bee data come from the HSLDA Web site at http://www.hslda.org/docs/news/hslda/200305/200305300.asp.

Public opinion data on home-schooling come from Linda Lyons and Gary Gordon, "Homeschooling: Expanding Its Ranks and Reputation," reporting on a Phi Delta Kappa/ Gallup Poll study conducted May–June 2001.

All demographic data about home-schoolers come from the U.S. Department of Education study, cited above.

Data on home-school regulation come from the HSLDA Web site, at http://www.hslda .org/laws/.

Data on states proposing bills to let home-schooled students use public resources come from James Dao, "Schooled at Home, They Want to Play at School," *New York Times*, June 22, 2005.

International data come from the following sources: *The Home School Court Report*, a publication of Home School Legal Defense Association, Vol. 19, No. 5, September/October 2003; Tim Large, "Stay-at-Home Kids Shunning the System," *Daily Yomiuri* (Tokyo), September 2, 2000; Nechama Veeder, "Learning Without Lessons," *Jerusalem Post*, September 1, 2006; and Paul Belien, "2007 German Horror Tale; Nazi-Era Law Prosecutes Today's Home-Schoolers," *Washington Times*, February 28, 2007.

التسرب من الجامعة

All the celebrity college dropouts are reported at the Web site of the College Dropouts Alumni Association, accessed August 2006, at http://www.geocities.com/CollegePark/7734/ cdoaa.html; and/or http://www.answers.com/topic/college-dropout.

Trend data in college enrollment come from the Bureau of Labor Statistics, "College Enrollment and Work Activity of 2005 High School Graduates," released March 24, 2006, accessed July 2006, at http://www.bls.gov.news/release/hsgec.nr0.htm; and the National Center for Education Statistics, Digest of Education Statistics, 2005, accessed July 2006, at http://nces .ed.gov/programs/digest/d05/tables/dt05 182.asp.

College graduation data come from Laura Horn and Rachael Berger, "College Persistence on the Rise?," NCES 2005-156, U.S. Department of Education, cited in "Convergence: Trends Threatening to Narrow College Oppostunity in America," a project of the Institute for Higher Education Policy, April 2006 (hereafter "Convergence"), Figure 6, p. 11.

The *New York Times* article is David Leonhardt, "The College Dropout Boom," *New York Times*, May 24, 2005.

The rising number of college students failing to graduate was calculated by multiplying the rising college enrollment rates, reported by NCES at http://nces.ed.gov/programs/coe/2006/ section1/table.asp?tableID=443, by the steady nongraduation rate (34 percent), reported at Horn and Berger above.

Data on the costs of not graduating come from "Convergence," pp. i, 2.

The study on student debt was authored by Lawrence Gladieux and Laura Perna, "Borrowers Who Drop Out: A Neglected Aspect of the College Student Loan Trend," the National Center for Public Policy and Higher Education, May 2005. The cited *New York Post* article is Daphne Landau. *"College Dropouts Costing the State $700 Million," New York Post, April 20, 2004.*

Projections regarding undergraduate students come from "Convergence," p. ١١–١٤.

Data on attitudes of college dropouts come from a PSB poll conducted October 5–6, 2006.

محبو الأرقام

Former Harvard president Larry Summers's speech was quoted in Peter Dizikes, "Civic Science," *Boston Globe*, April 30, 2006.

The Harvard and Yale data come from *Handbook for Students*, accessed at http://webdocs.registrar.fas.harvard.edu/ugrad handbook/current/ugrad handbook.pdf; and *Yale College Undergraduate Junior and Senior Majors, 1989–99 to 2005–06.*

STEM data come from the statement of Cornelia M. Ashby, director, education, workforce, and income security issues, on "Higher Education: Science, Technology, and Mathematics Trends and the Role of Federal Programs," published by the U.S. Government Accountability Office, May 3, 2006.

Key articles in the development of this chapter, from which some of the anecdotes are drawn, include Speed Weed, "POPSCI Goes to Hollywood," *Popular Science*, January 2007; and Jackie Burrell, "Number Mania TV Shows Go on Integer Alert," *Contra Costa Times* (CA), May 31, 2006.

The very wealthy math major is James Simons, former math major and math professor, and as of 2007 the head of his own hedge fund, Renaissance Technologies Corporation.

15- العالم

أديان مصغّرة

The *New Yorker* cover was Saul Steinberg's *A View of New York from 9th Avenue*, and originally appeared on March 29, 1976.

The data on churchgoing in France and Germany come from Robert Manchin, "Religion in Europe: Trust Not Filling the Pews," the Gallup Poll for European Commission's Eurobarometer survey, September 21, 2004.

The first Peter Berger reference can be found in an article that was extremely helpful to this entire piece: Toby Lester, "Oh, Gods!," *Atlantic Monthly*, February 2002. The second comes from an excerpt from the Pew Forum's biennial Faith Angle Conference on Religion, Politics, and Public Life, "Religion in a Globalizing World," December 4, 2006, accessible at http://pewresearch.org/pubs/404/religion-in-a-globalizing-world.

David Barrett, George Kurian, and Todd Johnson, *World Christian Encyclopedia*, 2nd ed. (Oxford University Press, 2001), 2 vols. All references to it, including the descriptions of some of the religions, come from "Oh, Gods!," cited above.

Background on who joins NRMs comes largely from Vatican Sectarian for Promoting Christian Unity, "Sects or New Religious Movements: A Pastoral Challenge," *Vatican*, May 3, 1986, accessible at http://www.catholicculture.org/docs/doc view.cfm?recnum=1313.

For more on militant Islam as an example of rapid change, and the role of NRMs in law enforcement, see "Oh, Gods!," cited above.

مشترو المنازل الاجانب

The Florida Realtor survey is National Association of Realtors, "The 2005 National Association of Realtors Profile of International Home Buyers in Florida," accessible at http://www.realtor.org/Research.nsf/files/2005%20Profile%20of%of20International%20Buyers,pdf/$FILE/2005%20Profile%20of%20International%20Buyers.pdf. This is also the source of the median home price figures and the buyer motivation data later in the chapter.

Helpful articles for data beyond Florida included Dick Hogan, "Euro, Low Airfares Boost Investments," *News-Press*, March 20, 2005; Ron Scherer, "House Not Home: Foreigners Buy

Up American Real Estate," *Christian Science Monitor*, July 15, 2005; and June Fletcher, "As US Buyer Pool Shrinks, US Sellers Look Abroad," *Wall Street Journal*, accessed April 2007, at http://www.realestatejournal.com/buysell/markettrends/20050407-fletcher.html.

Comparative currency data were reported in "Euro, Low Airfares Boost Investments," cited above.

For more on multi-currency mortgages, see Kelly Griffith, "Foreign Banks Can Choose Mortgages in Their Currencies, *Orlando Sentinel*, June 7, 2006.

The Middle Eastern and Latin American preferences for home design were suggested in Judy Stark, "Home Away from Home," *St. Petersburg Times*, February 19, 1994.

For more on the California bill, see "Stirring It Up: Doolittle Wants Loan Barriers for Foreigners," *Sacramento Bee*, March 6, 2007 (editorial).

Regarding the surveys on isolationism, see Andrew Kohut, "Tracking American Isolationism: Speak Softly and Carry a Smaller Stick," *New York Times*, March 25, 2006; and "America's Place in the World 2005: Opinion Leaders Turn Cautious, Public Looks Homeward," the Pew Research Center and the Council on Foreign Relations, released November 17, 2005.

علاقة وكلٌ في منزله (المملكة المتحدة)

The data on British LATers come from a news release from National Statistics, "First Estimates of the Number of People 'Living Apart Together' in Britain, Population Trends 122—Winter 2005," accessed December 2006, at http://www.statistics.gov.uk/pdfdir/poptrends1205.pdf.

British marriage rate statistics come from Office for National Statistics FM2, Table 2.2, accessed December 2006, at http://www.statistics.gov.uk/downloads/theme population/Table 2a Marriage rates.xls.

Articles useful to this trend included Katy Guest, "The Love Issue," *Independent on Sunday* (London), February 12, 2006; Celia Brayfield, "One Heart, Two Homes," *The Times* (London), September 21, 2004; and Jasper Gerard, "Semi-Attached Couple," *The Sunday Times* (London) February 23, 1992.

Data on North American LATers come from Anne Milan and Alice Peters, "Couples Living Apart," *Canadian Social Trends*, Summer 2003, Statistics Canada, Catalogue No. 11-008.

The National Association of Home Builders Survey was cited in Tracie Rozhon, "To Have, Hold, and Cherish, Until Bedtime," *New York Times*, March 11, 2007.

فتية أمهاتهم (إيطالية)

Data on Italian men living at home were taken largely from Marco Manacorda and Enrico Moretti, "Why Do Most Italian Young Men Live with Their Parents? Intergenerational Transfers and Household Structure," Centre for Economic Policy Research, June 2005, <http://www.cepr.org/pubs/dps/DP5116.asp>, accessed November 2006.

Other helpful articles included "Italian Parents Under Accusation," *La Repubblica*, February 3, 2006 (thanks to Enzo Caiazzo, CEO of Alenia, Inc., and Kristin Uzun, for help in translation); Gary Picariello, "In Italy—Living at Home Well into Your 30s Is Perfectly Normal," *Associated Content*, 2006; Donald MacLeod, "Italian Mammas Making Offers Their Sons Can't Refuse," *Guardian Unlimited*, February 3, 2006; and Deidre Van Dyke, "Parlez-Vous Twixter," *Time*, January 16, 2004.

Birth rate data come from "The World Factbook, Rank Order—Total Fertility Rate," March 15, 2007, <https://www.cia.gov/cia/publications/factbook/rankorder/2127rank.html>, accessed March 2007.

نجوم أوروبة

All data on total fertility rates come from United Nations Statistics Division, Social Indicators, Indicators on Child-Bearing, accessed January 2007, at http://unstats.un.org/unsd/demographic/products/socind/childbr.htm.

Useful articles for this chapter included Elisabeth Rosenthal, "European Union's Plunging Birthrates Spread Eastward," *New York Times*, September 4, 2006; Jeffrey Fleishman, "No Dearth of Births in This Town," *Los Angeles Times*, September 14, 2006; and Frank Bruni, "Persistent Drop in Fertility Reshapes Europe's Future," *New York Times*, December 26, 2002.

British marriage statistics, and all the British childbearing data cited below, come from Mike Dixon and Julia Margo, "Population Politics," Institute of Public Policy Research, February 19, 2006, pp. 80–85, accessed September 2006, at http://www.ippr.org.uk/publicationsandreports/publication.asp?id=341.

The figure on childbearing by educated German women comes from Lionel Shriver, "No Kids Please, We're Selfish," *The Guardian* (London), September 17, 2005.

The U.S. fertility rate analysis by 2004 red and blue states comes from Phillip Longman, "The Liberal Baby Bust," *USA Today*, March 13, 2006.

The generation gap analysis was cited in "Half a Billion Americans?," *The Economist*, August 22, 2002.

Data on the growth on Only Children come from "Female Population by Age and Total Number of Children Born Alive and Urban/Rural Residence, Each Census: 1948–1997," United Nations Demographic Yearbook, Historical Supplement, accessed January 2007, at http://unstats.un.org/unsd/demographic/sconcerns/natality/nat2.htm.

Helpful birth order articles included Kate Lorenz, "Oldest, Middle, Youngest: Who's More Successful?," accessed January 2007, at http://www.careerbuilder.ca/CA/JobSeeker/CarrerAdvice/ViewArticle.aspx?articleid=126&cb RecursionCnt=2&cbsid=41106e22d7764f2d82054e70adfd763c-231267953-JJ-5; and "Birth Order," Child Development Institute, accessed October 2006, at http://www.childdevelopmentinfo.com/development/birth order.htm.

رجال الأعمال الفيتناميون

Useful articles on this trend, from which some data are cited, include Keith Bradsher, "Vietnam's Roaring Economy Is Set for World Stage," *New York Times*, October 25, 2006; "The Middle Class Has Landed," *Vietnam Investment Review*, 2006, accessed at http://www.vir.com.vn/Client/VIR/index.asp?url-content.asp&doc=11907; "Good Morning at Last," *The Economist*, August 5, 2006; and "The Good Pupil: Vietnam's Economy," *The Economist*, May 8, 2004.

The Gallup data on optimism come from Gallup International Voice of the People Survey, press release, December 18, 2006.

النبيذ الفرنسي

International alcohol consumption data come from the Global Status Report on Alcohol 2004, World Health Organization, Department of Mental Health and Substance Abuse

(Geneva, 2004). French data in particular are accessible at http://www.who.int/substance abuse/publications/en/france.pdf.

Other data on the decrease in French wine consumption come from "Lawmakers Say French Youth Needs to Learn More About Wine Appreciation, Associated Press, December 6, 2006.

Information on French eating habits comes from "French Eating Habits," at www .EnjoyFrance.com, September 6, 2005, accessed April 2007.

Discussion of French and U.S. experience with crackdowns on drunk-driving was informed by Keith B. Richburg, "European Laws Place Emphasis on the Driving, Not the Drinking," *Washington Post*, December 30, 2004.

For more on classifying wine as a food, see Elaine Sciolino, "A Campaign to Drink Another Glass of Wine for France," *New York Times*, July 23, 2004.

The real book is Mireille Guiliano, *French Women Don't Get Fat*, (Alfred A Knopf, 2005).

The French smoking data come from Caroline Wyatt, "Bidding Goodbye to the Gauloises," *BBC News*, February 1, 2007, accessed April 2007.

The French wine industry's troubles are well documented in Peter Gumbel, "Too Much of a Good Thing," *TIME*, October 19, 2006.

بيكاسو الصيني

Key articles on Chinese art useful to this chapter included "Chinese Paintings Enjoy Increasing Popularity," www.china.org, June 30, 2005, accessed February 2007, at http://www.china.org.cn/english/culture/133552.htm: "China Industry: Chinese Contemporary Art Catches On in a Big Way, *EIU Views Wire*, August 29, 2005; David Barboza, "China's Boom Industry?," *International Herald Tribune*, January 5, 2007; Julie Mehta, "Contemporary Chinese Art Finds a Place in Art History," *Art Business News*, November 1, 2003; Will Bennett, "China's New Millionaires See Capital Gain in Art," *Financial Times* (London), September 30, 2006; Will Bennett, "China Opens Up to Art Auctions," *The Telegraph* (London), January 1, 2005; and "Appreciating Oils: China's Art Market," *The Economist*, April 9, 2005.

The John Adams quotation is John Adams to Abigail Adams, [12 May 1780], *Adams Family Correspondence*, 3:342, accessed February 2007, at http://www.masshist.org/adams/quotes.cfm.

The Dafen story is told in "Painting by Numbers: China's Art Business," *The Economist*, June 10, 2006.

For more on Western museums' expansion plans, see Alan Riding, "France Frets as Louvre Looks Overseas," *New York Times*, January 1, 2007.

Information on other countries' growing GDPs comes from the International Monetary Fund, World Economic and Financial Surveys, World Economic Outlook Database, September 2006 edition, accessed March 2007, at http://www.imf.org/external/pubs/ft/weo/2006/02/data/index.aspx.

تأرجح روسي

The 1991 Pulse of Europe Survey, as well as all subsequent 2006 data on Russian views toward democracy, are reported at the Pew Global Attitudes Project, "Russia's Weakened Democratic Embrace," January 5, 2006, accessed February 2006, at http://pewglobal.org/reports/display.php?ReportID=250.

The Russian success story of the last decade is largely chronicled at Jason Bush, "Russia: How Long Can the Fun Last?," *BusinessWeek*, December 18, 2006, accessed February 2006, at http://www.businessweek.com/magazine/content/06 51/b4014056.htm.

Data on Russian safety and corruption come from Sergei Gradirovski and Neli Esipova, "Security in Russia: The Hoodlum Must Pay!", Gallup News Service, January 4, 2007; and Sergei Gradirovski and Neli Esipova, "Corruption in Russia: Is Bribery Always Wrong?", Gallup News Service, October 15, 2006.

Useful articles on Russian political developments in 2006 and 2007 include "Richer, Bolder—and Sliding Back—Russia," *The Economist*, July 15, 2006; Fred Hiatt, "Kasparov's Gambit," *Washington Post*, February 12, 2007; Steven Lee Myers, "Russians to Vote, but Some Parties Lose in Advance," *New York Times*, February 15, 2007; and Thom Shanker and Mark Landler, "Putin Says U.S. Is Undermining Global Stability," *New York Times*, February 11, 2007.

The 2006 survey reporting Russian wariness of President Putin's tactics is "The Putin Popularity Score: Increasingly Reviled in the West, Russia's Leader Enjoys Broad Support at Home," by Richard Morin, Pew Global Attitudes Project, and Nilanthi Samaranayake, Pew Research Center for the People and the Press, December 6, 2006.

نهضة نساء الهند

The Indian economic success story, combined with its challenges, is largely told at Haroon Siddiqui, "India: Misery and Magic," *Toronto Star*, February 8, 2007.

For more on Indian literacy, see O. P. Sharma, "2001 Census Results Mixed for India's Women and Girls," *Population Today*, May/June 2001; accessed March 2007, at http://www.prb.org/Articles/2001/2001CensusResultsMixedforIndiasWomenandGirls.aspx.

The urban employment growth figures come from the NSS Report No. 520: "Employment and Unemployment Situations in Cities and Towns in India, 2004–2005," National Sample Survey Organization, Ministry of Statistics and Programme Implementation, Government of India, March 2006. Helpful analysis can be found in C. P. Chandrasekhar and Jayati Ghosh, "Women Workers in Urban India," February 6, 2007, accessed March 2007, at. http://www.macroscan.org/fet/feb07/fet060207Women Workers.htm.

For more on high abortion rates of girl fetuses, see Scott Baldauf, "India's Girl Deficit Deepest Among Educated," *Christian Science Monitor*, January 13, 2006.

For more on parliamentary quotas for women, see P. Jayaram, "Bill to Reserve MP Seats for Indian Women in Limbo," *Straits Times*, December 9, 2006; and "MP Reserves 50% for Women in Local Bodies," *Indian Express Online Media Ltd Source: Financial Times*, March 31, 2007.

The research on the impact of female legislators was conducted by Irma Clots-Figueras, "Women in Politics: Evidence from the Indian States," January 24, 2005, accessed March 2007, at http://sticerd.lse.ac.uk/dps/pepp/PEPP%2014.pdf.

For more on Naina Lal Kidwai, see S. Prasannarajan "Power Pyramid," *India Today*, March 26, 2007. For more on Kiran Mazumdar Shaw, see Sudip Mazumdar, "First Lady," *Newsweek*, October 18, 2006. For more on Mira Nair, see http://www.mirabaifilms.com/home.html.

Data on Indian students in America come from "Open Doors 2006, Report on International Educational Exchange, Leading 20 Places of Origin 2004/5 and 2005/6," accessed April 2007, at http://opendoors.iienetwork.org/?p=89189.

For more on Indra Nooyi, see "Indra Nooyi Is India Abroad Person of the Year," Rediff India Abroad, March 24, 2007, accessed April 2007, at http://www.rediff.com/news/2007/mar/24iapoy.htm. For more on Kalpana Chawla, see NASA Web site at http://www.jsc.nasa.gov/Bios/htmlbios/chawla.html. For more on Swati Dandekar, see http://www.swatidandekar.com/. For more on Sania Mirza, see Randeep Ramesh, "Fatwa Orders Indian Tennis Star to Cover Up," *The Guardian* (London), September 10, 2005.

إرهابيون مثقفون

The Terrorism Knowledge Base, accessible at http://www.tkb.org, is the self-described "one-stop resource for comprehensive research and analysis on global terrorist incidents, terrorism-related court cases, and terrorist groups and leaders." It integrates data from the RAND Terrorism Chronology and RAND-MIPT Terrorism Incident databases, the Terrorism Indictment database, and DFI International's research on terrorist organizations, and is funded through the U.S. Department of Homeland Security's Office of Grants and Training.

Key articles for this chapter include Bruce Hoffman, "We Can't Win if We Don't Know the Enemy," *Washington Post*, March 25, 2007; George Packer, "Knowing the Enemy," *New Yorker*, December 18, 2006; Daniel Pipes, "God and Mammon: Does Poverty Cause Militant Islam?," *National Interest*, Winter 2002; and Alan B. Krueger and Jitka Maleckova, "Seeking the Roots of Terrorism," *Chronicle of Higher Education*, June 6, 2003. In particular, the studies on terrorists in Egypt, Lebanon, and Israel are summarized in the latter piece.

Marc Sageman's book, *Understanding Terror Networks* (University of Pennsylvania Press, 2004), is helpfully excerpted in his Foreign Policy Research Institute e-note, November 1, 2004, accessed March 2007, at http://www.fpri.org/enotes/20041101.middleeast.sageman.understandingterrornetworks.html.

